

ديوان البوصيري

نظم

شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري



ملتمذ الطبع والنشر
مكة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

ديوان البوصيري

نظم

شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري

المادحون وأرباب الهوى تباع
لصاحب البردة الفيحاء ذي القدم
الله يشهد أني لا أعارضه
من ذا يعارض صوب العارض العرم
وإنما أنا بعض الغابطين ومن
يغبط ولك لا يذمم ولا يلم
مدحه لك حب صادق وهوى
وصادق الحب يملئ صادق الكلم
أحمد شوقي

تحقيق

محمد سيد كيلاني

ماجستير كلية الآداب : جامعة القاهرة

ملتزم الطبع والنشر

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

الطبعة الأولى

١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م

(حقوق الطبع محفوظة)

الاهراء

إلى أمير الشعراء ، وخليفة أحمد شوقي ، الأستاذ الجليل عزيز أباظه :

أَمِيرَ الْفَنِّ وَالشُّعْرِ وَأَعْظَمَ نَابِي الْقَصْرِ
سَلِيلَ السَّادَةِ الْأَطْهَارِ آلِ أَبَاظَةَ الْفُرِّ
جَمَعْتَ إِلَى مَا تَرَاهُمْ طَرِيفَ الْمَجْدِ وَالْفَخْرِ
وَكَمْ أَهْدَيْتَ لِلْفُضْحَى مِنْ الْأَلَاءِ وَالْبِرِّ
وَكَمْ قَدَّمْتَ لِلتَّمَثِيلِ كُلِّ يَتِيمَةٍ بِكْرِ
تَمَّتْ إِلَى الْحَقَائِقِ وَهِيَ تُعْطَى نَفْثَةَ السَّحْرِ

* * *

أَزُفْ إِلَيْكَ دِيوَانًا يَرِفُ كِيَانِجِ الزُّهْرِ
مُصَوَّرَةً خَوَاطِرُهُ مِنْ الْإِخْسَاسِ وَالْفِكْرِ
يُسْعُ الدِّينُ أَضْوَاءَ بِهِ كَالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ
وَيَنْسِمُ فِي حَنَائِ الْنَفْسِ مِثْلَ تَبَسُّمِ الْفَجْرِ
وَمَا هُوَ غَيْرُ تَعْبِيرٍ لِإِعْجَابِي مَعَ الشُّكْرِ

المخلص

محمد سيد كيلاني

أول يولييه سنة ١٩٥٥

مقدمة

البوصيرى

٦٠٨ - ٦٩٦

اسمه ونسبه ولقبه ومولده :

هو محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن أبى سرور بن حبان بن عبد الله بن ملاك الصنهاجى .

وقيل : محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن حيانى الحبونى الصنهاجى أبو عبد الله شرف الدين الدلاصى المولد ، المغربى الأصل ، البوصيرى المنشأ .

وعلى كل فقد أجمع المؤرخون على أن اسمه محمد ، واسم أبيه سعيد . ثم اختلفوا بعد ذلك فى بقية نسبه ؛ فمنهم من ينقص ومنهم من يزيد . وهم متفقون على أنه ينتمى إلى بنى حبنون ، وهم فرع من قبيلة صنهاجة الكبيرة التى عاشت ببلاد المغرب .

وقد أشار البوصيرى ، إلى أصله المغربى معتزاً به فى قوله :

فقل لنا من ذا الأديب الذى زاد به حى ووسواسى ؟

إن كان مثلى مغرباً فما فى صحبة الأجناس من باس

وإن يكذب نسبى جئته يجبتى الصوف ودفاسى

وكان أبوه من ناحية بوصير ، وأمه من ناحية دلاص . أما بوصير فهى بوصير قوريدس ، أو بوصير الملق . وتقع بين الفيوم وبنى سويف ، وفيها قتل مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية . وإليها ينسب أبو القاسم هبة الله بن على ؛ أحد رجال الحديث المتوفى سنة ٥٩٨ هـ .

وأما دلاص بفتح الدال، فقد ذكر ياقوت أنها كانت اسم ولاية تقع غرب النيل، مركزها مدينة دلاص، وكانت ملحقة بالبهنسا. ومنها أبو القاسم حسان بن غالب بن نجيح الدلاصي، يروي عن مالك بن أنس والليث بن سعد. وكان ثقة. وتوفي بدلاص سنة ٢٢٣ هـ.

وقد أراد الشاعر أن يخلع على نفسه لقب الدلاصيرى، وهى كلمة منحوتة من لفظتى دلاص وبوصير. قال ابن تغرى بردى: «وكانت له - يعنى البوصيرى - أشياء مثل هذا يركبها من لفظتين، مثل قوله فى كساء له: كساط. فقيل له: لماذا تسميه بذلك؟ فقال: لأنى تارة أجلس عليه، وتارة أرتديه، فهو كساء وبساط»، إلا أن هذا اللقب ظل مجهولا، ولم يشتهر إلا بالبوصيرى، ويكنى بشرف الدين.

وقد ذكر المقرئى، أن البوصيرى ولد بناحية دلاص، فى حين أن ابن تغرى بردى ذكر أن مولده ببهشيم من أعمال البهنسا. واتفق هذان المؤرخان على أنه ولد فى يوم الثلاثاء أول شوال. ولم يقطع المقرئى بالسنة التى ولد فيها الشاعر، فذكر ما قيل من أنه ولد سنة ٦٠٧ أو ٦٠٨ أو ٦١٠ هـ. أما ابن تغرى بردى فذكر أن ميلاده كان فى سنة ٦٠٨ وتبعه فى ذلك صاحب شذرات الذهب وابن حجر الهيتمى.

ثقافته :

ليس لدينا من أخبار البوصيرى ما يكشف لنا كيف قضى طفولته أو صباه. غير أنه يمكن القول إنه بدأ حياته الدراسية كما كان يبدوها معاصروه، وذلك بحفظ القرآن. ثم جاء إلى القاهرة، والتحق بمسجد الشيخ عبد الظاهر^(١)، حيث درس العلوم الدينية، وشيئا من علوم اللغة كالنحو والصرف والعروض، كما درس الأدب، وجانبا من التاريخ الإسلامى، وبخاصة السيرة النبوية. وربما يكون قد درس فى مساجد أخرى غير مسجد الشيخ عبد الظاهر.

وقد حدث أن الملك الصالح نجم الدين الأيوبنى الذى تولى ملك مصر سنة ٦٣٧ هـ أخرج ثلاثة آلاف دينار لتوزع على طلبة المدارس، وعهد فى توزيعها إلى أحد الفقهاء، فلم يوزع شيئا على طلبة مسجد الشيخ عبد الظاهر. فنظم البوصيرى قصيدة على لسان هذا المسجد، بين فيها

(١) بحثنا عن ذكر لهذا المسجد فى كتب التاريخ فلم نعث على شيء.

أن المال الذى أخرجه السلطان قد اختلس . ومن هذه القصيدة نفهم أن الشاعر كان يطلب العلم فى المسجد المذكور . فلوفرضنا أن السلطان أخرج هذا المال فى العام الذى تولى فيه ، وهو عام ٦٣٧ لكان البوصيرىّ إذ ذاك فى الثلاثين من عمره تقريبا .

نم أقبل على التصوف ، فدرس آدابه وأسراره . وقد تلقى ذلك عن أبى العباس المرسى ، الذى خلف أبا الحسن الشاذلى فى طريقته . وكان بين البوصيرىّ وشيخه علاقة حب . وقد تأثر البوصيرىّ بهذه التعاليم ، وظهر أثر ذلك فى شعره واضحا .

وقد عرضت عليه وظيفة الحسبة ، وهذه الوظيفة لاتسند إلا لمن ألمّ بمبادئ الفقه .

ثم إنه اشتغل كاتبا فى بلبيس . فلا بد أن يكون قد ألمّ بالأعمال الحسائية التى ينبغى أن تتوافر فيمن يعين فى مثل هذه الوظيفة .

وكان يطالع المؤلفات التى يضعها النصارى واليهود تأييدا لأديانهم . وقد رأى فيها إنكارا لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام . فدعاه ذلك إلى دراسة الإنجيل والتوراة دراسة دقيقة كما درس تاريخ ظهور المسيحية . ثم أخذ يرد على أصحاب هذه الديانات ، محاولا إقناعهم بأن الأنجيل التى بين أيديهم لاتدل على ألوهية عيسى وإنما تدل على نبوته . وأن هذه الأنجيل تخبر بظهور نبي من أبناء إسماعيل . ثم استنكر ما تنسبه التوراة إلى الأنبياء من ارتكاب المعاصى .

وإلى جانب ما تقدم ، كان البوصيرىّ يحيد فن الخط . وقد ذكر ابن حجر الهيتمى أن البوصيرىّ كان من عجائب الله فى النثر والنظم . ولـكننا لانعرف عن نثره شيئا ، وما كتبه تعليقا على قصيدته « الخروج والمردود على النصارى واليهود » لا يدل على براعة فى النثر .

أما الذين أخذوا عن البوصيرىّ : فمنهم أبو حيان الأندلسى المتوفى سنة ٧٢٥ هـ بالقاهرة . وأبو الفتح بن سيد الناس اليعمرى المتوفى سنة ٧٣٤ هـ ، وعز الدين بن جماعة المتوفى سنة ٧٣٥ هـ . ويبدو أنهم أخذوا عنه شعره ونوادره . وكان يجلس أحيانا فى جامع الظاهر ، وينشد مدائح النبوة على الحاضرين .

وعلى كل فن الراجح أن البوصيرى لم يصب حظا كبيرا من الدراسة المنظمة ، لأنه مع كثرة المدارس في عهده لم تسند إليه وظيفة التدريس في أى مدرسة . وقد فتح كتابا لتحفيظ القرآن . وهذا عمل لايزاوله إلا من أوتى قليلا من الثقافة .

صفاته وأخلاقه :

وُصِفَ البوصيرى بأنه مختصر الجرم ، ومعنى هذا أنه كان قصيرا نحيفا ؛ ومن أجل هذا كان موضع دعاية الناس ، يسخرون منه أحيانا ، وتفتحهم عيونهم .
وقد أشار إلى ذلك بقوله :

ورب أديب ذى لسان كبير بدا من فم كال كبير أو هو كبير
أراد امتحانا لى فزيف لفظه نتان بدا من نظمه وخرير
إذا ما رآنى عافنى واستقلنى كآنى فى قعر الزجاجة سور
ويعجبه أنى نحيف وأنه سمين يسر الناظرين طرير

الخ . . .

فن هذه الأبيات وغيرها ، ندرك موقف الأدباء من البوصيرى الذى كان ضيق الصدر ، لا يَحْتَمِلُ أن ينقد أحد شعره . وكان يطلق لسانه فى كل من يتعرض لشعره بنقد . ومن أمثلة ذلك ، قوله فى هجاء زين الدين بن الرعاد أحد شعراء ذلك العصر :

لقد عاب شعرى فى البرية شاعر ومن عاب أشعارى فلا بد أن يهيجا
وشعرى بحر لا يوافيه ضفدع ولا يقطع الرعاد يوما له لجأ

وقد نقل المقرئى ، عن صاحب مسالك الأبصار، عن الشهاب محمود، وهو معاصر للبوصيرى ، أن صاحبنا كان على غزارة فضله ممقوتا، لإطلاق لسانه فى الناس بكل قبيح، وذكره لهم بالسوء فى مجالس الأمراء والوزراء . فلا عجب أن كرهه الناس أجمعون ، حتى تمنوا له الموت . والدليل

على ذلك ، أنه مرض مرة ، وأغنى عليه لمدة طويلة ، فأشاع الناس أنه مات ، وتناقلوا خبر موته .
ولكنه برى وسجل فرحه بشفائه ، وعرض بأعدائه الذين أشاعوا خبر موته بقوله :

عاشَ من بعد مَوْتِهِ البوصيرى وحياةُ السكّلابِ مَوْتُ الحميرِ
عاشَ قَوْمٌ مُذْ قِيلَ إِنّى قد مِيتُ فأتوا قَبْلِي بوخزِ الصدورِ
لست ممن يموت أو يقدمونى وأبكى عليهم فى القبورِ
وصحيح بأننى كنت قد مِيتُ وأحياني جود هذا الوزيرِ

فلم يكن البوصيرى مكروها من كتاب النصارى واليهود وخدمهم ، بل كان مكروها من الناس
أجمعين ، حتى من أقرب الناس إليه ، وهى زوجته .

ولما كان بلبليس ، كان كتاب النصارى يدارونه خشية لسانه ، ويحملون إليه الهدايا
فى أعيادهم . وقد حدث أن أهلوه فى أحد الأعياد ، فجهام بقوله :

يهود بلبليس كل عيد أفضل عندى من النصارى
أما ترى البغل وهو بغل فى فضله يفضل الحمارا
فلما سمع النصارى هذين البيتين ، عتبوا عليه وهددوه ، فاضطر إلى أن يقول :
ماللنصارى إلى ذنب وإنما الذنب لليهود
وكيف تفضيلهم وفيهم سر الخنازير والقروود

وقد كان البوصيرى كثير السؤال للناس . فمنهم من كان يحسن إليه اتقاء لسانه ، وهو مع
ذلك كان يسيء الأدب فى السؤال . فمن ذلك قوله يطلب كنفاء من القاضى عماد الدين :

ما أكلنا فى ذا الصيام كنفاه آه وا بُعْذُهَا عَلَى مسافه
قال قوم إن العباد كريم قلت هذا منكم حديث خرافه

واستطرد بعد ذلك في أبيات كلها تشنيع على القاضي المذكور . فاعجب من شخص يهجو الناس ليتصدقوا عليه بشيء من مطاعهم .

وكان له صديق اعتاد أن يبعث إليه شربة في كل سنة . فتأخر عنه في إحدى السنين . وكان من عادة البوصيرى إذا عمل فيه إنسان معروفا في مناسبة من المناسبات ، أن يعد هذا واجبا مقدسا يلزمه القيام به نحوه ، وويل لمن يتأخر ، فإنه يطلق فيه لسانه . فلا هو يذكر ما وصله به من بر ، ولا هو يلتمس عذرا لمن يتأخر عنه . وهذا ما حدث لهذا الصديق الذي كان يحسن إلى الشاعر بشربة . فإن البوصيرى لم يهمله ، بل بعث إليه طالبا منه أداء هذا الواجب ، فوصف ما يعانيه من ألم ، وعاتبه على إهماله في إرسال الشربة ، ثم ذكر أنه في ضيق شديد ، وختم قصيدته بما نفع عن ذكره .

والواقع أن طبقة فقراء الصوفية في ذلك العصر، فرضوا أنفسهم على الناس فرضا، وعاشوا عالة على المجتمع . فأراد البوصيرى أن يحذو حذوها ، ولكنه لم يتقن الفن الذي مكن الصوفية من العيش على حساب غيرهم . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنه ، كان كما وصفه مؤرخوه ، سليط اللسان ، ويظهر ذلك واضحا فيما نظمه من هجاء .

وكان البوصيرى يقف دائما إلى جانب ذوى السلطان، مؤيدا لهم سواء، أكانوا على الحق أم على الباطل . فوقف إلى جانب العنصر التركي، ومدح الممالك مدحا فيه غلو كبير، وهجا العرب هجاء مرا . ولما فرغ علم الدين سنجر الشجاعي من إقامة مجموعة المباني المنصورية ، أفتى بعض العلماء ومنهم الشيخ محمد المرجاني بعدم جواز الصلاة في الجامع المنصوري ، وذلك لما وقع على الناس من عسف وسخرة حين بنائه . وقد ألح الشجاعي ، الذي كان مرهوب الجانب من الناس لشدة بطشه ، على المرجاني أن يلتقي ولو درسا واحدا فامتنع . قال القرينى ، بعد أن ذكر ذلك : « ولكن البوصيرى مدحه » ، فلم يكن البوصيرى يعرض نفسه لغضب الأمراء مهما فعلوا .

ويبدو من شعره أنه كان يحب حياة الدعة والتعطل ، وأنه كان يرى من حقه على الناس أن يحملوا إليه كل ما يحتاج إليه من أسباب العيش .

ولم يذكر له المقرئى سوى منقبة واحدة . وهى أنه كان كريما . ولعل كرمه هذا ، أو سوء تدبيره للمال ، كان من أسباب إملاقه .

أما للصوفية ، فإنهم ذكروا للبوصيرى مناقب كثيرة ، منها أنه بلغ مقام الغوثية الكبرى ، وكان إذا مشى فى الشوارع أسرع إليه الناس يقبلون يديه حتى الصغار ، وكانت تنبعث من جسده رائحة طيبة ، وكان يرتدى الملابس الجميلة ، منور الشيبة ، بسام النغر متواضعا ، زاهدا ، ذا عفة ووقار ، إلى غير ذلك مما لا دليل عليه من شعره أو من أقوال المؤرخين الثقات .

تصرفه وعمله :

يبدو أن البوصيرى نشأ فى أسرة فقيرة ، ولذلك اضطر إلى السعى لطلب الرزق منذ صغره ، فزاول كتابة الألواح التى توضع شواهد على القبور .

ثم أخذ يتقرب من بعض الأمراء والوزراء ، ويدعهم بشعره ، فعرض عليه أن يكون محتسب القاهرة . فاعتذر عن قبول هذه الوظيفة ، وشرح لنا أسباب امتناعه فى قصيدة طويلة مطلعها :

لاتظلمونى وتظالموا الحسبه فليس بينى وبينها نسب

غيرى فى البيع والشرا درب وليس فى الحالتين لى دربة

فهو كما يقول يجهل هذا النوع من العمل . وليست له خبرة بأحوال الأسواق ، ولا بأنواع التجارة ، والأعيب التجار ، وما يتعلق بالبيع والشراء من مقاييس ، ومكايل ، وموازن ، وغير ذلك .

ومضى ، فى هذه القصيدة ، يصور لنا أعمال المحتسب ، وطوافه فى الأسواق ، وجلوسه فيها وما يوقعه على الناس من العقوبات ، فقال :

أجلس والناس يهزعون إلى فعلى فى السوق عصبه عصبه

أوجع زيدا ضربا وأشبعه لكما كأتى مرقص الدبه

ويكسب الغيظ مقلتي وخدتي احمرارا كزامر القربه

فهو لا يريد أن يرهق نفسه ، ولا أن يشتم ويضرب . وهو يخشى أن يكون ظالماً في عمله ،
لأنه يكره الظلم .

وقد عرض بأحد المحتسبين المعاصرين له ، وذكر لنا ما جره عليه سوء عمله . فيبدو أن
صاحبنا خشى أن يصيبه مثل ما أصاب ذلك الرجل . وعلاوة على ما تقدم ، فإن شخصا يسمى
« الفخر القيشي » كان ينافسه في الحصول على هذه الوظيفة . فرأى البوصيرى أن يتقى
شر هذا المنافس ، وأن يتبعد عن الحسبة ومتاعها . وقنع بما يكسبه من كتابة الألواح ، ونظم
الشعر . وفي ذلك يقول :

ماسوى حرفة الكتابة لى منْ وطر أبتغى ولا إربة^(١)
والشعر ميزانه أقومه وليس تنقام منه لى حدبة

وإلى جانب ذلك ، فإنه أخذ يتغنى بإتقانه للأعمال الحسابية إلى درجة أنه
لم يخطئ قط . قال :

إنى امرؤ حرفتى الحساب فلا يدخل ريب على فى حسبة
ولا ترد الكتاب جائزة على حساب منى ولا شطبة
يشرق منى بريقه رجل يشرب مال العمال فى شربة

ويبدو أنه لم يجد عملاً حسابياً فى القاهرة . فاضطر إلى قبول وظيفة فى بلبس . ولم يكن
الرجل ماهراً فى الأعمال الحسابية كما ادعى ، بل كان كإروى المقرئى ، قليل المعرفة بها .
ولذلك كثر عنده الخطأ . وكان كتاب النصارى ؛ وهم أعلم منه بالحساب ؛ يكتشفون هذه
الأخطاء ، ويقررون عدم صلاحية البوصيرى لما أسند إليه . فأخذ يدافع عن نفسه ، ويرى
هؤلاء الكتاب بالجهل ، ويذكر أنه أعلم منهم . فمن ذلك قوله :

يفالطنى بعض النصارى جهالة إذا أوجب الملقى وألغى الموجبا
وما كان من عد الثلاثة واحداً بأعلم منى بالحساب وأكتبا

(١) سقط هذا البيت من ص ٥٢ من الديوان ، فتلفت نظر القارئ إلى ذلك .

ثم انهال عليهم بالشتائم ، ورماهم بكل موبقة . فنشب عدااء بينه وبينهم ، إلا أن الفقر اضطره إلى مصابرتهم على مَصَص . وكان نصارى بلبس ، مع ذلك ، يحاولون إرضاءه بالهدايا . ويبدو أنه كان موضعاً لدعابة الكتاب . وقد حدث أن ناظر الشرقية استعار حمارة البوصيرى ، فأعجبته ، فاحتفظ بها ، وبعث إليه مِثْقَى درهم . ولكن البوصيرى كان حريصاً على حمارته ، فكتب على لسانها قصيدة إلى ناظر الشرقية ، تدل على ما طبع عليه من ميل إلى الدعابة ، فردها الناظر إليه ، ولم يأخذ الدراهم منه .

قضى البوصيرى أعواماً في بلبس ، متمتعاً بطيب العيش ، متنقلاً بين المدن والقرى التابعة لتلك المنطقة . فرأى البتيات ، والحراز ، ونبئت وشبرا البيوم ، وحاجر ، وقلوب ، وبنها ، وأتريب ، وشمنديل ، وسعدانة ، وغيرها . وقد علقت بذهنه ذكريات جميلة عن تلك الأيام التي قضاها بين الريف ، فنوه بها في شعره . فقال بعد أن سرد أسماء هذه القرى :

أقر تلك القرى السلام فإن أعـيتك منها عبارة فإشاره
أذكرتنا عيشاً قديماً نزعنا ه لباساً كالحلة المستعارة

ويقول المقرئ : إن البوصيرى كان يعاني صناعة الكتابة الديوانية ، ويتصرف في المباشرات ، ويأثر في الشرقية بلبس ، ورمى المباشرين بأوباد .

وصناعة الكتابة التي يذكرها المقرئ هي كتابة الحساب . وكانت وظيفة البوصيرى صغيرة ، لأن نزاعه مع الكتاب ، يدل على أنه كان واحداً منهم ، وربما كان تنقله بين المدن والقرى التي ذكرها في شعره بحكم عمله .

ثم حدث أن عين للشرقية ناظر جديد ، اسمه ابن عمران ، وقد صورته البوصيرى في صورة الجبار المتغطرس ، فقال :

وابن عمران وهو شر متاع للورى في بطانة وظهاره
يتجنى بسوء خلق على النا س ونفس ظلومة كفاره

وهذان البيتان من قصيدة رفعها البوصيريّ إلى صاحب بهاء الدين بن حنا . وفي هذه القصيدة ، صور لنا معركة حدثت بين بعض الموظفين في بلبس سالت فيها الدماء .

ويبدو أن الشاعر لم تطب نفسه بالعيش في هذا الجو ، فترك وظيفته ، وقرر أن يسلك مسلك الصوفية . ولكن كيف يتيسر له ذلك وهو رب أسرة كبيرة ؟ قال :

أحسب الزهد هينا وهو حرب لست فيه ولا من النظارة

وقال :

ولو أنني وحدي لكنت مريدا في رباط أو عابدا في مغارة^(١)

وقد صور في هذه القصيدة ، ما يعانيه من بؤس وحرمان وذكر أن أولاده في حالة جوع شديد . وأخذ يستدر عطف ابن حنا ، ويستغيث به ليحسن إليه ، ويتقذه من هذه الضائقة . وقد ذكر مؤرخو البوصيريّ أنه اختص بالصاحب زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع . وهذا الوزير بقي في منصبه من سنة ٦٥٦ هـ إلى سنة ٦٥٩ هـ .

فالراجح أن البوصيريّ ذهب إلى بلبس بعد عزل ابن الزبير ، أي في سنة ٦٥٩ هـ . ويبدو أن إقامته في بلبس لم تطل . وذلك لأن السلطان الظاهر أدخل في سنة ٦٦٣ هـ تعديلا على نظام القضاء ، بأن عين قاضيا لكل مذهب من المذاهب الأربعة ، وللبوصيريّ أبيات في هذا الصدد ، تدل على أنه كان مقيا بالقاهرة .

ومع أن عصر البوصيريّ امتاز بكثرة الوظائف والموظفين ، وبخاصة وظائف التدريس ، إلا أنه لم يظفر بعمل يعيش منه ، فاضطر إلى أن يفتح كتابا لتحفيظ القرآن . وقد أشار إلى ذلك بقوله :

قد صار كتابي وبيتي من بني غيري وأبنائي كبرنج حمام

ولعلّ ربحه من هذا الكتاب كان زهيدا ، فاضطر إلى إغلاقه ، وخرج من القاهرة سعيا وراء الرزق ، فذهب إلى الحلة ، ومدح ناظرها . ويبدو أن هذا الناظر قرر له إعانة شهرية ،

(١) الشطر الأول من هذا البيت غير موزون ، والشطر الثاني من الخفيف ، وهكذا جاء في مخطوطات الديوان .

ولكنه ، كعادته ، لم يستطع أن يكسب عطف الكتاب ، وبخاصة النصارى ، فأخروا عنه مرتبه حتى مضت عدة شهور دون أن يعطوه شيئا . فأثر هذا فى نفسه تأثيرا شديدا ، وانهار على هؤلاء الكتاب بهجاء مقذع ، ووصف ما لاقاه من الجوع ، بسبب تأخرهم فى صرف ما تقرر له فمن ذلك قوله :

وقد قيل كُتاب النصارى مَناسِرٌ فما مثل كتاب الحلة مَنسِرٍ
فبرّد قوادى بانتقامك منهم فقد كاد قلبى منهم يتفطر
منعت بهم حظى شهورا ولم أصل إلى حظهم حتى مضت لى أشهر
وحسبك أنى منهم متصور وكل امرئ منهم كذا يتصور

وقد بقيت جوانحه تنطوى على الحفيظة الشديدة لنصارى الحلة . وظهر أثر ذلك فى شعره .
فمن قوله فى مدح صاحب شمس الدين عيسى الذى ولى وزارة الصحة سنة ٦٧٨ .

إن النصارى بالحلة ودُّهم لو كان جامعها يكون كنيسا

ومنها :

من لم يقم لى منهم بوظيفتى جرّسته بعلامتى تجريسا

وفى الحلة ، تعرف ببعض الأدباء ، ومنهم زين الدين بن الرعاد ، الذى أشرنا إليه سابقا ، وقلنا إنه نقد شعر البوصيرى ، وأن البوصيرى لم يحتمل هذا النقد فهجاه .

وحدث أن دعاه بعض أصدقائه للذهاب إلى أحد الحمامات فى الحلة ، حيث زلت به قدمه ، فأصيب بكسر فى ساقه . وفى ذلك يقول :

كونوا معى عوناً على الأيام لا تحذلوني يا بنى عرام
إن كان يرضيكم وحاشا فضلكم فحسبى زلقة الحمام

وكثيرا ما وجدنا البوصيرى يشكو من هذا الكسر فى شعره . ولما وقعت له هذه

الإصابة انتقل إلى سخا، وأقام بها بعض الوقت . ولم يكن من السهل أن يلتئم كسره إذ كان كبيرا ، وفي ذلك يقول :

ونتهى عن المسير إليهم شدة البأس من سخا في مسير
ويقول في نفس القصيدة وهي في مدح تاج الدين حفيد بهاء الدين بن حنا :
من لشيخ ذى علة وعيال ثقلت ظهره بغير ظهير
وقد صور في هذه القصيدة ما وصل إليه من ضيق . فقد ازدردته الولاة ، وهجره أصحابه
وضنوا عليه بالعون . قال :

وازدردتني بعض الولاة وقد أصبح شرى فيهم كخبز الشعير
رجع البوصيرى إلى القاهرة وأعاد فتح كتابه . وكان دأب رجال الصوفية في ذلك الوقت
أن يكتروا من التنقل من بلدة إلى أخرى . وكانت الاسكندرية إذ ذاك موطننا لقوم من
الصوفية الوافدين من بلاد المغرب . وكان أبو العباس المرسى شيخ البوصيرى يزور
الإسكندرية من حين إلى حين . وقد استقر بها أخيرا إلى أن مات سنة ٦٨٦ هـ .
فمن المحتمل أن يكون البوصيرى قد دفعه الفقر إلى مغادرة القاهرة ، والذهاب إلى
الإسكندرية . ويغلب على الظن أن سفره كان قبل وفاة أبي العباس أى قبل سنة ٦٨٦ هـ .
ولكن هل استقر البوصيرى في الاسكندرية أو كان يتنقل بينها وبين القاهرة ؟ لقد نظم
أبياتا في فتح عكا تدل على أنه كان مقيا بالقاهرة . وهذا حدث سنة ٦٩٠ هـ . ثم إن المقرئ
ذكر أنه توفي بالمارستان المنصورى بالقاهرة . وروى العياشى الرحالة المغربى الذى جاء
إلى القاهرة سنة ١٠٧٣ هـ ، أنه زار قبر شرف الدين البوصيرى بناحية الإمام الشافعى . وعلى كل
حال فليس في شعر البوصيرى ما يدل على سفره إلى الاسكندرية ، ومن المؤكد أنه لم يزاو عمل
خطيرا هناك ، لأنه كان شيخا كبيرا ، ضعيفا سقيا .

ولاشك في أن البوصيرى أخفق في حياته العملية . وذلك ، لأن الانسجام كان مفقودا
بينه وبين الناس . وقد عرفنا من أخلاقه ما يكفي لإدراك سر إخفاقه .

فى سنة ٦٦٣ هـ غير السلطان الظاهر نظام القضاء ، فجعل القضاة أربعة ، لكل مذهب قاض ؛ بعد أن كان يتولى القضاء قاض واحد ، ينتمى إلى المذهب الشافعى .

وقد أنكر بعض الفقهاء على السلطان ذلك ، لأنهم رأوا فيه تفرقة لكلمة المسلمين . وقد روى أن بعضهم رأى السلطان الظاهر فى النوم ، فسأله عن حاله ، فقال : « ما رأيت أشد علىّ من ولاية قضاة أربعة . وقيل لى فرقت الكلمة » . ولكن البوصيرى لم يجد بأسا فى هذه التفرقة ، بل وجد فيها توسعة ويسرا . وقال إن بنية الإسلام كانت مريضة ، فصحت بهذا العمل ، وإن اختلاف الآراء لاخطر له ، مادام الدين واحدا ، والكل يأخذ عنه :

هم بنية الإسلام صحت وكيف لا تصحّ وهم أركانها والطوائع
فهم رخصا أبدوا لنا وعزائما هُدينا بها فهمى النجوم الطوالع
فلا تبتئس أن وسع الله فى الهدى مذهبنا بالعلم والله واسع
تفرقت الآراء والدين واحد وكل إلى رأى من الحق راجع
فهذا اختلاف جر للخلق راحة كما اختلفت فى راحتين الأصابع
والرخص التى يشير إليها البوصيرى ، هى ما يحلله مذهب وتحرمه بقية المذاهب . وقد نهى الفقهاء عن تتبع الرخص .

وقد صار هذا رأى عقيدة عند المسلمين فيما بعد ، وسندهم فى ذلك حديث معناه أن اختلاف أمتى رحمة . وقد أنكر ابن تيمية وأتباعه هذا رأى ، وطعنوا فى صحة الحديث المتقدم ، وقالوا إن الاختلاف نعمة . هذا مذهب البوصيرى الفقهى .

أما موقفه من الفرق الدينية فقد عبّر عنه بقوله :

وتبارأنا من النّصب والرفض وأوجبنا لكل جنابا

فهو لا من الناصبة الذين يكرهون آل علي ، ولا من الروافض الذين يسبون ويكفرون
أبا بكر وعمر وعثمان .

ويقول في قصيدة أخرى :

أئمة الدين كل في محاولة إلى صواب اجتهد منه موكل
ليقضى الله أمرا كان قدّره وكل ما قدر الرحمن مفعول

وهذا شأن المتصوفة الذين يحترمون الصحابة أجمعين . وقد تغنى البوصيري كثيرا بفضائل
أبي بكر وعمر وعثمان وبقية العشرة المبشرين بالجنة . ولكنه عرض بالأمويين ، وهو يوافق
الشيعة فيما يزعمون من أن معاوية دسّ السمّ للحسن . وفي ذلك يقول :

أترجون من أبناء هند مودةً وقد أَرْضعتهم دَرَّ بغضتها هندُ

ويقول :

من شهيدين ليس ينسبني الطّفُّ مصابيهما ولا كَرَّ بلاء
ما رعى فيهما ذمامك مرءو س وقد خان عهدك الرؤساء

إلى قوله :

رب يوم بكر بلاء مسىء خفت بعض وزره الزوراء

وفي هذا البيت إشارة إلى انتقام العباسيين من بني أمية . وربما أورد هذه الإشارة ، مجاملة
للخليفة العباسي الذي كان يُقيم بالقاهرة إذ ذاك . وفيما عدا ذلك لانجد له أية إشارة إلى الخلافة
العباسية ، فكأنه لم يعترف بهذا الخليفة الذي كان على مقربة منه .

* * *

وله قصيدة أنشدها أمام ضريح السيدة نفيسة مطلعها :

جنابكِ منه تستفاد الفوائد وللناس بالإحسان منك عوائد

يذكر البوصيريّ في هذه القصيدة أنه ركن أمام ضريح السيدة نفيسة ، وعقر وجهه بترابها .
ويقول إنها سليله خير العالمين التي لم يحدد فضلها أحد . وقد ورثت صفات المصطفى وعلومه .
ومن علمها أخذ العلماء ، ومن زهداها استمد الزهاد . ويقول إن هذه العلوم أخذت تنتقل
في الأئمة من سلالتهما الذين :

إذا ماضى منهم إمام هُدَى أتى إمام هدى يدعو إلى الدين راشد
ويذكر أن قلبه مفعم بحب بنى الزهراء ، وأنه يدافع عنهم ويجادل من أنكر فضلهم ؛
وإن اعتقادا خاليا من محبة وحب لكم آل النبي لفساد
ثم حمل على خصوم بنى الزهراء ، الذين غصبوهم حقهم . وقال إنه كلما تذكر المظالم التي
وقعت عليهم ، أصابه حزن عميق ، وألم شديد . ووجه اللوم العنيف لأولئك الذين قعدوا عن
نصرة الحسين . وشبه الفتنة التي حدثت بين المسلمين عقب مقتل عثمان بالفتنة التي حدثت بين
بنى إسرائيل بعد أن فارقهم موسى . قال :

فيا فتنة بعد النبي بها غدا يهدم إيمان وتبنى مساجد
وما فتنت بعد ابن عمران قومهُ بما عبدوا إلا ليهلك عابد
ثم قال إن ما حدث لآل البيت كان بإرادة الله وقضائه ، وإن الله اختار لهم السعادة ، وقدر
لأعدائهم الشقاوة . ومدح الله آل البيت في كتابه بأن أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .
وأخذ يطري السيدة نفيسة ، فذكر أنها هي العروة الوثقى ، والرتبة العليا ، والغاية القصوى لمن
قصدها واستنجد بها ، وأنها منبع الكرم . ولولا وجودها ما اخضرّ يابس . ثم شكّا إليها
ما يجده من الضيق والبلاء ، وتوسل إليها أن تدركه وتنقذه مما يعانیه .

ولما انضم إلى الشاذلى وأصبح من أتباعه ، أخذ ينافح عن الصوفية ضد طبقة الفقهاء ،
ويعرّض بهذه الطبقة تعريضا فاحشا . ثم وصف أبا الحسن بأنه قطب الزمان وغوثة وإمامه ،
وعين الوجود ، ولسان سر الموجد ، وأنه ورث علومه عن النبي ، فساد معاصريه ، حتى قصرُوا عن
اللاحق به . وأن تعاليم الشاذلى مؤيدة بروح القدس .

فتلقّ ما يلقى إليك فنطقه نطق بروح القدس أى مؤيد

ولما مات الشاذلىّ بصحراء عذاب سنة ٦٥٦ هـ ، عهد برياسة الطريقة إلى تلميذه المخلص
أبى العباس المرسىّ ، وهو من الأنصار . وقد مدح البوصيرىّ أبأ العباس بشعر جيد ،
منه قصيدة مطلعها :

كتب المشيبُ بأبيض فى أسود بغضاء ما بينى وبين الخرد

شبه فيها الشاذلىّ بموسى وأبأ العباس بيوشع . والصوفية يقولون إن النبى لا يأتى بشريعة
جديدة ، وإنما يحىء مؤيدا لشريعة من قبله ومصدقا لها . وذلك بعكس الرسول . وفى ذلك
يقول البوصيرىّ :

اليوم قام فتى على بعده كيا يبلغ مرشدا عن مرشد
فكان يوشع بعد موسى قائم بطريقه المثلّى قيام مؤكّد

وقد ألف ابن عطاء الله السكندرى ، وهو صديق البوصيرىّ ، وزميله فى الأخذ عن
أبى العباس ، كتابا فى مناقب شيخه سماه [لطائف المنن ، فى مناقب أبى العباس المرسى وشيخه
أبى الحسن] وقد سجل البوصيرىّ فى قصيدته المقدمة بعضا مما ذكره ابن عطاء الله من
مناقب هذين القطبين . وهكذا اشترك البوصيرىّ مع زميله فى الدعاية للطريقة الشاذلية .
ولكنّ ابن عطاء الله لم يعرض بالفقهاء ويلصق بهم المثالب ، مثلما فعل البوصيرىّ ، الذى كان
يتهمز كل فرصة للتشهير برجال القضاء .

وفى هذه القصيدة ، يشرح البوصيرىّ آداب المريد ، التى تقوم على الطاعة العمياء
لشيخه . قال :

فأصحب أبأ العباس أحمد آخذا يدعارف بهوى النفوس منجد
فإذا سقطت على الخبير بدائها فاصير لمرّ دوائه وتجلد

ومن مناقب أبي العباس التي ذكرها ابن عطاء الله أنه كان يرحب بالمريدين ، ويسرع إلى لقائهم ، ويشرح لهم تعاليمه . وفي ذلك يقول البوصيرى :

جعلته لم يرَ للحقيقة طالبا إلا يمد إليه راحة مجتدى

ألفاظه مبذولة بذل الحيا ومصونة صون العذارى الخرد

ثم أخذ يعرض بالفقهاء الذين يأخذون علومهم من الكتب ، في حين أن أبا العباس جمع علوم الحقيقة والشريعة ؛ وأنه يسبح في ملكوت الله .

ساحت رجال في القفار وإنه ليسيح في ملكوت طرف مُشهد

ثم أشاد في أبيات كثيرة بالأنصار ، ووصف أبا العباس بأنه سيف من سيوفهم . قال :

سيف من الأنصار ماض حده فاضرب به في النائبات وهدد

ولهذه القصيدة ، شرح اسمه « البرد القشيب » ، في تفسير كتب المشيب « لابن محبوب

المعتقلاوى ، من علماء أوائل القرن الحادى عشر ؛ منه نسخة خطية بدار الكتب تحت رقم ٩٣٠٤ — أدب .

* * *

وقد أراد البوصيرى أن يكون صوفيا فأخفق ، وهو كرجل لم يستطع أن يتشرب تعاليم الشاذلى . وإنا لنجد فى أخلاقه وحياته المنزلية ما لا يتفق مع أخلاق الصوفية . ثم إنه كان رب أسرة كبيرة ، فاضطر أن يمدح الأمراء والوزراء ، وقد يكون فيهم الظالم الذى يستحق القدح ، وليس هذا من شأن الصوفية ، الذين كان الحكام يتزلقون إليهم . وعلاوة على ما تقدم ، فإن البوصيرى كان تغلب عليه الدعابة ، وقد عرف بها بين الناس ، حتى فضله بعضهم على الجزار ، أحد من اشتهروا بالدعابة فى ذلك الوقت . وكل هذا وغيره لا يتفق مع طابع التصوف .

أما البوصيرى كشاعر ، فإنه تأثر بالتصوف إلى حد كبير .

حياته في منزله :

يبدو من شعر البوصيرى أن حياته في منزله كانت جحيمًا لا يطاق ، وهو لا يلوم نفسه ولا يحملها شيئًا من التبعة في ذلك ، بل يلقى كل اللوم على زوجته . وذنبا الأول في نظره أنها كانت ولودا ، فأثقلت ظهره بالأولاد . وكثيرا ما شكّا في شعره من ذلك . فقال :

إليك نشكو حالنا إننا عائلة في غاية الكثرة

وقال :

إن زرتها في العام يوما أنتجت وأت لستة أشهر بفلام
أوكل ما حملت به حملت به من لى بأن الناس غير نيام
أصبحت من حملى همومهم على هرعى كأتى حامل الأهرام

وهكذا كان البوصيرى متبرما بكثرة أولاده . فتمنى لو كانت زوجته عقيمًا ، أو أنه كان خادما في منزل ، أو أنه عدل عن الزواج إلى ارتكاب الفاحشة ، أو جارى بعض الصوفية في الشذوذ الجنسى . وذكر أنه سافر إلى الحلة ، سعيا وراء ما يكفي أولاده ، فلم يعجبهم سفره ولا إقامته بينهم . قال :

فارقهم طلبا لرزقهم فلا صرّفى يسرهم ولا استخدأى

ولأن البوصيرى كان مقترا عليه في الرزق ، ظلت الخوصومة محترمة بلا انقطاع بينه وبين زوجته .

وحدث أن ذهبت تلك الزوجة لزيارة أختها ، وشكت إليها ما تعاني من الضيق . فحرضتها أختها على طلب الانفصال عنه ، وأشارت عليها إن أبى أن يطلقها ، أن تنهال عليه بالضرب ، وتشد لحيته ، وتنتفها شعرة شعرة ، وأخذت أختها تهون من قدر البوصيرى ، حتى اقتنعت الزوجة ، وصممت على تنفيذ ما أشارت به أختها . فلما جاءت إلى المنزل وبدأت تشبك مع زوجها

أظهر لها الحدة والغضب ، فما كان منها إلا أن أمسكت آجرة وقذفت بها رأسه . واستمرت المعركة بينهما تارة باليد ، وأخرى باللسان ، من أول الليل حتى مطلع الفجر . وقد روى لنا هذه القصة ، في قصيدة مدح بها صاحب بهاء الدين بن حنا ، مطلعها :

يأيها المولى الوزيرُ الذى أيامه طائفة أمرة

وفي هذه القصيدة يصور لنا حياة أولاده تصويراً مؤلماً ، فهم من شدة الجوع ، عبرة لمن أبصرهم ، وإن شربوا من البئر ، لأنه لا زير عندهم ، ولا طعام لهم سوى الخبيزة يسلقونها في الماء . فإذا اجتمعوا حولها ، قال لهم تنزهوا في الماء والخضرة ، وقد أقبل عليهم العيد ، ولا قمح عندهم . وإذا أبصروا كمكة في يد طفل ، أو ثمرة ، شخضت إليها أبصارهم ، وأرسلوا شفقة تتبعها زفرة . وهو إذ يرى أولاده على تلك الحال تأخذ الحسرة ، ويشتد ألمه ، لما هم فيه من حرمان ، ويدكر أن أولاده يتجمعون حوله ، ويسألونه عن سبب امتناعه عن إحضار طعام لهم ، ويعجب من فطنة هؤلاء الأطفال وذكائهم مع صغر سنهم ، ثم يخلص من ذلك إلى طلب الإحسان .

ويدكر في قصيدة أخرى ، أن عنده بنتا خطبت وستزف إلى بعلها ، وأنها تطالبه بإعداد ما يلزم من متاع ، مع أنه لا يملك في بيته حصيراً . ويقول إن حياته أصبحت كدرا ، وإن أصدقاءه هجروه وقاطعوه ، وأبوا مساعدته بخلا منهم .

وعلى الجملة ، فإن هذه الحياة ، القاسية التي تتركز على الفقر والشيخوخة ، وما صاحبها من أسقام ، كانت موضوعاً للشاعر ، يعرضه في مدائحه ، ليستدرّ عطف ممدوحيه .

وقد نقل المقرئى ، أن الشهاب محموداً ، حينما قدم مصر ، أراد الاجتماع بالبوصيرى . فلم يلبث أن طرق الباب عليه طارق ، وإذا به البوصيرى . قال : « ثم أدخلته الدار ، فتحدثنا ، وشكا إلى فاقة عظيمة ، وضرورة زائدة ، ثم أطلق لسانه في الحكام والكتاب » ، فأشار عليه الشهاب محمود ، بأن ينظم قصيدة في مدح الوزير القائم في الحكم إذ ذاك ، عسى أن يجيزه . ففعل وكان أن ظفر بصله .

فمن هنا نعلم أن الرجل لم يكن مبالغاً فيما صوّره حياته القاسية . والعجب بعد ذلك لمن يعتقد أن البردة تجلب الرزق ، وتطرد الفقر .

أما الذنب الآخر الذى يؤاخذ به زوجته ، فهو شكواها من أنه لا يشبع لها رغباتها الجنسية . وقد ذكر ذلك فى عدة قصائد : فمن قوله :

حسبت على تزول فقالت يا كثير التهوين والتهوير
كل داء له دواء فعجل بمداواة داء عضو خطير
وقوله :

وبليتى عرس بليت بمقتها والبعل ممقوت بغير قيام
جعلت بإفلاسى وشيبي حجة إذ صرت لا خلقي ولا قدأى
بلغت من الكبر العتي ونكست فى الخلق وهى صبية الأرحام

النخ ...

وفى أواخر أيامه انتابته الأسقام ، فكان يصاب بالإغماء لمدة طويلة ، حتى يظن أنه مات ، ويذكر أنه مصاب بالبرسام ، وهو التهاب فى الصدر . قال :

لو لم أرض عفى بمكتب صبية حميت على عوارض البرسام

وكان من عادته ، كما مر بنا ، أن يتناول شربة فى كل عام ، وربما فعل ذلك لاضطراب فى معدته . وليس فى شعره ما يدل على أنه أصيب بالفالج ، وإنما هناك ما يدل على أنه أصيب بكسر :

* * *

ولنقف فى حياة البوصيرى عند هذا الحد ، فإن المقدمة لاتسع لأكثر من هذا . ولنبدأ الكلام على شعره فى المديح النبوى .

إذا ألقينا نظرة تاريخية على المدائح النبوية عند البوصيرى ، وجدناها تنقسم قسمين :
قسما نظمه قبل أداء فريضة الحج ، وقسما نظمه بعد أداء الفريضة .

ومن المؤكد أنه لم يذهب إلى الحجاز قبل سنة ٦٥٤ ، لأنه في هذه السنة نظم في مدح
الرسول قصيدة دالية ، سماها « تقديس الحرم ، من تدنيس الضرم » وكنهاها بأمر نارين . وكان
سبب نظم هذه القصيدة : ما ذكره المقرئ من ظهور نار في المدينة ، نتيجة لهزات أرضية
عنيفة . وبعد أن خمدت ، اشتعلت نار أخرى في مسجد الرسول ، نتيجة لسقوط مسرجة القيم .
فلما طارت هذه الأخبار في جميع أنحاء العالم الإسلامى ، أحدثت ألما شديدا في النفوس ، انعكس
صداه على السنة الشعراء ، ومنهم البوصيرى ، الذى نظم قصيدة مطلعها :

إلهى على كل الأمور لك الحمدُ فليس لما أوليت من نعمٍ حدُّ

ونظم قصيدة حائية مطلعها :

أمدأح لى فيك أم تسبيحُ لولاك ما غفر الذنوب صفوح

وقد ختم هذه القصيدة كما ختم التى قبلها ، بإظهار شوقه إلى زيارة الرسول .

وقيل ذهابه إلى الحج ، نظم لاميته فى الرد على النصارى واليهود . وفى نهايتها مدح الرسول ،
وأعرب عن عزمه القاطع على الرحيل إلى الحجاز ، لزيارة الرسول ، وذكر أنه سيدع التسويف .
قال :

فلا قطعن حبال تسويفى التى منعت سواى إلى حماء وُصولا

حتى أضمت بطيبة الشُّمل الذى أنضى إليها العرْمَسَ الشُّمليلا

* * *

ومن أهم قصائده التى نظمها قبل الحج ، قصيدته التى عارض بها كعب بن زهير ، وسماها
[ذخر المعاد ، فى معارضة بانث سعاد] وقد سبقه إلى معارضة كعب ، شعراء أهمهم ابن الساعاتى
للتوفى سنة ٦٠٤ هـ . وكان من عادة الشعراء الذين يتصدون لمعارضة كعب ، أن يسيروا على نهجه

فيديءون قصائدهم بالغزل، أما البوصيريّ، فإنه خرج عن الطريق المألوف، وافتتح قصيدته بالوعظ والإرشاد، وزجر النفس، وحضها على الزهد في الدنيا والاستعداد للآخرة، وانتهى إلى إظهار شوقه العظيم إلى زيارة الصريح النبويّ .

هذه هي المدائح النبوية، التي نظمها الشاعر قبل أن يذهب لأداء فريضة الحج . فلما صحت عزيمته على السفر، وامتنى بعيره متجها إلى الحجاز مع الركب، نظم قصيدة عبر فيها عما يشعر به من الفرح العظيم مطلعها :

سارت العيسُ يُرْجَعْنَ الحنينا ويمجاذبن من الشوق البرينا

وأخيرا وصل الشاعر إلى المدينة فوقف أمام الصريح النبوي، وأنشد قصيدة مطلعها:

وافاك بالذنب العظيم المذنبُ خجلا يعنّفُ نفسه ويؤنبُ

ثم نظم قصيدة مطلعها :

بمدح المصطفى تحيا القلوب وتُغفَرُ الخطايا والذنوبُ

ولما فرغ من أداء الفريضة، وهم بمغادرة الأراضي الحجازية، نظم قصيدة مطلعها :

أزمعوا البين وشدّوا الركابا فاطلبِ الصبرَ وخلِّ العتابا

ولما عاد الشاعر من الديار الحجازية، واستقر في القاهرة، شرع في نظم قصيدة طويلة سماها [أم القرى، في مدح خير الورى] وهي المعروفة بالهمزية، مطلعها :

كيفَ ترقى رقيق الأنبياء ياسماء ما طاوتها سماء

وقد ذكر في هذه القصيدة، الأماكن التي سلكها حين ذهابه إلى الحجاز . ومنها نعلم أنه لم يركب البحر، بل اتخذ طريق البر، الذي يبدأ من بركة الحج خارج القاهرة، ثم يتجه شمالا بشرق، ويلتف حول خليج العقبة، ثم يم جنوبا مارا بالعوجاء، والحوراء، وينبع، وحنين، وبدر، والصفراء، وبزوة، ورايغ، والجحفة، إلى أن يصل إلى الزاهر خارج مكة .

وقد حازت الهمزية إعجاب الأدباء، فأقبل بعضهم على شرحها .

والآن نتكلم على أهم قصيدة نظمها البوصيريّ في هذا الباب وهي البردة . وأول من حدثنا عنها هو ابن شاكر الكتبي، المتوفى سنة ٧٦٤ هـ إذ ذكر قصة إصابة البوصيريّ بالفالج، ونظمه لهذه القصيدة وشفاءه، وإنشادها للنبيّ الذي أعجب بها، وألقى عليه بردة . ثم أورد قصة إصابة سعد الدين الفارقي برمد أشفى منه على العمى، لولا أن وضع قصيدة البردة على عينيه، فنجّا من شر هذه الآفة .

ثم جاء المقرئ المتوفى سنة ٨٤٥ هـ وابن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤ هـ فأوردا هذه القصيدة بنصها، كما هي عند ابن شاكر .

والملاحظ أن عصر البوصيريّ، كان يزخر بالخرافات . وكان الصوفية أجمعون يدّعون أنهم يرون النبي يقظة ومناما، ويخاطبونه ويخاطبهم، وقد سبق أن ذكرنا أن البوصيريّ أصيب بكسر . وفي ذلك يقول :

ماضركم جبرُ الكسيرِ وحسبُهُ ما يلتقي في الجبر من آلامٍ

ومع أن الشاعر هنا يتلاعب بالألفاظ، إلا أننا نستطيع أن ندرك أنه كان مصابا بكسر . وقال :

ما حال من مُنِعَ الركوبَ وطرفُهُ يشكو إليه رِباطَهُ محبوسًا

والطَّرْف هنا بمعنى الساق . فهو يقول إنه عجز عن الركوب، لأن ساقه المكسورة، كانت قد لفت عليها الأربطة، فتعذرت عليه الحركة . وعلاوة على ما تقدم فإن الفالج لا يربط . ومن هنا نستطيع أن ننفي إصابته بالفالج نفيًا تاما .

وأمر آخر نستطيع أن نبطل به دعوى إصابته بالفالج، وهو ما أشار إليه في الأبيات التي يشكو فيها من زوجته الولود، والتي يقول فيها :

أوهذه الأولاد جاءت كلها من فعل شيخ ليس بالقوام

فهو يقول، إنه مع وجود هذه العلة، كان يباشر زوجته، وينجب منها . فكيف تكون

هذه العلة فالجا أ بطل نصفه ؟! هذا وقد ذكرنا من قبل ، أن البوصيرى كان مصابا بعدة أمراض .
فلو كانت البردة تصلح للعلاج من الأمراض ، لكان الأولى أن يتعالج بها صاحبها .

وقد ذكر ابن حجر الهيتمي ، قصة الفالاج ، ثم أردفها بما نصه : « وقيل إنه اشتد رمده ، بعد نظمه ، فرأى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في النوم ، فقرأ عليه شيئا منها ، فتغل في عينيه فبرى لوقته »
وإذا أخذنا بما يرويه ابن حجر ، انتهينا إلى أن البوصيرى ، لم يصب بفالاج ، وأن ما يقال من أن النبي أتى عليه بردة ، لم يحدث قط .

ولاشك في أن كل ما قيل حول البردة ، فهو مختلق ومن نسج الخيال . ولقد أمعنوا في الكذب والاختلاق ، فذكروا أن البوصيرى ، لما وصل إلى قوله : « فبلغ العلم فيه أنه بشر » توقف . فقال له النبي : قل يا إمام . فقال البوصيرى : إني لم أوفق للمصراع الثاني . فقال النبي : قل يا إمام « وأنه خير خلق الله كلهم » فأدرج البوصيرى هذا المصراع في قصيدته . وهذا كله إفك وبهتان . وإلا فكيف استطاع البوصيرى أن ينظم القصيدة كلها وعجز عن هذا الشطر ، وتوقف فيه ، حتى قام ينشدها أمام الرسول ؟! والعجب من قوم لم يتورعوا عن الكذب على رسول الله ! هذا وقد ورد عجز البيت المتقدم بنصه ، في إحدى قصائد الصرصرى المتوفى سنة ٦٥٦ التي يقول فيها :

محمد خير خلق الله كلهم وهو الذي لفخار المجد ينتسبُ

* * *

فكيف إذا أخذت البردة اسمها ؟ لقد اعتاد الشاعر أن يطلق على مدائحه النبوية أسماء معينة . فقصيدة اسمها « ذخر المعاد ، على وزن بانة سعاد » ، وقصيدة اسمها « تقديس الحرم ، من تدنيس الضرم » وكنيتها « أم نارين » ، وثالثة اسمها « أم القرى ، في مدح خير الورى » ، ورابعة اسمها « الخرج والمردود ، على النصارى واليهود » .

وواضح أن هذه الأسماء ، لاتخفى وراءها أسراراً ، ولم يقصد بها أكثر من معناها الظاهر .
وقد أطلق البوصيرى على القصيدة التى نحن بصدددها ، اسم [السكواكب الدرية ، فى مدح خير
البرية] . فليس ببعيد أن يكون البوصيرى ، قد كناها بالبردة ، لاشتغالها على مناقب الرسول .
وحينئذ يكون قد قصد المعنى المجازى ، لا أكثر .

وقد شبه البوصيرى مدائح النبوة بالبردة ، لأنها حوت محاسن الرسول . قال :
حاك من صنعة القريض بروداً لك لم تحك وشيهاً صنعاء
وأحياناً يشبهها بالحلة ، فيقول :

ها حلة بخلال منك قد رقت مافى محاسنها للعب تخیل
ألبستهم منك حسناً فازدهت شرفاً بها الخواطر منا والمناويل
وقد ذكر الشاعر كلمة « بُرْدَة » ، فى غير المناسبات السابقة . ومثال ذلك قوله :
تعدّر فى المشيب وكان عيا وبرد شبابه ضاف قشيب
وقوله :

نسجت برود بلاغتيه وأبدت الإبداع فى الآساد والآجام
وقد شبه نفسه بكعب . ولكعب كما نعلم ، قصيدة اسمها « البردة » . فمن الراجح أن
البوصيرى ، أراد أن تكون له قصيدة تحمل اسم قصيدة كعب ، وذلك من باب التبرك .
وللبردة ، اسم آخر هو البروة . وذلك لأن البوصيرى ، كما يزعمون ، برى بها من علته .
وقد سميت كذلك ، بقصيدة الشدائد . وذلك لأنها ، فى زعمهم ، تقرأ لتفريج الشدائد ،
وتيسير كل أمر عسير .

ولم يكتف بعض المسلمين بما اخترعوا من قصص حول البردة ، بل وضعوا لقراءتها شروطاً
لم توضع مثلها لقراءة القرآن . منها : التوضؤ ، واستقبال القبلة ، والدقة فى تصحيح ألفاظها

وإعراؤها ، وأن يكون القارىء عالما بمعانيها ، إلى غير ذلك . ولا شك في أن هذا كله من اختراع الصوفية ، الذين أرادوا احتكار قراءتها للناس . وقد ظهرت منهم فئة عرفت بقراء البردة ، كانت تستدعى في الجنائز والأفراح ، نظير أجر معين .

ووضعوا لها من المناقب والفضائل ما لا يقع تحت حصر . فهي تشفى من عدة أمراض . وتفترج الشدائد ، وتسهل كل أمر عسير . وقد استغل المشعوذون والدجالون قصيدة البردة ، لا بتأز الأموال ، والاحتيال على صغار الأحلام ، وضعفاء العقول . واتخذوا منها تأمم وتعاويز ، وشرعوا يوهمون الأغرار بفوائد هذه التأمم ومنافعها ، ويتقاضون على ذلك ما يملأ جيوبهم .

وقد ترتب على ما تقدم ، أن سار ذكر البردة في الآفاق شرقا وغربا ، وحفظها الخاص والعام ، وتغنى بها الناس في الموالد والأذكار ، وأكثروا من تلاوتها في شتى المناسبات . قال ابن حجر الهيتمي : « كيف وقد ازدادت شهرتها إلى أن صار الناس يتدارسونها في البيوت والمساجد كالقرآن » . وقد ترجمت إلى بعض اللغات الشرقية والغربية ، وأقبل الشعراء عليها ، فمنهم من يشطرها ، ومنهم من يعجزها ، ومنهم من يحمّسها ، ومنهم من يسبّعها ، ومنهم من يتسّعها ، ومنهم من يعشّرها ، ومنهم من ينهج نهجها ، وأوسعها الكتاب شرحا وتعليقا .

أما سبب ذبوع تلك القصيدة ، فيرجع الفضل فيه إلى الصوفية الشاذلية الذين ينتمى إليهم البوصيرى . وإلى المغاربة منهم بنوع خاص . فإن هؤلاء المغاربة ، كانوا زمن الدولة الفاطمية يتمتعون برغد العيش . فلما ذهبت تلك الدولة ، أرادوا أن يحتفظوا بمستواهم المادى ، فاشتغلوا بالسحر والشعوذة ، واتخذوا من البردة مجالا لنشاطهم ، فوضعوا لها المناقب على نحو ما تقدم . واحتكروا نسخها وتأجيرها ، وقراءتها في حلقات الأذكار ، والمآتم والأفراح . وكان من دأب هؤلاء المغاربة ، أن ينتقلوا من مدينة إلى أخرى ، ومن إقليم إلى آخر ، فعملوا على نشرها في جميع أنحاء العالم الإسلامى .

وقد ظلت البردة ، بالرغم من طعن ابن تيمية فيها ، مقدسة عند المسلمين . ثم قام محمد بن عبد الوهاب

في نجد ، فأعاد هو وتلاميذه الطعن فيها ، وبينوا ما اشتملت عليه من شرك أكبر في زعمهم .
وقد أنكر ابن تيمية على البوصيري قوله :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بقم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
لو ناسبت قدره آياته عظما أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

وذلك لأن البوصيري ، وإن كان قد أسقط الربوبية عن النبي ، إلا أنه غالى في مدحه غلوا
أضاع معه قيمة إسقاط الربوبية .

* * *

وقد امتاز البوصيري في مدائحه النبوية بقوة الأسلوب ، وحسن الصياغة ، وجودة المعاني
وجمال التشبيهات ، وروعة الصور .

والصوفية ، يزعمون أن النبي حي في قبره ، يسمع ما يخاطب به ، وما يقال في مدحه .
لذلك اجتهد البوصيري في الفوز بإعجاب الرسول ، حتى تغفر له ذنوبه ، وينجوا من عذاب النار ،
ويدخل الجنة . ولا شك في أن محاولته محاكاة كعب وحسان ، كانت حافزا له على الإجادة
في هذا الباب . وقد لعبت العاطفة الدينية الصادقة ، دورا هاما في هذا الصدد ، وكذلك روح
التصوف الذي عرف بها البوصيري .

وإنك لتجد الشاعر يجادل النصارى واليهود في أثناء المدائح النبوية ، جدالا منطقيا وتاريخيا ،
مع الإشارة إلى بعض النصوص الواردة في التوراة والإنجيل ، ويصوغ ذلك صياغة جيدة ، مطبوعة
بالطابع الموسيقي ، الذي ينبغي أن يكون عليه الشعر . ومن تأمل قصيدته [المخرج والمردود]
أدرك صحة ما نقول .

وامتاز البوصيرى فى مدائح النبوة ، بحسن اختياره للألفاظ المناسبة للمقام . ومثال ذلك قوله فى وصف جند الرسول :

كأنما الدين ضيفٌ حل ساحتهم بكل قرم إلى لحم العدا قرم
يجر بحر خميس فوق ساجحة يرمى بموج من الأبطال ملتطم
من كل منتدب لله محتسب يسطو بمستأصل للكفر مصطم

الخ . . .

فالشاعر، استخدم كلمات جزلة، وذات رنين خاص يناسب مقام الحرب . وبهذه المناسبة، نذكر أننا لم نجد شاعرا اهتم بوصف جند الرسول ، وبرع فى ذلك مثل مابرع البوصيرى .
هذه إشارة عابرة عن الأسلوب . أما من ناحية المعانى ، فإننا نلاحظ تكرارها ، نظرا لتكرار ذكر المعجزات . ولكنه كان يصوغها فى كل مرة صياغة جميلة ، ويضعها فى ثوب جديد، فتبدو فى نظرنا ، وكأننا لا عهد لنا بها من قبل . ومثال ذلك ، قوله فى اختفاء النبي فى الغار وهو :

وما حوى الغار من خير ومن كرم وكل طرف من الكفار عنه عَمِي
فالصدق فى الغار والصديق لم يَرَمَا وهم يقولون ما بالغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم

وفى هذه الحادثة نفسها ، يقول قصيدته التى عارض بها كعبا :

واغيرتا حين أضحى الغار وهو به كمثل قلبى معمور ومأهول
كأنما المصطفى فيه وصاحبه الصديق ليثان قد آواها غيل
وجلل الغار نسج العنكبوت على وهن فياحبذا نسج وتجليل

عناية ضلّ كيد المشركين بها وما مكأيدهم إلا الأضاليل
إذ ينظرون وهم لا يبصرونهما كأن أبصارهم من زيغها حول
والصورة الأولى أقوى وأشد تأثيراً في النفس . وقوله « وما حوى الغار من خير ومن كرم »
أقوى من قوله :

كانما المصطفى فيه وصاحبه الصديق ليثان قد آواها غيل
ومصدر قوته يرجع إلى ما فيه من صدق ؛ فالثابت أن أبا بكر كان خائفاً . وأن النبي هداً
من روعه ، وقد حكى القرآن ذلك في قوله « إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » والثابت
كذلك أن العنكبوت والحمام قد لعبت دوراً هاماً في صرف أنظار المشركين عن الغار .
وقوله :

وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عالٍ من الأطم
أقوى بكثير من قوله :

عناية ضلّ كيد المشركين بها وما مكأيدهم إلا الأضاليل
وقوله : « وكل طرف من الكفار عنه عى » أقوى من قوله « كأن أبصارهم من زيغها
حول » . هذا ولكل من الأبيات الأولى والثانية إيجاء خاص في النفس .

وقد أشار البوصيرى إلى إعجاز القرآن في الهمزية واللامية ، ولكن المعنى تبلور في ذهنه ،
واتسع وقوى ، فجاء به في البردة على نحو رائع إلى حد بعيد ، وهذا هو مظهر الجدة الذى أشرنا
إليه ، فلم يكن التكرار عنده عبثاً ، يأتي به لملء الفراغ ، بل كان لعرض فكرة قد ازدادت
وضوحاً في ذهنه ، وهذا مما يشوقنا إلى قراءة قصائده ، والوقوف عند المعانى المشتركة فيها ، والموازنة
بينها ، واستنباط أوجه القوة على اختلاف درجاتها ، وانظر إلى ما في أبيات البردة من التشبيهات
القوية ، والصور الرائعة ، والحكم الخالدة .

ولسنا فى حاجة إلى القول بأن الشعراء الذين مدحوا الرسول بعد البوصيرى سطوا على معانيه ، التى وردت فى الهمزية والبردة ، وسطوا على ألفاظه وعباراته .

* * *

أما البوصيرى كشاعر ينظم فى الأغراض المختلفة، فإننا لأنجد فى ديوانه من تلك الأغراض سوى المدح ، والهجاء ، والرد على النصارى واليهود ، والدعابة .
وتمتاز مدائح البوصيرى بميزة قلما نجدها عند غيره من الشعراء . هذه الميزة هى ظهور البيئة المصرية فيها ظهورا واضحا ، مثال ذلك قوله :

وأقبلت تحيى الأرض من بعد موتها وفى الجود ما يحيى الموات وينشر
فهاهى تحكى جنة الخلد نزهة ومن تحتها أنهارها تتفجر
وأعطيت سلطانا على الماء عاليا به يزخر البحر الخضم ويسجر
فياصالها فى قسمة الماء بينهم ولا ناقة فى أرضهم لك تعقر
ففى بلد من حكمت الماء راكد وفى بلد من حكمه يتحدر
فهذا له وقت وحد معين وهذا له حد ووقت مقدر

فالممدوح اهتم بشئون الرى ، فحفر الترعة وأنشأ الجسور، وضبط مياه النيل، فلاتفتح الأحواض إلا فى وقت معين ، ولا تقفل إلا فى زمن محدد . ثم إن هذا الممدوح اهتم بتوزيع الماء على الزراع توزيعا عادلا ، انعدمت أو قلت معه أسباب الشكوى .

ومعلوم أن حياة الأرض فى مصر تقوم على مياه النيل ، وقد عاش الشاعر فى الريف مدة من الزمن ، فعرف حاجة الفلاحين إلى حاكم يهتم بمثل هذه الشئون .

لذلك تغنى بما قام به الممدوح فى هذا الصدد، مطمئنا إطنابا يدل على ارتياحه وتقديره لهذا العمل العظيم ، فى وقت اشتدت فيه حاجة الفلاح لهذه الإصلاحات .

والأمر الثانى الذى يهم الفلاح هو العمل على نشر الأمن ، والقضاء على اللصوص الذين
يغيرون على المواشى وينهبونها ، وعلى المحاصيل فيسرقونها ، فإذا جاء حاكم وعمل على استتباب
الأمن ، وقطع دابر اللصوص ، فإن الألسنة تلهج بالثناء عليه ، وهذا الحاكم الذى يمدحه البوصيرى
قد قام بهذا العمل العظيم ، وسهر على حفظ الأمن ، وقد أشاد البوصيرى بذلك فقال :

فظهر وجه الأرض من كل فاسد وما خلته من قبله يتطهر

ومهدد للسالكين من الأذى فليس به الأعمى إذا سار يعثر

أنام الرعايا فى أمان وطرفه لما فيه إصلاح الرعية يسهر

ومن مظاهر البيئة الريفية فى مدائحه قوله :

والمال يحنى كما تجنى الثمار بها حتى كأنّ بنى الدنيا له شجر

وتابعت بعضها الغلات فى سفر بعضا إلى شون ضاقت بها الخدر

وسيقّت الخليل للأبواب مسرجة لم تحص عدا وتحصى الأنجم الزهر

والهجن تحسبها سحبا مفوفة فى الحق منها فضاء الجو منحصر

فالجنى والثمار والأشجار والغلات والشون والخليل والهجن ، كلها من وحى الريف .

وفى مدائحه صور وتشبيهات ريفية مبتكرة ، لم يسبق إليها ، ومثال ذلك قوله :

كأنه الدلو يعلو حين تملؤه ماء ويفرغ ما فيه فينحسر

والدهر يرفع أطرافا كما رفعت أذناها لقضاء الحاجة البقر

وله قصيدة بدأها بذكر مدن الشرقية وقراها ، والتحسر على الأيام السعيدة التى قضاها

بين ربوعها .

* * *

وتظهر في مدائح آثار التصوف بصورة واضحة ، مثال ذلك قوله في أحد ممدوحيه :

معنى الوجود الذى تم الوجود به وهل بغير المعانى قامت الصور

وقوله :

ولم تفته من الأوراد ناشئة فى ليلة قام يحميها ولا سحر

يطوى النهار صياما وهو مضطرم والليل يطوى قياما وهو معتكر

وهذه من صفات الممدوح عند المتصوفة ، وقد أسندها الشاعر إلى ممدوحه بجانب المناقب الأخرى ، فإن مدح الإنسان بالعدل والكرم والشجاعة ، لم يكن كافيا فى ذلك العصر الذى انتشر فيه التصوف ، فكان لابد من إسناد صفات الصوفية إلى الحكام والوزراء .
انظر إليه حين يمدح أحد الوزراء فيقول :

وصل النهار بليله فى طاعة وصلاته موصولة بصيام

كلت بتقوى الله مقلته التى لم تسكتحل أحفانها بمنام

يمسى ويصبح طاويا أحشاءه كرما على سغب وحرّ أوام

عجباله يطوى حشاه على الطوى وتحضه التقوى على الإطعام

نزعت وماهمت به النفس التى نزعت من الشهوات نزع همام

فتنعم الأرواح ليس بمدرك إلا بترك تنعم الأجسام

قرن الوزارة بالولاية فهو فى حل من التقوى ومن إحرام

وهذه صورة قطب من أقطاب الصوفية ، لاصورة أحد الوزراء الذين يقومون بالحكم ، فروح التصوف التى غابت على عقلية الناس فى ذلك العصر ، جعلت البوصيرى يصور ممدوحه فى صورة من يقوم الليل كله ، مصليا متعبدا لا ينام قط ، ولا يغفل عن ذكر الله ، ويدىم الصيام

فترك معدته خالية على حين هو يطعم الناس، وهو بذلك قد ابتعد عن الشهوات التي ينغس فيها غيره، ثم أورد الشاعر رأى المتصوفة في أن الأرواح لا تتمتع بالنعيم إلا إذا أعرض الإنسان عن لذات الدنيا، وسلك مسلك الورعين المتنسكين، الذين يؤثرون العيش الخشن، فهذا الوزير، كما يبدو من شعر البوصيرى، صوفى، قرن الوزارة بالولاية، وحل في التقوى وأحرم بها.

ومن مناقب المدوح في ذلك الوقت مايجود به على المتصوفين من عطاء، وفي ذلك يقول البوصيرى:

وما يزال يعين الطائعين إذا تطوعوا بجميل أو إذا نذروا
ومن أعان أولى الطاعات شاركهم في أجر ما حصروا منه وما تجروا
فما أتى الناس من فرض ومن سنن ففي صحيفته الغراء مستطر
فنج وهو مقيم والحجاز به قوم يقيمون لاحبوا ولا اعتمروا

وهذا من آراء المتصوفة التي نشروها إذ ذاك ليرغبوا الناس في إعانتهم، فهم يزعمون أن الذى يمدّم بالعطاء، ينتفع بصلاتهم وصيامهم وحجهم، بأن يرجع إليه ثواب ذلك حتى ولو كان ممن لا يؤدون هذه الفرائض، وهذا مما لم يعرفه المسلمون الأولون، وهو من غير شك من اختراع المتصوفة، والذي عليه المسلمون أن الإحسان لا يعنى فاعله من القيام بالفرائض.

ومن آثار التصوف في مدائح ذكره للفقر والفقراء، مثال ذلك قوله:

قد أغنت الفقراء واقتفرت لهم همّ الملوك فما تزال مؤمله
والفقراء هنا هم المتصوفة، فالمدوح قد أغناهم بالعطاء، وهم الملوك مفتقرة إلى هؤلاء الفقراء

واستعمل كلمة « الفقر » بمعناها المتعارف، وهذا أيضا من أثر التصوف. والتصوف واضح

في قوله من قصيدة يمدح بها الصاحب زين الدين أحمد:

وفي علوم الأولين حقوقها والآخرين وفاء من لم يحدد
أفضى به علم اليقين لعينه ورآه حاسده بعيني أرمـد
كشف الغطاء له فليس كخائر في دينه من أمره متردد
قد كان يحكم في الأمور بعلمه شهد الحق لديه أم لم يشهد
لولا يخاطبنا بقدر عقولنا جاءت معارفه بما لم نعهد

وهذه من مناقب الوزراء في ذلك الوقت ، فصفات المدح التي عرفت من قبل تتضاءل
حتى تكاد تختفي في بعض مدائح البوصيري ، وتحل محلها صفات الأقطاب الذين كشف عنهم
الغطاء ، فأدركوا خفيات الأمور ، والوزير المتصف بهذا يحكم بما يقضى به علمه بهذه الخفيات
فهو ليس في حاجة إلى من يعصره بالحق ، أو ينبهه إلى الخطأ ، فأين صفة العدل أو الكرم
بجانب هذه الصفات التي خلعها الشاعر على ممدوحيه ؟

وقد مدح أبا العباس المرسى بقصيدة مطلعها :

كتب المشيبُ بأبيض في أسود بغضاء ما بيني وبين الخرد
والقصيدة كلها في التصوف والإشادة بمناقب المرسى والتعريض بالفقهاء الذين يأخذون
علومهم من الكتب ، في حين أن المرسى يأخذ علومه من الله ، وعن الله ، وشرح
لآداب المريد

والشاعر لا يمل من وصف أحوال المستخدمين ، وما كانوا عليه من فساد ، وما انتشر بينهم
من رشوة واختلاس وتزوير . يذكر هذا في كثير من مدائحه ، ويظهر غيرته على الرعية
وأموالها ، ويستنكر ما يقع عليها من ظلم ، حتى إنك لاتجد شاعرا أسرف في ذكر الرعية ، والرعاة ،
والراعى ، ورعى ، ويرعى ، والأمة ، والسياسة ، مثل ما فعل البوصيري ؛ فمن ذلك قوله :

يرعون أموال الرعية بالأذى لو يحملون لأشبهوا الجاموسا

وقوله :

عم الرعيّة والأجناد معدّلةً فما شكّا نفرا من عدله نفر

وقوله :

لولاك ما عدلوا من بعد جورهم على الرعايا ولا عفوا ولا انحصروا

وقوله :

ومن السياسة أن تكون مراعيّا للصلحين تبرهم وتسوسا

وقوله :

وكم سعدت بالطالع السعد أمة وكم شقيت بالطالع النحس معشر

وفي مدائح البوصيرىّ مبالغات هي مما بقي من الصفات التي كان يخلعها الشعراء على الأئمة في العصر الفاطمي ، وتظهر هذه الناحية عند الشاعر بوضوح في مدائحه لآل حنا الذين بنتسبون إلى آل البيت .

وكثيرا ما يمزج البوصيرىّ مدائحه بالدعابة المضحكة التي تترك أثرها في النفس ، ويصور حياته وما فيها من ضيق وبؤس ، وبيته وقد خلا من الطعام والفراش والضروريات ، وأولاده الجياع العراة ملتفين حوله في صورة مؤلمة ، ويطنب في ذلك ليستدر عطف الممدوح ، وقد يسوق في أثناء ذلك قصة وقعت له مع زوجته ، أو مع بعض الناس في أسلوب ساخر ، وقالب مجسم حتى ، حتى كأنك ترى بعينك ما يقع عليه ، ويمزج الجدل بالهزل ويتبرم بالشيخوخة والمرض ، وكثرة الأولاد وتشكر الأصحاب ، وينتهي من ذلك إلى طلب الإحسان ، فكانت مدائحه وبخاصة التي نظمها في أواخر حياته ، يغلب عليها هذا اللون ، ولذلك كانت بالاستجداء أشبه منها بالمدح ، هذا موجز عن فن المدح عند البوصيرى .

ننقل بعد ذلك إلى فن هجاء المستخدمين الذى اشتهر به الشاعر فى عصره وبعد عصره .
وقد ذكر المقرئى أن البوصيرى « كان قليل المعرفة بصناعة الكتابة ، وكان يباشرها ويبيع
طائفة الكتاب ، ويضطر إلى أن يعاشرهم ، ولا يزال رزقه مقترا عليه ، ويرى الكتاب فى النعمة
يتقبلون » . وقد يكون هذا الدافع الأول للبوصيرى على التنديد بهذه الطائفة ، وبخاصة أنه فى هجائه
للمستخدمين يوازن بين ما هم فيه من نعيم ، وبين ما هو فيه من جحيم ، مثال ذلك قوله :

ملأت بيوتهم الغلال فلم تجد منها كبيتى فارغا مكنوسا
وقوله :

بأى أمانة وبأى ضبط أرد عن الخيانة فاسقينا
ولا كيسا وضعت عليه شمعا ولا بيتا وضعت عليه طينا
ولكن الفكرة تطورت عنده ، فبعد أن كانت متعلقة بمصلحة ذاتية ، أصبحت متعلقة
بالمصلحة العامة ، وبعد أن كان يتألم من أجل نفسه ، أصبح يتألم من أجل الرغبة ، وما يقع عليها
من مظالم ، انظر إلى قصيدته التى مطلعها :

انظر بحقك فى أمر الدواوين فالكل قد غيروا وضع القوانين
ومنها :

اكشف بنفسك أسوانا ومن معها من الصعيد بلا قوم مساكين
فما الذى دفع الشاعر إلى الحملة على مستخدمى أسوان ، مع بعد المسافة بينه وبينهم ؟
لابد أن يكون قد سمع بما وقع على الرعية من الأذى والظلم ومصادرة الأموال ، فنظم هذه القصيدة
الطويلة ، وهى تنم عن ثورة نفسية جاشت بين جوامح الشاعر ، فانها على موظفى أسوان بالمطاعن ،
حتى إنه لم يترك منقصة إلا نسبها إليهم .

ويعلن البوصيرى فى قصيدة أخرى عن استعدادة لجهاد هؤلاء المستخدمين إذا نصرته
الرعية ، قال :

وإن تنصروني قمت فيهم مجاهدا فإنهم لله أعصى وأكفر
ويذكر أن حديثه عن المستخدمين ، حديث العارف الخبير ، لأنه عاشرهم أعواما ، فوقف
على أسرارهم ، ويقول إنه لم يجد واحدا منهم متصفا بالأمانة والنزاهة ، بل وجدهم كلهم على
غير الصراط المستقيم ، قال :

ثكلت طوائف المستخدمين فلم أر فيهم رجلا أميناً
ولم يقصر حملته على كتاب النصارى ، بل حمل على الكتاب المسلمين كذلك ، قال :
وكيف نلوم فساق النصارى إذا خانت عدول المسلمين
ثم ذكر بعض المستخدمين المسلمين ، ووصفهم بأنهم من كبار اللصوص المتخصصين
في سرقة الغلال من الحقول ، وهم لا يستترون بل يكشفون عن سرقاتهم ، بما يلبسون من حرير ،
وما يشربون من خمر ، وما يقتنون من العبيد والحواري .

وربما كانت تعود عليه فائدة لو أنه اقتصر على التنديد بالكتاب النصارى ، وسالم الكتاب
المسلمين ، ولكن الرجل لم يفعل ذلك ، لأنه كان يستهدف المصلحة العامة ، ومن أجل تلك
المصلحة وحدها قرن حملته على المستخدمين بالحملة على الفقهاء ، فمن ذلك قوله :

تحملت القضاة فخان كل أمانته وسموه الأمينا
وكم جعل الفقيه العدل ظلما وصير باطلا حقا مبينا
وما أخشى على أموال مصر سوى من معشر يتأولونا

وانظر إلى مافي البيت الأخير من تقديم مصلحة مصر على كل اعتبار ، فلم يذكر مصلحة
ذانية لهم ، وإنما ذكر مصلحة مصر ، في وقت لم تعرف فيه سوى المصلحة الذاتية ، وهذه من
غير شك وثبة من وثباته ، لا يسعنا إلا أن ننحني أمامها إجلالا وإكبارا .

ومن أسباب حملته على الفقهاء ، وجود التنافس الشديد بين هذه الطبقة وطبقة ، المتصوفة

التي ينتمى إليها البوصيرى ، فالفقهاء ينكرون على المتصوفة مزاعمهم وآراءهم التي ينشرونها بين العامة، ولم يرتاحوا لإقبال الملوك على إنشاء التكايا لهؤلاء المتصوفين، ووقف الأوقاف الواسعة عليها، ولم يعجبهم النفوذ القوي الذي تمتع به هؤلاء القوم في أوساط العامة والخاصة ، لذلك كانت الخصومة عنيفة بين الطرفين، وليس هناك من شك في أن حملة البوصيرى على الفقهاء كانت صدى لتلك الخصومة العنيفة .

وليس معنى ما تقدم أن الفقهاء كانوا كلهم أبرارا . كلا ! فإن عدوى الفساد قد سرت إلى كثير منهم ، وقد ساعد نظام الأوقاف الذي انتشر في ذلك العصر انتشارا واسعا على إفساد بيئة الفقهاء ، وكانت نظارة هذه الأوقاف تسند إلى رجال القضاء الذين كان منهم من يساعد الأمراء على اغتصابها عن طريق الاستبدال ، فيأخذون القصور العامرة مقابل الخرائب ، والأراضي الزراعية مقابل الأراضي البور ، وقد اتخذ البوصيرى من هذا وغيره مادة للطعن في هذه الفئة، وتصويرها تصويرا لا يخلو من مبالغة .

أما رده على النصارى واليهود فيتركز على :

١ — رفض الفكرة الأساسية التي تقوم عليها الديانة المسيحية، وهي فكرة ألوهية عيسى، ومحاولة دحض هذه الفكرة دحضا عقليا ومنطقيا .

٢ — رفض فكرة الأقانيم الثلاثة التي يدين بها النصارى ، وقد ناقش الشاعر هذه الفكرة مناقشة مشوبة بالسخرية .

٣ — رفض فكرة الفداء ، وبالتالي القول بصلب المسيح ، مستندا في ذلك أيضا على العقل والتاريخ

نتقل بعد ذلك إلى فن الدعابة التي اشتهر بها البوصيري ، فنقول إن الشعراء في ذلك الوقت انصرفوا إلى مدح الوزراء والسلاطين وكبار الحكام، أو بتعبير أدق إلى استجدائهم ، ولم يكونوا قادرين على هجاء من يمتنع عن إعطائهم ، فعمدوا إلى استدرار عطف الممدوح عن طريق تصوير حياتهم القاسية تصويراً قوامه الدعابة الساخرة ، فمن ذلك قول البوصيري :

لهم من الخبيز مسلوقة في كل يوم تشبه النشرة

أقول مهما اجتمعوا حولها تنزهوا في الماء والخضرة

الخ ...

فانظر إليه وقد صور حياته في صورة ضاحكة ساخرة ، وتأمل قوله « تمتعوا بالماء والخضرة » وانظر كيف عرض نفسه على لسان أخت زوجته ، وكيف صور نفسه مهزوما مغلوبا على أمره أمام زوجته ، التي قذفته بأجرة فأدمت رأسه ، فهذه الصور ، وإن أضحكتنا إلا أنها تجعلنا نعطف على الشاعر ونرتى لحاله .

وللبوصيريّ دعابات قصد بها مجرد الزاوية ، وأتى فيها بصور هزلية مضحكة ، وهو يميل في الدعابة إلى أسلوب الحوار وإلى سرد القصص ، وأحيانا إلى إجراء الكلام على أسنة بعض الحيوانات ، فنظم قصيدة على لسان بغلة ، وأخرى على لسان حمامته .

وقد حدث أن قوما حكم عليهم بأن تحلق نصف لحية كل منهم ، فنظم الشاعر في ذلك أبياتا نذكر منها :

ثم قالوا عن ذقون حلقت قلت لا بد لها أن تحلقا

إن حلق الذقن خير للفتى يا بني الأعمام من أن تنتفا

والذي حلق أنصاف اللحي كان في الأحكام عدلا منصفا

حلق النصف بذنب حاضر وعفا بالنصف عما سلفا

فانظر إلى هذه السخرية التي أصاب بها الشاعر الحاكم ، فجعله عادلا ، لأنه لم يأمر بخلق اللحية كلها ، وإنما خلق نصفها جزاء ما ارتكبه المحكوم عليهم من الإثم ، وترك النصف الآخر ، لأنه تفضل فعفا عما سلف للمحكوم عليهم من الذنوب ، وطبيعى أن الحاكم لم يفكر فيما ذهب إليه الشاعر ، ولو أنه خلق اللحية كلها لكان أعدل ، أما أنه ترك نصفها فذلك إمعانا فى التنكيل ، لما يظهر من قبح المحكوم عليهم ، ولما يجره هذا من لفت الأنظار إليهم ، والإغراق فى الضحك منهم ، فما كان من البوصيرى إلا أن قلب القضية ، فجعل الإفراط فى الظلم ينتهى العدل ، والقسوة رحمة ، والإساءة إحسانا ، ولهذا النوع من السخرية وقع عظيم فى النفس ، وبوساطته يستطيع الكاتب أن ينال من الطغاة دون أن يلحقه أذى ، وقد اشتهر بعض كبار أدباء أوربة بإجادة هذا الفن ، ولم يقصر البوصيرى فيه .

* * *

أما بعد ، فهذه مقدمة درسنا فيها بإيجاز حياة البوصيرى وشعره ، فمن أراد المزيد فليقرأ كتابنا « البوصيرى : دراسة ونقد » الذى أرجو أن أتمكن من نشره قريبا .

ديوانه

لأشك فى أن شهرة البوصيرى بقصيدتيه « البردة » و « الهمزية » جعلت الناس يسنون بقية شعره ، فلم يهتم بديوانه أحد ، ويبدو أن الشاعر نفسه لم يجمع شعره فى ديوان . والبوصيرى شاعر مصرى مثل عصره خير تمثيل ، لذلك رأيت أن أهتم بنشر شعره .

وقد وجدت فى دار الكتب المصرية نسختين خطيتين من ديوانه ، إحداها تحت رقم ٢٣١١ — أدب ، والثانية تحت رقم ٨٢٦ شعر تيمور .

أما النسخة الأولى فإنها مجهولة الأصل، مع أنها حديثة العهد، إذ كان الفراغ من كتابتها سنة ١٣٢٦ هـ .

وجاء على غلافها ما نصه :

« ديوان شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن حبان ابن صنهاج بن هلال الصنهاجي البوصيري أو الأبوصيري ثم الدلاصي المتوفى سنة ست مئة وأربع وتسعين ، رحمه الله رحمة واسعة » .

وفي نهايتها ما نصه : « قد وقع الفراغ من كتابة هذا الديوان لأربع ليال خلون من شهر ذى الحجة سنة ألف وثلاث مئة وستة وعشرين للهجرة » .

وهذه النسخة واضحة الخط ، كثيرة الأخطاء النحوية ، والقصائد فيها مرتبة القوافي على جروف الهجاء .

* * *

أما النسخة التيمورية ، فقد نقلت عن نسخة قديمة محفوظة بالمكتبة المرجانية ببغداد ، ويبدو أنها مجهولة الأصل والتاريخ ، لأن الناسخ لم يثبت تاريخ الفراغ من النسخة التي نقل عنها ، ولم يعن الناسخ لهذا المخطوط بإيراد الهمزية أو البردة ، أو اللامية التي ردها البوصيري على النصارى واليهود ، بل أورد مطلع كل قصيدة من هذه القصائد ، وبدأ المخطوط بالقصيدة الخائية التي مطلعها :

أمدائح لى فيك أم تسييح لولاك ما غفر الذنوب صفوح

وقد ذكر أنه أغفل نقل هذه القصائد ، لشهرتها وذيووعها .

وفي أول هذا المخطوط ، نجد الديباجة التي وردت في نسخة دار الكتب ، مع زيادات طفيفة أشرت إليها في الهامش .

وعلى غلافها ما نصه :

« ديوان البوصيرى عليه الرحمة » .

وفى نهايتها :

قال جامعه الأستاذ السيد محمود شكرى الألوسى : هذا آخر ما أردنا نسخه من ديوان العارف بالله ، كنز الفضل والأدب والعرفان ، العلامة الشهير بالبوصيرى ، مادح النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك بعد صلاة الجمعة ، لعشرين خلت من ربيع الثانى من سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة وألف من الهجرة النبوية ، وكانت نسخة الديوان المنقول عنها فى غاية التحريف والغلط ، وقد بذلت الجهد فى تصحيحها ، والحمد لله على التمام .

وبعد هذا نجد الناسخ قد ألحق بالديوان ما كتبه البوصيرى نثرا ، وزاده على قصيدته :
« المخرَج والمردود ، على النصارى واليهود » .

والنسخة التيمورية جيدة الخط نادرة الأخطاء .

✱ ✱ ✱

وقد انتفعت فى تحقيق شعر البوصيرى بالكتب الآتية :

١ — منظومة الإمام البوصيرى فى الرد على النصارى واليهود .

مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٤٤ علم الكلام .

٢ — البرد القشيب فى تفسير كتب المشيب ، لعمر بن محبوب المعتقلاوى مخطوط رقم

٩٣٠٤ — أدب — دار الكتب المصرية .

وقد انتفعت بهذا المخطوط فى تحقيق القصيدة التى نظمها البوصيرى فى مدح أبى العباس

المرسى ، وتعزيتة فى شيخه أبى الحسن الشاذلى التى مطلعها :

كتب المشيب بأبيض فى أسود بفضاء ما بينى وبين الخرد

وقد اعتنى المعتقلاوى ، وهو من علماء أوائل القرن الحادى عشر بشرح الناحية الصوفية
فى هذه القصيدة .

٣ — المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية لإسماعيل النبهانى ، وقد وجدت فى هذه المجموعة
أن لامية البوصيرى فى الرد على النصارى واليهود ، تختلف اختلافا كبيرا عن رواية الديوان
فى ترتيب أبيات القصيدة ، كما أن بها زيادة تقرب من خمسين بيتا ، فأنيت بهذه الأبيات
الزائدة ووضعتها بين أقواس مشيرا فى الهامش إلى عدم ورودها فى أصل الديوان ، ولعل
معظم هذه الأبيات الزائدة ليست من شعر البوصيرى ، وإنما هى دخيلة عليه من تشطير
بعض الشعراء .

٤ — وانتفعت بكتب أخرى منها المخطوط ومنها المطبوع .

وقد رمزت لديوان البوصيرى نسخة دار الكتب بالحرف : « د » ، وللنسخة التيمورية
بالحرف : « ت » ، وللمجموعة النبهانية بالحرف : « م » ، وللمخطوط « البرد القشيب » بالحرف « ك » ،
وذكرت المراجع الأخرى بأسمائها .

ووجدت للبوصيرى شعرا لم يرد فى ديوانه ، بل ورد فى كتب أخرى ، فأنبته مشيرا أمام
كل قصيدة إلى الموضع الذى نقلتها عنه .

ولا يسعنى إلا أن أقدم جزيل شكرى للسيد العالم الجليل أستاذى مصطفى السقا على
معونته التى أسداها إلى فى تحقيق هذا الديوان .

كما أشكر للسادة ناشرى هذا الديوان « أصحاب شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى
الحلبى وأولاده عظيم عنايتهم بإخراجه ، وتشجيعى على نشره بدارهم ، التى مازالت تعمل على
نشر نفائس الآداب العربية ، والثقافة الإسلامية منذ قرن من الزمان . وأخص بالذكر السيد
رسم الحلبى مدير المطبعة على معونته الفنية .

أما بعد ، فأرجو أن ينتفع القارئ بهذا الديوان ، والله الموفق ؟

محمد سيد كيمونى

القاهرة فى ٢٦ ذى القعدة سنة ١٣٧٤ هـ
١٦ يوليو سنة ١٩٥٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الفقيه العالم العلامة ، الرُّحْلَةُ الفَهَامَةُ ، تاج الأدباء ، وواحد الفضلاء ، مفيد الطالبين ، وعمدة المحققين ، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله ابن حَيَّانِي ابن صَمَّاهِج بن مَلَاك الصَّنْهَاجِيّ الحَبْنُونِيّ البُوصَيْرِيّ أو الأَبُوصَيْرِيّ أو البوصيريّ ، ثم الدَّلَاصِي رحمه الله ^(١) ، يمدح سيد الكونين ، نبيّ الساعة ، وصاحب الشفاعة ، الخصوص بال مقام المحمود ^(٢) ، والحوض المورود ، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم :

كيف تَرَقَّى رُقِيَّكَ الأنبياءَ يا سماءَ ما طاولَتْهَا سماءُ
لَمْ يُساوُوكَ في عَلاكَ وَقَدْ حَا لَ سَنًا مِنْكَ دُونَهُمْ وَسَنَاهُ ^(٣)
إِنَّمَا مَثَلُوا صِفَاتِكَ لِلنَّاسِ كَمَا مَثَلَتِ النُّجُومُ الْمَاءُ ^(٤)

(١) ت : رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وبرد بشآبيب الرضوان مضاجعه ، يمدح سيد الأكوان ، وخلاصة بني عدنان .

(٢) ت : واللواء المعقود ، والحوض المورود ، صلى الله تعالى وسلم عليه ، وزاده شرفا وكرما لديه ، وآله الطيبين ، وصحبه التابعين أجمعين آمين ، من الخفيف :

كيف ترقى رقيقك الأنبياء إلى آخر القصيدة . . .

وقال عفا الله عنه من البسيط :

أمن تذكر جيران بنى سلم إلى آخر القصيدة . . .

وقال رحمه الله تعالى وأسكنه الجنة ، وهذه القصيدة سماها المخرج والمردود ، على النصارى واليهود ، وهي من الكامل :

جاء المسيح من الإله رسولا إلى آخر القصيدة . . .

وقال رضي الله عنه وأرضاه ؛ من الكامل :

أمدائح لى فيك أم تسييح لولاك ما غفر الذنوب صفوح

وهذه القصيدة تبدأ النسخة التيمورية كما ذكرنا .

(٣) السنا : الفصوة ، والسناء : الرفعة . (٤) مثلوا : صوروا .

أَنْتَ مِصْبَاحٌ كُلُّ فَضْلٍ فَاتَصَدَّرُ إِلَّا عَنْ ضَوْئِكَ الْأَضْوَاءُ
لَكَ ذَاتُ الْعُلُومِ مِنْ عَالِمِ الْغَيْبِ وَمِنْهَا لَادَمَ الْأَسْمَاءُ
لَمْ تَزَلْ فِي ضَمَائِرِ الْكُونَ تَحْتَا رُ لَكَ الْأَمَهَاتُ وَالْآبَاءُ
مَا مَضَتْ فَتْرَةٌ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا بَشَّرْتَ قَوْمَهَا بِكَ الْأَنْبِيَاءُ
تَتَبَاهَى بِكَ الْعَصُورُ وَتَسْمُو بِكَ عَلَيْهَا بَعْدَهَا عَلَيْهَا
وَبَدَا لِلْوُجُودِ مِنْكَ كَرِيمٌ مِنْ كَرِيمٍ آبَاؤُهُ كُرَمَاءُ (١)
نَسَبٌ تَحْسِبُ الْفُلَا بِحَلَاهُ قَلَدَتْهَا نَجْمُهَا الْجُوزَاءُ (٢)
حَبِذَا عَقْدُ سُودُدٍ وَفَخَّارٍ أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصَاءُ (٣)
وُحْيًا كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُضِيٌّ أَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلَةٌ غَرَاءُ (٤)
لَيْلَةُ الْمَوْلِدِ الَّذِي كَانَ لِلدَّيْنِ سُرُورٌ يَوْمِهِ وَازْدِهَاءُ (٥)
وَتَوَالَتْ بُشْرَى الْمَوَاقِفِ أَنْ قَدْ وُلِدَ الْمِصْطَفَى وَحُقَّ الْمَنَاءُ (٦)
وَتَدَاعَى إِيوَانُ كِسْرَى وَلَوْ لَا آيَةٌ مِنْكَ مَا تَدَاعَى الْبِنَاءُ (٧)
وَعَدَا كُلُّ بَيْتٍ نَارٍ وَفِيهِ كُرْبَةٌ مِنْ مُخَوِّدِهَا وَبَلَاءُ
وَعِيُونَ لِلْفُرْسِ غَارَتْ فَهَلْ كَانَ لِنِيرَانِهِمْ بِهَا إِطْفَاءُ
مَوْلِدُكَ كَانَ مِنْهُ فِي طَالِعِ الْكُفْرِ وَبَالٌ عَلَيْهِمْ وَوَبَاءُ
فَهِنِيئًا بِهِ لَأَمِنَةَ الْفَضْلِ الَّذِي شَرَّفَتْ بِهِ حَوَاءُ

(١) د : فتيداً للوجود ، والتصحيح عن م . (٢) د : حسب . والتصحيح عن م .

(٣) العصاء : البيضاء .

(٤) أسفرت : أضاءت . والنراء البيضاء المقمرة ، ردى ليلة ميلاده صلى الله عليه وسلم .

(٥) ازدهاء : خفة الطرب . (٦) المواقف : جمع هائف ، وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه

(٧) د : تدعاء ، تدعى . والتصحيح عن م .

مَنَ لِحَوَاءَ أَنهَا حَمَلَتْ أَحْمَدَ أَوْ أَنهَا بِهِ نَفَسَاهُ
 يَوْمَ نَالَتْ يَوْضَعِهِ ابْنَتُهُ وَهَبِي مِنْ فَخَارٍ مَالِمَ تَنْلَهُ النِّسَاءُ
 وَأَنْتَ قَوْمَهَا بِأَفْضَلِ مَا حَمَلَتْ قَبْلُ مَرْيَمُ الْعِذْرَاءُ
 شَمَّتَتْهُ الْأَمْلَاكُ إِذْ وَضَعَتْهُ وَشَفَقْنَا بِقَوْلِهَا الشِّفَاءَ ^(١)
 رَافِعًا رَأْسَهُ وَفِي ذَلِكَ الرَّفْعِ إِلَى كُلِّ سُودُودٍ إِيْمَاءُ ^(٢)
 رَامِقًا طَرْفُهُ السَّمَاءَ وَمَرَمَى عَيْنٍ مَنَ شَأْنُهُ الْعُلُوُّ الْعَلَاءُ ^(٣)
 وَتَدَلَّتْ زَهْرُ النَّجُومِ إِلَيْهِ فَنَاضَتْ بِضَوْئِهَا الْأَرْجَاءُ
 وَتَرَأَتْ قُصُورُ قَيْصَرَ بِالرُّوِّ بِمِ يَرَاهَا مَنَ دَارُهُ الْبَطْحَاءُ ^(٤)
 وَبَدَّتْ فِي رَضَاعِهِ مُعْجَزَاتُ لَيْسَ فِيهَا عَنِ الْعِيُونِ خَفَاءُ
 إِذْ أَبَتْهُ لِيَتِمُّهُ مَرْضِعَاتُ قُلْنَ مَا فِي الْيَتِيمِ عَنَا غَفَاءُ
 فَاتَتْهُ مِنْ آلٍ سَعْدٍ فَتَاةٌ قَدْ أَبَتْهَا لِفَقْرِهَا الرُّضَاعَاءُ
 أَرْضَعَتْهُ لِبَانَهَا فَسَقَتْهَا وَبَيْنَهَا أَلْبَانُهُنَّ الشَّاءُ
 أَصْبَحَتْ شَوْلًا عَجَافًا وَأَمْسَتْ مَا بِهَا شَائِلٌ وَلَا عَجْفَاءُ ^(٥)
 أَخْصَبَ الْعَيْشُ عِنْدَهَا بَعْدَ مَحَلٍّ إِذْ غَدَاَ لِلنَّبِيِّ مِنْهَا غِذَاءُ
 يَالَهَا مِنْنَةً لَقَدْ ضَوْعِفَ الْأَجْرُ عَلَيْهَا مِنْ جِنْسِهَا وَالْجَزَاءُ
 وَإِذَا سَخَّرَ إِلَهُهُ أَنْاسًا لِسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سَعْدَاءُ

(١) التشميت : أن يقال للعاطس : رحمك الله ، والشفاء : قابضة النبي ، أم عبد الرحمن بن عوف .

(٢) إيماء : إشارة . (٣) الرامق : الناظر .

(٤) البطحاء : مكة . (٥) الشائل : التي جف لبنها . والمعجفاء : الهزيلة .

حَبَّةٌ أُنبَتَتْ سَنَابِلَ وَالْعَصْفُ لَدَيْهِ يَسْتَشْرِفُ الصُّعْفَاءُ^(١)
وَأَتَتْ جَدَّهُ وَقَدْ فَصَلَتْهُ وَبِهَا مِنْ فِصَالِهِ الْبُرَحَاءُ^(٢)
إِذْ أَحَاطَتْ بِهِ مَلَائِكَةُ اللَّهِ فَظَنَّتْ بَأَنَّهُمْ قُرْنَاءُ^(٣)
وَرَأَى وَجَدَهَا بِهِ وَمِنْ الْوَجْدِ لَهَيْبٌ تَصَلَّى بِهِ الْأَخْشَاءُ^(٤)
فَارْقَنَتْهُ كُرْهًا وَكَانَ لَدَيْهَا ثَاوِيًا لَا يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ^(٥)
شَقَّ عَنْ قَلْبِهِ وَأَخْرَجَ مِنْهُ مُضَعَّةٌ عِنْدَ غَسَلِهِ سَوْدَاءُ
خَتَمَتْهُ يُمْنَى الْأَمِينِ وَقَدْ أَوْ دَرَعَ مَالِمٌ تَدْعُ لَهُ أَنْبَاءُ^(٦)
صَانَ أَسْرَارَهُ اخْتِئَامٌ فَلَا الْفَضُّ ضُ مُلِمٌ بِهِ وَلَا الْإِفْضَاءُ^(٧)
أَلِفَ النَّسْكَ وَالْعِبَادَةَ وَالْخُلُوءَ طِفْلًا وَهَكَذَا النُّجَبَاءُ
وَإِذَا حَلَّتِ الْهَدَايَةُ قَلْبًا نَشِطَتْ فِي الْعِبَادَةِ الْأَعْضَاءُ
بَعَثَ اللَّهُ عِنْدَ مَبْعَثِهِ الشَّهْبَ حِرَاسًا وَضَاقَ عَنْهَا الْفَضَاءُ
تَطَرَّدُ الْجِنَّ عَنْ مَقَاعِدَ السَّمْعِ كَمَا تَطَرَّدُ الذَّنَابَ الرِّعَاءُ
فَمَحَتْ آيَةَ الْكَهَانَةِ آيَاتُ مِنَ الْوَحْيِ مَا لَهُنَّ ائْجَاءُ
وَرَأَتْهُ خَدِيجَةٌ وَالتَّقَى وَالزُّهْدُ فِيهِ سَجِيَّةٌ وَالْحَيَاءُ
وَأَتَاهَا أَنْ الْغَمَامَةُ وَالسَّرْحُ أَظْلَتَهُ مِنْهَا أَفْيَاءُ^(٨)
وَأَحَادِيثُ أَنْ وَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ بِالْبَعْثِ حَانَ مِنْهُ الْوَفَاءُ

(١) د : الضعف ، والتصحيح عن م . والعصف : ورق النبات اليابس . يستشرف : يتطلع .

(٢) للبرحاء : شدة الأذى . (٣) قرناء : شياطين . (٤) فصل : تحرق .

(٥) الثَّوَاءُ : الإقامة . (٦) الأمين : جبريل . (٧) الفضى : الكسر . والإفضاء : الإشاعة

(٨) السرح : الشجر الكبير . والأنباء : جمع فء ، وهو الظلى .

فَدَعَتْهُ إِلَى الزَّوْجِ وَمَا أَحْسَنَ مَا يَبْلُغُ الْمُنَى الْأَذْكِيَاءُ
وَأَتَاهُ فِي بَيْتِهَا جَبْرِئِيلٌ وَلِذِي اللَّبِّ فِي الْأُمُورِ ارْتِيَاءٌ^(١)
فَأَمَاطَتْ عَنْهَا الْحِمَارَ لِتَذَرِي أَهْوَى الْوَحْيِ أَمْ هُوَ الْإِغْمَاءُ
فَاخْتَنَى عِنْدَ كَشْفِهَا الرَّأْسَ جَبْرِئِيلُ فَمَا عَادَ أَوْ أُعِيدَ الْفِطَاءُ
فَاسْتَبَانَ خَدِيجَةً أَنَّهُ الْكَذُّ زُ الَّذِي حَاوَلَتْهُ وَالْكِيَمِيَاءُ^(٢)
ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ فِي الْكُفْرِ نَجْدَةً وَإِبَاءً^(٣)
أَتَمَّا أَشْرَبَتْ قُلُوبُهُمُ الْكُفْرَ فَذَاهُ الضَّلَالِ فِيهِمْ عِيَاءُ
وَرَأَيْنَا آيَاتِهِ فَاهْتَدَيْنَا وَإِذَا الْحَقُّ جَاءَ زَالَ الْمِرَاءُ
رَبِّ إِنَّا الْهُدَى هَذَاكَ وَآيَا تَكَ نُورٌ تَهْدِي بِهَا مَنْ تَشَاءُ
كَمْ رَأَيْنَا مَا لَيْسَ يَعْقِلُ قَدْ أَلْسِمَ مَا لَيْسَ يُلْهِمُ الْعُقْلَاءُ
إِذَا أَبَى الْفِيلُ مَا أَتَى صَاحِبُ الْفِيلِ وَلَمْ يَنْفَعِ الْحِجَا وَالذِّكَا
وَالْجُمَادَاتُ أَفْصَحَتْ بِالَّذِي أَخْرَسَ عَنْهُ لِأَحَدِ الْفُصْحَاءِ
وَنَجَّ قَوْمٍ جَفَوْا نَبِيًّا بِأَرْضٍ أَلْفَتْهُ ضَبَابُهَا وَالظَّبَّاءُ
وَسَلَوُهُ وَحَنَّ جَذَعٌ إِلَيْهِ وَقَلَوُهُ وَوَدَّهُ الْغُرَبَاءُ
أَخْرَجُوهُ مِنْهَا وَأَوَّاهُ غَارٌ وَحَمَتُهُ حَمَامَةٌ وَرَقَاءُ
وَكَفَّتُهُ بِنَسْجِهَا عَنْكَبُوتٌ مَا كَفَّتُهُ الْحَمَامَةُ الْحَصْدَاءُ^(٤)
وَاخْتَنَى مِنْهُمْ عَلَى قُرْبٍ مَرَّآ هُ مِنْ شِدَّةِ الظُّهُورِ الْخَفَاءُ

(١) ارتياء : تفكر .

(٢) الكيمياء : الإكسير الذي يوضع على النحاس والقصدير ، فيقلبه ذهاباً ، كما يزعم القدماء .

(٣) النجدة : الشدة .

(٤) الحصداء : كثيرة الريش .

ونحاً المصطفى المدينة واشتا قت إليه من مكة الأنحاء
وتغنت بمدحه الجن حتى أطرب الإنس منه ذاك الغناء
واقفى إثره سراقه فاستهوتته في الأرض صافن جرءاء^(١)
ثم ناداه بعد ما سيمت الخسف وقد ينجد الفريق النداء^(٢)
فطوى الأرض سائرا والسما ت العلا فوقها له إسرائ^(٣)
فصف الليلة التي كان للمختار فيها على البراق استواء
وترقى به إلى قاب قوسين وتلك السيادة القساء^(٤)
رتب تسقط الأمانى حسرى دونها ما وراء من وراء
ثم وافى يحدث الناس شكرا إذ أتته من رب النعماء
وتحدى فارتاب كل مريب أو يبق مع السيول القناء^(٥)
وهو يدعو إلى الإله وإن شق عليه كفر به وازدراء
ويدل الورى على الله بالتو حيد وهو المحجة البيضاء^(٦)
فبما رحمة من الله لانت صخرة من إبابهم صماء
واستجابت له بنصر وفتح بعد ذلك الخضراء والبراء^(٧)
وأطاعت لأمره العرب العر باه والجاهلية الجهلاء
وتوات المصطفى الآية الكبرى عليهم والغارة الشواء

(١) استهوتته : هوت به . الصافن : الفرس الكريم . جرءاء : قصيرة الشعر .

(٢) سيمت الخسف : أى قاربت الفرس أن يخسف بها ، وتغوص في الأرض ، وكانت غاصت إلى ركبها .

(٣) طوى : قطع . استواء : استقرار .

(٤) قاب قوسين : ما بين مقبضها عند الرى ، وهو وسطها وبين آخرها ، أى المحل الذى يشد فيه الوتر . فلكل

قوس قابان : والقسماء : الثابتة الدائمة . (٥) القناء : القش على وجه السيل .

(٦) المحجة : الطريقة . (٧) الخضراء : السماء .

فإذا ماتلا كتابا من الله تَلَّتُهُ كَتِيبَةً خَضَاءً^(١)
 وكفاهُ المستهزئينَ وكَمَ سَا . نَبِيًّا من قومه استهزاء
 ورماهم بِدَعْوَةٍ من فِئاءِ السَّبِيَّتِ فيها للظالمينَ فَنَاءُ
 خَمْسَةٌ كُلُّهُمْ أَصِيبُوا بِدَاءِ وَالرَّذَى من جُنُودِهِ الْأَدْوَاءُ
 فَذَهَى الْأَسْوَدَ بْنَ مُطَلِّبٍ أَيُّ * عَمَى مَيِّتٌ بِهِ الْأَحْيَاءُ
 (وَذَهَى الْأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَغُوثٍ أَنْ سَقَاهُ كَأْسَ الرَّذَى اسْتِسْقَاءً)^(٢)
 وَأَصَابَ الْوَلِيدَ خَذَشَةٌ سَنَهُمُ قَصَّرَتْ عَنْهَا الْحَيَّةُ الرَّقْطَاءُ
 وَقَضَتْ شَوْكَةً عَلَى مُهْجَةِ الْعَا صَيَّ فَلَلهِ النَّقْمَةُ الشَّوْكَاءُ^(٣)
 وَعَلَا الْحَارِثَ الْقَيْوُوحُ وَقَدْ سَا لَ بِهَا رَأْسُهُ وَسَاءَ الْوِعَاءُ
 خَمْسَةٌ طَهَّرَتْ بِقَطْعِهِمُ الْأَرْضَ ضُ فَكَفَّ الْأَذَى بِهِمْ شَلَاءُ
 فُذِيتْ خَمْسَةُ الصَّحِيفَةِ بِالْخَمْسَةِ إِنْ كَانَ بِالْكَرَامِ فِذَاءُ
 فَتِيَّةٌ يَبْتَثُوا عَلَى فِعْلِ خَيْرٍ حَمْدُ الصَّبْحِ أَمْرُهُمُ وَالْمَسَاءُ
 يَا لِأَمْرِ أَتَاهُ بَعْدَ هِشَامٍ زَمْعَةٌ إِنَّهُ الْفَتَى الْأَنْتَاءُ
 وَزُهَيْرٌ وَالْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ مِنْ حَيْثُ شَاءُوا
 نَقَضُوا مُبْرَمَ الصَّحِيفَةِ إِذْ شَدَّتْ عَلَيْهِمُ مِنَ الْعِدَا الْأَنْدَاءُ^(٤)
 أَذْكَرْتَنَا بِأَكْلِهَا كُلِّ مِذْسَا قِ سُلَيْمَانَ الْأَرْضُضَةَ الْخُرْسَاءُ^(٥)

(١) الكتبية الخضراء: المدججة بالسلاح . (٢) هذا البيت ساقط من د ، ومثبت في م .

(٣) النقمة : الموت والشوكاء : الخشنه .

(٤) الصحيفة : التي تعاهد فيها الكفار على مقاطعة بني هاشم . شدت : هممت . الأنداء : جمع نادى ، أى من فيها .

(٥) المنساء : العصا . . والأرضة الدويبة التي تأكل الورق والخشب .

وبها أخبر النبيؐ ولم أخ رَجَ خَبِثًا لَهُ الْغُيُوبُ خِيبًا^(١)
 لَا تَحُلْ جَانِبَ النَّبِيِّ مُضَامًا حِينَ مَسَّتْهُ مِنْهُمْ الْأَسْوَاءُ
 كُلُّ أَمْرٍ نَابَ النَّبِيَّينَ فَالشَّدَّةُ فِيهِ مَحْمُودَةٌ وَالرِّخَاءُ
 لَوْ يَمَسُّ النَّضَارَ هُونٌ مِنَ النَّارِ لِمَا اخْتِيرَ لِلنُّضَارِ الصَّلَاةُ^(٢)
 كَمْ يَدٍ عَنِ نَبِيِّهِ كَفَّهَا اللَّهُ فِي الْخَلْقِ كَثْرَةً وَاجْتِرَاءً
 إِذَا دَعَا وَحْدَهُ الْعِبَادَ وَأَمْسَتْ مِنْهُ فِي كُلِّ مُقَلَّةٍ أَقْدَانُهُ
 هَمٌّ قَوْمٌ بِقَتْلِهِ فَأَبَى السَّيِّئُ فُوفَاءُ وَفَاءُ الصَّفْوَاءِ^(٣)
 وَأَبْوَجُهُلٍ إِذَا رَأَى عَنْقَ الْفَحْلِ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ الْعَنْقَاءُ
 وَاقْتَضَاهُ النَّبِيُّ دَيْنَ الْإِرَاشِيِّ وَقَدْ سَاءَ بَيْعُهُ وَالشِّرَاءُ^(٤)
 وَرَأَى الْمَصْطَفَى أَنَاهُ بِمَا لَمْ يُنْجِ مِنْهُ دُونَ الْوَفَاءِ النَّجَاءُ
 هُوَ مَا قَدْ رَأَاهُ مِنْ قَبْلُ لَكِنْ مَا عَلَى مِثْلِهِ يُعَدُّ الْخَطَاءُ
 وَأَعَدَّتْ حَمَالَةُ الْحَطِيبِ الْفِهْرَ وَجَاءَتْ كَأَنَّهَا الْوَرْقَاءُ^(٥)
 يَوْمَ جَاءَتْ غَضَبِي تَقُولُ أَفِي مِثْلِي مِنْ أَحَدٍ يُقَالُ الْهَجَاءُ^(٦)
 وَتَوَلَّتْ وَمَا رَأَتْهُ وَمِنْ أَيْسَنِ تَرَى الشَّمْسَ مُقَلَّةً عَمِيَاءُ
 نَمَّ سَمَّتْ لَهُ الْيَهُودِيَّةُ الشَّامَةَ وَكَمْ سَامَ الشَّقْوَةَ الْأَشْقِيَاءُ
 فَأَذَاعَ الذَّرَاعُ مَا فِيهِ مِنْ شَرٍّ بِنُطْقٍ إِخْفَاؤُهُ إِبْدَاءُ

(١) الخبث : الخبيث . والخيباء : بيت من الشعر .

(٢) الهون : الإهانة . والصلاة : الوضع على النار .

(٣) فاءت : رجعت . والصفاة : الحجارة ، جمع صفاة .

(٤) اقتضاء : طلب منه . والإراشي : رجل باع أبا جهل إبلا ، فاطله في دفع ثمنها .

(٥) حمالة الحطب : زوجة أبي لهب . والفهر : الحجر الذي يملأ الكف . والورقاء : الهامة .

(٦) إشارة إلى ما ورد في سورة تبت .

وَيَخْلُقِ مِنَ النَّبِيِّ كَرِيمٍ لَمْ تَقَاصِصْ بِجَرَحِهَا الْعَجَمَاءُ^(١)
 مِنْ فَضْلًا عَلَى هَوَازِنَ إِذْكَ نَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِيهِمْ رَبَّاءُ^(٢)
 وَأَتَى السَّبِي فِيهِ أُخْتُ رَضَاعٍ وَضَعَ الْكَفْرُ قَدْرَهَا وَالسَّبَاءُ^(٣)
 خَبَاهَا بِرَّاءٍ تَوَهَّمَتِ النَّاسُ سُبُ بِهِ أَمَّا السَّبَاءُ هِدَاءُ^(٤)
 بَسَطَ الْمَصْطَفَى لَهَا مِنْ رِداءٍ أَيْ فَضْلَ حَوَاهُ ذَلِكَ الرِّداءُ
 فَدَنَتْ فِيهِ وَهِيَ سَيِّدَةُ النِّسْوَةِ وَالسَّيِّدَاتُ فِيهِ إِمَاءُ
 فَتَنَزَّهَ فِي ذَاتِهِ وَمَعَانِيهِ اسْتِمَاعًا إِنْ عَزَّ مِنْهَا اجْتِلَاءُ^(٥)
 وَأَمَّا السَّمْعَ مِنْ مُحَاسِنَ يُمْلِيهَا عَلَيْكَ الْإِنْشَادُ وَالْإِنْشَاءُ
 كُلُّ وَصْفٍ لَهُ ابْتَدَأَتْ بِهِ اسْتَوْ عَبَّ أَخْبَارَ الْفَضْلِ مِنْهُ ابْتِدَاءُ
 سَيِّدٌ ضَحْكُهُ التَّبَسُّمُ وَالْمَشْيُ الْهُوَيْنَا وَنَوْمُهُ الْإِغْفَاءُ
 مَا سِوَى خُلُقِهِ النَّسِيمُ وَلَا غَيْرَ مُحْيَاةُ الرَّوْضَةِ الْغَنَاءُ
 رَحْمَةٌ كُلُّهُ وَحَزْمٌ وَغَزْمٌ وَوَقَارٌ وَعِصْمَةٌ وَحَيَاءُ
 لَا تَحُلُّ الْبَاسَاءَ مِنْهُ عُرَا الصَّبْرِ وَلَا تَسْتَخْفُهُ السَّرَّاءُ
 كَرُمَتْ نَفْسُهُ فَمَا يَخْطُرُ السُّوءُ عَلَى قَلْبِهِ وَلَا الْفَحْشَاءُ
 عَظُمَتْ نِعْمَتُهُ الْإِلَهَ عَلَيْهِ فَاسْتَقَلَّتْ لِذِكْرِهِ الْعُظَمَاءُ
 جَهَلَتْ قَوْمُهُ عَلَيْهِ فَأَغْضَى وَأَخُو الْحِلْمِ دَأْبُهُ الْإِغْضَاءُ
 وَسِعَ الْعَالَمِينَ عِلْمًا وَحِلْمًا فَهُوَ بِحَرْزٍ لَمْ تُعْيِهِ الْأَعْبَاءُ

(١) لم تقتص منها . والعجاء : الهيمة . (٢) الرباء : التريبة .
 (٣) أخت رضاع : هي الشيماء أخت النبي من الرضاع .
 (٤) حباها : أعطاهما . والهداء : تقديم العروس إلى زوجها .
 (٥) الاجتلاء : النظر .

مُسْتَقِيلٌ دُنْيَاكَ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْكَ مِنْهَا إِلَيْهِ وَالْإِعْطَاءُ
 شَمْسُ فَضْلٍ تَحَقُّقُ الظَّنُّ فِيهِ أَنَّهُ الشَّمْسُ رِفْعَةً وَالضِّيَاءُ
 فَإِذَا مَا ضَحَا مَحَا نَوْرُهُ الظُّلُّ وَقَدْ أَنْبَتَ الظَّلَالُ الضَّحَاءُ (١)
 فَكَانَ الْعِمَامَةَ اسْتَوْدَعَتْهُ مَنْ أَظْلَتْ مِنْ ظِلِّهِ الدُّفَعَاءُ (٢)
 خَفِيتْ عِنْدَهُ الْفَضَائِلُ وَانْجَا بَتَّ بِهِ عَنْ عَقُولِنَا الْأَهْوَاءُ
 أَمَعَ الصُّبْحِ لِلنَّجُومِ تَجَلَّى أَمَّ مَعَ الشَّمْسِ لِلظَّلَامِ بَقَاءُ
 مُعْجَزُ الْقَوْلِ وَالْفِعَالِ كَرِيمُ الْخُلْدِ قِ وَالْخُلُقِ مُقْسِطُ مِعْطَاءُ
 لَا تَقِسْ بِالنَّبِيِّ فِي الْفَضْلِ خَلْقًا فَهُوَ الْبَحْرُ وَالْأَنَامُ إِضَاءُ (٣)
 كُلُّ فَضْلٍ فِي الْعَالَمِينَ فَنَ فَضْلُ لِي النَّبِيِّ اسْتِعَارَهُ الْفُضْلَاءُ
 شَقَّ عَنْ صَدْرِهِ وَشَقَّ لَهُ الْبَدَنُ رُومِنْ شَرَطٍ كُلِّ شَرَطٍ جَزَاءُ (٤)
 وَرَمَى بِالْحَصَى فَأَقْصَدَ جَنِيحًا مَا الْعَصَا عِنْدَهُ وَمَا الْإِلْقَاءُ (٥)
 وَدَعَا لِلْأَنَامِ إِذْ دَهَمَتْهُمْ سَنَةٌ مِنْ مُحُولِهَا شَهْبَاءُ (٦)
 فَاسْتَهْلَتْ بِالْغَيْثِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ وَطَفَاءُ (٧)
 تَتَحَرَّى مَوَاضِعَ الرَّغْيِ وَالسَّقَمِ وَحَيْثُ الْعِطَاشُ تُوَهَّى السَّقَاءُ (٨)
 وَأَتَى النَّاسُ يُشْتَكَوْنَ أَذَاهَا وَرَخَاءُ يُؤْذِي الْأَنَامَ غَلَاءُ
 فَدَعَا فَاَنْجَلَى الْعَمَامُ قُلُّ فِي وَصْفٍ غَيْثٍ إِقْلَاعُهُ اسْتِسْقَاءُ
 ثُمَّ أَثَرَى الثَّرَى فَقَرَّتْ عُيُونُ بَقْرَاهَا وَأُحْيِيَتْ أَحْيَاءُ (٩)

- (١) ضحا : ظهر نوره للشمس . (٢) الدفعا : المراد بهم الجماعة من أصحاب الرسول يسرون معه .
 (٣) الإضاءة : جمع إضاءة ، وهى الغدران . (٤) الشرط : الشق . والجزاء ما يجرى به ، وفى كل منهما تورية .
 (٥) أقصد : أصاب . العصا : قصد بها عصا موسى . (٦) الشهباء : المجلبة .
 (٧) استهلت : أمطرت . وطفاء : مسترخية الجوانب لكثرة ماؤها .
 (٨) تتحرى : تتبع . والسقاء : القربة . (٩) الأحياء : القبائل .

فَتَرَى الْأَرْضَ غِيبُهُ كَسَاءَ أَشْرَقَتْ مِنْ نَجْوِيهَا الظَّلَمَاءَ
تُخْجِلُ الدَّرَّ وَالْيَوَاقِيتَ مِنْ نَوَى رَبُّهَا الْبَيْضَاءَ وَالْحُمْرَاءَ
لَيْتَهُ خَصَّنِي بِرُؤْيَا وَجْهِ زَالَ عَنْ كُلِّ مَنْ رَأَى الشَّقَاءَ
مُسْفِرٌ يَلْتَقِي الْكِتَابَةَ بَسًا مَا إِذَا أَسْهَمَ الْوُجُوهَ اللَّقَاءَ^(١)
جُعِلَتْ مَسْجِدًا لَهُ الْأَرْضُ فَاهْتَرَّ بِهِ لِلصَّلَاةِ فِيهَا حِرَاءَ
مُظْهِرٍ شَجَّةَ الْجَبِينِ عَلَى الْبُرَى كَمَا أَظْهَرَ الْهَلَالَ الْبَرَاءَ^(٢)
سُتِرَ الْحُسْنُ مِنْهُ بِالْحُسْنِ فَاعْجَبْ لِحَالِهِ لِهَ الْجَمَالِ وَقَاءَ
فَهُوَ كَالزُّهْرِ لَاحٍ مِنْ سَجَفِ الْأَكْ مَامٍ وَالْعُودِ شَقٍّ عَنْهُ اللَّحَاءَ^(٣)
كَأَدَّ أَنْ يُغَشِّيَ الْعُيُونَ سَنًا مِنْ لُ لِسِرٍّ فِيهِ حَكْتُهُ ذُكَاءَ
صَانَهُ الْحُسْنُ وَالسَّكِينَةُ أَنْ تُظْهِرَ فِيهِ آثَارَهَا الْبُاسَاءَ
وَتُخَالِ الْوُجُوهَ إِنْ قَابَلَتْهُ أَلْبَسَتْهَا أَلْوَانَهَا الْحِزْبَاءَ
فَإِذَا شِمَتْ بِشَرِّهِ وَنَدَاهُ أَذْهَلَتْكَ الْأَنْوَارُ وَالْأَنْوَاءَ
أَوْ بِتَقْبِيلِ رَاحَةٍ كَانَ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ أَخْذَهَا وَالْعِطَاءَ
تَتَقَيَّ بِأَسَمِهَا الْمُلُوكُ وَتُحْطَى بِالْغَنَى مِنْ نَوَالِهَا الْفُقَرَاءَ
لَا نَسْلَ سَيْلَ جُودِهَا إِنَّمَا يَكُ فَيْكُ مِنْ وَكْفٍ سُخْبِهَا الْأَنْدَاءَ^(٤)
دَرَّتِ الشَّاةُ حِينَ مَرَّتْ عَلَيْهَا فَلَهَا ثَرْوَةٌ بِهَا وَنَمَاءَ
نَبَعَ الْمَاءُ أَمَرَ النَّخْلُ فِي عَا مَ بِهَا سَبَّحَتْ بِهَا الْحَصْبَاءَ

(١) أسهم : غير .

(٢) شجرة الجبين : جرحه ، وقد شج جبين النبي في غزوة أحد . والبراء : أول ليلة من الشهر .

(٣) السجف : الستر . والأكام جمع كم : وهو وعاء الزهر . واللحاء : قشر الشجر .

(٤) الوكف : المطر الشديد .

أَحْيَيْتِ الْمُرْمِلِينَ مِنْ مَوْتِ جَهْدٍ أَعُوزَ الْقَوْمَ فِيهِ زَادٌ وَمَا^(١)
فَتَمَدَّى بِالصَّاعِ أَلْفٌ جِياعٌ وَتَرَوَّى بِالصَّاعِ أَلْفٌ ظَمَاءٌ
وَوَفَى قَدْرُ بَيْضَةٍ مِنْ نُضَارٍ دَيْنَ سَلَمَانَ حِينَ حَانَ الْوَفَاءُ
كَانَ يُدْعَى قِنًا فَأُعْتِقَ لَمَّا أَيْنَعَتْ مِنْ تَحْيِيلِهِ الْأَفْنَاءُ^(٢)
أَفْلا تَعْذُرُونَ سَلَمَانَ لَمَّا أَنْ عَرَّثَهُ مِنْ ذِكْرِهِ الْعُرَوَاءُ^(٣)
وَأَزَالَتْ بِلِمْسِهَا كُلَّ دَاءٍ أَكْبَرَتْهُ أَطِبَّةٌ وَإِسَاءُ
وَعَيُونٌ مَرَّتْ بِهَا وَهِيَ رُمْدٌ فَأَرَتْهَا مَا لَمْ تَرَ الزَّرْفَاءُ
وَأَعَادَتْ عَلَى قَتَادَةَ عَيْنًا فَهِيَ حَتَّى مَمَاتِهِ النَّجْلَاءُ^(٤)
أَوْ بِلِشْمِ التُّرَابِ مِنْ قَدَمٍ لَا نَتُّ حَيَاءٍ مِنْ مَشْيِهَا الصَّفَوَاءُ
مَوْطِئُ الْأَخْمَصِ الَّذِي مِنْهُ لِلْقَلْبِ إِذَا مَضَجَعِي أَقْصَى وَطَاءُ^(٥)
حَظِيَّ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمَشَا هَا وَلَمْ يَنْسُ حَظَّهُ إِبِلِيَاءُ^(٦)
وَرِمَتْ إِذْ رَمَى بِهَا ظَلَمَ اللَّهِ لِي إِلَى اللَّهِ خَوْفُهُ وَالرَّجَاءُ
دَمِيتُ فِي الْوَعَى لَتَكْسِبَ طَيْبًا مَا أَرَأَيْتُ مِنَ الدَّمِ الشَّهْدَاءُ
فَهِيَ قُطْبُ الْحَرَابِ وَالْحَرْبِ كَمَا رَتَّ عَلَيْهَا فِي طَاعَةِ أَرْحَاءُ^(٧)
وَأَرَاهُ لَوْ لَمْ يُسَكَّنْ بِهَا قَبْرُ لِي حِرَاءُ مَا جَبَتْ بِهِ الدَّأْمَاءُ^(٨)
عَجَبًا لِلْكَفَّارِ زَادُوا ضَلَالًا بِالَّذِي فِيهِ لِلْعُقُولِ اهْتِدَاءُ

(١) المرملون : الذين لا زاد لهم . والجهد : القحط الشديد .

(٢) القن : الرقيق . والأقناء : جمع قنوا ، وهو عذق النخلة الذي يحمل الثمر .

(٣) العرواء : رعدة الحمى . (٤) النجلاء : الواسعة .

(٥) الأخمص : أسفل القدم . وطاء : فراش . (٦) إيلياء : بيت المقدس .

(٧) أرحاء : طواحين . (٨) الدأماء : البحر .

والذى يسألون منه كتابٌ مُنْزَلٌ قَدْ أَتَاهُمْ وارتقاه
أولم يكفهم من الله ذِكْرٌ فيه للناس رحمةٌ وشفاء
أعجزَ الإنسانَ آيةَ منه والجنَّ فَهَلَّا يَأْتِي بِهَا الْبُلْغَاءُ
كلَّ يَوْمٍ تَهْدِي إِلَى سَامِعِيهِ مُعْجَزَاتٍ مِنْ لَفْظِهِ الْقُرْآنُ
تَتَحَلَّى بِهِ السَّامِعُ وَالْأَفْهَامُ فَهَوَ الْخُلِّيُّ وَالْخُلُوءُ^(١)
رَقٌّ لَفْظًا وَرَاقٌ مَعْنَى فَجَاءَتْ فِي حُلَاهَا وَحَلِيهَا الْخُنْسَاءُ
وَأَرْتَنَّا فِيهِ غَوَامِضَ فَضْلِ رِقَّةٍ مِنْ زُلَاهَا وَصَفَاءُ
إِنَّمَا تُجْتَلَى الْوُجُوهُ إِذَا مَا جُلِيَتْ عَنْ مِرْآةِهَا الْأَصْدَاءُ
سُورٌ مِنْهُ أَشْبَهَتْ صُورًا مِنَّا وَمِثْلُ النَّظَائِرِ النَّظَرَاءُ^(٢)
وَالْأَقَاوِيلُ عِنْدَهُمْ كَالْتِمَائِلِ فَلَا يُؤْهِنُكَ الْخُطْبَاءُ
كَمْ أَبَانَتْ آيَاتُهُ مِنْ عُلُومٍ عَنْ حُرُوفِ أَبَانَ عَنْهَا الْمَجَاهِدُ^(٣)
فَهِيَ كَالْحَبِّ وَالنَّوَى أَعْجَبَ الزَّرَّاعُ مِنْهُ سَنَابِلُ وَزَكَاهُ^(٤)
فَأَطَالُوا فِيهِ التَّرْدَدَ وَالرَّيْبَ فَقَالُوا سِحْرٌ وَقَالُوا افْتَرَاءُ
وَإِذَا الْبَيْنَاتُ لَمْ تُغْنِ شَيْئًا فَالْتَمَسُ الْهُدَى بِهِنَّ عَنَاءُ
وَإِذَا ضَلَّتِ الْعُقُولُ عَلَى عِلْمٍ فَمَاذَا تَقُولُهُ النَّصَحَاءُ
قَوْمَ عِيسَى عَامَلْتُمْ قَوْمَ مُوسَى بِالَّذِي عَامَلْتُمْ الْخُنَفَاءُ^(٥)
صَدَّقُوا كُتُبَكُمْ وَكَذَبْتُمْ كُتُبَهُمْ إِنَّ ذَا لَبِئْسَ الْبَوَاءُ^(٦)

(١) تتحلَّى: من الحلو والحلوى، ففيه تورية. (٢) النظائر والنظراء: الذين يشبه بعضهم بعضا.

(٣) المجاهد: التهجى. (٤) الزكاه: النماء.

(٥) الخنفاء: المسلمون. يقول: إن المسلمين صدقوا كتبكم وكذبتم كتبهم. (٦) البواء: المكافاة.

نُوحِدُنَا جُحُودَ كُمْ لَاسْتَوِينَا أَوْ لِلْحَقِّ بِالضَّلَالِ اسْتَوَاهُ
 مَا لَكُمْ إِخْوَةَ الْكِتَابِ أَنْسَاءَ لَيْسَ يُرْعَى لِلْحَقِّ مِنْكُمْ إِخَاءُ
 يُحْسَدُ الْأَوَّلُ الْأَخِيرَ وَمَاذَا لَكَ كَذَا الْمُحَدِّثُونَ وَالْقَدَمَاءُ
 قَدْ عَلِمْتُمْ بِظُلْمِ قَائِلِ هَائِيلَ وَمُظْلَمِ الْإِخْوَةِ الْأَتْقِيَاءِ
 وَسَمِعْتُمْ بِكَيْدِ أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ أَخَاهُمْ وَكُلِّهِمْ صَلَحَاءُ
 حِينَ أَلْقَوْهُ فِي غِيَابَةِ جُبٍّ وَرَمَوْهُ بِالْإِفْكِ وَهُوَ بَرَاءُ
 فَتَأَسَّوْا بِمَنْ مَضَى إِذْ ظَلَمْتُمْ فَالْتَأَسَّى لِلنَّفْسِ فِيهِ عَزَاءُ ^(١)
 أَتُرَاكُمْ وَفَنِينُمْ حِينَ خَانُوا أَمْ تَرَاكُمْ أَحْسَنْتُمْ إِذْ أَسَاءُوا
 بَلْ تَمَادَّتْ عَلَى التَّجَاهُلِ آبَاءُ ۖ تَقَفَّتْ آثَارَهَا الْأَبْنَاءُ ^(٢)
 بَيْنَتُهُ تَوَارِثُهُمْ وَالْأَنَاجِيلُ وَهُمْ فِي جُحُودِهِ شُرَكَاءُ ^(٣)
 إِنْ تَقُولُوا مَا بَيْنَتُهُ فَمَاذَا لَتْ بِهَا عَنْ عَيْنِهِمْ غَشَوَاءُ ^(٤)
 أَوْ تَقُولُوا قَدْ بَيْنَتُهُ فَمَا لِلْأُذُنِ عَمَّا تَقُولُهُ صَمَاءُ
 عَرَفُوهُ وَأَنْكَرُوهُ وَظُلْمًا كَتَمَتُهُ الشَّهَادَةُ الشَّهْدَاءُ
 أَوْ نُورُ الْإِلَهِ تُطْفِئُهُ الْأَفْسَافُ وَهُوَ الَّذِي بِهِ يُسْتَضَاءُ
 أَوْ لَا يُنْكَرُونَ مَنْ طَحَنَتْهُمْ بِرَحَاهَا عَنْ أَمْرِهِ الْهَيْجَاءُ
 وَكَسَاهُمْ ثَوْبَ الصَّغَارِ وَقَدْ طُلَّتْ دِمَا مِنْهُمْ وَصِيَّتْ دِمَاءُ ^(٥)
 كَيْفَ يَهْدِي الْإِلَهِ مِنْهُمْ قُلُوبًا حَشَوُهَا مِنْ حَبِيبِهِ الْبَغْضَاءُ

(١) تأسوا : اقتدوا . (٢) تماردت : استمرت . وتقفت : تثابتت .

(٣) الضمير في بينته : راجع على النبي محمد صلى الله عليه وسلم (٤) غشواء : ظلمة . (٥) طلت : أهدرت .

خَبَرُونَا أَهْلَ الْكِتَابِينَ مِنْ أَيُّنَ أَتَاكُمْ تُبْلِيْكُمْ وَالْبِدَاءُ^(١)
 مَا أَتَى بِالْعَقِيدَتَيْنِ كِتَابٌ وَاعْتِقَادٌ لَانَصِّ فِيهِ ادِّعَاءُ
 وَالِدَعَاوَى مَا لَمْ تُقِيمُوا عَلَيْهَا بَيِّنَاتٍ أَبْنَاوْهَا ادِّعِيَاءُ^(٢)
 لَيْتَ شَعْرَى ذِكْرُ الثَّلَاثَةِ وَالْوَا حِدِ نَقْصٌ فِي عَدِّكُمْ أَمْ تَمَاءُ
 كَيْفَ وَحَدَّثْتُمْ إِلَهُا نَفَى التَّوَّ حِيدَ عَنْهُ الْآبَاءُ وَالْأَبْنَاءُ
 إِلَهُهُ مُرَكَّبٌ مَا سَمِعْنَا بِإِلَهِ لَدَاتِهِ أَجْزَاءُ
 أَلِكُلِّ مِنْهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَهَلَّا تَمَيَّزُ الْأَنْصِبَاءُ
 أَمْ هُمْ حَلَّلُوا بِهَا شَرَكَةَ الْأَبْدَانِ أَمْ هُمْ لِبَعْضِهِمْ كُفْلَاءُ
 أَتَرَاهُمْ لِحَاجَةٍ وَاضْطِرَارٍ خَلَطُوهَا وَمَا بَنَى الْخُلَطَاءُ^(٣)
 أَهْوُ الرَّاكِبُ الْحَارَ فَيَا عَجْزَ إِلَهِ يَمْتَشُهُ الْإِعْيَاءُ
 أَمْ جَمِيعٌ عَلَى الْحَارِ لَقَدْ جَلَّ حِمَارٌ يَجْمَعُهُمْ مَشَاءُ
 أَمْ سِوَاهُمْ هُوَ إِلَهُهُ فَمَا نَسِ بِيَّةُ عَيْسَى إِلَيْهِ وَالْإِنْتِمَاءُ
 أَمْ أَرَدْتُمْ بِهَا الصِّفَاتِ فَلَمْ تُخَصِّصْ ثُلَاثٌ بِوصفه وَثْنَاءُ
 أَمْ هُوَ ابْنُ اللَّهِ مَا شَارَكَهُ فِي مَعَانِي النُّبُوَّةِ الْأَنْبِيَاءُ
 قَتَلْتَهُ الْيَهُودُ فِيمَا زَعَمْتُمْ وَلِأَمْوَاتِكُمْ بِهِ إِحْيَاءُ
 إِنَّ قَوْلًا أَطْلَقْتُمُوهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرًا لِقَوْلِهِ هُرَاءُ
 مِثْلُ مَا قَالَتْ الْيَهُودُ وَكُلُّ لَزِمَتُهُ مَقَالَةٌ شَنْعَاءُ
 إِذْ هُمْ اسْتَقَرُّوا الْبِدَاءُ وَكَمْ سَا قَ وَبَالًا إِلَيْهِمْ اسْتَقْرَاءُ

(١) البداء: هو ظهور مصلحة لله في شيء بعد خفائها عنه . (٢) يقول إن هذه الدعاوى باطلة .

(٣) الخلطاء : الشركاء .

وَأَرَاهِمُ لَمْ يَجْعَلُوا الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ فِي الْخَلْقِ فَاعْلَامًا مَا يَشَاءُ
 جَوَزُوا النَّسْخَ مِنْهُمَا جَوَزُوا الْمَسْخَ عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ قُتِلُوا^(١)
 هُوَ إِلَّا أَن يَرْفَعَ الْحُكْمَ بِالْحُكْمِ وَخَلَقَ فِيهِ وَأَمْرًا سَوَاءً
 وَالْحُكْمُ مِنَ الزَّمَانِ انْتِهَاءً وَالْحُكْمُ مِنَ الزَّمَانِ ابْتِدَاءً
 فَسَلُّوهُمْ أَكُنْ فِي مَسْخِهِمْ نَسْخٌ لآيَاتِ اللَّهِ أَمْ إِنِ شَاءَ
 وَبَدَأَ فِي قَوْلِهِمْ نَدِمَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِ آدَمَ أَمْ خَطَاةُ
 أَمْ حَمَّا اللَّهُ آيَةُ اللَّيْلِ ذِكْرًا بَعْدَ سَهْوٍ لِيُوجِدَ الْإِنْسَاءَ^(٢)
 أَمْ بَدَأَ لِلَّهِ فِي ذَنْحٍ إِسْحَا قَ وَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ فِيهِ مَضَاءً
 أَوْ مَا حَرَّمَ لِلَّهِ نِكَاحَ الْأَخْتِ بَعْدَ التَّحْلِيلِ فَهُوَ الزَّانَا
 لَا تُكْذِبُ إِنَّ الْيَهُودَ وَقَدْ زَا غَوَا عَنْ الْحَقِّ مَعْشَرُ لُؤْمَاءَ
 جَعَدُوا الْمُصْطَفَى وَأَمَنَ بِالطَّا غَوَتْ قَوْمٌ هُمْ عِنْدَهُمْ شُرَفَاءُ
 قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَاتَّخَذُوا الْعِجْلَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الشُّفَاءُ
 وَسَفِيهُ مِنْ سَاءِ الْمُنِّ وَالسَّلَاسِي وَأَرْضَاهُ الْقَوْمُ وَالْقِتَاءُ^(٣)
 مُلِئَتْ بِالْخَبِيثِ مِنْهُمْ بَطُونٌ فَهِيَ نَارٌ طَبَاقُهَا الْأَمْعَاءُ
 لَوْ أَرِيدُوا فِي حَالِ سَبْتٍ بِخَيْرٍ كَانَ سَبْتًا لَدَيْهِمْ الْأَرْبَعَاءُ^(٤)
 هُوَ يَوْمٌ مُبَارَكٌ قِيلَ لِلتَّصْرِيفِ فِيهِ مِنَ الْيَهُودِ اعْتِدَاءُ^(٥)

(١) النسخ: تبديل الحكم. والمسح: تبديل الصورة. يقول إن جواز المسح، وقد وقع من اليهود، يستلزم جواز النسخ الذي ينكرونه. (٢) ذكر بضم الذال: علم.

(٣) المن: الترنجيب، وهو حلوكا كان ينزل على بني إسرائيل في لثنيه من السماء. والسلاوي: طير السمانى. والقوم: الثوم.

(٤) السبت: معناه القطع. والأربعماء: هو اليوم الذى خلق الله فيه النور.

(٥) هو راجع على السبت. والتصريف: البيع والشراء.

فَظَلَمَ مِنْهُمْ وَكُفِرَ عَنْهُمْ طَيِّبَاتٌ فِي تَرْكِهِنَّ ابْتِلَاءٌ^(١)
خُدِعُوا بِالْمُنَافِقِينَ وَهَلْ يَنْفَعُ إِلَّا عَلَى السَّفِيهِ الشَّقَاءُ^(٢)
وَاطْمَأْنَوْا بِقَوْلِ الْأَحْزَابِ إِخْوَانِهِمْ إِنَّا لَكُمْ أَوْلِيَاءُ
حَالَفُوهُمْ وَخَالَفُوهُمْ وَلَمْ أَذَرِ لِمَاذَا تَخَالَفَ الْخُلَفَاءُ
أَسْلَمُوهُمْ لِأَوَّلِ الْخَشْرِ لَا مِيعَادُهُمْ صَادِقٌ وَلَا الْإِبْلَاءُ^(٣)
سَكَنَ الرُّغْبُ وَالْخُرَابُ قُلُوبًا وَبُيُوتًا مِنْهُمْ نَعَاهَا الْجَلَاءُ
وَبَيُومِ الْأَحْزَابِ إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ فِيهِمْ وَضَلَّتِ الْآرَاءُ
وَتَعَدَّوْا إِلَى النَّبِيِّ حَدُودًا كَانَ فِيهَا عَلَيْهِمُ الْعُدُوءُ^(٤)
وَنَهَتْهُمْ وَمَا انْتَهَتْ عَنْهُ قَوْمٌ فَأَيَّدَ الْأَمَّارُ وَالنَّهَاءُ
وَتَعَاطَوْا فِي أَحَدٍ مُنْكَرَ الْقَوْلِ وَنُطِقُوا الْأَرَاذِلِ الْقَوْرَاءُ
كُلٌّ رِجْسٌ يَزِيدُهُ الْخُلُقُ الشُّوْءُ سَفَاهَا وَالْمَلَّةُ الْعَوْجَاءُ
فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْقَوْمِ وَمَا سَاقَ لِلْبَيْدِيِّ الْبَدَاءُ
وَجَدَ السَّبَّ فِيهِ مُسَمًّا وَلَمْ يَدْرِ إِذٍ الْمِيمُ فِي مَوَاضِعَ بَاءٍ
كَانَ مِنْ فِيهِ قَتْلُهُ بِيَدَيْهِ فَهُوَ فِي سُوءٍ فَعَلَهُ الزَّبَّاءُ
أَوْ هُوَ النَّحْلُ قَرَضَهَا يَجْلُبُ الْخُتْفُ إِلَيْهَا وَمَا لَهُ إِنْكَاءُ^(٥)
صَرَعَتْ قَوْمَهُ حَبَائِلُ بَغْيٍ مَدَّهَا الْمَكْرُ مِنْهُمْ وَالْدَّهَاءُ
فَأَتَتْهُمْ خَيْلٌ إِلَى الْحَرْبِ تَحْتًا لُ وَلِلْخَيْلِ فِي الْوَعْيِ خَيْلَاءُ

(١) عدتهم : فاتتهم . (٢) يقول إن اليهود خدعهم المنافقون من الأوس والخزرج .

(٣) أسلم المنافقون اليهود في أول حشرهم ، أي جمعهم وإجلالهم من جزيرة العرب إلى الشام . والميعاد : الموعد .

(٤) العداء : الهلاك .

(٥) الإنكاء : التأثير القوي .

قَصَدَتْ فِيهِمُ الْقَنَا فَقَوَّافِي الطَّنِّ مِنْهَا مَا شَانَهَا الْإِطَاءُ^(١)
وَأَثَارَتْ بِأَرْضِ مَكَّةَ نَقْعًا ظَنَّ أَنَّ الْغُدُوَّ مِنْهَا عِشَاءُ
أَحْجَمَتْ عَنْدَهُ الْحُجُونَ وَأَكْدَى عِنْدَ إِعْطَائِهِ الْقَلِيلَ كَدَاءُ
وَدَهَتْ أَوْجُهًا بِهَا وَبِوُثَا مُلَّ مِنْهَا الْإِكْفَاءُ وَالْإِقْوَاءُ^(٢)
فَدَعَوْا أَهْلَ الْبَرِّيَّةِ وَالْعَفْوَ جَوَابُ الْحَلِيمِ وَالْإِغْضَاءُ
نَاشِدُوهُ الْقُرْبَى الَّتِي مِنْ قُرَيْشٍ قَطَعَتْهَا التَّرَاتُ وَالشَّحْنَاءُ^(٣)
فَعَفَا عَفْوًا قَادِرٍ لَمْ يُنْقَضْهُ عَلَيْهِمْ بِمَا مَضَى إِغْرَاءُ
وَإِذَا كَانَ الْقَطْعُ وَالْوَصْلُ لِلَّهِ تَسَاوَى التَّقْرِيبُ وَالْإِقْصَاءُ
وَسَوَاءٌ عَلَيْهِ فِيمَا أَتَاهُ مِنْ سِوَاهُ الْمَلَامُ وَالْإِطْرَاءُ
وَلَوْ أَنَّ انتِقَامَهُ لِهَوَى النَّفْسِ لَدَامَتْ قَطِيعَةٌ وَجَفَاءُ
قَامَ لِلَّهِ فِي الْأُمُورِ فَأَرْضَى اللَّهُ مِنْهُ تَبَايُنٌ وَوَفَاءُ
فَعَلَهُ كُلُّهُ جَمِيلٌ وَهَلْ يَنْضَحُ إِلَّا بِمَا حَوَاهُ الْإِنَاءُ
أَطْرَبَ السَّامِعِينَ ذِكْرُ عُلَاهُ يَا لِرَاحِ مَالَتْ بِهَا النَّدْمَاءُ
النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ أَعْلَمُ مَنْ أَسْنَدَ عَنْهُ الرِّوَاةُ وَالْحُكْمَاءُ
وَعَدَّتْنِي أَزْدِيَارُهُ الْعَامَ وَجَنَّا ۖ وَمَنْتَ بِوَعْدِهَا الْوَجْنَاءُ

(١) قصدت : أرادت الطمن . وقصدت من القصيد وهو الشعر ، ففيه تورية . والقافية بمعنى آخر البيت ،
وبمعنى ما وراء العنق ، ففيه تورية . والإيطاء : تكرير القافية في الشعر ، وتتابع الطمن هنا على الجواز ، ففيه تورية .
(٢) الإكفاء في الشعر : المخالفة بين حروف أواخره . ومعناه هنا : انكفاء تلك الوجوه على الناس لتحميمها .
والإقواء في الشعر اختلاف حركات إعراب روى القافية بين رفع وخفض . ومعناه كذلك خلو الدار من السكان ،
فهى كلتا الكلمتين تورية . (٣) الترات جمع ترة : وهي النار .

أَفَلَا أَنْطَوَى لَهَا فِي أَفْتَضَائِهِ لَتُطَوَى مَا يَنْنَا الْأَفْلَاهُ (١)
 بَأُلُوفِ الْبَطْحَاءِ يُجْفَلُهَا النَّيْلُ وَقَدْ شَفَّ جَوْفَهَا الْإِظْمَاءُ (٢)
 أَنْكَرَتْ مِصْرَ فَهِيَ تَنْفِرُ مَا لَا حَ بْنَاءَ لِعَيْنِهَا أَوْ خَلَاءُ
 فَأَقْضَتْ عَلَى مَبَارِكِهَا بَرْ كَتَهَا فَالْبُؤْيُبُ فَالْخَضْرَاءُ (٣)
 فَالْقَبَابُ الَّتِي تَلِيهَا فَبِئْرُ النَّخْلِ وَالرَّكْبُ قَائِلُونَ رِوَاءُ
 وَغَدَتْ أَيْلَةً وَحِقْلٌ وَقُرٌّ خَلْفَهَا فَالْمَعَارَةُ الْفَيْحَاءُ
 فَعِيُونَ الْأَقْصَابِ يَتَّبِعُهَا النَّبْكَ وَيَتَلَوُ كُفَافَةَ الْعَوْجَاءِ
 حَاوَرَتْهَا الْحَوْرَاءُ شَوْقًا فَيَنْبُو عُ فَرَّقَ الْيَمْوُوعُ وَالْحَوْرَاءُ
 لَاحَ بِالْدَّهْنَوَيْنِ بَدَرٌ لَهَا بَعْدَ حُنَيْنٍ وَحَنَّتِ الصَّفْرَاءُ
 وَنَضَتْ بَرْوَةً فَرَابِغُ فَالْجُحْفَةُ عَنْهَا مَا حَاكَه الْإِنْضَاءُ (٤)
 وَأَرْتَهَا اخْتِلَاصَ بَرْ عَلِيٍّ فَعَقَابُ السَّوِيْقِ فَالْخُلْصَاءُ
 فَهِيَ مِنْ مَاءِ بَرْ عُسْفَانَ أَوْ مِنْ بَطْنِ مَرٍّ ظَمَانَةٌ خَمَصَاءُ (٥)
 قَرَبَ الزَّاهِرِ الْمَسَاجِدُ مِنْهَا بِخَطَاهَا فَالْبُطْءُ مِنْهَا وَحَاءُ (٦)
 هَذِهِ عِدَّةُ الْمَنَازِلِ لَا مَا عُدَّ فِيهِ السَّمَاءُ وَالْعَوَاءُ (٧)
 فَكَأَنِّي بِهَا أَرْحَلُ مِنْ مَكَّةَ شَمْسًا سَمَاوُهَا الْبَيْدَاءُ
 مَوْضِعُ الْبَيْتِ مَهَيْطُ الْوَحْيِ مَاوِي الرُّ سُلِّ حَيْثُ الْأَنْوَارُ حَيْثُ الْبَهَاءُ
 حَيْثُ فُرْضُ الطَّوَافِ وَالسَّعْيُ وَالْخُلُقُ وَرَمَى الْجِمَارُ وَالْإِهْدَاءُ
 حَبْدًا حَبْدًا مَعَاهِدُ مِنْهَا لَمْ يُغَيَّرْ آيَاتُهَا الْبِلَاءُ

(١) أضْمِ نَفْسِي عَلَى تِلْكَ الْوُجُنَاءِ . (٢) يُجْفَلُهَا : يَزْعَجُهَا . وَشَفَّ : أَنْحَلَ .

(٣) الْبَرَكَةُ وَمَا بَعْدَهَا : أَسْمَاءُ مَنَازِلِ الْحَجِّ مِنْ مَكَّةَ . (٤) نَضَتْ : خَلَعَتْ . وَالْإِنْضَاءُ : الْهَزَالُ .

(٥) خَمَصَاءُ : جَانِمَةٌ . (٦) الْوَحَاءُ : الْمَرَعَةُ . (٧) السَّمَاءُ وَالْعَوَاءُ : مِنْ مَنَازِلِ الْقَمَرِ .

حَرَمٌ آمِنٌ وَبَيْتٌ حَرَامٌ وَمَقَامٌ فِيهِ الْمَقَامُ تَسْلَاهُ^(١)
فَقَضَيْنَا بِهَا مَنَاسِكَ لَا يُحْمَدُ إِلَّا فِي فِعْلِهِنَّ الْقَضَاءُ
وَرَمَيْنَا بِهَا الْفِجَاجَ إِلَى طَيْبَةِ وَالسَّيْرِ بِالْمَطَايَا رِمَاءُ^(٢)
فَأَصْبْنَا عَنْ قُوْسِهَا غَرَضَ الْقُرْبِ بِ وَنِعْمَ الْخَلِيبَةُ الْكُومَاءُ^(٣)
فَرَأَيْنَا أَرْضَ الْحَبِيبِ يُغْضُ الطَّرْفَ مِنْهَا الضِيَاءُ وَالْأَلْأَلَاءُ
فَكَانَ الْبَيْدَاءُ مِنْ حَيْثُ قَا بَلَّتِ الْعَيْنَ رَوْضَةً غَنَاءُ
وَكَانَ الْبِقَاعُ زَرَّتْ عَلَيْهَا طَرَفُهَا مَلَاءَةٌ خَمْرَاءُ
وَكَانَ الْأَرْجَاءُ تَنْشُرُ نَشْرَ الْمِسْكِ فِيهَا الْجَنُوبُ وَالْجَرِيَاءُ^(٤)
فَإِذَا شِمَتْ أَوْ شِمَتْ رَبَّاهَا لَاحَ مِنْهَا بَرْقٌ وَفَاحَ كِبَاءُ^(٥)
أَيَّ نَوْرٍ وَأَيَّ نَوْرٍ شَهَدْنَا يَوْمَ أَبَدَتْ لَنَا الْقِيَابَ قُبَاءُ
قَرَّ مِنْهَا دَمْعِي وَفَرَّ اضْطَبَّارِي فَدُمُوعِي سَيْلٌ وَصَبْرِي جُفَاءُ
فَتَرَى الرَّكْبَ طَائِرِينَ مِنَ الشَّوْ قِ إِلَى طَيْبَةِ لَهْمٌ صَوْنُضَاءُ
وَكَانَ الزُّوَارَ مَا مَسَّتِ الْبُأُ سَاهٍ مِنْهُمْ خَلْقًا وَلَا الضَّرَاءُ
كُلُّ نَفْسٍ مِنْهَا ابْتِهَالٌ وَسُؤْلٌ وَدُعَاءُ وَرَغْبَةٌ وَأُبْتَقَاءُ
وَزَفِيرٌ تَظُنُّ مِنْهُ صُدُورًا صَادِحَاتٍ يَعْتَادُهُنَّ زُقَاءُ^(٦)
وَبُكَاءٌ يُغْرِيه بِالْعَيْنِ مَدَّةٌ وَنَحِيبٌ يَحْتُمُهُ اسْتِعْلَاءُ
وَجُسُومٌ كَأَنَّهَا رَحَضَتْهَا مِنْ عَظِيمِ الْمَهَابَةِ الرَّحَضَاءُ^(٧)

(١) التلاوة : الجوار . (٢) الرماء : الرمي ، شبه الإبل بالسهام .

(٣) الغرض : ما يرى بالسهام . والغرض : المقصد ، ففيه تورية . والخليفة : الذخيرة . والكوماء : اللذاقة العظيمة السنام . (٤) الجرياء : ريح الشمال . (٥) شمت : نظرت . والكباء : عود البخور .

(٦) الزقواء : صوت الطيور . (٧) رحضتها : غسلتها . والرحضاء : العرق الكثير في أثر الحمى .

وَوَجُوهٌ كَأَنَّهَا الْبَسْمَةُ مِنْ حَيَاءِ أَلْوَانِهَا الْحَرَبَاءُ
وَدُمُوعٌ كَأَنَّهَا أُرْسَلَتْهَا مِنْ جُفُونٍ سَجَابَةٌ وَطَفَاءُ
مُحَطَّطْنَا الرِّحَالِ حَيْثُ يَحِطُّ الْوِزْرُ عَنَّا وَتَرْفَعُ الْحَوَاجَاءُ^(١)
وَقَرَأْنَا السَّلَامَ أَكْرَمَ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ يُسْمَعُ الْإِقْرَاءُ
وَذَهَلْنَا عِنْدَ اللَّقَاءِ وَكَمْ أَذً هَلَّ صَبَابًا مِنَ الْحَبِيبِ لِقَاءُ
وَوَجَنَّا مِنَ الْمَهَابَةِ حَتَّى لَا كَلَامَ مِنَّا وَلَا إِيْمَاءَ
وَرَجَعْنَا وَلِلْقُلُوبِ التَّفَاتَا تَ إِلَيْهِ وَلِلْجُسُومِ اُنْتِنَاءُ
وَسَمَحْنَا بِمَا نُحِبُّ وَقَدْ يَسْمَحُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ الْبُخْلَاءُ
يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي ضَمِنَ إِقْسَا مِي عَلَيْهِ مَذْحُ لَهُ وَتَنَاءُ
بِالْعُلُومِ الَّتِي عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ بِلَا كَاتِبٍ لَهَا إِثْلَاءُ
وَمَسِيرِ الصَّبَا بِنَصْرِكَ شَهْرًا فَكَأَنَّ الصَّبَا لَدَيْكَ رُخَاءُ
وَعَلَى لَمَّا تَفَلَّتَ بِعَيْنَيْهِ وَكَلْتَاهَا مَعًا رَمْدَاءُ
فَقَدْ نَاطَرًا بِعَيْنَيْ عُقَابٍ فِي غَزَاةٍ لَهَا الْعُقَابُ لَوَاءُ^(٢)
وَبَرِيحَانَتَيْنِ طَيِّبُهُمَا مِنْكَ الَّذِي أَوْدَعَتْهُمَا الزَّهْرَاءُ^(٣)
كُنْتَ تُؤْوِيهِمَا إِلَيْكَ كَمَا آوَتْ مِنْ الْخَطِّ تُقَطِّعُهَا الْيَاءُ
مِنْ شَهِيدَيْنِ لَيْسَ يُنْسِنِي الطَّفُّ مُصَابِيَهُمَا وَلَا كَرَّ بَلَاءُ^(٤)
مَا رَعَى فِيهِمَا ذِمَامَكَ مَرَهُو سٌ وَقَدْ خَانَ عَهْدَكَ الرُّؤْسَاءُ^(٥)

(١) الحَوَاجَاءُ : الحاجة . (٢) الْعُقَابُ : طائر . وَالْعُقَابُ الثَّانِي : اسم لراية النبي السوداء .

(٣) الْبَرِيحَانَتَانِ : هما الحسن والحسين سبطا الرسول .

(٤) الشَّهِيدَانِ : هما الحسن والحسين ، فالأول مات مسموماً ، والثاني قتل في الطف . (٥) الدِّمَامُ : العهد .

أَبْدَلُوا الْوُدَّ وَالْحَفِظَةَ فِي الْقُرَى بَنِي وَأَبْدَتِ ضَبَابُهَا النَّافِقَةَ (١)
وَقَسَتْ مِنْهُمْ قُلُوبٌ عَلَى مَنْ بَكَتِ الْأَرْضُ فَقَدِمَ وَالسَّمَاءُ
فَانْبَكَيْتُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ إِنْ قَلِيلًا فِي عَظِيمٍ مِنَ الْمَصَابِ الْبُكَاءُ
كُلُّ يَوْمٍ وَكُلُّ أَرْضٍ لِكَرْبِي مِنْهُمْ كَرْبًا وَعَاشُورَاءَ
آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ إِنْ فُؤَادِي لَيْسَ يُسْلِيهِ عَنْكُمْ النَّسَاءُ
غَيْرَ أَنِّي فَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ وَتَفَوَّضِي الْأُمُورَ بَرَاءَ (٢)
رُبِّ يَوْمٍ بِكَرْبَلَاءَ مُسِيءٍ خَفَّفَتْ بَعْضَ وَزْرِهِ الزَّوْرَاءُ (٣)
وَالْأَعَادِي كَانَ كُلَّ طَرِيجٍ مِنْهُمْ الرِّقُّ حُلَّ عَنْهُ الْوِكَاءُ (٤)
آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ طَبِئْتُمْ فَطَابَ الْمَدْحُ لِي فِيكُمْ وَطَابَ الرَّثَاءُ
أَنَا حَسَّانُ مَدْحِكُمْ فَإِذَا نُحِيتُ عَلَيْكُمْ فَإِنِّي الْخَنَسَاءُ
سُدَّتُمْ النَّاسَ بِالْتَّقَى وَسِوَاكُمْ سَوَدَّتْهُ الْبَيْضَاءُ وَالصَّفْرَاءُ
وَبِأَصْحَابِكِ الَّذِينَ هُمْ بَعْدَكَ فِينَا الْهُدَاةُ وَالْأَوْصِيَاءُ
أَحْسَنُوا بَعْدَكَ الْخِلَافَةَ فِي الدِّينِ وَكُلُّ لِمَا تَوَلَّى إِزَاءَ (٥)
أَغْنِيَاءَ نَزَاهَةَ فَقَرَاءَ عُلَمَاءَ أُمَّةٍ أُمَرَاءَ
زَهْدُوا فِي الدُّنَا فَمَا عُرِفَ لِلْمَيْلِ إِلَيْهَا مِنْهُمْ وَلَا الرَّغْبَاءُ
أَرْخَصُوا فِي الْوَعَى نُفُوسَ مُلُوكٍ حَارَبُوهَا أَسْلَابُهَا إِغْلَاءُ
كُلُّهُمْ فِي أَحْكَامِهِ ذُو اجْتِهَادٍ وَصَوَابٍ وَكُلُّهُمْ أَكْفَاءُ

(١) جعر تتخذ اليرابيع . وقوله أبدلوا الود : فيه إشارة إلى آية « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى » . (٢) براء : أى براءة من حول وقوق .
(٣) يقول : إن بنى العباس قد خففوا من المصائب العظمى الذى وقع على آل البيت بانتقامهم من بنى أمية .
(٤) الوكاء : ما يشد به رأس الزق . يقول إن الأعداء قد سالت دماؤهم . (٥) إزاء : أهل لما تولا .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ فَأَنبَأَ يَحْطُو إِلَيْهِمْ خَطَاهُ
جَاءَ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ بَحْقٍ وَطَلَى الْمَنْهَجَ الْحَنِيفِيَّ جَاءُوا
مَالِمْسَى وَلَا لِعِيسَى حَوَارِثُونَ فِي فَضْلِهِمْ وَلَا نُقَبَاءَ
بِأَبِي بَكْرٍ الَّذِي صَحَّ لِلنَّاسِ بِهِ فِي حَيَاتِكَ الْإِقْتِدَاءَ
وَالْمُهْدَى يَوْمَ السَّقِيفَةِ لَمَّا أَرْجَفَ النَّاسُ، أَنَّهُ الدَّاءُ (١)
أَنْقَذَ الدِّينَ بَعْدَ مَا كَانَ لِلدِّينِ عَلَى كُلِّ كُرْبَةٍ إِشْفَاءُ (٢)
أَنْفَقَ الْمَالَ فِي رِضَاكَ وَلَا مَنٌّ وَأَعْطَى جَعًا وَلَا إِكْدَاءَ (٣)
وَأَبَى حَفْصُ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهَ بِهِ الدِّينَ فَارْعَوَى الرُّقَبَاءَ
وَالَّذِي تَقَرَّبُ الْأَبَاعِدُ فِي اللَّهِ إِلَيْهِ وَتَبْعُدُ الْقُرَبَاءَ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَنْ قَوْلُهُ الْفَضْلُ وَمَنْ حُكْمُهُ السَّوِيُّ السَّوَاءُ
فَرَّ مِنْهُ الشَّيْطَانُ إِذْ كَانَ فَارُو قًا فَلِلنَّارِ مِنْ سَنَاهُ أَنْبَاءُ
وَأَبْنِ عَفَّانَ ذِي الْأَيْدِي الَّتِي طَالَ إِلَى الْمِصْطَفَى بِهَا الْإِسْدَاءُ
حَفَرِ الْبَيْتِ جَهْزَ الْجَيْشِ أَهْدَى الْهَدَى لَمَّا أَنْ صَدَّه الْأَعْدَاءُ
وَأَبَى أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ إِذْ لَمْ يَدْنُ مِنْهُ إِلَى النَّبِيِّ فَنَاءُ
لَحْزَتُهُ عَنْهَا بِبَيْعَةِ رِضْوَانٍ يَدُّ مِنْ نَبِيِّهِ بَيْضَاءُ
أَدَبٌ عِنْدَهُ تَضَاعَفَتِ الْأَعْمَالُ بِالتَّزَكُّ حَبَّذَا الْأَدَبَاءُ
وَعَلَى صِنُوفِ النَّبِيِّ وَمَنْ دِينَ فُؤَادِي وَدَادُهُ وَالْوَلَاءُ
وَوَزِيرِ ابْنِ عَمِّهِ فِي الْمَعَالِي وَمِنْ الْأَهْلِ تَسْعِدُ الْوُزَرَاءُ

(١) الداء : الوباء المظلمة في آخر الشهر ، يريد أن الفتن ستزول بالمسلمين مثل ظلام الليل آخر الشهر .

(٢) الإشفاء : الإشراف على الشيء . (٣) الإكداء : قطع المطاء .

لَمْ يَزِدْهُ كَشْفُ الْغِطَاءِ يَقِينًا بَلْ هُوَ الشَّمْسُ مَا عَلَيْهِ غِطَاءُ
وَبِاقِي أَصْحَابِكَ الْمُظْهِرِ التَّزَّ تِيبِ فِينَا تَفْضِيلُهُمُ وَالْوَلَاءُ
طَلَحَةِ الْخَيْرِ الْمُرْتَضِيهِ رَفِيقًا وَاحِدًا يَوْمَ فَرَّتِ الرُّفْقَاءُ^(١)
وَحَوَارِيكَ الرَّزِيزِ أَبِي الْقَرَمِ مَ الَّذِي أُتَجَبَّتْ بِهِ أَسْمَاءُ
وَالصَّفِيِّينَ تَوْءَمَ الْفَضْلِ سَعْدٍ وَسَعِيدٍ إِنْ عُدَّتِ الْأَصْفِيَاءُ
وَابْنِ عَوْفٍ مَنِ هَوَّنَتْ نَفْسُهُ الدُّنْيَا بِبَدَلٍ يُعِدُّهُ إِثْرًا
وَالْمَكِّيَّ أَبَا عُبَيْدَةَ إِذْ يَعْزِي إِلَيْهِ الْأَمَانَةَ الْأَمْنَاءُ
وَبِعَمِّكَ تَيَّرَنِي فَلَاكِ الْمَجْدِ وَكُلُّ أَتَاءٍ مِنْكَ إِتَاءُ^(٢)
وَبَأْمُ السُّبْطَيْنِ زَوْجٍ عَلِيٍّ وَبَيْنِهَا وَمَنْ حَوَّنَهُ الْعَبَاءُ^(٣)
وَبَأَزْوَاجِكَ اللَّوَاتِي تَشَرَّفْنَ بِأَنْ صَاهَنَنَّ مِنْكَ بِنَاءُ^(٤)
الْأَمَانَ الْأَمَانَ إِنْ فُؤَادِي مِنْ ذُنُوبٍ أَتَيْتَهُنَّ هَوَاءُ^(٥)
قَدْ تَمَسَّكَتُ مِنْ وَدَادِكَ بِالْحُبْلِ الَّذِي اسْتَمْسَكَتُ بِهِ الشَّفَعَاءُ
وَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَمَسَّنِي السُّؤُ بِحَالٍ وَلِي إِلَيْكَ التَّجَاءُ
قَدْ رَجَوْنَاكَ لِلْأُمُورِ الَّتِي أَبْرَدُهَا فِي فُؤَادِنَا رَمَضَاءُ^(٦)
وَأَتَيْنَا إِلَيْكَ أَنْضَاءَ قَمَرٍ حَمَلْتَنَا إِلَى الْغِنَى أَنْضَاءُ^(٧)
وَانْطَوَّتْ فِي الصَّدُورِ حَاجَاتُ نَفْسٍ مَالَهَا عَنْ نَدَى يَدَيْكَ انْطَوَاءُ

(١) إشارة إلى غزوة أحد . (٢) الإتياء : التناء وما يخرج من الشجر من الأثمار .

(٣) إشارة إلى ما قيل من أن النبي لف الحسن والحسين بعباءة من صوف حين نزلت آية « إنما يريد الله

ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » وأهل العباء هم النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين .

(٤) البناء : الدخول بانزوجة ، ويحتمل معنى آخر وهو ، أبنية الرسول ، ففيه تورية . (٥) هواء : خال .

(٦) الرمضاء : الحجارة الحامية من حر الشمس . (٧) الأنضاء : المهازيل ، جمع نضو ، بالكسر .

فَأَغْنِنَا يَأْمَنُ هُوَ النَّوْثُ وَالْغَيْثُ إِذَا أَجْهَدَ الْوَرْدَى الْأَلْوَاهُ
وَالْجَوَادُ الَّذِي بِهِ تُفَرِّجُ الْعَمَّةُ عَنَا وَتُكْشِفُ الْحَوْبَاءُ ^(١)
يَارْحِمَا بِالْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا ذَهَلَتْ عَنْ أَبْنَائِهَا الرُّحَمَاءُ
يَاشْفِعَا فِي الْمَذْنِبِينَ إِذَا أَشْفَقَ مِنْ خَوْفِ ذَنْبِهِ الْبُرَّاءُ
جُدْ لِعَاصٍ وَمَا سِوَايَ هُوَ الْعَا صِي وَلَكِنْ تَنْكَرِي اسْتَحْيَاءُ
وَتَذَارَكُهُ بِالْعَنَاءِ مَا دَا مَا لَهُ بِالذَّمَامِ مِنْكَ ذَمَاءُ ^(٢)
أَخْرَجَتْهُ الْأَعْمَالُ وَالْمَالُ عَمَّا قَدَّمَ الصَّالِحُونَ وَالْأَغْنِيَاءُ
كُلَّ يَوْمٍ ذُنُوبُهُ صَاعِدَاتٌ وَعَلَيْهَا أَنْفَاسُهُ صُعَدَاءُ ^(٣)
أَلِفَ الْبِطْنَةِ الْبِطْنَةُ السَّيْرِ بَدَارِهَا الْبِطَانُ بَطَاءُ ^(٤)
فَبِكِي ذَنْبَهُ بِقَسْوَةِ قَلْبٍ نَهَتْ الدَّمْعَ فَالْبُكَاءُ مُكَاءُ ^(٥)
وَعَدَا يَعْتَبُ الْقَضَاءُ وَلَا عُذْرَ لِعَاصٍ فِيمَا يَسُوقُ الْقَضَاءُ
أَوْ تَقْتَهُ مِنَ الذُّنُوبِ دُيُونٌ شَدَّدَتْ فِي اقْتِضَائِهَا الْفُرْمَاءُ ^(٦)
مَالَهُ حِيلَةٌ سِوَى حِيلَةِ الْمُو ثَقٍ إِمَّا تَوَشَّلَ أَوْ دُعَاءُ
رَاجِيًا أَنْ تَعُودَ أَعْمَالُهُ الشُّو ۝ بِفُتْرَانِ اللَّهِ وَهِيَ هَبَاءُ
أَوْ تَرَى سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ فَيَقَالُ اسْتَحَالَتِ الصَّهْبَاءُ ^(٧)
كُلُّ أَمْرٍ تُغْنِي بِهِ تَقْلُبُ الْأَغْيَانُ فِيهِ وَتَعْجَبُ الْبُصْرَاءُ
رُبَّ عَيْنٍ تَقَلَّتْ فِي مَاهَا الْمِلْحَ فَأَضْحَى وَهُوَ الْفَرَاتُ الرَّوَاءُ ^(٨)

(١) الحوباء : النفس . استعملها بدل الحوب ، بالضم ، وهو الجهد والحاجة أو النهم والهم .

(٢) للذماء : بقية الروح . (٣) الصعداء : النفس المتواتر الممدود .

(٤) البطنة : النهم في الطعام والشراب . وبتين : كبير البطن . وبطاء : جمع بطيء .

(٥) المكاء : الصغير . (٦) الفرماء : أصحاب الديون .

(٧) استحالت الصهباء : أى صارت خلا ، فتحل للشرب . (٨) الفرات : العذب . والرواء : المروى .

آهِ مَا جَنَيْتُ إِنْ كَانَ يُغْنِي أَلْفٌ مِنْ عَظِيمِ ذَنْبٍ وَهَاهُ
 أَرْتَجِي التَّوْبَةَ النَّصُوحَ وَفِي الْقَلْبِ نَفَاقٌ وَفِي اللِّسَانِ رِيَاءٌ
 وَمَتَى يَسْتَقِيمُ قَلْبِي وَلِلْجَسَمِ اعْوَجَاجٌ مِنْ كِبَرَتِي وَإِنْخِءَاءٌ
 كُنْتُ فِي نَوْمَةِ الشَّبَابِ فَمَا اسْتَيْقَظْتُ إِلَّا وَلَيْتِي شَمَطَاءُ^(١)
 وَتَمَادَيْتُ أَقْتَنِي أَثَرَ الْقَوْرِ مِ فَطَالَتْ مَسَافَةٌ وَاقْتِفَاءُ
 فَوْرًا السَّائِرِينَ وَهُوَ أَمَامِي سُبُلٌ وَعَرَّةٌ وَأَرْضٌ عَرَاءُ
 حَمْدَ الْمُدْلُجُونَ غِيبَ سُرَاهِمَ وَكُنِي مَنْ تَخَلَّفَ الْإِبْطَاءُ^(٢)
 رَحْلَةً لَمْ يَزَلْ يُفَنِّدُنِي الصَّيْفُ إِذَا مَا نَوَيْتُهَا وَالشِّتَاءُ^(٣)
 يَتَّبِعِي حُرٌّ وَجَهِي الْحَرَّ وَالْبَرَّ دَ وَقَدْ عَزَّ مِنْ لَطَى الْإِتْقَاءِ^(٤)
 ضَمَقْتُ ذَرْعًا مِمَّا جَنَيْتُ فَيَوْمِي قَطَرِيرٌ وَلَيْتِي دَرْعَاءُ^(٥)
 وَتَذَكَّرْتُ رَحْمَةَ اللَّهِ فَالْبِشْرُ لَوْجَهِي أَنِّي انْتَحَى تِلْقَاءُ^(٦)
 فَأَلَحَّ الرَّجَاءُ وَالْخَوْفُ بِالْقَلْبِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَا إِخْفَاءُ^(٧)
 صَاحٍ لَا تَأْسُ إِنْ ضَمَعْتُ عَنِ الطَّا عَةٍ وَاسْتَأْنَرْتُ بِهَا الْأَقْوِيَاءُ
 إِنَّ لِلَّهِ رَحْمَةً وَأَحَقُّ النَّاسِ مِنْهُ بِالرَّحْمَةِ الضُّعَفَاءُ
 فَابْقِي فِي الْعُرْجِ عِنْدَ مُنْقَلَبِ الدَّوْرِ دِ فِي الْعَوْدِ تَسْبِقُ الْعَرْجَاءُ^(٨)
 لَا نَقْلُ حَاسِدًا لِعَيْرِكَ هَذَا أَثْمَرْتُ نَخْلَهُ وَنَخْلِي عَفَاءُ^(٩)

(١) اللمة : الشعر المجاوز لشحمة الأذن . والشمطاء : المختلطة السواد بالبياض .

(٢) الإدلاج : السير أول الليل . وغب سراهم : عاقبه .

(٣) يفندني : يكذبني . (٤) حروجهي : ما يبدو منه .

(٥) قطريير : شديد . والدراء : المظلمة . (٦) انتحى : توجه .

(٧) إخفاء ، منازعة . (٨) العود : قافلة الإبل . (٩) عفاء : لا ثمر لها ، كأنها الدار المقفرة .

وَأَنْتِ بِالْمُسْتَطَاعِ مِنْ عَمَلِ الْبِرِّ قَدْ تُسْقِطُ الثَّمَارَ الْإِتَاءَ^(١)
وَمِحْبَبَّ النَّبِيِّ فَانْبَغِ رِضَى اللَّهِ فِي حُبِّهِ الرِّضَا وَالْحِبَاءَ^(٢)
يَا نَبِيَّ الْهَدَى اسْتَغَاثَةً مَلُوهٍ فِي أَضْرَتِ بِحَالِهِ الْخَوْبَاءَ
يَدْعَى الْحُبَّ وَهُوَ يَأْمُرُ بِالسُّوِّ وَمَنْ لِي أَنْ تَصْدُقَ الرَّغْبَاءَ^(٣)
أَيُّ حُبٍّ يَصِحُّ مِنْهُ وَطَرَفِي لِلْكَرَى «وَاصِلٌ» وَطَيْفُكَ رَأَى^(٤)
لَيْتَ شِعْرِي أَذَلِكَ مِنْ عُظُمِ ذَنْبٍ أَمْ حُطُوطُ الْمُتَمِّمِينَ حُطَاءَ^(٥)
إِنْ يَكُنْ عُظُمُ زَلَّتِي حَجَبَ رُؤْيَا لَكَ فَقَدْ عَزَّ دَاءُ قَلْبِي الدَّوَاءَ
كَيْفَ يَصْدَأُ بِالذَّنْبِ قَلْبٌ مُحِبٌّ وَلَهُ ذِكْرُكَ الْجَمِيلُ جِلَاءَ
هَذِهِ عَلَّتِي وَأَنْتَ طَبِيبِي لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ فِي الْقَلْبِ دَاءُ
وَمِنْ الْفَوْزِ أَنْ أَبْشِكَ شَكْوَى هِيَ شَكْوَى إِلَيْكَ وَهِيَ اقْتِضَاءُ
ضُمْنَتِهَا مَدَامُحُ مُسْتَطَابٍ فَيْكَ مِنْهَا الْمَدِيحُ وَالْإِصْغَاءُ
قَلَمًا حَاوَلْتُ مَدِيحَكَ إِلَّا سَاعَدَتْهَا مِيْمٌ وَدَالٌ وَحَاءُ
حَقَّ لِي فِيكَ أَنْ أُسَاجِلَ قَوْمًا سَلَّمَتْ مِنْهُمْ لَدَلْوِي الدَّلَاءُ^(٦)
إِنَّ لِي غَيْرَةً وَقَدْ زَاخَمْتَنِي فِي مَعَانِي مَدِيحِكَ الشُّعْرَاءُ
وَلَقَابِي فِيكَ الْعُلُوُّ وَأَنْتَى لِلْسَانِي فِي مَدْحِكَ الْغُلَوَاءُ^(٧)
فَأَنْبِ خَاطِرًا يَلِدُّ لَهُ مَدْحٌ حُكٌ عِلْمًا بَأَنَّهُ اللَّالَاءُ^(٨)

(١) الإِتَاءُ : ربيع النخلة وزكاؤها وكثرة ثمرها . (٢) الحِبَاءُ : العطاء .

(٣) الرِّغْبَةُ فِي التَّوْبَةِ . (٤) وَاصِلٌ بِنِ عَطَاءِ الَّذِي كَانَ لَا يَنْطِقُ بِالرَّاءِ .

(٥) حُطَاءُ : جَمْعُ حُطْوَةٍ ، وَهِيَ الْمَكَانَةُ . (٦) أُسَاجِلُ : أَفَاخِرُ .

(٧) الْغُلَوَاءُ : مَجَاوِزَةُ الْحَدِّ . (٨) اللَّالَاءُ : الْفَرَحُ التَّامُّ .

حَاكَ مِنْ صَنْعَةِ الْقَرِيضِ بُرُودًا لَكَ لَمْ تَحْكِ وَشِبْهَا صَنْعَاءَ
 أَعْجَزَ الدَّرَّ نَظْمُهُ فَاسْتَوَتْ فِيهِ الْيَدَانِ الصَّنَاعُ وَالْخِرْقَاءُ
 فَأَرْضَهُ أَفْصَحَ أَمْرِي نَظْمُ الضَّاءِ دَقَقَاتُ تَغَارُ مِنْهَا الظَّاءُ
 أَبْذَكَرَ الْآيَاتِ أَوْفِيكَ مَدْحًا أَيْنَ مِنِّي وَأَيْنَ مِنْهَا الْوَفَاءُ
 أَمْ أُمَارِي بِهِنَّ قَوْمَ نَبِيٍّ سَاءَ مَا ظَنَّهُ بِي الْأَغْيَاءُ
 وَلَكَ الْأُمَّةُ الَّتِي غَبَطَتَهَا بِكَ لَمَّا أُتِيَتْهَا الْأَنْبِيَاءُ
 لَمْ تَخَفْ بِعَدَاكَ الضَّلَالِ وَفِينَا وَارْتَوْ نُورِ هَدْيِكَ الْعُلَمَاءُ
 فَانْقَضَتْ آيُ الْأَنْبِيَاءِ وَآيَا تُكَ فِي النَّاسِ مَا لَهُنَّ انْقِضَاءُ
 وَالْكَرَامَاتُ مِنْهُمْ مُعْجَزَاتُ حَاذَهَا مِنْ نَوَالِكَ الْأَوْلِيَاءِ
 إِنَّ مِنْ مُعْجَزَاتِكَ الْعَجْزَ عَنْ وَصْفِكَ إِذْ لَا يَحُدُّهُ الْإِحْصَاءُ
 كَيْفَ يَسْتَوْعِبُ الْكَلَامُ سَجَايَاكَ وَهَلْ تَنْزِجُ الْبَحَارَ الرَّكَاةَ ^(١)
 لَيْسَ مِنْ غَايَةٍ لَوْ صَفَيْكَ أَنْبِيَاهَا وَلِلْقَوْلِ غَايَةٌ وَاتِّهَاءُ
 إِنَّمَا فَضْلُكَ الزَّمَانُ وَآيَا تُكَ فِيمَا نَعُدُّهُ الْآنَاءُ
 لَمْ أَطْلُقْ فِي تَعْدَادِ مَدْحِكَ نَظْمِي وَمُرَادِي بِذَلِكَ اسْتِقْصَاءُ
 غَيْرَ أَنِّي طَمَآنُ وَجِدٍ وَمَالِي بِقَلِيلٍ مِنَ الْوُرُودِ ارْتِبَاءُ
 فَسَلَامٌ عَلَيْكَ تَتَرَى مِنَ اللَّهِ وَتَبْقَى بِهِ لَكَ الْبَأْوَاءُ ^(٢)
 وَسَلَامٌ عَلَيْكَ مِنْكَ فَمَا غَيْرُكَ مِنْهُ لَكَ السَّلَامُ كِفَاءُ
 وَسَلَامٌ مِنْ كُلِّ مَا خَلَقَ اللَّهُ لِتَحْيَا بِذِكْرِكَ الْأُمَلَاءُ ^(٣)

(١) الركاء جمع ركوة ، وهو إناء صغير من الجلد يشرب فيه الماء . (٢) البأواء : الفقر .

(٣) الأملاء : جمع ملأ ، وهو الجماعة .

وَصَلَاةٌ كَالْمِسْكِ تَحْمِلُهُ مِنِّي شَمَالٌ إِلَيْكَ أَوْ نَكْبَاءٌ^(١)
 وَسَلَامٌ عَلَى ضَرِيحِكَ تَحْضُلُ بِهِ مِنْهُ تَرْبَةٌ وَغَسَاءٌ^(٢)
 وَثَنَاءٌ قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيَّ نَجْوَائِي إِذْ لَمْ يَكُنْ لَدَيَّ ثَرَاءٌ^(٣)
 مَا أَقَامَ الصَّلَاةَ مَنْ عَبْدَ اللَّهِ— وَقَامَتْ بِرَبِّهَا الْأَشْيَاءُ^(٤)

وقال ؛ قافية الباء ؛ من بحر المديد :

أَزْمَعُوا الْبَيْنَ وَشَدُّوا الرِّكَابَا	فَاطْلُبِ الصَّبْرَ وَخَلِّ الْعِتَابَا
وَدَنَا التَّوَدِّيعُ مِمَّنْ وَدِدْنَا	أَنَّهُمْ دَامُوا لَدَيْنَا غِضَابَا
فَاقْرِ ضَيْفَ الْبَيْنِ دَمْعًا مُذَالَا	يَا أَخَا الْوَجْدِ وَقَلْبًا مُذَابَا
فَنِ الْإِلَائِمُ صَبًّا مَشُوقًا	أَنْ بَكَى أَحْبَابَهُ وَالشُّبَابَا
إِنَّمَا أَغْرَى بِنَا الْوَجْدَ أَنَا	مَا حَسَبْنَا لِفِرَاقٍ حِسَابَا
وَعُرَيْبٌ جَعَلُوا بِالْمُصَلَّى	كُلَّ قَلْبٍ يَوْمَ سَارُوا نِهَابَا
عَجَبًا كَيْفَ رَضُوا أَنْ يَحِلُّوا	مِنْ قُلُوبٍ أَحْرَقُوهَا قَبَابَا
أَضَحَتِ الْأَرْضُ الَّتِي جَاوَرُوهَا	يَحْسُدُ الْقَنْبَرُ مِنْهَا التُّرَابَا
لَا تُكْذِبْ خَبْرًا أَنْ سَلِمَى	سَحَبَتُ بِالتُّرْبِ ذَيْلًا فَطَابَا
وَكَسَتْهُ حُلَلُ الرُّؤُوسِ حَتَّى	تَوَجَّتْ مِنْهَا الرُّبَا وَالْهَضَابَا
ابْتَسَمَتْ عَنْ مِثْلِ كَأْسِ الْحَمِيَّا	نَظَمَ الْمَاءُ عَلَيْهَا حُبَابَا
مُسْمَتْهَا لَمْ الثَّنَايَا فَقَالَتْ	إِنَّ مِنْ دُونِكَ سُبُلًا صِعَابَا

(٢) تَحْضُلُ : تَبْتَل . وَالْوَعَاءُ : الرَّمْلَةُ اللَّيْنَةُ .

(١) النَكْبَاءُ : الرِّيحُ .

(٤) قَامَتْ بِرَبِّهَا : بَقِيَتْ .

(٣) التَّجْوَى : الْمُنَاجَاةُ .

حَرَسَتْ عَقْرَبُ صَدْعِي خَدِّي وَحَمَت حَيَّةُ شَعْرِي الرُّضَابَا
 وَنَحَّ مَنْ يَطْلُبُ مِنْ وَجْنَتِي الْوَرْدَ أَوْ مِنْ شَفَتِي الشَّرَابَا
 حَقُّ مَنْ كَانَ لَهُ حُبُّ سَلَمَى شُعْلَا أَنْ يَسْتَلِذَّ الْعَذَابَا
 وَلَمَنْ يَمْدَحُ خَيْرَ الْبَرَايَا أَنْ يَرَى الْفَقْرَ عَطَاءً حِسَابَا
 وَكَفَانِي بَاتِّبَاعِي طَرِيقًا رَغِبَ الْمُخْتَارُ فِيهَا رِغَابَا
 كَلِمَا أُوتِيَتْ مِنْهَا نَصِيبًا قُلْتُ إِنِّي قَدْ مَلَكَتُ النَّصَابَا
 يَا حَبِيبًا وَشَفِيعًا مُطَاعًا حَسَبْنَا أَنَّ إِلَيْكَ الْإِيَابَا
 لَمْ نَقُلْ فِيكَ مَقَالَ النَّصَارَى إِذْ أَضَلُّوا فِي الْمَسِيحِ الصَّوَابَا
 إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَا
 بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ بَلِيغٍ أَفْحَمَ الْعَرَبَ فَعَمِيَتْ جَوَابَا
 يُطْمَعُ الْأَسْمَاعُ فِيهِ بَيَانًا وَسَنَا طِبُّهُ عَلَى الْعَقْلِ يَابَا
 حَوَتْ الْكُتُبُ لُبَابًا وَقِشْرًا وَهُوَ حَاوٍ مِنَ الْأَبَابِ لُبَابَا
 يَجْلِبُ الدَّرُّ إِلَى سَامِعِيهِ كَلِمٌ لَمْ يَرُ فِيهِ اجْتِلَابَا
 أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ فَرَأَيْنَا الرُّأْسَ رَأْسًا وَالذُّنَابِي ذُنَابَا^(١)
 وَرَأَى الْكُفَّارُ ظِلًّا فَضَلُّوا وَنَجَّهْمُ ظَنُّوا السَّرَابَ الشَّرَابَا
 وَإِذَا لَمْ يَصِحَّ بِالْعِلْمِ ذَوْقُ وَجَدَ الشَّهْدُ مِنَ الْجَهْلِ صَابَا
 كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ مِنْهُمْ عَنِيدًا كَلِمَا أَبْصَرَ حَقًّا تَغَابَا
 وَإِذَا جِئْتَ بِآيَاتِ صِدْقٍ لَمْ تَزِدْهُمْ بِكَ إِلَّا ارْتِيَابَا

أَنْتَ سِرُّ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ وَالسِّرُّ عَلَى الْعُمَى أَشَدُّ احْتِجَابًا
 عَاقِبُ مَا حَمَى اللَّهَ عَنَّا بِكَ مَا نَحْذَرُ مِنْهُ الْعَاقِبَا
 خَصَّهُ اللَّهُ بِخُلُقٍ كَرِيمٍ وَدَعَا الْفَضْلَ لَهُ فَاسْتَجَابَا
 وَلَهُ مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ مَا شَرَّ فَ قَوْسَيْنِ بِذِكْرِ وَقَابَا
 مِنْ دُنُوٍّ وَشُهُودٍ وَسِرٍّ بَانَ عَنْهُ كُلُّ وَاشٍ وَغَابَا
 وَعُلُومٍ كَشَفَتْ كُلَّ لَبْسٍ وَجَلَّتْ عَنْ كُلِّ شَمْسٍ ضَبَابَا
 لَمْ يَنْلَمْهَا بِاِكْتِسَابٍ وَفَضْلُ اللَّهِ مَا لَيْسَ يُنَالُ اِكْتِسَابَا
 وَإِذَا زَارَ حَبِيبٌ مُحِبًّا لَا تَسْلَ عَنْ زَائِرٍ كَيْفَ آبَا
 كُلُّ مَنْ تَابَعَهُ نَالَ مِنْهُ نَسَبًا مِنْ كُلِّ فَضْلٍ قِرَابَا
 شَرَفَ الْأَنْسَابِ طُوبَى لِأَصْلٍ وَلِفَرْعٍ حَازَ مِنْهُ اِتْسَابَا
 دِينُهُ الْحَقُّ فَدَعُ مَا سِوَاهُ وَخُذِ الْمَاءَ وَخَلِّ السَّرَابَا
 جَعَلَ الزُّهْدَ لَهُ وَالْعَطَايَا وَالتَّقَى وَالتَّبَاسَ وَالْبِرَّ دَابَا
 أَقْدَرَ الْمَلَكَى وَرَبِّ الْيَتَامَى وَفَدَى الْأَمْسَرَى وَفَكَ الرِّقَابَا
 بَصَرَ الْعُمَى فَيَالَيْتَ عَيْنِي مُلِثَتْ مِنْ أَحْمَصِيهِ تَرَابَا
 أَسْمَعَ الصَّمَّ فَمَنْ لِي بِسَمْعِي لَوْ تَلَقَّى لَفْظَهُ اِلْمُسْتَطَابَا
 وَدَعَا الْمَيْجَاءَ فَارْتَاخَتْ السُّمُورُ اهْتِزَازًا وَالسُّيُوفُ اِنْتِدَابَا^(١)
 تَطَرَّبُ الْخَيْلُ بِوُقُوعٍ فَتَخْتَا لُ إِلَى الْحَرْبِ وَتَعْدُو طِرَابَا
 مِنْ عِتَاقٍ رَكِبَتْهَا كُفَاةٌ لَمْ يَخَافُوا لِلْمَنُونِ اُرْتِكَابَا

كُلُّ نَذْبٍ لَوْ حَكَمَى غَزَبَهُ السَّيْفُ لَمَّا اسْتَصْحَبَ سَيْفٌ قَرَابَاً^(١)
 قَاطَعَ الْأَهْلِينَ فِي اللَّهِ جَهْرًا لَمْ يَخَفْ لَوْماً وَلَمْ يَخْشَ عَابَا
 لَمْ يُبَالِ حِينَ يَغْدُو مُصِيبًا فِي الْوَعَى أَوْ حِينَ يَغْدُو مُصَابَا
 مِنْ حُمَاةٍ نَصَرُوا الدِّينَ حَتَّى أَصْبَحَ الْإِسْلَامُ أُنْحَى جَنَابَا
 وَفَعُوا الْإِسْلَامَ مِنْ فَوْقِ خَيْلٍ أَرْكَبَتْ كُلَّ عُقَابٍ عُقَابَا
 خَضَبُوا الْبَيْضَ مِنَ الْهَامِ حُمْرًا مَا تَزَالُ الْبَيْضُ تَهْوَى الْخِصَابَا^(٢)
 لَمْ يُرِيدُوا بِذُكُورٍ جَلَوْهَا لِلْحُرُوبِ الْمُؤْنِ إِلَّا الضَّرَابَا
 أَرْغَمَ الْهَادِي أَنْوَافَ الْأَعَادِي بِرِضَاهُمْ وَأَذَلَّ الرِّقَابَا
 فَطَاعَتُهُ الْمُلُوكَ اضْطَرَّارًا وَأَجَابَتُهُ الْحُصُونُ اضْطَرَابَا
 وَصَنَادِيدُ قُرَيْشٍ سَقَاهَا حَتَفَهَا سَقَى اللَّفَاحِ السَّقَابَا^(٣)
 حَلَبُوا شَطْرَيْهِ فِي الْجُودِ وَالْبَأْسِ سِ فَاحَلَى وَأَمْرٌ الْحِلَابَا
 وَجَدُوا أَخْلَافَ أَخْلَافِهِ فِي الْخِصْبِ وَالْجَذْبِ تَعَافَى الْخِصَابَا^(٤)
 دَرُّهَا أَطِيبُ دَرٍّ فَإِنْ أَمَكَنَّكَ الْخَلْبُ فَرَاعِ الْعِطَابَا^(٥)
 جَيْشَ الْجَلِيشِ وَسَرَى السَّرَايَا وَدَعَا الْخَلِيلَ عِتَاقَا عَرَابَا
 وَهُوَ الْمَنْصُورُ بِالرُّغْبِ لَوْ شَاءَ لَاغْنَى الرُّغْبُ عَنْهَا وَنَابَا
 لَوْ تَرَى الْأَحْزَابَ طَارُوا فِرَارًا خِلَتْهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ ذَبَابَا
 أَوْ لَمْ تَعَجِبْ لَهُ وَهُوَ بَحْرٌ كَيْفَ يَسْتَسْقَى نَدَاهُ السَّحَابَا

(١) النذب : الخفيف ، النجيب .

(٢) البيض الأول : السيوف ، والثانية : النساء البيض . (٣) الفلاح : النوق والوالدة . والسقاب : أولادها .

(٤) الخصاب : التمر الرديء جمعه خصبنة . (٥) راع العطابا : احتسب حتى لا تعطب .

كَانَتْ الْأَرْضُ مَوَاتًا فَأَحْيَا بِالْحَيَا مِنْهَا الْمَوَاتِ انْكَبَا
 نَزَعَتْ عَنْهَا مِنَ الْمَحَلِّ ثَوْبَا وَكَسَتْهَا مِنْ رِيَاضٍ ثِيَابَا
 سَيِّدٌ كَيْفَ تَأَمَّلْتَ مَعْنَا هُ رَأَتْ عَيْنَاكَ أَمْرًا عَجَابَا
 مَنْ يَزُرُّهُ مُثْقَلًا بِالْخَطَايَا عَادَ مَغْفُورَ الْخَطَايَا مُثَابَا
 ذِكْرُهُ فِي النَّاسِ ذِكْرٌ جَمِيلٌ قَالَ لِلْكَوْنَيْنِ طَيِّبَا فَطَابَا
 وَسِعَ الْعَالَمَ^(١) عِلْمًا وَجُودَا فِدَعَا كَلًّا وَأَرْضَى خِطَابَا
 فَتَحَلَّتْ مِنْهُ قَوْمٌ عُقُودًا وَتَحَلَّتْ مِنْهُ قَوْمٌ سِخَابَا^(٢)
 لِيَتَنَّى كُنْتُ فِيمَنْ رَأَى أَتَقَى عَنْهُ الْأَذَى وَالسَّبَابَا
 يَوْمَ نَالَتَهُ يَأْفِكُ يَهُودُ مِثْلَمَا اسْتَنْبَحَ بَدْرٌ كِلَابَا
 فَادْعُنِي حَسَّانَ مَدَحٍ وَزِدْنِي إِنِّي أَحْسَنْتُ عَنْهُ الْمَنَابَا
 يَارَسُولَ اللَّهِ عِذْرًا إِذَا هَبَيْتُ مَقَامًا حَقَّهُ أَنْ يُهَابَا
 إِنِّي قُمْتُ خَطِيئًا بِمَدْحِيكَ وَمَنْ يَمْلِكُ مِنْهُ الْخَطَابَا
 وَتَرَامَيْتُ بِهِ فِي بَحَارِ مُكْثَرِ أُمُوجِهَا وَالْعُبَابَا
 بِقَوَافِ شُرْعَتِ الْأَعَادِي وَجَدُّوْهَا فِي نَفُوسِ حِرَابَا
 هِيَ أَمْضَى مِنْ ظُبَى الْبَيْضِ حَدًّا فِي أَعَادِيكَ وَأَنْكَى ذُبَابَا^(٣)
 فَارْضَهُ جُهْدٌ مُحِبٍّ مَقِلٌّ صَانَهُ حُبُّكَ مِنْ أَنْ يُعَابَا^(٤)
 شَابَ فِي الْإِسْلَامِ لَكِنْ لَهُ فِيكَ فَوَادٌ حُبُّهُ لَنْ يُشَابَا

(١) د : العالمين . وهذه رواية م . (٢) السخاب : قلادة من سلك وقرنفل ومخلب بلا جوهر .

والسلك : نوع من أخلاط الطيب ، يعجن ويخفف ويجعل كالخرز .

(٣) الذباب : حد السيف ، وأنكى في العفو وأتقن . (٤) د : فارضه جهاد جهدى محب . وهذه رواية م .

يَتَهَنَّى بِالْأَمَانِيِّ إِنَّهُ قَبْلَ مَمَاتٍ أَنَا
 كَلِمًا أَوْسَعَهُ الشَّدِيدُ وَعَظًا ضَيِّقَ الْخَوْفِ عَلَيْهِ الرَّحَابُ
 ضَيِّعَ الْحَزَمِ وَفِيهِ شَبَابٌ وَأَتَى مُعْتَذِرًا حِينَ شَابَا^(١)
 وَغَدَا مِنْ سُوءِ مَا قَدْ جَنَاهُ نَادِمًا يَقْرَعُ سِنًا وَنَابَا^(٢)
 أَفَلَا أَرْجُو لَذَنِي شَفِيعًا مَارَجَاهُ قَطُّ رَاجٍ فَخَابَا
 أَحَدُ الْمَادِي الَّذِي كَلِمَا جِئْتُ إِلَيْهِ مُسْتَثْبِيًا أَثَابَا
 فَاعْذِرُوا فِي حُبِّ خَيْرِ الْبَرَايَا إِنْ غَبَطْنَا أَوْ حَسَدْنَا الصَّحَابَا
 إِنْ بَدَا شَمْسًا وَصَارُوا نَجُومًا وَطَمَى بِحَرَا وَفَرُّوا ثَغَابَا^(٣)
 أَفْلَعْتَ سَحْبُ سَفْنِهِمْ سَجَالًا مِنْ عُلُومٍ وَوَرَدْنَا انْصِبَابَا
 وَغَدَوْنَا بَيْنَ وَجْدٍ وَقَدٍّ يَعْظُمُ الْبُشْرَى بِهِ وَالْمَصَابَا
 وَتَبَارَأْنَا مِنَ النَّصَبِ وَالرَّفْضِ وَأُوجِبْنَا لِكُلِّ جَنَابَا
 إِنْ قَوْمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَالْنَا نُلْفَى عَلَيْهِمْ غَضَابَا
 إِنِّي فِي حُبِّهِمْ لَا أَحَابِي أَحَدًا قَطُّ وَمَنْ ذَا يُحَابِي
 صَلَوَاتِ اللَّهِ تَتَرَى عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ عِذَابَا
 يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْنَا بِهَا مِنْ جُودِهِ وَالْفَضْلِ بَابَا فَبَابَا
 مَا انْتَضَى الشَّرْقُ مِنَ الصُّبْحِ سَيْفًا وَفَرَى مِنْ جُنْحٍ لَيْلٍ إِهَابَا

(١) د : معذرا . (٢) د : منيبا أنابا . والتصحيح في (١ ، ٢) عن م .

(٣) الثغاب : جمع ثغب ، يسكون الفين وتحريكها ، وهو المظمن من المواضع في أعلى الجبل ، يستنقع فيه ماء المطر .

وقال أيضا عفا الله عنه ^(١) :

يَمْدَحُ المصطفى تَحِيَّا القلوبُ وَتُغْتَفَرُ الخطايا وَالذُّنُوبُ
وَأَرْجُو أَنْ أَعِيشَ به سعيَدا وَأَلْقَاهُ وليس عَلَى حُوبٍ ^(٢)
نَبِيٌّ كَامِلُ الأوصافِ تَمَّتْ مُحَاسِنُهُ فَقِيلَ له الحبيبُ
يُفَرِّجُ ذِكْرُهُ الكُرْبَاتِ عَنَّا إِذَا نَزَلَتْ بِسَاحَتِنَا الكُرُوبُ
مَدَامْهُ تَزِيدُ القَلْبَ شَوْقًا إِلَيْهِ كَأَنهَا حَلَى وَطِيبٌ ^(٣)
وَإِذَا كُرْهُ وَلَيْلُ الخُطْبِ دَاجٍ عَلَى فَتَنَجَلِي غَنَى الخُطُوبُ
وَصَفَتْ شَمَائِلًا مِنْهُ حِسَانًا فَمَا أَدْرَى أَمْدَحُ أَمْ تَسِيبُ
وَمَنْ لِي أَنْ أَرَى مِنْهُ مُحِيًّا يُسَرُّ بِحُسْنِهِ القَلْبُ الكَتِيبُ
كَأَنَّ حَدِيثَهُ زَهْرٌ نَضِيرٌ وَحَامِلَ زَهْرِهِ غُصْنٌ رَطِيبٌ
وَلِي طَرْفٌ لِمَرَّاهُ مَشُوقٌ وَلِي قَلْبٌ لِذِكْرَاهُ طَرُوبٌ
تَبَوَّأَ قَابَ قَوْسَيْنِ اخْتِصَاصًا وَلَا وَاشٍ هَنَّاكَ وَلَا رَقِيبٌ ^(٤)
مَنَاصِبُهُ السَّيِّئَةُ لَيْسَ فِيهَا لِإِنْسَانٍ وَلَا مَلَكٍ نَصِيبٌ
رَحِيبُ الصَّدْرِ ضَاقَ الكَوْنُ عَمَّا تَضَمَّنَ ذَلِكَ الصَّدْرُ الرَحِيبُ
يُجَدِّدُ فِي قُعُودٍ أَوْ قِيَامٍ لَهُ شَوْقِي الْمُدْرَسُ وَالْخُطِيبُ
عَلَى قَدَرٍ يُمِذُّ النَّاسَ عِلْمًا كَمَا يُعْطِيكَ أَدْوِيَةً طِيبٌ ^(٥)
وَتَسْتَهْدِي القُلُوبُ الثُّورَ مِنْهُ كَمَا اسْتَهْدَى مِنَ الْبَحْرِ الْقَلِيبُ ^(٦)

(١) ت : وقال رضى الله عنه ، يمدح النبي صلى الله عليه وسلم من الوافر .

(٢) الحوب : الإثم . (٣) الحل : الحل . (٤) كناية عن شدة القرب المعنوى .

(٥) القدر : التقدير . (٦) القليب : البئر .

بَدَتْ لِلنَّاسِ مِنْهُ شُمُوسٌ عِلْمٌ طَوَالِعَ مَا تَزُولُ وَلَا تَغِيبُ
 وَأَلْهَمْنَا بِهِ التَّقْوَى فَشَقَّتْ لَنَا عَمَّا أَكْنَتَهُ الْغُيُوبُ ^(١)
 خَلَاتِقُهُ مَوَاهِبُ دُونَ كَسْبٍ وَشَتَانِ الْمَوَاهِبِ وَالْكُسُوبِ
 مُهَذَّبَةٌ بِنُورِ اللَّهِ لَيْسَتْ كَأَخْلَاقٍ يَهْدِيهَا اللَّيْلُ
 وَآدَابُ النُّبُوَّةِ مُعْجَزَاتُ فَكَيْفَ يَنَالُهَا الرَّجُلُ الْأَدِيبُ
 أَبَيَّنَ مِنَ الطَّبَاعِ دَمًا وَفَرَنَّا وَجَاءَتْ مِثْلَ مَا جَاءَ الْحَلِيبُ ^(٢)
 سَمِعْنَا الْوَحْيَ مِنْ فِيهِ صَرِيحًا كَغَادِيَةِ عَزَالِهَا تَصُوبُ ^(٣)
 فَلَا قَوْلَ وَلَا عَمَلُ لَدَيْنَا بِفَاحِشَةٍ وَلَا يَهْوَى مَشُوبُ ^(٤)
 وَبِالْأَهْوَاءِ تَخْتَلِفُ الْمَسَاعِي وَتَفْتَرِقُ الْمَذَاهِبِ وَالشُّعُوبِ
 وَلَمَّا صَارَ ذَاكَ الْغَيْثُ سَيْلًا عِلَافُهُ مِنَ الثَّرَى الزَّبْدُ الْغَرِيبُ
 فَلَا تَنْسِبُ لِقَوْلِ اللَّهِ رَيْبًا فَمَا فِي قَوْلِ رَبِّكَ مَا يَرِيبُ
 فَإِنْ تَخَلَّقَ لَهُ الْأَعْدَاءُ عَيْبًا فَقَوْلُ الْعَائِبِينَ هُوَ الْمَعِيبُ
 فَخَالَفَ أُمَّتِي مُوسَى وَعِيسَى فَمَا فِيهِمْ خَلَاقُهُ مُنِيبُ
 فَقَوْمٌ مِنْهُمْ فَتِنُوا بِعَجَلٍ وَقَوْمًا مِنْهُمْ فَتَنَ الصَّلِيبُ
 وَأَخْبَارُ تَقُولُ لَهُ شَبِيبَةٌ وَرُهْبَانُ تَقُولُ لَهُ ضَرِيبُ
 وَإِنَّ مُحَمَّدًا لِرَسُولٍ حَقٌّ حَسِيبٌ فِي نُبُوَّتِهِ نَسِيبُ
 أَمِينٌ صَادِقٌ بَرٌّ تَقَى عَلِيمٌ مَاجِدٌ هَادٍ وَهُوبُ
 يُرِيكَ عَلَى الرِّضَا وَالسُّخْطِ وَجْهًا تَرُوقُ بِهِ الْبَشَاشَةُ وَالْقُطُوبُ

(١) أكنته : سترته . (٢) الفرث : السرجين ما دام في الكرش .

(٣) الغادية : السحابة : وعزالها : أفواها . وتصوب : تسيل . (٤) مشوب : مخلوط .

يُضِيءُ بِوَجْهِهِ الْحَرَابُ لَيْلًا وَتُظْلِمُ فِي النَّهَارِ بِهِ الْحُرُوبُ
تَقْدَمَ مَنْ تَقْدَمَ مِنْ نَبِيٍّ نَاهُ وَهَكَذَا الْبَطْلُ النَّجِيبُ
وَصَدَقَهُ وَحَكَّمَهُ صَبِيًّا مِنْ الْكُفَّارِ شُبَّانٌ وَشِيبُ
فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ صَدُّوا وَصَدُّ أُولَئِكَ الْعَجَبُ الْعَجِيبُ
شَرِيعَتُهُ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَلَيْسَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ^(١)
عَلَيْكَ بِهَا فَإِنَّ لَهَا كِتَابًا عَلَيْهِ تَخْشُدُ الْحَدَقَ الْقُلُوبُ
يَنْوِبُ لَهَا عَنِ الْكُتُبِ الْمَوَاضِي وَلَيْسَتْ عَنْهُ فِي حَالٍ تَنْوِبُ
أَلَمْ تَرَهُ يُنَادِي بِالتَّحَدَّى وَلَا أَحَدٌ بِبَيِّنَةٍ يُجِيبُ
وَقَدْ كَشَفَ الْغِطَاءَ لَنَا وَشَقَّتْ عَنْ الْحَسَنِ الْبَدِيعِ بِهِ جُيُوبُ
وَدَانَ الْبَدْرُ مُنْشَقًّا إِلَيْهِ وَأَفْصَحَ نَاطِقًا عَيْرٌ وَذِيبُ
وَجِذْعُ النَّخْلِ حَنْ حَنْنِينَ تَكْلَى لَهُ فَأَجَابَهُ نِعَمَ الْمُحِيبُ
وَقَدْ سَجَدَتْ لَهُ أَغْصَانُ سَرْحٍ فَلَمْ لَا يَوْمُنُ الطَّيُّ الرَّيِّبُ ^(٢)
وَكَمْ مِنْ دَعْوَةٍ فِي الْمَحَلِّ مِنْهَا رَبَّتْ وَاهْتَرَّتِ الْأَرْضُ الْجَدِيبُ
وَرَوَى عَسْكَرًا بِحَلِيبِ شَاةٍ فَعَاوَدَهُمْ بِهِ الْعَيْشُ الْخَصِيبُ
وَمُخْبُولٌ أَتَاهُ فَنَابَ عَقْلٌ إِلَيْهِ وَلَمْ نَخْلُهُ لَهُ يَثُوبُ
وَمَا مَاءٌ تَلَقَّى وَهُوَ مِلْحٌ أَجَاجٌ طَعْمُهُ إِلَّا يَطِيبُ
وَعَيْنٌ فَارَقَتْ نَظْرًا فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ وَرُدَّ لَهَا السَّلِيبُ
وَمَيَّتْ مُؤَذِّنٌ يَفِرَاقُ رُوحَ أَقَامَ وَسُرَّيْتُ عَنْهُ شَعُوبُ

(١) اللغوب : التنب . (٢) السرح : جمع سرحة ، وهى الشجرة الكبيرة الواسعة الظلال .

وَنَعْرُ مُعَمَّرٍ عَمْرًا طَوِيلًا تُؤْفَى وَهُوَ مَنُضُودٌ شَنِيبٌ^(١)
وَنَخْلٌ أَثْمَرَتْ فِي دُونِ عَامٍ فَمَارَ بِهَا عَلَى الْقِنُوِ الْقَسِيبُ^(٢)
وَوَفَى مِنْهُ سَلَمَانٌ دُيُونًا عَلَيْهِ مَا يُوفِّيهَا جَرِيبٌ
وَجَرَدَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ سَيْفًا فَقِيلَ بِذَلِكَ لِلسَّيْفِ الْقَضِيبُ
وَهَزَّ ثَبِيرُ عِطْفَيْهِ سُورًا بِهِ كَالْفَضَنِ هَبَّتُهُ الْجُنُوبُ
وَرَدَّ الْفِيلَ وَالْأَحْزَابَ طَيْرًا وَرِيحٌ مَا يُطَاقُ لَهَا هُبُوبٌ
وَفَارَسُ خَانِهَا مَالًا وَنَارًا فَعَمِضَ الْمَاءَ وَانْطَفَأَ اللَّهَبُ
وَقَدَّ هَزَّ الْحَسَامَ عَلَيْهِ عَادٍ يَوْمٌ نَوْمُهُ فِيهِ هُبُوبٌ
وَقَامَ الْمَصْطَفَى بِالسَّيْفِ يَسْطُو عَلَى السَّاطِي بِهِ وَلَهُ وَثُوبٌ
وَرِيْعَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ بِفَخْلٍ يَنْوُبُ عَنِ الْمَزَبِرِ لَهُ نِيُوبٌ
وَمُثَبِّهُ أَرْسَلَتْ حَرَسًا فَخَطَّتْ عَلَى طِرْسِ الظَّلَامِ بِهَا شُطُوبٌ
وَلَمْ أَرَ مُعْجَزَاتٍ مِثْلَ ذِكْرِ إِلَيْهِ كُلِّ ذِي لُبٍّ يَنْزِيبُ
وَمَا آيَاتُهُ تُحْصَى بَعْدًا فَيُدْرِكُ شَأْوَهَا مِنْى طَلُوبٌ
وَطَفِقْتُ أَعُدُّ مِنْهَا مَوْجَ بَحْرِ وَقَطَرًا غَيْثُهُ أَبَدًا يَصُوبُ^(٣)
يَجُودُ سَحَابُهُنَّ وَلَا انْقِشَاعٌ وَيَزْخَرُ بَحْرُهُنَّ وَلَا نُضُوبٌ
فَرَاقَكَ مِنْ بَوَارِقِهَا وَمِیْضُ وَشَاقَكَ مِنْ جَوَاهِرِهَا رُسُوبٌ
هَدَانَا لِلَّهِ بِهَا نَبِيٌّ فَضَائِلُهُ إِذَا تُحْكَى ضُرُوبٌ

(١) الشنب : حدة الأسنان وبريقها .

(٢) القنو : عذق النخلة الذى فيه الثمر . والعسيب : جريدة النخل .

وفى (د) : وعاد بها على العدو العثيب . والتصحيح عن م . (٣) يصبوب : يسيل .

وَأَخْبَرَ تَابِعِيهِ بِغَائِبَاتٍ وَلَيْسَ بِكَائِنٍ عَنْهُ مَغِيبٌ
وَلَا كَتَبَ الْكِتَابَ وَلَا تَلَاهُ فَيُلْحِدَ فِي رِسَالَتِهِ الْمُرِيبِ
وَقَدْ نَالُوا عَلَى الْأُمِّ الْمَوَاضِي بِهِ شَرَفًا فَكُلُّهُمْ حَسِيبٌ
وَمَا كَأَمِيرِنَا فِيهِمْ أَمِيرٌ وَلَا كَنْتَقِينَا لَهُمْ نَقِيبٌ^(١)
كَأَنَّ عَلِيمَنَا لَهُمْ نَبِيٌّ لِدَعْوَتِهِ الْخَلَائِقُ تَسْتَجِيبُ^(٢)
وَقَدْ كَتَبْتُ عَلَيْنَا وَاجِبَاتٌ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْهَا النَّدُوبُ^(٣)
وَمَا تَتَضَاعَفُ الْأَغْلَالُ إِلَّا إِذَا قَسَتِ الرَّقَابُ أَوْ الْقُلُوبُ
وَمَا قِيلَ لِلْكَفَارِ خُشْبٌ تَحْكَمُ فِيهِمُ السِّيفُ الْخَشِيبُ^(٤)
حَكَّوْا فِي ضَرْبِ أَمْثَلَةٍ حَمِيرًا فَوَاحِدُنَا لِأَفْهَمِمْ ضَرُوبُ
وَمَا عَلَمَاؤُنَا إِلَّا سِوْفٌ مَوَاضٍ لَا تُقَلُّ لَهَا غُرُوبُ^(٥)
سَرَاةٌ لَمْ يَقُلْ مِنْهُمْ سَرِيٌّ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ يَوْمٌ عَصِيبٌ
وَلَمْ يَفْتَنَّهُمْ مَاءٌ نَمِيرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَلَا مَرَعَى خَصِيبٌ
وَلَمْ تُنْعَمْضْ لَهُمْ لِيَلًا جُفُونٌ وَلَا أَلْفَتْ مَضَاجِعَهَا جُنُوبُ
يَشُوقُكَ مِنْهُمْ كُلُّ ابْنِ هَيْجَا عَلَى الْأَوَاءِ مَحْبُوبٌ مَهِيبٌ^(٦)
لَهُ مِنْ نَقْعِهَا طَرْفٌ كَحَيْلٍ وَمِنْ دَمِ أَسْدِهَا كَفُّ خَصِيبٍ
وَتَنْهَالُ السُّكَّتَابُ حِينَ يَهْوَى إِلَيْهَا مِثْلَ مَا أَنْهَالُ الْكُثِيبُ
عَلَى طُرُقِ الْقَنَا لِلْمَوْتِ مِنْهُ إِلَى مُهْجِ الْعِدَا أَبَدًا دَبِيبُ

(١) د : فيهم . (٢) د : كأن علمنا فيهم . وفيه تلميح إلى حديث روى عن النبي وهو : علماء أمي كأنبياء بني إسرائيل . (٣) الندوب : الشقوق ، جمع ندب . (٤) الخشب : الصقيل . (٥) الغروب : جمع غرب وهو وحده السيف . (٦) الأواء : الشدة . وفي د : الآراء .

يُقَصِّدُ فِي الْعِدَا مُسْمَرِ الْعَوَالِي فَيَرْجِعُ وَهُوَ مَسْلُوبٌ سَلُوبٌ^(١)
 ذَوَابِلُ كَالْعُقُودِ لَهَا اطْرَادُ فَلَيْسَ يَشُوقُهَا إِلَّا التَّرِيبُ^(٢)
 يَخِرُّ لِرُوحِهِ الرُّومِيُّ أَنَّى تَيَقَّنَ أَنَّهُ الْعُودُ الصَّلِيبِ
 وَيَخْضِبُ سَيْفَهُ بِدَمِ النَّوَاصِي خَافَةَ أَنْ يُقَالَ بِهِ مَسِيْبُ^(٣)
 لَهُ فِي اللَّيْلِ دَمْعٌ لَيْسَ يَرْفَا وَقَلْبٌ مَا يَغِيبُ لَهُ وَجِيبُ^(٤)
 رَسُولَ اللَّهِ دَعْوَةً مُسْتَقْبِلِ مِنْ التَّقْصِيرِ خَاطِرُهُ هَيُوبُ^(٥)
 تَعَذَّرَ فِي الْمَشِيبِ وَكَانَ عِيًّا وَبُرْدُ شَبَابِهِ ضَافٍ قَشِيبُ^(٦)
 وَلَا عَتَبٌ عَلَى مَنْ قَامَ يَجْلُو مُحَاسِنَ لَا تُرَى مَعَهَا عِيُوبُ
 دَعَاكَ لِكُلِّ مُعْضِلَةٍ أَلَمْتُ بِهِ وَلكُلِّ نَائِبَةٍ تَنُوبُ
 وَلِلذَّنْبِ الَّذِي ضَاقَتْ عَلَيْهِ بِهِ الدُّنْيَا وَجَانِبُهَا رَحِيبُ
 يُرَاقِبُ مِنْهُ مَا كَسَبَتْ يَدَاهُ فَيَبْكِيهِ كَمَا يَبْكِي الرَّقُوبُ
 وَأَنَّى يَهْتَدِي لِلرُّشْدِ عَاصٍ لِفَارِبِ كُلِّ مَعْصِيَةٍ رَكُوبُ
 يَتُوبُ لِسَانُهُ عَنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَلَمْ يَرَ قَلْبُهُ مِنْهُ يَتُوبُ
 تَقَاضَتْهُ مَوَاهِبُكَ امْتِدَاحًا وَأَوَّلَى النَّاسِ بِالْمَدْحِ الْوَهُوبُ
 وَأَغْرَانِي بِهِ دَاعِي اقْتِرَاحٍ عَلَى لِأَمْرِهِ أَبَدًا وَجُوبُ
 فَقُلْتُ لِمَنْ يَحْضُ عَلَى فِيهِ لَهْلَكٌ فِي هَوَاهُ لِي نَسِيبُ

(١) يقصد : يكسر . ومسر العوالى : الرماح . (٢) ذوابل : الرماح الرقيقة . والتريب : عظام الصدر .

(٣) النواصي : جمع ناصية ، وهى مقدم الرأس . (٤) رقاً الدمع : سكن وجف . وغب القوم : أتاها يوماً

بعد يوم . والوجيب : خفقان القلب . (٥) استقال : طلب الإقالة من الذنب .

(٦) تعذر : تأخر . وعى : حصر .

دَلَّتْ عَلَى الْهَوَىٰ قَلْبِي فَسَهَمِي وَسَهَمَكَ فِي الْهَوَىٰ كُلُّ مُصِيبٍ
 لُجُودِ الْمَصْطَفَىٰ مُدَّتْ يَدَانَا وَمَا مُدَّتْ لَهُ أَيْدٍ تَخِيبُ
 شَفَاعَتُهُ لَنَا وَلِكُلِّ عَاصٍ بِقَدَرِ ذُنُوبِهِ مِنْهَا ذَنْبٌ^(١)
 هُوَ الْغَيْثُ السَّكُوبُ نَدَى وَعِلْمًا جَهَلْتُ وَمَا هُوَ الْغَيْثُ السَّكُوبُ
 صَلَاةُ اللَّهِ مَا سَارَتْ سَحَابٌ عَلَيْهِ وَمَا رَسَا وَثَوَى عَسِيبٌ^(٢)

وقال أيضا ؛ في مدحه صلى الله عليه وسلم^(٣) :

وَأَفَاكُ بِالذَّنْبِ الْعَظِيمِ خَجَلًا يُعَنِّفُ نَفْسَهُ وَيُؤَنِّبُ
 لَمْ لَا يَشُوبُ دُمُوعَهُ بِدِمَائِهِ ذُو شَيْبَةٍ عَوْرَاتُهَا مَا تُخْضَبُ^(٤)
 لَعِبْتُ بِهِ الدُّنْيَا وَلَوْلَا جَهْلُهُ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا يَخْوُضُ وَيَلْعَبُ
 لَزِمَ التَّقَلُّبَ فِي مَعَاصِي رَبِّهِ إِذْ بَاتَ فِي نِعْمَانِهِ يَتَقَلَّبُ
 يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الذُّنُوبَ وَقَلْبُهُ شَرَّهَا عَلَى أَمْثَالِهَا يَتَوَلَّبُ
 يُغْرِى جَوَارِحَهُ عَلَى شَهَوَاتِهِ فَكَأَنَّهُ فِيمَا اسْتَبَاحَ مُكَلَّبٌ^(٥)
 أَضْحَى بِمُعْتَرِكِ الْمَنَآيَا لَاهِيًا فَكَأَنَّ مُعْتَرِكِ الْمَنَآيَا مَلْعَبُ
 ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ عَلَيْهِ فَمَا لَهُ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ بِطَيْمِيَّةٍ مَهْرَبُ
 مُتَقَطِّعُ الْأَسْبَابِ مِنْ أَعْمَالِهِ لَكِنَّهُ بِرِجَائِهِ مُتَسَبِّبُ
 وَقَفْتُ بِجَاهِ الْمَصْطَفَى آمَالُهُ فَكَأَنَّهُ بِذُنُوبِهِ يَتَقَرَّبُ

(١) ذنوب : نصيب . (٢) ثوى : أقام . وعسيب : جبل .

(٣) ت : وقال رضى الله تعالى عنه ، في مدح النبي صلى الله عليه وسلم والقصيدة من الكامل .

(٤) يشوب : يخلط . (٥) الجوارح : الأعضاء ، وتكون بمعنى ذوات الصيد من السباع والطيور . ففيها تورية

والمكَلَّب : معلم الكلام الصيد .

وَبَدَأَ لَهُ أَنَّ الْوُقُوفَ بِبَابِهِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ إِنَّ مَطَامِعِي
لَمْ لَا يَغَارُ وَقَدْ رَأَى دُونَهُ
مَاذَا أَخَافُ إِذَا وَقَفْتُ بِبَابِهِ
وَالْمُصْطَفَى الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو الَّذِي
بَشَرٌ سَعِيدٌ فِي النَّفُوسِ مُعْظَمٌ
بِجَمَالِ صُورَتِهِ تَمْدَحُ آدَمَ
مِصْبَاحُ كُلِّ فَضِيلَةٍ وَإِمَامُهَا
رِدْ وَاقْتَبِسْ مِنْ فَضْلِهِ فَبِحَارِهِ
فَلِكُلِّ سَارٍ مِنْ هُدَاهُ هِدَايَةٌ
وَلِكُلِّ عَيْنٍ مِنْهُ بَدْرٌ طَالِعٌ
مَلَأَ الْعَوَالِمَ عِلْمُهُ وَتَنَاوَاهُ
وَهَبَ الْإِلَهَ لَهُ الْكَمَالَ وَإِنَّهُ
كَشِفَ الْغِطَاءَ لَهُ وَقَدْ أُسْرِيَ بِهِ
وَلِقَابِ قَوْسَيْنِ انْتَهَى فَحَلَّهُ
وَدَنَا دُنُوًّا لَا يَزَاحِمُ مَنْكِبًا
فَاتَ الْعِبَارَةَ وَالْإِشَارَةَ فَضْلُهُ
صَدَّقَ بِمَا حُدِّثَتْ عَنْهُ فِي الْوَرَى

بَابٌ لِفُفْرَانِ الذُّنُوبِ مُجَرَّبٌ
فِي جُودِهِ قَدْ غَارَ مِنْهَا أَشْعَبُ
أَدْرَكْتُ مِنْ خَيْرِ الْوَرَى مَا أَطْلُبُ
وَصَحَائِفِي سُودٌ وَرَأْسِي أَشْيَبُ
يُخْصِي الرَّقِيبُ عَلَى الْمُسِيءِ وَيَكْتُبُ
مِقْدَارُهُ وَإِلَى الْقُلُوبِ مُحَبَّبُ
وَبَيَانِ مَنْطِقِهِ تَشَرَّفَ يَعْرُبُ
وَلَفْضِهِ فَضْلُ الْخَلَائِقِ يُنْسَبُ
مَا تَمْتَنِّي وَشُمُوسُهُ مَا تَعْرُبُ
وَلِكُلِّ عَافٍ مِنْ نَدَاهُ مُشْرَبٌ^(١)
وَلِكُلِّ قَلْبٍ مِنْهُ لَيْثٌ أَغْلَبُ
فِيهِ الْوُجُودُ مُنَوَّرٌ وَمُطَيَّبُ
فِي غَيْرِهِ مِنْ جِذْسٍ مَا لَا يُوهَبُ
فَعُلُومُهُ لِأَشْيَاءٍ عَنْهَا يَعْرُبُ^(٢)
مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ الْمَحَلُّ الْأَقْرَبُ
فِيهِ كَمَا زَعَمَ الْمَكِيفُ مَنْكِبُ^(٣)
فَعَلَيْكَ مِنْهُ بِمَا يُقَالُ وَيُكْتَبُ
بِالْغَيْبِ عَنْهُ مُصَدِّقٌ وَمُكَذِّبُ

واسمَعُ مَنَاقِبَ لِلْحَبِيبِ فَإِنِهَا
 مُتِمَّكِّنُ الْأَخْلَاقِ إِلَّا أَنَّهُ
 يَشْفِي الصَّدُورَ كَلَامُهُ فِدَاؤُهُ
 فَاطْرِبْ لَتَسْبِيحِ الْحَصَى فِي كَفِّهِ
 وَالْجِذْعُ حَنٌّ لَهُ وَبَاتَ كَغَرَمٍ
 وَسَعَتْ لَهُ الْأَحْجَارُ فَهِيَ لِأَمْرِهِ
 وَاهْتَزَّ مِنْ فَرَحٍ ثَبِيرٌ تَحْتَهُ
 وَالنَّخْلُ أَثْمَرٌ غَرَسَهُ فِي عَامِهِ
 وَبَنَانُهُ بِالْمَاءِ أَرَوَى عَسْكَرًا
 وَالشَّاةُ إِذْ عَطَشَ الرَّعِيلُ سَقَتَهُمْ
 وَشَفَى جَمِيعَ الْمَوَلِّاتِ بِرَيْقِهِ
 وَمَتَّى تَطَلَّهُ الْقَمَامُ لِيُظْلِمَ
 وَتَكَلَّمَ الْأَطْفَالُ وَالْمَوْتَى لَهُ
 وَالْجَذَلُ مِنْ حَطَبٍ غَدَا لِمُكَاشَةِ
 وَعَسِيبٌ نَخْلٌ صَارَ عَضْبًا صَارِمًا
 وَأَضَاءَ عُرْجُونَ وَسَوَاطِي الدُّجَى
 وَكَأَنَّ دَعْوَتَهُ طَلِيعَةُ قَوْلٍ كُنْ
 تَحْطَى بِهَا أَبْنَاءُ مَنْ يَدْعُو لَهُ
 لِلنَّاسِ فِيهَا وَابِلٌ وَصَوَاقٍ

فِي الْحُسْنِ مِنْ عَنَاءٍ مُغْرِبٍ أَغْرِبُ
 فِي الْحُكْمِ يَرْضَى لِلَّهِ وَيَغْضَبُ
 طَوْرًا يَمُرُّ لَهَا وَطَوْرًا يَعْذُبُ
 فَمِنْ السَّمَاعِ لَدِّ كَرِهِ مَا يُطْرِبُ
 قَلْقٍ يَفْقَدُ حَبِيبَهُ يَتَكَرَّبُ
 تَأْتِي إِلَيْهِ كَمَا يَشَاءُ وَتَذْهَبُ
 وَمِنْ الْجِبَالِ مُسَبِّحٌ وَمُؤَوَّبُ
 وَبَدَا مُعْنَدُ زَهْوِهِ وَالْمُذْهَبُ
 فَكَأَنَّهُ مِنْ دِيْمَةٍ يَتَصَبَّبُ
 وَهُمْ ثَلَاثُ مَثْنَيْنِ مِمَّا يَحْلُبُ
 يَاطِيبَ مَا يَرِقِي بِهِ وَيُطِيبُ
 ذَيْلٌ عَلَيْهِ فِي الْمَوَاجِرِ يُسْحَبُ
 بِعَجَائِبٍ فَلْيَعْجَبِ الْمُتَعَجِّبُ
 سَيْفًا وَلَيْسَ السَّيْفُ مِمَّا يُحْطَبُ
 يَوْمَ الْوَعَى إِذْ كُلُّ عَيْنٍ تُقَلِّبُ
 عَنْ أَمْرِهِ فَكَأَنَّ كُلًّا كَوْنُ كَبِ
 مَا بَعْدَهَا إِلَّا الْإِجَابَةُ مَوْكِبُ
 فَكَأَنَّمَا وَقَفَ عَلَى مَنْ يُعْقِبُ
 نَفْسٌ بِهَا تَحْيَا وَنَفْسٌ تَعْطَبُ

وَالْمَحَلُّ إِذْ عَمَّ الْبِلَادَ بِلَاؤُهُ وَالرَّيْحُ يُشْمَلُ بِالسَّمُومِ وَيُجْنَبُ^(١)
 وَاسْتَسْلَمَ الْوَحْشُ الْمَرْوَعُ لِصَيْدِهِ جُوعًا وَصَرًّا مِنَ الْحَرُورِ الْجُنْدُبِ
 وَالدَّثْبُ مِنْ طَوْلِ الطَّوِيِّ يَنْكِي عَلَى رِمَمِ الْمَوَاشِي وَابْنُ دَايَةَ يَنْعَبُ^(٢)
 وَالنَّاسُ قَدْ ظَنُّوا الظُّنُونُ كَأَنَّمَا سَلِمَتْ قُلُوبُهُمُ الرِّيحُ الْقَلْبُ
 لَمْ تَبَكِ لِلْأَرْضِ السَّمَاءُ بِهِ وَلَا رَقَّتْ لِشَأْنِهَا الْبَرَقُ الْخَلْبُ
 فَدَعَوْكَ مَحْبُوءًا لِكُلِّ كَرِيهَةٍ جَلَّتْ كَمَا يُخْبِئُ الْحَسَامُ وَيُنْدَبُ
 فَرَقَعْتَ عَشْرًا مِنْ أَنَامِلٍ دَاعِيًا فَانْهَلَّ أُسْبُوعًا سَحَابٌ صَبِ
 فَطَعَنَى عَلَى بُنْيَانِ مَكَّةَ مَاؤُهُ أَوْكَادٌ يَنْدُبُ فِي الْبُيُوتِ الطُّحْلُبُ
 لَوْلَا سَأَلْتَ اللَّهَ سُقْيَا رَحْمَةٍ مَاتَتْ بِهِ الْأَحْيَاءُ مِمَّا يَشْرَبُوا
 فَإِذَا الْبِلَادُ وَكُلُّ دَارٍ رَوْضَةٌ فِيمَا يَرُوقُ وَكُلُّ وَادٍ مُعْشِبُ
 فَدَجِثْتُ أَسْتَسْقِي مَكَارِمَكَ الَّتِي يَحْيِيهَا الْقَلْبُ الْمَوَاتُ وَيُحْصِبُ
 يَأْمَنُ يَرْجَى فِي الْقِيَامَةِ حَيْثُ لَا أُمَّ تَرْجَى لِلنَّجَاةِ وَلَا أَبُ
 يَافَرِجَ الْكَرْبِ الْعِظَامِ وَوَاهِبَ الْأَمْنِ الْجِسَامِ إِلَيْكَ مِنْكَ الْمَهْرَبُ
 هَبْ لِي مِنَ الْغُفْرَانِ رَبِّ سَعَادَةٍ مَا تُسْتَعَادُ وَنِعْمَةٌ مَا تُسَلَّبُ
 أَيْضِيقُ بِي أَمْرٌ وَبَابُ الْمَصْطَفَى فِي الْأَرْضِ أَوْسَعُ لِلْعُقَاةِ وَأَرْحَبُ
 لَا تَقْنَطِي يَا نَفْسُ إِنَّ تَوْسُلِي بِالْمَصْطَفَى الْخُتَارِ لَيْسَ يُخَيَّبُ
 أَنِّي يَخَيَّبُ وَقَدْ تَعَطَّرَ مَشْرِقُ بِمَدَانِحِي خَيْرَ الْأَنَامِ وَمَغْرِبُ
 آلَ النَّبِيِّ وَمَنْ لَهُمُ بِالْمَصْطَفَى مَجْدٌ عَلَى السَّبْعِ الطَّبَاقِ مُطَنَّبُ^(٣)

(١) يشمل : يصير شمالا . ويجنب : أي يصير جنوبا . (٢) ابن داية : الغراب .

(٣) السبع الطباقي : السماوات . وطنيه تطنيبا : مده بأطناب ، وهي الخبال ، التي تشدها الخيمة .

حُزْنُهُمْ عَظِيمًا مِنْ تَرَاثِ نُبُوَّةٍ
 اللَّهُ حَسْبُكُمْ وَحَسْبِيَ إِنِّي
 بِإِسَادَتِي حُبِّي لَكُمْ مَا تَنْقُضِي
 مِنْ مَعْشَرٍ نَزَلُوا الْفَلَاحُ فَخُصُونَهُمْ
 مَا فِيهِمْ لِسِنَانٍ عَيْبٍ . مَطْعَنُ
 وَعَلَى الْخِصَاصَةِ يُؤْتِرُونَ بَزَادِهِمْ
 لَا تَنْزِعُ اللَّوْأَمُ أَثْوَابَ النَّدَى
 جُبِلُوا عَلَى سِحْرِ الْبَيَانِ فَجَاءَهُمْ
 فَاسْتَسَامُوا لِلْعَجْزِ عَنْهُ وَذُو النَّهْيِ
 جَاءَتْ عَجَائِبُهُمْ أَمَامَ عَجَائِبِ
 مَا بَالُ مَنْ غَضِبَ إِلَهُ عَلَيْهِمْ
 كَفَرَتْ عَلَى عِلْمِهِمْ عِلْمًاؤُهُمْ
 كَهَلًا تَمَنَّى الْمَوْتَ مِنْهُمْ مَعْشَرُ
 أَفْيُوؤُمُونَ بِهِ وَبِمَنْ جَاءَهُمْ
 عَبَدُوا وَمَوْسَى فِيهِمْ الْعَجَلُ الَّذِي
 وَصَبُوا إِلَى الْأَوْتَانِ بَعْدَ وَفَاتِهِ
 وَإِذَا الْقُلُوبُ قَسَتْ فَلَيْسَ يُبَيِّنُهَا

مَا كَانَ دُونَكُمْ لَهَا مَنْ يَحْجُبُ
 فِي كُلِّ مُعْضَلَةٍ بِكُمْ أَنْحَسَبُ^(١)
 أَعْمَارُهُ وَحِبَالُهُ مَا تَقْضَبُ^(٢)
 بِيَدُ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ تُؤْشَبُ
 كَلَّا وَلَا لِحْسَامٍ رَيْبٍ مَضْرِبُ
 وَيَلْدُ مِنْ كَرَمٍ لَهُمْ أَنْ يَسْغَبُوا^(٣)
 عَنْهُمْ وَيُخْصِبُ جُودُهُمْ أَنْ يُجْدِبُوا
 حَقُّ الْبَيَانِ عَنِ الرِّسَالَةِ يُعْرِبُ
 تَأْبَى نَهَاةُ قِتَالٍ مَنْ لَا يُعْلَبُ
 أُمُّ الزَّمَانِ بِهِنَّ حُبْلَى مُقَرَّبُ^(٤)
 حَادُوا عَنِ الْحَقِّ الْمُبِينِ وَنَكَبُوا
 جَرَبَ الصَّحِيحِ وَلَمْ يَصِحَّ الْأَجْرُ
 جَعَدُوهُ فَامْتَحَنُوا الدَّوَاءَ وَجَرَبُوا
 بِالْبِدَنَاتِ مُقْتَلٌ وَمُصَلَّبُ
 ذُبُحُوا بِهِ ذَبَحَ الْعُجُولِ وَعُدُّوا
 وَالرُّسُلُ مِنْ أَسْفٍ عَلَيْهِمْ تَنْدُبُ
 خِلٌّ يُلُومُ وَلَا عُدُوٌّ يَعْتَبُ

(١) احتسبت بالشيء : اعتدلت به .

(٢) تقضب : تقطع .

(٣) الخصاصه : الفقر . والسغب : الجوع .

(٤) المقرب : قريبة الولادة .

وَأَخُو الضَّالَّةَ قَالَ عِيسَى رَبُّهُ
وَيَقُولُ خَالِقُهُ أَبُوهُ وَإِنَّهُ
أَهْدَاهُ الْعَوْرَاتِ جَاءَتْ كُتُبُهُمْ
فَاعْوَجَّ مِنْهَا مَا اسْتَقَامَ طَلُوعُهُ
عَجَبًا لَهُمْ مَا بَاهَلُوهُ وَلَمْ أَبْتَ
وَلَقَدْ تَحَدَّى بِالْبَيَانِ لِقَوْمِهِ
فَتَهَيَّبُوهُ وَمَا أَتَوْهُ بِسُورَةٍ
مَنْ لَمْ يُؤْهِلْهُ الْإِلَهُ لِحَالَةٍ
عَجَبًا لَهُمْ شَهِدُوا لَهُ بِأَمَانَةٍ
وَارْتَابَ فِيهِ الْمَشْرُكُونَ وَلَمْ يَزَلْ
جَحَدُوا النَّبِيَّ وَقَدْ أَتَاهُمْ بِالْهُدَى
لِلَّهِ يَوْمُ خُرُوجِهِ مِنْ مَكَّةَ
وَالْحِنْ تَنْشِدُ وَخُشَّةَ لِفِرَاقِهِ
وَالْعَارُ قَدْ شَنَّتْ عَلَيْهِ غَارَةً
أَرَأَيْتَ مَنْ يَجْفُو عَلَيْهِ قَوْمُهُ
إِنْ يَكْفُرُوا بِكِتَابِهِ فَكِتَابُهُ
قَامَتْ لَنَا وَعَلَيْهِمْ حُجَجٌ بِهِ

وَنَبِيِّهِ فَأَخُو الضَّلَالِ مُذَبَذَبٌ^(١)
رَبُّ وَإِنْسَانٌ أَلَا فَتَعَجَّبُوا
أَمْ حَرَفُوا مِنْهَا الصَّوَابَ وَوَرَبُّوا^(٢)
فَكَأَنَّهَا بَيْنَ النُّجُومِ الْقَرَبِ
أَخْبَارُ نَجْرَانَ الَّذِينَ تَرَهَّبُوا^(٣)
وَالِيَهُمْ يُعْزَى الْبَيَانُ وَيُنْسَبُ
مِنْ مِثْلِهِ وَيَبْيانُهُمْ يُتَهَيَّبُ
فَاتَتْهُ وَهُوَ لِنَيْلِهَا مُتَاهَبٌ
حَتَّى إِذَا أَدَّى الْأَمَانَةَ كَذَّبُوا
بِالصَّدَقِ عِنْدَ الْمَشْرُكِينَ يُلَقَّبُ
لَوْلَا الْقَضَاءُ سَأَلْتَهُمْ مَا الْمَوْجِبُ
كَخُرُوجِ مُوسَى خَائِفًا يَتَرَقَّبُ
شِعْرًا تَفِيضُ بِهِ الدُّمُوعُ وَتُسْكَبُ
أَعْدَاؤُهُ حِرْصًا عَلَيْهِ وَأَجْلَبُوا
تَحْنُو عَلَيْهِ الْعَنْكَبُوتُ وَتَحْدَبُ
فَلَكَ يَدْوَرُّ عَلَى الْوُجُودِ مُكْوَكَبُ
فَبَدَا الصَّبَاحُ وَجَنَّ مِنْهُ الْغَيْهَبُ

(١) مذذب : حيران أو متردد . (٢) التوريب : المدول عن الشيء بالمعارضات .

(٣) المباهة : الملاعبة . وهذا البيت ورد في م هكذا :

عجبا لهم عرفوا النبي وأعرضوا
ما بالهم ما باهلوه ولم أبْتَ
أخبار نجران الذين ترهبوا
عما يقول من الصواب وأضرَبوا

فَتَصَادَمَ الْحَقُّ الْمُبِينُ وَإِفْكَهُمُ
فَإِذَا النَّفُوسُ عَلَى الرَّذَى تَشْعَبُ
فَدَعَوْا نَزَالَ فَأَوْقَدَتْ نِيرَانَهَا
مُحْمَرُ الْقَنَا وَالْعَادِيَاتُ الشَّرَبُ (١)
فَإِذَا بِيَدَيْنِ الْكُفْرِ يَنْدُبُ فَقَدَهُ
ذُرِّيَّةٌ تُسَبِّي وَمَالٌ يُنْهَبُ
غَالَتْ بُغَاثُهُمْ بُزَاةٌ كَرِيهَةٌ
أُظْفَرُهَا فِي كُلِّ صَيْدٍ تَنْشَبُ
حَتَّى بَكَى عَمْرًا هِشَامٌ فِي الثَّرَى
مِنْ ذِلَّةٍ وَنَعَى حَيًّا أُخْطَبُ (٢)
لَا تُنْكِرُوا بُغْضِي عَدُوَّ الْمُصْطَفَى
إِنِّي بِبُغْضِهِمْ لَهُ أَتَحَبُّ
أَقْسَمْتُ لَا تَنْفَكُ نَارُ قَرِيحَتِي
أَبَدًا عَلَى أَعْدَائِهِ تَتَلَهَّبُ
هَذَا وَنُطْقِي دَائِمًا بِمَدِيحِهِ
أُذَكِّي مِنَ الْوَرْدِ الْجَنِيِّ وَأَطِيبُ
أُهْدِي لَهُ طِيبَ الثَّنَاءِ وَإِنِّهِ
لَيَحِبُّ أَنْ يُهْدَى إِلَيْهِ الطَّيِّبُ
أُنِّي عَلَيْهِ تَشَوُّقًا وَتَعَبُّدًا
لَا أُنِّي لِصِفَاتِهِ أُسْتَوْعِبُ
مُسْتَصْحِبًا مُحِبًّا وَإِيمَانِي لَهُ
وَكَلَامُهَا مِنْ خَيْرِ مَا يُسْتَصْحَبُ
أَشْتَاقُ لِلْحَرَمِ الشَّرِيفِ بِلَوْعَةٍ
فِي الْقَلْبِ تَحْدُو بِي إِلَيْهِ وَتَجْذِبُ
مَالِي سِوَى ذِكْرِي لَهُ فِي رِخْلَتِي
زَادُ وَلَا غَيْرُ اشْتِيَاقِي مَرَكَبُ
وَتَحِيَّةٍ مِنِّي إِلَيْهِ يَرُدُّهَا
مِنْهُ عَلَى مُسَلِّمٍ وَمُرَحَّبُ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ إِنَّ صَلَاتَهُ
فَرَضُ عَلَى كُلِّ الْأَنَامِ مُرَتَّبُ
مَا حَنَّ مُشْتَاقٌ إِلَى أَوْطَانِهِ
مِثْلِي وَرَاحَ بِوَصْفِهَا يَتَشَبَّبُ

(١) العاديات الشرب : الخيل العتاق السريعة العدو .

(٢) عمرو بن هشام : هو أبو جهل . وحبي بن أخطب من رؤساء اليهود .

قال رحمه ؛ الله ^(١) مهنتا فخر الدين عثمان بقدومه ؛ ويعرّض في هجاء بعض النصارى :

أَرِيحُ الصَّبَا هَبَّتْ عَلَى زَهَرِ الرُّبَا فَأَصْبَحَ مِنْهَا كُلُّ قُطْرٍ مُطَيَّبًا
أَمِ الرِّاحُ أَهْدَتْ لِلرِّيَّاحِ مُخَارَهَا فَأَسْكَرَ مَسْرَاهَا الْوُجُودَ وَطَيَّبَا
أَلَمْ تَرَنِي هَزَّ التَّصَابِي مَعَاطِفِي وَرَاجَعَنِي مَارَاقَ مِنْ رَوَاقِ الصَّبَا
فَمَنْ تُحِيرِي مَاذَا السُّرُورُ الَّذِي سَرَى فَلَا بَدَّ حَتَّمَا أَنْ يَكُونَ لَهُ نَبَا
فَقَالُوا : أَعَادَ اللَّهُ لِلنَّاسِ فَخْرَهُمْ وَلِيًّا إِلَى كُلِّ الْقُلُوبِ مُجَبِّبَا
فَقُلْتُ : أَفَخَرُ الدِّينِ عُمَانُ ؟ قَالَ لِي : بَلَى ! ؟ قُلْ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبَا ^(٢)
وَقَالَ الْوَرَى لِلَّهِ دَرْكُ قَادِمًا سَقِينَا بِهِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ صَبِيًّا ^(٣)
وَنَادَى مُنَادٍ بَيْنَهُمْ بِقُدُومِهِ فَرَهَّبَ مِنْهُمْ سَامِعِينَ وَرَغَبَا
فَأَوْسَعَهُمْ فَضْلًا فَأَمَّنَ خَائِفًا وَأَنْصَفَ مَظْلُومًا وَأَخْصَبَ مُجْدِبَا
وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ الْبَسِيطَةُ زِينَةً فَفَضَّضَ مِنْهَا الزَّهَرَ حَلِيًّا وَذَهَبَا
فِيَا فَرَحَةَ الدُّنْيَا وَفَرَحَةَ أَهْلِهَا بِيَوْمٍ لَهُ مِنْ وَجْهِ عُمَانِ أَعْرَبَا ^(٤)
وَشَاهِدْ مِنْهُ صُورَةَ يُوسُفِيَّةَ تَبَاهَى بِهَا فِي الْحَسَنِ وَالْبِئْسِ مَوَكِبَا
مُفَوَّضُ أَمْرِ الْعَالَمِينَ لِزَأْيِهِ فَكَانَ بِهِمْ أَوْلَى وَأَدْرَى وَأَذْرَبَا ^(٥)
أَعِيدُوا عَلَى أَسْمَاعِنَا طِيبَ ذِكْرِهِ ^(٦) لِيُطْفِئَ وَجْدًا فِي الْقُلُوبِ تَلَهَّبَا
وَلَا تَحْجُبُوا الْأَبْصَارَ عَنْ حُسْنِ وَجْهِهِ فَقَدْ كَانَ عَنْهَا بِالْبُعَادِ مُحْجَبَا

(١) ت : وقال رضى الله تعالى عنه ، من الطويل . (٢) ت : قلت أهلا وسهلا ومرحبا .

(٣) ت : سقانا به . (٤) ن : عن وجه . (٥) أذرب : أمضى وأحد .

(٦) هو فخر الدين عثمان ، استادرا الملك الكامل . توفي سنة ٦٢٩ هـ . السلوك للمقرئى « القسم الأول

الجزء الأول ص ٢٤٤ ط دار الكتب سنة ١٩٣٤ » .

وَلِيَّ إِذَا ضَاقَتْ يَدِي وَذَكَرْتُهُ
تَوَسَّلْ بِهِ فِي كُلِّ مَا أَنْتَ طَالِبٌ
وَعِشْ آمِنًا فِي جَاهِهِ إِنَّ جَاهَهُ
تَغَرَّبْتُ يَوْمًا عَنْ بِلَادِي وَزُرْتُهُ
عَلَى أَنْتَى مَا زِلْتُ مِنْ بَرِّكَانِهِ
وَكُنْتُ لِمَا يَرْضَاهُ بِالْغَيْبِ فَاعِلًا
وَلَا كَانَ دِينَارِي مِنَ النَّصْحِ بَهْرَجًا
أَمْوَالِي أَنْسَيْتُ الْوَرَى ذَكَرَ مَنْ مَضَى
وَلِيَّ أَدَبٌ حُرٌّ أَحَرَّمُ بَيْعَهُ
وَقَدْ أَهَجَرُ الْعَذْبُ الزُّلَالُ عَلَى الصَّدَى
وَأَنْصَبُ أَحْيَانًا شِبَاكَ قَنَاعَةٍ
وَمَهْمَا رَأَى شَاعِرٌ مُتَأَسِّدٌ
أُرَاقِبُ مَنْ عَاشَرْتُ مِنْهُمْ كَأَنِّي
كَأَنِّي إِذَا أَهْدَيْتُهُمْ^(١) عَنْ ضَلَالِهِمْ
فَلَا بُورِكَ الْمُسْتَخْدَمُونَ عِصَابَةً
إِذَا مَا بَرَى أَقْلَامُهُ خِلْتُ أَنَّهُ
يَغَالِطُنِي بَعْضُ النَّصَارَى جَهَالَةً

مَلَكَتُ نَصَابًا أَوْ تَوَلَّيْتُ مَنْصِبًا^(١)
فَكَمْ نَلْتُ مِنْهُ بِالتَّوَسُّلِ مَطْلَبًا
لِقُصَّادِهِ رَاضٍ الزَّمَانُ وَهَذَبًا
فَنَلْتُ غَنَى مَا نَالَهُ مَنْ تَغَرَّبَا
غَنِيًّا وَفِي نَعْمَائِهِ مُتَقَلِّبًا
وَكُنْتُ لِمَا لَمْ يَرْضَهُ مُتَجَنِّبًا
لَدَيْهِ وَلَا بَرَقِي مِنَ الْوُدِّ خَلْبًا
وَأَغْنَى نَدَاكَ الْمَادِحِينَ وَأَتَعْبَا
وَمَا كَانَ يَبِيعُ الْحُرُّ لِلْحُرِّ مَذْهَبًا
إِذَا كَدَّرْتُ لِي السَّمْهَرِيَّةُ مَشْرَبًا^(٢)
أُصِيدُ بِهَا نُونًا وَضَبًا وَجُنْدَبًا
تَذَابَّ مِنْهَا خَيْفَةٌ وَتَفْعَلَبَا
أُرَاقِبُ كَلْبًا أَوْ أُرَاقِبُ^(٣) عَقْرَبًا
أُبْصِرُ أَعْمَى أَوْ أَقُومُ أَحَدَبًا
فَكَمْ ظَالِمٍ مِنْهُمْ عَلَى تَعَصُّبَا
يَسُنُّ لَهُ ظُفْرًا وَنَابًا وَخَلْبًا
إِذَا أَوْجَبَ الْمُلَغَى وَالْغَى الْمَوْجِبَا^(٥)

(١) النصاب : من كل شيء : الأصل والمرجع ، ومنه نصاب الزكاة ، وهو قدر من المال إذا بنفته وجبت على مالكه زكاته ، نحو مثق درهم ، وخمس من الإبل . والمنصب في كلام المولدين : ما يتولاه الرجل من العمل ، كأنه محل لنصبه . وفي الكلام القديم بمعنى الأصل والحسب والشرف .

(٢) في د : إذا كدرت في الماء فيه مشربا . وكذلك في الأصل الذي نقلت عنه النسخة التيمورية . و ستن

الذلولي رأى أن الشطر غير مستقيم ؛ فوضعه على النحو المذكور ، وأشار إلى ذلك في الهامش .
(٣) د : أقارب (٤) في الأصل : أهديتهم . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٥) د : إذ وجب الملغى والغى الموجب . والموجب ، بتشديد الهم للوزن : اللازم .

وما كانَ مِنْ عَدَّةِ الثَّلَاثَةِ وَاحِدًا بِأَعْلَمَ مِنِّي بِالْحِسَابِ وَأَكْتَبَا
وما الْحَقُّ فِي أَفْوَاهِ قَوْمٍ كَانَهَا أَوْانَ حَوَتْ مَاءَ خَبِيثًا مُطْعَلِبَا
مُفْلَجَةً أَسْنَانُهَا فَكَلَّهَا أَصَابَ بِهَا الزُّنْجَارُ أَخْجَارَ كَهْرَبَا^(١)
كَأَنَّ ثَنَائِيَهُمْ مِنَ الْخَبَثِ الَّذِي تَحْصَرَمَ فِي نِيَّاتِهِمْ وَتَزَبَّيَا
عَجِبْتُ لِأَمْرِ آلِ الشَّيْخِ مُخْلِصًا^(٢) إِلَى أَنْ يُعَرِّى كَاللُّصُوصِ وَيُضْرَبَا
بَكَيْتُ لَهُ لَمَّا كَشَفْتُ ثِيَابَهُ وَأَبْصَرْتُ جَسْمًا بِالْدمَاءِ مُخْضَبَا
وَحَلَفْتُهُ بِاللَّهِ مَا كَانَ ذَنْبُهُ فَأَقْسَمَ لِي بِاللَّهِ مَا كَانَ مَذْنَبَا
وَلَكِنْ حَبِيبٌ رَاحَ فِي مُصَدَّقًا كَلَامَ عَدُوٍّ مَا يَزَالُ مَكْذَبَا
فَقُلْتُ : وَمَنْ كَانَ الْأَمِيرُ حَبِيبَهُ فَلَا بَدَّ أَنْ يَرْضَى عَلَيْهِ وَيَغْضَبَا
فَصَبْرًا جَمِيلًا فَلَقَدَرُ كَانَتْ قَدْ كَانَ أَمْرًا لَمْ تَجِدْ مِنْهُ مَهْرَبَا
فَإِبْلِيسُ لَمَّا كَانَ ضِدًّا لِآدَمَ تَخْتَلَّ فِي عِصْيَانِهِ وَتَسْبَبَا^(٣)
وَقَدْ كَانَتْ الْعُقْبَى لِآدَمَ دُونَهُ فَتَابَ عَلَيْهِ اللَّهُ مِنْ بَعْدُ وَاجْتَبَى^(٤)
وَمِنْ قَبْلِ ذَا قَدْ كُنْتُ إِذْ كُنْتُ ذَا كِرًا نَهَيْتُكَ أَنْ تَلْقَى الْأَمِيرَ مُقْطَبَا
دَعَاكَ إِلَى أَمْرِ مُهِمٍّ فَجِئْتَهُ كَأَنَّكَ فِي عُرْسٍ أَتَيْتَ مُشْبَبَا
فَلَا تَنْسَ فِينَا لِلْأَمِيرِ قُضِيَّةً فَتَفْتَحَ بَابًا لِلْعِتَابِ مُجَرَّبَا
وَإِيَّاكَ أَنْ تُبْطِئَ عَلَى بِرَاتِنِي فَيَبْقَى عَلَيْكَ اللَّوْمُ مِنْهُ مُرْتَبَا
وَوَخَفَ صَارِمًا هَزَّ الْمَدِيجُ فِرْنَدَهُ^(٥) حَبِيبٌ إِلَيْهِ أَنْ يَهْزَ وَيُنْدَبَا

(١) الزنجار : هو صعد النحاس . والكهريا : الكهيمان ، وهو صمغ شجرة معروفة . والفلاج في الأسنان

بفتحتين : تباعد ما بين الثنايا والرياعيات ، وبابه طرب . (٢) هكذا بالأصل .

(٣) تختل : أظهر الختل ، وهو الخداع . وتسبب : أوجد أسبابا .

(٤) د : وجنبا . (٥) فرند السيف : بريقه ولعانه .

فَلَا فَارَقْتُ مِنْهُ السَّعَادَةَ قَائِمًا وَلَا فَلَّاتَ مِنْهُ الْحَوَادِثُ مَضْرِبًا
وَلَا زَالَ دِينُ اللَّهِ يَرْضَى الَّذِي قَضَى بِهِ فِي بَنِي الْغَالِي وَيَأْبَى الَّذِي أَبِي^(١)

وقال ، عفا الله عنه^(٢) ، يمدح بعض الأمراء :

لَا تَظْلَمُونِي وَتَظْلَمُوا الْحِسْبَةَ فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا^(٣) نِسْبَةٌ
غَيْرِي فِي الْبَيْعِ وَالشَّرَا دَرَبٌ وَلَيْسَ فِي الْحَالَتَيْنِ لِي دُرْبَةٌ
فَهُوَ أَبُو حَبَّةٍ كَمَا ذَكَرُوا لَا يَتَغَاضَى لِلنَّاسِ^(٤) فِي حَبَةٍ
وَقَامَ فِي قَوْمِهِ لِيُنْذِرَهُمْ فَهُوَ يَنْذَارُ قَوْمِهِ أَشْبَهُ
وَالنَّاسُ كَالزَّرْعِ فِي مَنَابِتِهِ هَذَا لَهُ تَرْبَةٌ وَذَا تَرْبَةٌ
تَاللَّهِ يَرْضَى فَضْلِي وَلَا أَدْبَى وَلَا طِبَاعِي فِي هَذِهِ السُّبَّةِ
أَجْلِسُ وَالنَّاسُ يَهْرَعُونَ إِلَيَّ فَعَلِيَ فِي السُّوقِ عُصْبَةٌ عُصْبَةٌ
أَوْجِعُ زَيْدًا ضَرْبًا وَأُشْبِعُهُ سَبًّا كَأَنِّي مُرْقِصُ الدُّبَّةِ
وَيُكْسِبُ الْغَيْظُ مَقْدَتِي وَخَدَّتِي أَحْمَرَارًا كَزَامِرِ الْقِرْبَةِ
وَأَمْرُ النَّاسِ بِالصَّلَاحِ وَلَا أَصْلِحُ نَفْسِي ، حُرْمَتُهَا حِسْبَةٌ
لَمْ أَرَ فِي قُبْحٍ فِعْلَهَا حَسَنًا كَالْكَلْبِ فِي السُّوقِ يُلْقِحُ الْكَلْبَةَ
وَمَا كَفَّاهَا حَتَّى يُحَيِّلَ لِي أَنْ اتَّبَاعَ أَهْوَائِهَا^(٥) قُرْبَةٌ
أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ كَمَنْ تَغْلِبُهُ فِي الرَّقَاعَةِ الرَّغْبَةُ

(١) ت ، د : بنى الغال . ولا يستقيم الوزن بذلك . فلعلها ؛ بنى الغالي : وهم من النصارى ، الذين

يعرض بهم في قصيدته . (٢) ت : وقال لما أمره السابق بولائه الحسبة ، وامتنع عنها ،

وعانده فيها الفخر الفيشي . (٣) د : بينه . (٤) في الأصل : لا يتقاضى الناس . تحريف .

(٥) ت : أتباعي أهدائها ، د : أتباع إهدائنا . وقد رجعت ما أثبتته .

يمشى بها والصغار تُفْسِدُهُ : أَمِيرُنَا زَارَنَا بِلَا رِكْبَةٍ^(١)
وما يزال الفُلامُ يَتَّبِعُهُ بِدِرَّةٍ مِثْلَ رَأْسِهِ صَلْبَةٍ
وهو يقول : افسَحُوا لِمُحْتَسِبٍ قَدْ جَاءَكُمْ^(٢) مِنْ دِمَشْقَ فِي عُيْبَةٍ
لا تَتَّقِلْ يَا فُلَانُ فِي بَلَدٍ لَمْ^(٣) تَتَّقِلْ مِنْكَ بَيْنَهُمْ ضَبَّةً
فمن تَبَاهَى بِأَنَّهُ وَتَدَّ فَلْيَحْتَمِلْ^(٤) دَقَّ كُلِّ مِرْزَبَةٍ
ما باله خايلَ الزمانِ بها كَمْ كَانَ لِلَّيْلِ فِيكَ مِنْ صَبَةٍ
وقائلٍ لَمْ يَقُلْ أَنَّهُ كَذَا يَسْفُهُ فِي قَوْلِهِ وَلَا يُجِبُهُ
معناه مَنْ لَمْ يَكُنْ كَوَالِدِهِ فَهُوَ لَقِيطٌ رَمَتْ بِهِ قَحْبَهُ
قلتُ لهم عِنْدَ صَاحِبِي مُحَقِّقٌ فِي كُلِّ حِينٍ يُلْقِيهِ فِي نَكْبَةٍ
حَصَلَ مَالًا جَمًّا وَعَدَدَهُ مِنْ أَصْلِ مَالِ الزَّكَاةِ وَالْوَهْبَةِ
وَصَارَ عَدْلًا وَعَاقِدًا وَأَمِينَ الْحُكْمِ^(٥) مَنْ دَوَّنَ الْعَدُولَ فِي حِقْبَةٍ
مُنْبَهً^(٦) قَوْمَهُ عَلَى شُغْلٍ وَسَاعَدَ الْوَقْتَ سَعَدَ مَنْ نَبَهَ
وَحِفْتُ مِنْ عَتَبِهِمْ عَلَى كَمَا خَافَ الْعَتَاهِي الْعَتَبَ مِنْ عَتْبَةٍ
فَطَارَ بُرْغُوثُهُ^(٧) خَلْفَتِهِ وَرَامَ يَحْكِي الْأَسْوَدَ فِي الْوَيْبَةِ
فَلَمْ يَرِمْ إِذْ رَمَتْهُ بِطَنْتِهِ^(٨) إِلَى وَهُودٍ^(٩) الْخَمُولِ مِنْ هَضْبَةٍ
أَغْرَقَهُ^(١٠) جَهْلُهُ وَمَا سَتَرَتْ^(١١) قَطُّ^(١٢) لَهُ سُرَّةٌ وَلَا رُكْبَةً

(١) ت : أميرنا زارنا بركبه . (٢) د ، ت : كم جاءكم . (٣) ت ، د : قد .

(٤) د : فليحمل . (٥) من : ساقطة من ت ، د : المدل ، وهذه رواية ت ،

(٦) ت ، د : نبه . (٧) د : من غوثه . (٨) ت : قطته .

(٩) ت : وهاد . (١٠) ت : أغره . (١١) ت : ستر له .

(١٢) ساقطة من الأصل .

وَعَادَ تَمَوِيَّهُ^(١) عَلَيْهِ وَكَمْ أَخْجَلَ شَيْبُ الذُّقُونِ مَنْ خَضَبَهُ
 وَرَاحَ مِثْلَ النَّوَاتِ^(٢) فِي سَفْنٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ سُلَافَةٍ عَطَبَهُ
 وَسَاءَنِي مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنَ الذُّسُوقِ يَوْمَ الْخَمِيسِ فِي التُّرْبَةِ
 فَلَا تَسَلِّنِي فَمَا حَضَرْتُ لَهَا لَكِنْ سَمِعْتُ الصِّيَاحَ وَالذُّبَةَ
 وَقَالَتِ النَّاسُ عِنْدَ مَا وَرَدَتْ لِعَزْلِهِ الْكُتُبُ هَانَتْ الْوَجْهَةُ
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ فَاحْمَدُوهُ مَعِيَ عَلَى خَلَاصِي مِنْ هَذِهِ النَّسْبَةِ
 الْيَوْمَ حَقَّقْتُ أَنَّ أَمْرَكَ بِالْحِسَابَةِ [إِلَى] لَيْسَ كَانَ لِي لُغْبَةُ
 يَا مَاجِدًا مَا يَزَالُ يُنْقِذُ مَنْ رَمَاهُ رَيْبُ الزَّمَانِ فِي كُرْبَةٍ
 إِنِّي أَمْرُو حَرِيقِي الْحِسَابُ فَلَا يَدْخُلُ رَيْبٌ عَلَيَّ فِي حِسْبَةٍ
 وَلَا تَرُدُّ الْكُتَّابُ جَائِزَةً عَلَى حِسَابِ^(٣) مَنِّي وَلَا سَطْبَةَ
 يَشْرُقُ مِنِّي بِرَيْقِهِ رَجُلٌ يَشْرَبُ مَالَ الْعُمَالِ فِي شَرْبَةٍ
 وَالشَّعْرُ مِيزَانُهُ أَقْوَمُهُ^(٤) وَلَيْسَ تَنْقَامُ مِنْهُ لِي حَدَبَةٌ
 فَإِنِّي^(٥) لَا أَرَى^(٦) الْمَدِيحَ بِهِ لِلْمَالِ بَلْ لِلْوِدَادِ وَالصُّحْبَةِ
 وَالشَّعْرُ عِنْدِي^(٧) أَخُو الْعَدَالَةِ لَا أَحْسِبُ أَقْوَالَهُ^(٨) وَلَا كَسْبَهُ
 فَلَمْ أَكُنْ أَتَّبِعُ الْعَذُولَ إِلَى عَقْدٍ إِذَا مَادُّعَاؤُهُ خُطْبَةً
 مِنْ كُلِّ مَنْ لَا يَخَافُ عَاقِبَةً كَأَنَّهُ فِي ذَهَابِهِ عُقْبَةً
 يَذْبُجُهُ ظُلْمُهُ وَيَنْحَرُّهُ الْجَهْلُ بِلا شَفَرَةٍ وَلَا حَرْبَةٍ

(١) د : توهمه . (٢) ت : النوق . (٣) د : حسابي : (٤) د ، ت : أقومها .

(٥) د : فاني . (٦) ت : لا أدري . (٧) ساق من د ، ت : وبدونها لا يستقيم الوزن .

(٨) ت : أقوامه .

كَمْ غَيَّةٍ قَدْ أَتَاكَ بِهَا الشَّاهِدُ فِي سَلَمٍ وَفِي كَذِبَةٍ
يُنِيلُ نَيْلُ الْفُسُوقِ مِنْ فِيهِ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ جَعَبَةٍ
فَلَيْسَ لِي فِي الشُّهُودِ مِنْ^(١) أَرَبٍ إِذْ وَصِفُوا كَالْيَهُودِ بِالْأَرْبَةِ
فَارْحَمَ لَيْبِيًّا يَوْمًا^(٢) دَعَاكَ وَقَدْ بَلَّغْتَ^(٣) الْجُوعُ رُوحَهُ اللَّيْبَةَ^(٤)
لَوْ عُمَرَ ابْنُ الْعِمَارِ حَوْلَهُ نِيَابَةً الْخِدْمَتَيْنِ وَالْخُلُطَبَةِ
وَلَمْ يَدْعُهُ كَلًّا^(٥) عَلَى أَحَدٍ بَغِيرِ نَفْعٍ كَأَنَّهُ وَلَيْبِهِ^(٦)
حَاشَاكَ يَا مَنْ أَبْوَابُهُ وَطَنِي تَخْتَارُ لِي أَنْ أَمُوتَ فِي الْغُرْبَةِ
وَأَنْ حَالِي وَحَالَ عَائِلَتِي لَا يَحْمِلُونَ النَّوَى وَلَا الْغُرْبَةَ
إِنْ كَانَ أَرْضَى الزَّمَانَ فُرَقْنَا فَاغْضَبْ عَلَى صَرْفِهِ لَنَا غَضَبَهُ
فَأَنْتَ مِنْ مَعْشَرٍ تُطِيعُهُمُ الْيَأْمُ عَنْ رَغْبَةٍ وَلَا رَهْبَةٍ
وَمِنْ مَالِكٍ مَافَوْقَ رُتْبَتِهِ عَلَى عَظِيمِ انْتِصَاعِهِ رُتْبَتِهِ
مَامَلِكُ الرُّومِ فِي جَلَالَتِهِ أَحَقَّ مِنْهُ بِالطَّيْرِ وَالْقُبَةِ
أَنْتَ الْأَمِيرُ الْمَعِيدُ أَلَسُنَا كَالْعُودِ مِنْهُ بِذِكْرِهِ رَطْبَهُ
وَالسَّابِقُ الْأَوَّلِينَ فِي كَرَمٍ لَمَّا جَرَى وَالْكَرَامُ فِي حَلْبَةٍ
وَالْهَازِمُ الْجَيْشَ وَالْكَتَائِبَ بِالطَّفَنَةِ يَوْمَ الْوَعَى وَبِالضَّرْبَةِ
وَالطَّاهِرُ الذَّيْلَ وَالطَّوِيَّةَ أَوْ يَكْنِي السَّعِيدَ الْحَرَكَ وَالنَّصْبَةَ^(٧)
مَنْ خَلَقَهُ كَالنَّسِيمِ يَنْشُرُ إِنْ هَبَّ عَلَيْهِ مِنْ نَشْرِهِ هَبَةٌ

(١) من : ساقطة من د ، ت . وقد أضفنا لوزن الشعر . (٢) إذا : [ساقطة من د ، ت :

والزيادة من عند الوزن . (٣) د ، ت : من شدة الجوع . والجوع : الحمصة .

(٤) اللبة : المنصر . (٥) كلا : عبأ . (٦) يريد كأنه والبة ، وهى فراخ الزرع ، وقيل الزرعة نبت من

عرق الزرعة الأولى . (٧) النصبه : المرة من النصب ، أى الثعب .

وَمَنْ إِذَا ذَكَرْتَ سُودُدَهُ يَهْزُنِي عِنْدَ ذِكْرِهِ طَرَبَهُ
صَلَاحُهُ اسْتَحْدَمَ الزَّمانَ لَهُ فَصارَ يَمْشِي قُدَّامَهُ حَبَبَهُ

قافية الحاء . قال يمدحه ، صلى الله عليه وسلم ، وهي من الكامل ^(١) :

أَمْدَاحُ لِي فِيكَ أَمْ تَسْبِيحُ لَوْلَاكَ مَا غَفَرَ الذُّنُوبَ مَدِيحُ
حُدِّثْتُ أَنَّ مَدَائِحِي فِي الْمُصْطَفَى كَفَّارَةٌ لِي وَالْحَدِيثُ صَحِيحُ
أَرِيجُ يَمْنُ أَهْدَى إِلَيْهِ نَنَاءُهُ إِبْنُ الْكَرِيمِ لَرَّاجٍ مَرْبُوحُ
يَا نَفْسُ دُونَكَ مَدَحَ أَحْمَدُ إِنَّهُ مِسْكٌ تَمَسَّكَ رِيحُهُ وَالرُّوحُ
وَنَصِيحُكَ الْأَوْفَى مِنَ الذِّكْرِ الَّذِي مِنْهُ الْعَبِيرُ لِسَامِعِهِ يَفُوحُ
إِنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا مِنْ رَبِّهِ كَرَمًا بَكْلٌ فَضِيلُهُ مَمْنُوحُ
اللَّهُ فَضَّلَهُ وَرَجَّحَ قَدْرَهُ فَلَيْسَ لَهُ التَّفْضِيلُ وَالتَّرْجِيحُ
إِنْ جَاءَ بَعْدَ الْمُرْسَلِينَ فَفَضْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ جَاءَ الْمَسِيحُ وَنُوحُ
جَاءُوا بِوَحْيِهِمْ وَجَاءَ بِوَحْيِهِ فَكَأَنَّهُ بَيْنَ الْكُوكَبِ يُوحُ ^(٢)
حَارَتْ عَقُولُ النَّاسِ فِي أَوْصَافِهِ وَتَبَلَّدَتْ وَلَهَا بِهَا تَنْفِيحُ
أَتَى يُكَيِّفُهَا أَمْرًا وَيَحْدُثُهَا بِالْقَوْلِ وَهِيَ لَذَا الْوُجُودِ الرُّوحُ
رَدَتْ شَهَادَتَهُ أَنْاسٌ مَالَهُمْ طَعْنٌ عَلَيْهِ بِهَا وَلَا تَجْرِيجُ
وَلَقَدْ أَتَى بِالْبَيِّنَاتِ صَحِيحَةً لَوْ أَنَّ نَاطِرَ مَنْ عَصَاهُ صَحِيحُ
عَرَفُوهُ مَعْرِفَةَ الْيَقِينِ وَأَنْكَرُوا إِنَّ الشَّقِيَّ إِلَى الشَّقَاءِ جَمُوحُ

(١) ت : وقال ، رضى الله عنه وأرضاه ، من الكامل . (٢) يوح : الشمس .

فَأَبَادَ مَنْ أَبْدَى مُخَالَفَةً لَهُ فَالسَّيْفُ مِنْ تَعَبِ الْخِلَافِ قَرِيحُ
وَجَلَا ظِلَامَ الظُّلَمِ لَمَّا أَوْ مَضَتْ وَمَضَتْ لَدَيْهِ صَحَائِفُ وَصَفِيحُ ^(١)
شَيْثَانٍ لَا يَنْفِي الضَّلَالِ سِوَاهَا نُورُ مُفَاضٍ أَوْ دَمٌ مَسْفُوحُ
عَجَبًا لَهُمْ لِمَ يُنْكِرُونَ نُبُوَّةَ ثَبَّتْ وَلَمْ يُنْفَخِ بَادَمَ رُوحُ
مَالِي اشْتَعَلْتُ بِزَجْرِهِمْ فَكَانِي بَيْنَ الطَّوَائِفِ طَارِقُ ^(٢) مَنْبُوحُ
لَا تُتَعَبِينَ بِذِكْرِهِمْ قَلْبًا غَدَا وَلَهُ بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ تَرْوِيحُ ^(٣)
وَأَنْشُرْ أَحَادِيثَ النَّبِيِّ فِكْلُ مَا تَرْوِيهِ مِنْ خَيْرِ الْحَبِيبِ سَلِيحُ
وَإِذَا كُرُ مَنَاقِبَهُ ۖ الَّتِي أَلْفَاظُهَا ضَاقَ الْفَضَاءُ بِذِكْرِهَا وَاللُّوحُ ^(٤)
أَعْجَبْتَ أَنْ غَدَتِ الْغَمَامَةُ آيَةً لِمُحَمَّدٍ يَغْدُو بِهَا وَيَرْوَحُ
أَوْ أَنْ أَتَتْ سَرْحٌ إِلَيْهِ مُطِيعَةً فَكَأَنَّمَا أَتَتْ الرِّيَاضَ سُرُوحُ ^(٥)
وَلَمَنْبَعِ الْمَاءِ الْمَعِينِ بَرَاةٍ رَاحَ الْحَصَى وَلَهُ بِهَا تَسْلِيحُ
أَوْ أَنْ يَحْنَنَّ إِلَيْهِ جَذَعُ يَاسٍ شَوْقًا وَيَشْكُو بَثَّهُ وَيَنُوحُ ^(٦)
حَتَّى دَنَا مِنْهُ النَّبِيُّ وَمَنْ دَنَا مِنْهُ نَأَى عَنْ قَلْبِهِ التَّبَرُّيحُ
وَبَانَ بِكَلِمَتِهِ الدَّرَاعُ وَكَيْفَ لَا يُفْضِي إِلَيْهِ بِسِرِّهِ وَيَبُوحُ
وَبَانَ يَرَى الْأَعْمَى وَتَقَلَّبَ الْعَصَا سَيْفًا وَيَحْيَا الْمَيِّتُ وَهُوَ طَرِيحُ
وَبَانَ يُغَاثُ النَّاسُ فِيهِ وَقَدْ شَكُّوا تَحَلًّا لَوْجِهِ الْأَرْضُ مِنْهُ كُلوْحُ ^(٧)

(١) أومضت : لمعت . ومضت : من المضاء والجلدة . (٢) الطارق : الآتى ليلا .
(٣) ترويح ، من الراحة . (٤) اللوح : الهواء . (٥) السروح : الدواب السارحة : جمع سرح ،
وقد تكون بمعنى الأشجار الكبيرة . (٦) البث : الحزن .
(٧) الكلوح : العبوس .

وَبَأْنُ يَفِيضَ لَهُ وَيَعْذِبَ مِنْهُلْ
 قَدْ كَانَ مُرًّا مَآوُهُ الْمَزْجُوحُ
 يَا بَرْدَ أَكْبَادٍ أَصَابَ عِطَاشُهَا
 مَا بِبَرِّقِ مُحَمَّدٍ مَجْدُوحُ^(١)
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ إِنَّ صَلَاتَهُ
 غَيْثُ لِيلَاتِ الذُّنُوبِ مُزِيحُ
 أَسْرَى إِلَهُهُ بِجِسْمِهِ فَكَأَنَّهُ
 بَطَلٌ عَلَى مَتْنِ الْبَرَاقِ مُشِيحُ^(٢)
 وَدَنَا فَلَإِ يَدُ أَمَلٍ مُتَمَدَّةُ
 طَمَعًا وَلَا طَرْفَ إِلَيْهِ طَمُوحُ
 حَتَّى إِذَا أُوحِيَ إِلَيْهِ اللَّهُ مَا
 أَوْحَى وَتَوْبُ أَدِيمِهِ
 عَادَ الْبَرَاقُ بِهِ وَتَوْبُ أَدِيمِهِ
 قَدَرُوا شَيَاطِينَ الْأَلَى كَفَرُوا بِهِ
 تَاللَّهِ مَا الشُّبُهَاتُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ
 كَمْ بَيْنَ جِسْمٍ عَدَلَتْ حَرَكَاتِهِ
 لَوْلَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَعِلْمُهُ
 عَقَدَ الْإِلَهُ بِهِ الْأُمُورَ فَلَمْ يَكُنْ
 ضَلًّا الَّذِينَ تَأَلَّمُوا أَحْبَارَهُمْ
 يَا أُمَّةَ الْمُخْتَارِ قَدْ عُوِفْتُمْ
 فَاسْتَبَشِرُوا بِشِرَا الْإِلَهِ وَبَيْعَكُمْ
 وَتَعَوَّضُوا ثَمَنَ النَّفُوسِ مِنَ الْهُدَى
 يَأْمَنُ خَزَائِنُ جُودِهِ^(٣) مَمْلُوءَةٌ
 نَدْعُوكَ عَنْ فَقْرٍ إِلَيْكَ وَحَاجَةٍ
 قَدْ كَانَ مُرًّا مَآوُهُ الْمَزْجُوحُ
 مَا بِبَرِّقِ مُحَمَّدٍ مَجْدُوحُ^(١)
 غَيْثُ لِيلَاتِ الذُّنُوبِ مُزِيحُ
 بَطَلٌ عَلَى مَتْنِ الْبَرَاقِ مُشِيحُ^(٢)
 طَمَعًا وَلَا طَرْفَ إِلَيْهِ طَمُوحُ
 حَتَّى إِذَا أُوحِيَ إِلَيْهِ اللَّهُ مَا
 أَوْحَى وَتَوْبُ أَدِيمِهِ
 عَادَ الْبَرَاقُ بِهِ وَتَوْبُ أَدِيمِهِ
 قَدَرُوا شَيَاطِينَ الْأَلَى كَفَرُوا بِهِ
 تَاللَّهِ مَا الشُّبُهَاتُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ
 كَمْ بَيْنَ جِسْمٍ عَدَلَتْ حَرَكَاتِهِ
 لَوْلَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَعِلْمُهُ
 عَقَدَ الْإِلَهُ بِهِ الْأُمُورَ فَلَمْ يَكُنْ
 ضَلًّا الَّذِينَ تَأَلَّمُوا أَحْبَارَهُمْ
 يَا أُمَّةَ الْمُخْتَارِ قَدْ عُوِفْتُمْ
 فَاسْتَبَشِرُوا بِشِرَا الْإِلَهِ وَبَيْعَكُمْ
 وَتَعَوَّضُوا ثَمَنَ النَّفُوسِ مِنَ الْهُدَى
 يَأْمَنُ خَزَائِنُ جُودِهِ^(٣) مَمْلُوءَةٌ
 نَدْعُوكَ عَنْ فَقْرٍ إِلَيْكَ وَحَاجَةٍ
 وَمَجَالُ فَضْلِكَ لِلْعُفَاةِ^(٤) فَسِيحُ
 لِيُحَرِّمُوا وَيَحْلُلُوا وَيُبْدِيحُوا
 مِمَّا ابْتَلُوا وَالْمُبْتَلَى مَفْضُوحُ
 مِنْهُ فِيزَانُ الْوَفَاءِ رَجِيحُ
 فَمِنْ الْهُدَى ثَمَنُ النَّفُوسِ رَبِيحُ
 كَرَّمَا وَبَابُ عَطَائِهِ مَفْتُوحُ
 وَمَجَالُ فَضْلِكَ لِلْعُفَاةِ^(٤) فَسِيحُ

(١) المجدوح : المزوج .
 (٢) المجدوح : المزوج .
 (٣) جنح إلى الشيء : مال إليه .
 (٤) الأديم : الجلد . ونضحه بالماء : أى رشه .
 (٥) د : خزائن ملكه .
 (٦) د : للعباد .

فَاصْفَحْ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسِيءِ تَكَرُّمًا إِنَّ الْكَرِيمَ عَنِ الْمُسِيءِ صَفُوحٌ
وَأَقْبِلْ رَسُولَ اللَّهِ عُدْرَ مُقَصِّرٍ هُوَ إِنْ قَبِلْتَ بِمَدْحِكَ الْمَدُوحُ
فِي كُلِّ وَادٍ مِنْ صِفَاتِكَ هَائِمٌ وَبِكُلِّ بَحْرٍ مِنْ نَدَاكَ سَبُوحُ
يَرْتَاحُ إِنْ ذُكِرَ الْحَمْدُ وَعَقِيقُهُ وَأَرَاكَهَ وَثَمَاهُ وَالشَّيْخُ^(١)
شَوْقًا إِلَى حَرَمٍ بَطِينَةٍ آمِنٍ طَابَتْ بِذَلِكَ رَوْضَةٌ وَضَرِيحُ
إِنِّي لَا أَرْجُو أَنْ تَقَرَّ بِقُرْبِهِ عَيْنِي وَيُؤَمِّسَ قَلْبِي الْمَجْرُوحُ^(٢)
فَاكْحَلْ بِطَيْفٍ مِنْهُ طَرَفًا جَفْنُهُ بِدُمُوعِهِ حَتَّى يَرَاهُ قَرِيحُ^(٣)
فَلَقَدْ حَبَانِي اللَّهُ فِيكَ مَحَبَّةً قَلْبِي بِهَا إِلَّا عَلَيْكَ شَحِيحُ
دَامَتْ عَلَيْكَ صَلَاتُهُ وَسَلَامُهُ يَتَلَوُ غَبُوقُهُمَا لَدَيْكَ صَبُوحُ^(٤)
مَا أَفْتَرَّ ثَغْرُهُ لِلْأَزْهَرِ أَشْنَبُ وَأَنْهَلَ دَمْعُ السَّحَابِ سَفُوحُ

قافية الدال : وقال^(٥) يمدح أهل البيت عليهم السلام :

جَنَابِكَ مِنْهُ تُسْتَفَادُ^(٦) الْفَوَائِدُ وَلِلنَّاسِ بِالْإِحْسَانِ مِنْكَ عَوَائِدُ
فَطَوَى لِمَنْ يَسْعَى لِمَشْهَدِكَ الَّذِي تَكَادُ إِلَى مَعْنَاهُ تَسْعَى الْمَشَاهِدُ
إِذَا يَمَمْتُهُ الْقَاصِدُونَ تَيْسَّرَتْ عَلَيْهِمْ - وَإِنْ لَمْ يَسْأَلُوكَ - الْمَقَاصِدُ
تَحَقَّقَتْ^(٧) الْبُشْرَى لِمَنْ هُوَ رَاكِعٌ يُرْجَى بِهِ فَضْلًا وَمَنْ هُوَ سَاجِدُ
فَعَفَّرَتْ الشُّبَانُ وَالشَّيْبُ أَوْجَهَا بِهِ وَالْعَذَارَى حُسْرًا وَالْقَوَاعِدُ

(١) الأراك : شجر معروف . الثمام والشبح : من النبات . (٢) يوسى : يداوى .

(٣) القريح : الجريح ، د : حتى يراح . (٤) الغبوق : شرب آخر النهار . والصبوح : شرب أوله . والمعنى هنا ، أن يردد الصلاة على النبي صباح مساء .

(٥) ت : وقال ، عفا الله عنه ، من الطويل . (٦) د : تستفيد . (٧) د : تحققه .

هُوَ الْمَنْهَلُ الْعَذْبُ الْكَثِيرُ زِحَامُهُ
أَتَيْتُ إِلَيْهِ وَالرَّجَاءُ مُحَلَّاً
فِيَالِكَ مِنْ يَأْسٍ بَلَغَتْ بِهِ الْمَتَى
أَلَذُّ مِنَ الْمَاءِ الزَّلَالِ مَوَاقِعَا
سَلِيلَةَ خَيْرِ الْعَالَمِينَ «نَفِيسَةً»
إِذَا جُحِدَتْ شَمْسُ النَّهَارِ ضِيَاءُهَا
بِأَبَائِكَ الْأَطْهَارِ زُيِّنَتْ الْعُلَا
وَرِثَتْ صِفَاتِ الْمِصْطَفَى وَعُلُومُهُ
فَلَمْ يَنْدَسِطْ إِلَّا بِعِلْمِكَ عَالَمُ
مَعَارِفُ مَا يَنْفَكُّ يُفْضِي بِسِرِّهَا^(١)
يُضِيءُ مُحْيَاهُ كَانَ ثَنَاءُهُ
إِذَا مَاضَى مِنْهُمْ إِمَامٌ هَدَى أُنَى
تَبَلَّجَ مِنْ نَوْرِ النُّبُوَّةِ وَجْهُهُ
وَفَاضَتْ بِحَارُ الْعِلْمِ مِنْ قَطْرِ سُحُبِهَا
رَأَى زِينَةَ الدُّنْيَا غُرُورًا فَعَاظَهَا
كَأَنَّ الْمَعَالِيَ الْآهْلَاتِ بَغْيَرِهِ
إِذَا ذُكِرَتْ أَعْمَالُهُ وَعُلُومُهُ

فَرَدَّهُ فَمَا مِنْ دُونِ وَرْدِكَ ذَائِدُ
فَمَا عُدْتُ إِلَّا وَالْحَلَا وَارِدُ^(٢)
وَعُسْرٍ لَا أَقْصَالَ الْبَسَارِ مَقَالِدُ
عَلَى كَبِدِ الظَّمَانِ وَالْمَاءِ بَارِدُ
سَمَتْ بِكَ أَعْرَاقُ وَطَابَتْ مَحَادِدُ^(٣)
فَفَضْلُكَ^(٤) لَمْ يَجْحَدْهُ فِي النَّاسِ جَاوِدُ
فَحَبَّاتُ عِقْدِ الْمَجْدِ مِنْهُمْ فَرَائِدُ
فَفَضْلُكُمْ لَوْلَا النُّبُوَّةُ وَاحِدُ
وَلَمْ يَنْقُضْ إِلَّا بِزُهْدِكَ زَاهِدُ
إِلَى مَا جِدَّ مِنْ آلِ أَحْمَدَ مَا جِدَّ
إِلَى الصُّبْحِ سَارٍ أَوْ إِلَى النَّجْمِ صَاعِدُ
إِمَامٌ هُدَى يَدْعُو إِلَى اللَّهِ رَاشِدُ
فَمَنْهُ عَلَيْهِ لِلْعِيُونِ شَوَاهِدُ
عَلَيْهِهِ فَطَابَتْ لِلْوَرَادِ الْمَوَارِدُ
فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا عَلَى الْفَضْلِ حَاسِدُ
رُبُوعٌ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا وَمَعَاهِدُ
أَقْرَبَ لَهَا زَيْدٌ وَبَكْرٌ وَخَالِدُ

(٢) ت: محامد .

(٤) د : يبسرهما .

(١) محلاً : مصدرود : من حلاه : بمعنى صده .

(٣) ت : لفضلك .

وَمَا يَسْتَوِي فِي الْفَضْلِ حَالِي وَعَاطِلِي
فَقُلْ لِيَّتِي الزَّهْرَاءُ وَالْقَوْلُ قُرْبَةً
أَحَبُّكُمْ قَلْبِي فَأَصْبَحَ مَنْطِقِي
وَهَلْ حُبُّكُمْ لِلنَّاسِ إِلَّا عَقِيدَةٌ
وَإِنْ أَعْتَقَادًا خَالِيًا مِنْ مَحَبَّةٍ
وَإِنِّي لَا زَجْوَأَنَ سَيُلْحِقُنِي بِكُمْ
فَإِنَّ سَرَاةَ^(٢) الْقَوْمِ مِنْهُمْ عَبِيدُهُمْ
فَدَتَكُمْ أَنْاسٌ نَازِعُوكُمْ سِيَادَةً
أَرَادُوا بِكُمْ كَيْدًا فَكَادُوا نَفُوسَهُمْ
فَإِنْ حَبِزَتِ الدُّنْيَا إِلَيْهِمْ فَإِنَّ مَنْ
وَلَوْ أَنْكُمْ أَبْنَاؤُهَا مَا أَبْتَنَكُمْ
إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الْقَضَايَا الَّتِي جَرَتْ
وَجَدَدَتِ الذِّكْرَى عَلَى السَّالِبِلَا
أَفِي مِثْلِ ذَاكَ الْخُطْبِ مَا سُلَّ مُغَمَّدٌ
تَعَاظَمَ رُزْءًا فَالْعُيُونُ شَوَاحِصٌ
وَطُفَّفَ^(٥) يَوْمَ الطَّفِّ كَيْلُ دِمَائِكُمْ^(٦)
فِيَا فِتْنَةً بَعْدَ النَّبِيِّ بِهَا عَدَا

وَلَا قَاعِدٌ يَوْمَ الْوَعَى وَبِمَجَاهِدٍ
يَكِلُ لِسَانٌ فِيهِمْ أَوْ حَصَائِدُ^(١)
يُجَادِلُ عَنْكُمْ حِسْبَةً وَيُجَالِدُ
عَلَى أَثْمِهَا فِي اللَّهِ تُبْنَى الْقَوَاعِدُ
وَوُدِّ لَكُمْ آلَ النَّبِيِّ لِفَاسِدٍ
وَلَا تُفِي فَيَدْنُو الْمَطْلَبُ الْمُتَبَاعِدُ
وَإِنْ حُرُوفَ النُّطْقِ مِنْهَا الزَّوَائِدُ
فَلَمْ أَدْرِ سَادَاتُ هُمْ أَمْ أَسَاوِدُ
بِكُمْ وَعَلَى الْأَشْقَى تَعُودُ الْمَكَائِدُ
نَفَى زَيْفَهَا سَلَمًا^(٣) إِلَيْهِمْ لِنَاقِدٍ
وَمَا كَانَ مَوْلُودٌ لِيَابَاهُ وَالِدُ
أَفِضْتُ عَلَى جَنْبِيَّ مِنْهَا الْمَرَاقِدُ
أَكَايِدُ مِنْهَا فِي الدُّجَى مَا أَكَايِدُ
وَلَا قَامَ فِي نَصْرِ الْقَرَابَةِ قَاعِدُ
لَهُ دَهْشَةٌ وَالثَّائِلَاتُ سَوَامِدُ^(٤)
إِذَا الدَّمُ جَارٍ فِيهِ وَاللَّمْعُ جَامِدُ
يُهْدَمُ إِيْمَانُ وَتُبْنَى مَسَاجِدُ

(١) حصائد الألسنة : هو ما قيل في الناس باللسان . والأصل : لكل لسان فيهم أو حصائد ، فغلبه أقواء

(٢) ت : صدور . (٣) السلم : السلام ، ضد الحرب .

(٤) سوامد : جمع سامدة ، وبابه : دخل ، ومعناه اللامية ، ويقصد هنا التي شغلها الحزن .

(٥) طفف : زاد على حده . والطف : المكان الذي قتل فيه الحسين بن علي على قرب الكوفة .

(٦) د ، ت : ذمائكم ، بالذال المعجمة ، ونظن الصواب ما أثبتناه .

وَمَا فَتَنَتْ بَعْدَ ابْنِ عِمْرَانَ قَوْمُهُ
كَذَلِكَ أَرَادَ اللَّهُ مِنْكُمْ وَمَنْهُمْ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَحْضُ سَعَادَةٍ
وَأَنْتُمْ أَنْاسُ أَذْهَبِ الرَّجْسِ عَنْهُمْ
إِذَا مَارَ ضَوْا لِلَّهِ أَوْ غَضِبُوا لَهُ
وَسَيَّانٍ مِنْ جَنْبِ الْعِدَا مُتَوَقِّدٌ
وَقَدْتُ عَلَيْكُمْ بِالْمَدِيحِ وَكُلِّكُمْ
وَقَدْ بَيَّنَّتْ لِي هَلْ^(١) أَتَى كَمْ أَتَى بِهَا
فَلَوْلَا تَغَاضِيكُمْ لَنَا فِي مَدِيحِكُمْ
وَلَمْ أَرْتَرِقْ مِنْ غَيْرِكُمْ بِتَجَارَةٍ
عَدْتُ لِقَوْمٍ مِنْهُمْ فَكَأَنَّنِي
أَطْلُبُ مِنْ قَوْمٍ سِوَاكُمْ مُسَاعِدًا
وَمَنْ وَجَدَ الزُّنْدَ الَّذِي هُوَ ثَقِيبٌ
وَحَسْبِي إِذَا مَدَحُ ابْنَةُ الْحَسَنِ الَّتِي
وَإِنِّي لَمُهْدٍ مِنْ ثَنَائِي فَلَانْدَا
هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، هِيَ الرُّتْبُ الْعُلَا
كَأَنِّي إِذَا أَشَدْتُ فِي النَّاسِ مَدَحَهَا

بِمَا عَبْدُوا إِلَّا لِيَهْلِكَ عَائِدُ
وَلَيْسَ لَهُ فِيمَا يُرِيدُ مُعَانِدُ
لَكُمْ دُونَهُمْ لَمْ يُغْمِدِ السَّيْفَ غَامِدُ
فَلَيْسَ لَهُمْ خَطْبٌ وَإِنْ جَلَّ جَاهِدُ
تَسَاوَى الْأَدَانِي عِنْدَهُمُ وَالْأَبَاعِدُ
عَلَى بَهْرَمَانِ الصَّدَقِ مِنْكُمْ وَخَامِدُ
عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ بِالْمَذْحِ وَافِدُ
مَكَارِمُ أَخْلَاقٍ لَكُمْ وَمَحَامِدُ
لَرُدَّتْ عَلَيْنَا بِالْعُيُوبِ^(٢) الْقَصَائِدُ
بَضَائِعُهَا عِنْدَ الْأَنَامِ كَوَاسِدُ
عَلَى عَمَدٍ لَا يَرِجُ الْقَوْلَ عَامِدُ
وَقَدْ صَدَّ عَنْهُمْ حَرَمَانُهُمْ أَنْ يُسَاعِدُوا^(٣)
فَلَنْ يَقْدَحَ الزُّنْدُ^(٤) الَّذِي هُوَ صَالِدُ
لَهَا كَرَمٌ مَجْدٌ طَرِيفٌ^(٥) وَتَالِدُ
إِلَيْهَا حَلَالٌ هَدْيُهَا وَالْقَلَانِدُ
هِيَ الْغَايَةُ الْقُصْوَى لِمَنْ هُوَ قَاصِدُ
لِمَا ضَلَّ مِنْ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ نَاشِدُ

- (١) سورة الإنسان وأوطأ: «هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا». ولعله يشير إلى قوله تعالى فيها: «ويطعمون الطعام على حبه مسكينا... الخ»، فقد روى أنها نزلت في علي بن أبي طالب.
- (٢) د: في العيوب. (٣) د، ت: يساعد فأضمت إليها واو الجماعة.
- (٤) الزند: العود الذي يقدح به النار، وهو الأعلى. والزندة، السفلى، فيها ثقب. والصالد: الخالي من الثقب.
- (٥) الطريفة: المستحدث. وهو ضد التاليد. وبنية الحسن: هي أنسيدة الوردية الثقية العالمة، نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب. توفيت بمصر سنة ٢٠٨ هـ. ودفنت بمشهدها المعروف، وفيها قال البوصيري هذه القصيدة.

أَسَيِّدَتِي هَا^(١) قَد رَجَوْتُكَ مُغْلِنًا
بِمَا أَنَا مِنْ دُرِّ الْمَنَايِبِ نَاصِدٌ^(٢)
وَأَعْيُنُ آمَالِي إِلَيْكَ نَوَاطِرُ
بِمَا أَنَا مِنْ عَادَاتِ فَضْلِكَ عَائِدُ
وَمَا أَجْدَبَتْ قَوْمٌ أَتَى مِنْ لَدُنُّهُمْ
لِمَرْغَى الْأَمَانِي مِنْ جَنَابِكَ رَائِدُ
وَلَوْلَا نَدَى كَفَيْكَ مَا اخْضَرَّ يَابِسُ
لَقِيتُ وَإِنِّي إِنْ شَكَوْتُ لِحَامِدِ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو يَا بَنَةَ الْحَسَنِ الَّذِي
خَطُوبًا بِهَا ضَاقَتْ عَلَى الْمَرَايِدِ
وَمَنْ لَصُرُوفِ الدَّهْرِ عَنِّي صَارِفُ
وَمَنْ لَشَيْطَانٍ مِنَ النَّفْسِ غَالِبُ
فَيَا وَبِخَ قَلْبٍ مَا تَزَالُ سَمَاوُهُ
عَلَى وَشَيْطَانٍ مِنَ الْبُؤْسِ مَارِدُ
فِيَا سَامِعَ الشَّكْوَى وَيَا كَاشِفَ الْبَلَاءِ
بِهَا لِشَيَاطِينِ الْخُطُوبِ مَقَاعِدُ
وَيَا مَنْ هَدَى الطُّفْلَ الرَّضِيعَ وَلَمْ تَوْبُ
إِذَا نَزَلَتْ فِي الْعَالَمِينَ الشَّدَائِدُ
وَيَا مَنْ سَقَى الْوَحْشَ الظَّمَاءَ وَقَدَحَتْ
إِلَيْهِ قُوَى عَقْلٍ وَلَا اشْتَدَّ سَاعِدُ
وَيَا مَنْ يُزَجِّي^(٤) الْفُلُوكَ فِي الْبَحْرِ لُطْفُهُ
مَوَارِدَهَا مِنْ أَنْ تُنَالَ الْمَصَايِدُ
وَيَا مَنْ هُوَ السَّمْعُ^(٥) الطَّوَّاقُ رَافِعٌ^(٦)
وَهْنٌ جَوَارٍ بَلٍ وَهْنٌ رَوَاكِدُ
وَيَا مَنْ هُوَ الْأَرْضُ الْبَسِيطَةُ مَاهِدُ
إِلَى رِفْدِهِ إِنْ أَمْسَكَ الْفَضْلَ رَافِدُ
فَلَا الْبَابُ^(٧) مِنْ تِلْكَ الْخَزَائِنِ مُغْلَقُ
وَكُلُّ بِمَا يَلْقَاهُ لِلصَّبْرِ فَاقِدُ
دَعْوَانَاكَ مِنْ فَقْرٍ إِلَيْكَ وَحَاجَةٍ

(١) هل : تحريف . (٢) نضد الشيء : وضع بعضه على بعض ، وبابه ضرب .

(٣) أرض هامة ، أى لا نبات بها . (٤) ت : يجرى .

(٥) ت : ليسع . (٦) ت : دافع . (٧) د : فلا باب .

وَأَفْضَتْ بِمَا فِيهَا إِلَيْكَ ضَائِرٌ^(١) وَأَنْتَ عَلَى مَا فِي الصَّائِرِ شَاهِدٌ
دَعَوْنَاكَ مُضْطَرَيْنِ يَارَبِّ فَاسْتَجِبْ فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَفْ لَدَيْكَ الْمَوَاعِدِ
فَلَيْسَ لَنَا غَوْثٌ سِوَاكَ وَمَلْجَأٌ نُرَاجِعُهُ فِي كَرْبِنَا وَنُعَاوِدُ
فَقَدَّرَ لَنَا الْخَيْرَ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ فَمَا أَحَدٌ عَمَّا تَقْدَرُ حَائِدُ
وَصَفَحًا عَنِ الذَّنْبِ الَّذِي هُوَ سَائِقٌ^(٢) لِنَارِكَ إِلَّا أَنْ عَفَوْتَ وَقَائِدُ
وَصَلُّ حَبْلَنَا بِالْمُصْطَفَى إِنَّ حَبْلَهُ لِنَاصِلَةٌ يَارَبُّ مِنْكَ وَعَائِدُ
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ مَا أَحْمَدُ الشَّرَى إِلَيْهِ وَذَلَّتْ لِلْمُطَيِّ قَدَافِدُ^(٣)

وقال في مدح^(٤) السيد المصطفى ؛ صلى الله عليه وسلم ؛ واعتذر فيها عن النار التي ظهرت
في أرض الحجاز ؛ والنار التي احترق منها الحرم الشريف^(٥) ؛ وردَّ على النصارى واليهود ، وسمَّاهما :
« تَقْدِيسَ الْحَرَمِ ، مِنْ تَدْنِيسِ الضَّرَمِ » ، وكنَّاهما بِأَمِ النَّارَيْنِ^(٦) .

إِلَهِي عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ لَكَ الْحَمْدُ فَلَيْسَ لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ حَدُّ
لَكَ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ الزَّمَانِ وَبَعْدِهِ وَمَالِكَ قَبْلُ كَالزَّمَانِ وَلَا بَعْدُ
وَحُكْمُكَ ماضٍ فِي الْخَلَائِقِ نَافِذٌ إِذَا شِئْتَ أَمْرًا لَيْسَ مِنْ كَوْنِهِ بَدُّ
تُضِلُّ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ مِنَ الْوَرَى وَمَا يَبِيدِ الْإِنْسَانِ غَيٌّ وَلَا رُشْدُ
دَعَا مَعْشَرَ الضَّلَالِ عَنَّا حَدِيثُكُمْ فَلَا خَطَأَ مِنْهُ يُجَابُ وَلَا عَمْدُ

(١) د : ضائري . (٢) د ، ت : سابق ، ونظن الصواب ما أثبتناه . (٣) ت : القدائف .

(٤) ت : وقال رضى الله تعالى عنه . (٥) ت : صلى الله تعالى عليه وسلم .

(٦) ظهرت هذه النيران بالمدينة سنة ٦٥٤ هـ بسبب هزات أرضية . ثم حدث بعد ذلك أن احترق المسجد النبوى والحجرة النبوية ، لسقوط ممرجة القيم ، كما ذكر ذلك المقرئ في السلوك .

(٧) ت : بِأَمِ النَّارَيْنِ ، والقصيدة من بحر الطويل .

فَلَوْ أَنَّهُمْ خَلَقُوا كَرِيمًا مُسَخِّمًا
 أَنَا نَا حَدِيثًا مَا كَرِهْنَا بِمِثْلِهِ
 غَنِيَّتُمْ عَنِ التَّوْبِيلِ فِيهِ بَظَاهِرٍ
 وَأَعْيَى ضِيَاءِ الْحَقِّ صَعْفُ عَمُولِكُمْ
 وَلَنْ تُدْرِكُوا بِالْجَهْلِ رُشْدًا وَإِنَّمَا
 وَعِظْتُمْ فَرَدْتُمْ بِالْمَوَاطِئِ قَسْوَةً
 وَمَا لَيْتَ نَارُ الْحِجَازِ قُلُوبَكُمْ
 وَمَاهِي إِلَّا عَيْنُ نَارِ جَهَنَّمَ
 أَتَيْتُ بِشَوَاطِئِ مُكْفَهَرٍ نَحَاسُهُ (١)
 فَمَا اسْوَدَّ مِنْ لَيْلٍ عَدَا وَهُوَ أَيْبَضُّ
 تُدَمِّرُ مَا تَأْتِي عَلَيْهِ كَمَا صَفِي
 تَمَرُّ عَلَى الْأَرْضِ الشَّدِيدِ اخْتِلَافُهَا
 وَتَرْمِي إِلَى الْجَوِّ الصُّخُورَ كَأَنَّمَا
 وَتَخْشَى بَيُوتُ النَّارِ حَرَّ دُخَانِهَا
 فَلَوْ قُرِبَتْ مِنْ سَدٍّ يَأْجُوجَ بَعْدَ مَا
 وَلَمَّا أَسَاءَ النَّاسُ جِيرَةَ رَبِّهِمْ
 أَرَاهُمْ مَقَامًا لَيْسَ يُرْعَى لِحَاجَتِهِ
 يَقُولُ لَكُمْ لَكِنْ بَيْنَ يُمَسِّحِ الْقَرْدُ؟
 لَكُمْ فِتْنَةٌ فِيهَا لِمِثْلِكُمْ حَصْدُ
 وَمَنْ تَرَكَ الصَّمَمَ لَمْ يَغْنِهِ الْغَمْدُ
 وَشَمْسُ الصُّحَى تَعْشَى بِهَا الْأَعْيُنُ الرُّمْدُ
 يُفَرِّقُ بَيْنَ الزَّيْفِ وَالْجَيِّدِ النَّقْدُ (٢)
 وَلَيْسَ يُفِيدُ الْقَدَحُ إِنْ أَصْلَدَ الزُّنْدُ (٣)
 وَقَدْ ذَابَ مِنْ حَرِّهَا الْحَجَرُ الصَّلْدُ
 تَرَدَّدَ مِنْ أَنْفَاسِهَا الْحَرُّ وَالْبَرْدُ
 فَلَوْحَ مِنْهَا لِلضُّحَى وَالْدُّجَى جِلْدُ
 وَمَا أَيْبَضَّ مِنْ صُبْحٍ عَدَا وَهُوَ مُسْوَدُّ
 مِنَ الرِّيحِ مَا إِنْ يُسْتَطَاعُ لَهُ رَدُّ
 فَتَنْجِدُ غَوْرًا أَوْ يَغُورُ بِهَا نَجْدُ
 بِبَاطِنِهَا غَيْظٌ عَلَى الْجَوِّ أَوْ حَقْدُ
 وَيَزْدَادُ طُغْيَانًا بِهَا الْفَرْسُ وَالْهِنْدُ
 بَنَى مِنْهُ ذَا الْقَرْنَيْنِ دُكَّ بِهَا السَّدُّ
 وَلَمْ يَرَعْهَا مِنْهُمْ رَيْسٌ وَلَا وَغْدُ
 ذِمَامٌ وَلَمْ يُحَفَظْ لِسَاكِنِهِ عَهْدُ

(١) النقْد : تميّز الدراهم .

(٢) أصلد : لم تخرج منه نار . الزند : الحديد التي يقدر بها .

(٣) النحاس : دخان لا لهب فيه .

مدينة نَارٍ أُخْكِمَتْ شُرُفَاتُهَا وَأَبْرَاجُهَا وَالسُّورُ إِذَا أُبْدِعَ الْوَقْدُ
 وَقَدْ أَبْصَرَتْهَا أَهْلُ بُصْرَى كَأَنَّمَا هِيَ الْبَصْرَةُ الْجَارِي بِهَا الْجَزْرُ وَلَمَّا
 أَضَاءَتْ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ لِأَهْلِهَا مِنْ الْإِبِلِ الْأَعْنَاقُ وَاللَّيْلُ مُرَبَّدٌ^(١)
 أَشَارَتْ إِلَى أَنَّ الْمَدِينَةَ قَصْدُهَا قَرَأْنُ مِنْهَا لَيْسَ يَخْفَى بِهَا الْقَصْدُ
 يَرُوحُ وَيَغْدُو كُلُّ هَوَلٍ وَكَرْبَةٍ عَلَى النَّاسِ مِنْهَا إِذَا تَرُوحُ وَإِذَا تَغْدُو
 فَلَمَّا التَّجَوَّأَ لِلْمَعْصُفَى وَتَحَرَّمُوا بِسَاحَتِهِ وَالْأَمْرُ بِالنَّاسِ مُشْتَدُّ
 أَتَوْا بِشَفِيعٍ لَا يَرُدُّ وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقِي سِوَاهُ ذَلِكَ الْهَوَلُ يَرْتَدُّ
 فَأُطْفِئَتِ النَّارُ الَّتِي وَقَفَ الْوَرَى خِيَارِي لَدَيْهَا لَمْ يُعِيدُوا وَلَمْ يُبْدُوا
 فَإِنْ حَدَّثَتْ مِنْ بَعْدِهَا نَارُ فِرْيَةٍ فَمَا ذَلِكَ الشَّيْءُ الْفَرَى وَلَا الْإِدُّ^(٢)
 فَاللهِ سِرُّ الْكَائِنَاتِ وَجَهْرُهَا فَكَمْ حِكْمٌ تَخْفَى وَكَمْ حِكْمٌ تَبْدُو
 وَقَدْ مَا حَمَى مِنْ صَاحِبِ الْفِيلِ بَيْتَهُ وَلَمَّا أَتَى الْحِجَابُ أَمْكَنَهُ الْهَدُّ
 وَاللهِ سِرٌّ أَنْ فَدَى ابْنَ خَلِيلِهِ بِذَنْحٍ وَلَوْ لَمْ يَفِدْهُ شَرِيعَ الْوَأْدُ
 فَلَا تَنْكِرُوا أَنْ يُحْرَمَ الْحَرَمُ الْغَنَى وَسَاكِنُهُ مِنْ فَخْرِهِ النَّقْرُ وَالزُّهْدُ
 وَقَدْ فُدِيتَ مِنْ مَالِهِ خَيْرُ أُمَّةٍ وَلَوْ خَيْرُوا فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ لَمْ يُفْدُوا
 فَوَاعَجَبًا حَتَّى الْبِقَاعُ كَرِيمَةً لَهَا مِثْلُ مَالِ السَّاكِنِ الْجَاهُ وَالرِّقْدُ
 فَإِنْ يَتَضَوَّعُ مِنْهُ طِيبٌ بِطَيْبَةٍ فَمَا هُوَ إِلَّا الْمَنْدُلُ الرَّطْبُ وَالنَّدُّ
 وَإِنْ ذَهَبَتْ بِالنَّارِ عَنْهُ زَخَارِفُ فَمَا ضَرَرَهُ مِنْهَا ذَهَابٌ وَلَا فَقْدُ
 أَلَا رُبَّمَا زَادَ الْحَبِيبُ مَلَاخَةً إِذَا شَقَّ عَنْهُ الدَّرْعُ وَانْتَثَرَ الْعِقْدُ

(١) مربد : مظلم .

(٢) الإد : القطيع .

وَكَمْ سُرَّتْ لِحُسْنِ بِالْحُلِيِّ مِنْ حُلَى وَكَمْ جَسَدٍ غَطَّى مُحَاسِنَهُ الْبُرْدُ
وَأَفْيَبُ مَا يَبْقَى الْحُسَامُ مَجْرَدًا وَرَوْنَهُ أَنْ يَظْهَرَ الصَّفْحُ وَالْحَدُّ
وَمَا تَلَكَ لِلْإِسْلَامِ إِلَّا بَوَائِثُ عَلَى أَنْ يَجِلَّ الشَّوْقُ أَوْ يَنْظُمَ الْوَجْدُ
إِلَى تَرْبَةٍ صَمِّ الْأَمَانَةِ وَالْتَفَى بِهَا وَالنَّدَى وَالْفَضْلَ مِنْ أَحْمَدٍ لَحْدُ
إِلَى سَيِّدٍ لَمْ تَأْتِ أَنْتَى بِمِثْلِهِ وَلَا ضَمَّ حَجَرَ مِثْلَهُ لَا وَلَا مَهْدُ
وَلَمْ يَمْشِ فِي نَعْلِ وَلَا وَطِئَ الثَّرَى شَيْبَةً لَهُ فِي الْعَالَمِينَ وَلَا نِدُ
وَلَمْ تَخْدِ^(١) الْكُومُ الْعِتَاقُ بِمِثْلِهِ وَلَا عَدَتِ الْخَلِيلُ الْمُسَوِّمَةُ الْجُرْدُ
عَلِيمٌ كَرِيمٌ الْخَلِيمُ^(٢) مَا فَوْقَ عِلْمِهِ وَلَا مَجْدِهِ عِلْمٌ يُرَامُ وَلَا مَجْدُ
نَبِيٌّ هُدًى أَهْدَى بِهِ اللَّهُ رَحْمَةً لَنَا لَمْ يَنْلِهَا السَّمْعُ مِنَّا وَلَا الْكَدُّ
وَبَصَرُهُ حَتَّى رَأَى كُلَّ غَائِبٍ وَصَارَ سَوَاءٌ عِنْدَهُ الْقُرْبُ وَالْبُعْدُ
وَحَتَّى رَأَى مَا خَلَفَهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ بِقَابٍ تَسَاوَى عِنْدَهُ النَّوْمُ وَالشَّهْدُ
فِيَا لَيْلَةَ أَسْرَى الْإِلَهِ بِعَبْدِهِ لَقَدْ نَالَ فِيهِ مَا يُؤَمِّلُهُ الْعَبْدُ
وَفَالَا وَلَا وَعْدُ^(٣) وَرَدُّ وَلَا قَلَى وَقُرْبُ وَلَا بَعْدُ وَوَضْلُ وَلَا صَدُّ
وَجَاءَهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ الَّتِي بَدَتْ بَرَاهِينُهَا كَالشَّمْسِ لَمْ يُخْفِهَا الْجَحْدُ
وَذِكْرُ حَكَمَى مَعْنَاهُ فِي الْحُسْنِ لَفْظُهُ وَيُشْبِهُ مَاءَ الْوَرْدِ فِي طَيْبِهِ الْوَرْدُ
وَقَدْ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ وَتَشَابَهَتْ فَلِلْمُبْتَدَى وَرَدُّ وَلِلْمُنْتَهَى وَرَدُّ

(١) تخد ، من الوند : وهو السير السريع . والكوم : جمع كوما ، وهى الناقة العظيمة السنام . والمسومة :

المعلمة . والجرد : جمع أجرد ؛ وهو القصير الشعر من الخيل . (٢) الخيم : الطيبة والسجية .

(٣) هذا البيت ورد فى (د) هكذا :

وإن كان فيها كالثجوم تناسخ
فطال لها سعد وغاز بها سعد
وإن قصرت عن شأوها كل فكرة
فلنست يد للأنجُم الزهر تمتد
فلما عموا عنها وصموا أراهم
سيوقا لها برق وخيلا لها رعد
ومن لم يكن^(١) منه إلى الحق جانب
يقول ألانت جانبيه القنا للبد
وقد يعجز الداه الدواء من امرئ
ويشفي من داء به السكى والفسد
فغالبهم قوم كان سلاحهم
نيوب وأظفاره لهم فم أسد
ثقات من الإسلام إن يعدوا يفوا
وإن يسألوا يهدوا وإن يقصدوا يجدوا
وأما مكان الصديق منهم فإنه
مقاتلهم والطعن والضرب والوعد
إذا ادرعوا كانت عيون دُرُوعهم
قلوبها في الرّوع من بأسهم سرّده^(٢)
يشوقك منهم كل حلم ونجدة
تحلت بكل منهما الشيب والرد
بها ليل^(٣) أما بذلهم في جهادهم
فالشّدّ صديق النبي الذي له
فإن يتخلل بالعباءة إنه
فمن لم يخف في الله لومة لائم
ولا راعه في الله قتل شقيقه
وإذا كان في الغار ثانيا
بذلك في خلّاته العلم الفرد
فمن لم يخف في الله لومة لائم
ولا راعه في الله قتل شقيقه
وإذا كان في الغار ثانيا

(١) صدر البيت ، ورد في م هكذا :

• ومن لم يان منه الحق جانب •

(٢) السرد : نرج الدرع . (٣) بهاليل : سادات .

(٤) الوجد : الجدة . أى ليس عنده شيء .

وَمَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ فَاجْتَمَعَتْ بِهِ فَضَائِلُ مِنْهُ مِثْلُ مَا اجْتَمَعَ الزُّبْدُ
وَجَهَزَ جَيْشًا سَارَ فِي وَقْتِ عُسْرَةٍ تَعَذَّرَ مِنْ قُوَّتِهِ بِهِ الصَّاعُ وَالْدُّ
وَمَنْ لَمْ يُعْمَرْ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ جَبِينٌ لِعَفْرِ اللَّهِ مِنْهُ وَلَا خَدُّ
فَقَى الْحَرْبِ شَيْخُ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالْحِجَى عَلَى الَّذِي جَدُّ النَّبِيِّ لَهُ جَدُّ
وَمَنْ كَانَ مِنْ خَيْرِ الْأَنَامِ بِفَضْلِهِ كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى وَذَلِكَ الْجَدُّ^(١)
إِذَا غَمَزَتْ كَفُّ الْخَطُوبِ قَنَاتَهُ تَوَهَّمتُ أَنَّ الْخَطْبَ لَيْسَ لَهُ زَنْدٌ^(٢)
وَإِنْ عَجَمَتْ أَفْوَاهُهَا عُودَ بَأْسِهِ أَفَادَتْكَ عِلْمًا أَنَّ أَفْوَاهَهَا دُرْدُ^(٣)
يُورِدُ خَدْيَهُ الْجِلَادُ وَسَيْفُهُ فَذَلِكَ إِذَا شَبَّهَتْهُ الْأَسَدُ الْوَرْدُ^(٤)
وَعِنْدِي لَكُمْ آلُ النَّبِيِّ مَوَدَّةٌ سَلَبْتُمْ بِهَا قَلْبِي وَصَارَ لَهُ عِنْدَ
عَلَى أَنْ تَذْكَارَى لِمَا قَدْ أَصَابَكُمْ يُجَدِّدُ أَشْجَانِي وَإِنْ قَدَّمَ الْعَهْدُ
فِدَى لَكُمْ قَوْمٌ شَقَّوْا وَسَعِدْتُمْ فِدَارُهُمُ الدُّنْيَا وَدَارُكُمْ الْخُلْدُ
أَتَرْجُونَ مِنْ أَبْنَاءِ هِنْدٍ^(٥) مَوَدَّةً وَقَدْ أَرْضَعْتَهُمْ دَرَّ بِفَضْلِهَا هِنْدُ
فَلَا قَبِيلَ الرَّحْمَنِ عُذْرَ عُذَارِكُمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَنْتَهُونَ وَإِنْ رُدُّوا
إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ عُذْرِي فَإِنِّي بِمَحَبَّتِكَ فِي قَوْلِي أَلْبِنُ وَأَشْتَدُّ
فَلَنْ ضَاعَ قَوْلِي فِي سِوَاكَ ضَلَالَةً فَمَا أَنَا بِالْمَاضِي مِنَ الْقَوْلِ مُعْتَدِّ
وَمَا ائْتَدَّى طَرْفٌ وَلَا لَانَ جَانِبٌ لِعَفْرِكَ إِلَّا سَاءَنِي أَلْبِنُ وَالْدُّ

(١) الجَدُّ : الحظ . (٢) زَنْدٌ وَرَدَتْ فِي د : رَشَدٌ .

(٣) الدَّرْدُ : جَمِيعُ أَدْرَدَ ، وَهُوَ الْفَقْرُ الَّذِي يَقْطَعُ مَقْدَمَ أَسْنَانِهِ .

(٤) الْأَسَدُ الْوَرْدُ : سَمَّى بِلَوْنِهِ وَهُوَ بَيْنَ السَّكَيْتِ وَالْأَشْفَرِ . (٥) هِنْدُ بِنْتُ عَتَبَةَ أُمِّ مُعَاوِيَةَ . وَقَدْ أَسْلَمَتْ .

أَشْغَلُ عَنْ رِيحَانَتَيْكَ قَرِيحَتِي بِشِيحٍ وَرَنْدٍ لَأَمَّا الشَّيْحُ وَالرَّندُ^(١)
وَأَدْعُو سِفَاهًا غَيْرَ آلِكَ سَادَتِي وَهَلْ أَنَا إِنْ وَقُتْتُ إِلَّا لَهُمْ عَبْدُ^(٢)
فَلَارَاحَ مَعْنِيًا بِمَدْحِي حَاتِمُ وَلَا عُنَيْتَ هَنْدَ بِحَبِي وَلَا دَعْدُ
وَلَا هَيَّجْتَ شَوْقِي ظِلَالًا بِوَجْرَةٍ وَلَا بَعَثْتَ وَصْفِي نَفَاقِهَا الرُّبْدُ^(٣)
وَيَا طِيبَ تَشْبِيهِ بِطَيْبَةٍ لَأَتْنِي عِنَانَ لِسَانِي عَنْكَ غَوْرٌ وَلَا نَجْدُ
فَهَبْ لِي رَسُولَ اللَّهِ قُرْبَ مَوَدَّةٍ تَقْرَأُ بِهِ عَيْنٌ وَتَرَوِي بِهِ كَيْدُ^(٤)
وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُقَرِّبَنِي إِلَى جَنَابِكَ إِذْ قَالَ الرَّكَائِبُ وَالْوُخْدُ^(٥)
وَلَوْلَا وَثُوقِي مِنْكَ بِالْفُوزِ فِي غَدٍ لَمَّا لَدَّ لِي يَوْمًا شَرَابٌ وَلَا يَرْدُ
عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ يُضْحِي بِطَيْبَةٍ لَدَيْكَ بِهَا وَفْدٌ وَيُمْنِي بِهَا وَفْدُ
وَدَامَتْ كَأَنْفَاسِ الْوَرَى فِي تَرَدُّدٍ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ التَّحِيَّةُ وَالرَّدُ

وقال، عفا الله عنه، يمدح أبا العباس المرسبي؛ من الكامل^(٦)؛ ويعزيه في شيخه أبي الحسن الشاذلي^(٧)، عليهم رحمة الله، آمين .

كَتَبَ الْمَشِيبُ بِأَبْيَضٍ فِي أَسْوَدٍ بَقْضَاءَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْخُرْدِ
خَجَلَتْ عَيُونُ الْخُورِ حِينَ وَصَفَتْهَا وَصَفَ الْمَشِيبِ وَقُلْنَ لِي : لَا تَبْعَدِ
وَلِذَلِكَ أَظْهَرْتَ انْكِسَارَ جُفُونِهَا دَعْدٌ وَأَذَنَ جَدُّهَا بِتَوَرُّدِ
يَا جِدَّةَ الشَّيْبِ الَّتِي مَا غَادَرْتَ لِنَفْسِنَا مِنْ لَذَّةٍ بِمَجْدُودِ

(١) الرند : شجر طيب الرائحة . (٢) في الأصل : وهل أنا إلا أن . . . الخ .
(٣) التفائق : جمع نفق ، وهو ذكر النعام . والربد : جمع أربد ، وهو ما مال لونه إلى الغبرة .
(٤) د : تقر بها عين وتروى بها كبد . (٥) الإرقال والوخد : نوعان من السير السريع .
(٦) من الكامل : زيادة في ت . (٧) توفي أبو الحسن الشاذلي سنة ٦٥٦ .

ذَهَبَ الشَّابُّ وَسَوْفَ أَذْهَبُ مِنْلَمَّا ذَهَبَ الشَّابُّ وَمَا امْرُؤٌ بِمُخَلَّدٍ
 إِنَّ الْفَنَاءَ لَكُلِّ حَيٍّ غَايَةٌ مَحْتَمَةٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ فَكَأَنَّ قَدِيرَ
 وَارْتَحَمَا لِمَصَوِّرٍ مُتَطَوِّرٍ فِي كُلِّ طَوْرِ^(١) صُورَةَ الْمُرْتَدِّدِ
 قَذَفَتْ بِهِ أَيْدَى النَّوَى مِنْ حَالِقٍ سَامِيِ الْمَحَلِّ إِلَى الْحُضِيِّضِ الْأَوْهَدِ
 مُسْتَوْحِشٍ فِي أَنْسِهِ مُتَعَاهِدٍ بِحَنِينِهِ شَوْقًا لِأَوَّلِ مَعَاهِدِ
 حَمَمَتُهُ أَسْبَابُ لَدَيْهِ رَجُوعُهُ فَاشْتَاقَ لِلْأَوْطَانِ شَوْقَ مُقَيَّدِ
 بِالْيَتَةِ لَوْ دَامَ نَسِيًا مَا لَهُ مِنْ ذَاكِرٍ أَوْ أَنَّهُ لَمْ يُؤَلَدِ
 حَمَلَ الْهَوَى جَهْلًا بِأَنْقَالِ الْهَوَى مُسْتَنْجِدًا بِعَزِيمَةٍ لَمْ تُنْجِدِ
 مَا إِنْ يَزَالُ بِمَا تَكَلَّفَ حَمَلُهُ فِي خُطَايَ خَسَفٍ يَرُوحُ وَيَقْتَدِي
 فَرَضًا لِأَمْرِ لَا تَطِيشُ سِهَامُهُ^(٢) وَمُعَرَّضًا لِمُتَنَفٍّ وَمُقَنَّدِ
 وَخَلِيفَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا أَنَّهُ مُتَوَعِّدٌ فِيهَا وَعِيدَ الْمُدْهَدِ
 وَجَبَّ السُّجُودُ لَهُ فَلَمَّا أَنْ عَصَى^(٣) قَالَتْ خَطِيبَتُهُ لَهُ ارْكَعْ وَاسْجُدِ
 وَنَبَتْ بِهِ الْأَوْطَانُ فَهَوَ بَغْرُبَةٍ مَا بَيْنَ أَعْدَاءِ يَسِيرٍ وَحُسَدِ
 أَنْفَاسُهُ تَحْصَى عَلَيْهِ وَعِلْمُ مَا^(٤) يَفْضَى إِلَيْهِ غَدَا^(٥) لَهُ حُكْمُ الْغَدِ
 أَبَدًا تَرَاهُ وَاجِدًا أَوْ عَادِمًا فِي حَايِرَةٍ لَفْطَاتُهَا لَمْ تُنْشَدِ
 بِمِسَى وَيُضَيِّحُ مُتَهَرِّمًا أَوْ مُنْجِدًا لِمَعَادِهِ^(٦) مَعَ مُتَهَرِّمٍ أَوْ مُنْجِدِ

(١) د : في طور كل ضرورة مرتد ، ت في كل طور ، ك : في كل طور صورة وتردد . و نظن الصحيح

ما أثبتناه . (٢) ت ، ك : نباله . (٣) د : عصى .

(٤) ك : علمها . (٥) د : عدل . (٦) د : لماشه .

يَرْمِي بِهِ سَهْلًا وَوَعْرًا زَاجِرًا^(١) بَطْنُ الْمَسْنِ بِهِ كَظْهِرِ الْمُبْرَدِ
مُتَخَوِّفًا مِنْهُ الْمَصِيرَ لِمَنْزِلِ مُسْتَوْبِلِ الرِّعَى وَبِئْسَ^(٢) الْمَوْرِدِ
مَا إِنْ رَأَى الْجَانِي بِهِ أَعْمَالَهُ إِلَّا تَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يُولَدْ
حَسْبِيَ لَهُ حُبُّ النَّبِيِّ وَآلِهِ عِنْدَ الْإِلَهِ وَسِيلَةٌ لَمْ تُرَدَدْ
فَإِذَا أُجِبْتَ سُؤَالُهُ فِي آلِهِ سَلْ تُعْطَ وَاسْتَمْدِدْ فَلَا حَافَ تُمَدَّدْ
وَأَمِنْ إِذَا قَامَ النَّبِيُّ مَقَامَهُ الْمَحْمُودَ فِي الْأَمْرِ الْمُتَقِمَّ الْمُفْعَدِ
وَتَزَوَّدِ النَّفْوَى فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَمِنْ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ تَزَوَّدْ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ إِنْ صَلَاةَ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ذَخِيرَةٌ لَمْ تَنْفَدْ
وَاسْمَعْ مَدَامَحَ آلِ^(٣) بَيْتِ الْمَصْطَفَى مِنْى وَدُونَكَ جَمْعُهَا فِي الْمُهْرَدِ
صُنُو النَّبِيِّ أَخُو النَّبِيِّ وَزِيرُهُ وَوَلِيَّهُ فِي كُلِّ خَطْبٍ مُؤَيَّدِ
جَدُّ الْإِمَامِ الشَّاذِلِيِّ الْمُنْتَمِي شَرَفًا إِلَى لِسِيدٍ عَنْ سَيِّدِ
أَسْمَاؤُهُمْ عِشْرُونَ دُونَ ثَلَاثَةِ جَاءَتْ عَلَى نَسَقٍ كَأُخْرَفِ أَبْجَدِ
لِقَلْبِ الْحَسَنِ انْتَمَى لِلْحَمْدِ عَيْسَى وَسِرُّ مُحَمَّدٍ فِي أَحَدِ
وَاخْتَارَ بَقَالُ لَوَزْدِ يَوْشَعَا وَيُوسُفِ وَأَفَى قُصَى يَبْتَدِي
وَبِحَاتِمِ فَتَحَتْ سَيَادَةُ هُرْمُزِ وَغَدَا تَمِيمُ الْكَارِمِ يَهْتَدِي
وَبِعَبْدِ حَبَّارِ السَّمَوَاتِ انْتَصَى لِلْفَضْلِ عَبْدُ اللَّهِ أَيْ مُهَنْدِ
وَأَتَى عَلِيٌّ فِي الْعَالَا يَتْلُوهُم فَاحْتَمَ بِهِ سُورَ الْعَالَا وَالسُّودُودِ

أَعْنَى أبا الحسن^(١) الإمامَ الْمُجْتَبَى مِنْ هَاشِمٍ وَالشَّاذِلِيَّ الْمَوْلِدِ
 إِنَّ الْإِمَامَ الشَّاذِلِيَّ طَرِيقَهُ فِي الْفَضْلِ وَاضِحَةٌ لِعَيْنِ الْمُهِتَدِي
 فَإِذَا فَعَلْتَ فَذَلِكَ أَخَذَ بِالْيَدِ وَحَقِيقَةً وَمُحَمَّدِيَّ الْمُحْتَدِيَّ^(٢)
 مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ سَنَاهُ يَلُوحُ مِنْ فَتَحِ أُنَى طُوفَانِهِ بِمَعَارِفِ
 قَدْ نَالَ غَايَةَ مَا يَرُومُ الْمُنْتَهَى مَتَمَكَّنٌ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ دَهْشَةٍ
 مَنْ لَا مَقَامَ لَهُ فَإِنَّ كِبَالَهُ قُلْ لِلْمُحَاوِلِ فِي الدُّنُوِّ مَقَامُهُ
 وَالْفَضْلُ لَيْسَ يَنَالُهُ مُتَوَسِّلٌ إِنْ قَالَ ذَلِكَ هُوَ الدَّوَاءُ فَقُلْ لَهُ
 يَمْشِي الْمَصْرَفُ حَيْثُ شَاءَ وَغَيْرُهُ مَنْ كَانَ مِنْكَ بِمَنْظَرٍ وَبِمَسَاجِدِ
 لِكَبِيرِهِمَا الْحُسَيْنِيَّ وَإِنْ لَمْ يَسْتَوُوا كُلٌّ لِمَا شَاءَ الْإِلَهِ مُيَسَّرُ
 مِنْ هَاشِمٍ وَالشَّاذِلِيَّ الْمَوْلِدِ فِي الْفَضْلِ وَاضِحَةٌ لِعَيْنِ الْمُهِتَدِي
 فَإِذَا فَعَلْتَ فَذَلِكَ أَخَذَ بِالْيَدِ وَحَقِيقَةً وَمُحَمَّدِيَّ الْمُحْتَدِيَّ^(٢)
 مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ سَنَاهُ يَلُوحُ مِنْ فَتَحِ أُنَى طُوفَانِهِ بِمَعَارِفِ
 قَدْ نَالَ غَايَةَ مَا يَرُومُ الْمُنْتَهَى مَتَمَكَّنٌ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ دَهْشَةٍ
 مَنْ لَا مَقَامَ لَهُ فَإِنَّ كِبَالَهُ قُلْ لِلْمُحَاوِلِ فِي الدُّنُوِّ مَقَامُهُ
 وَالْفَضْلُ لَيْسَ يَنَالُهُ مُتَوَسِّلٌ إِنْ قَالَ ذَلِكَ هُوَ الدَّوَاءُ فَقُلْ لَهُ
 يَمْشِي الْمَصْرَفُ حَيْثُ شَاءَ وَغَيْرُهُ مَنْ كَانَ مِنْكَ بِمَنْظَرٍ وَبِمَسَاجِدِ
 لِكَبِيرِهِمَا الْحُسَيْنِيَّ وَإِنْ لَمْ يَسْتَوُوا كُلٌّ لِمَا شَاءَ الْإِلَهِ مُيَسَّرُ

(١) أبو الحسن الشاذلي؛ هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرم بن حاتم بن قصي بن يوسف ابن يوشع بن ورد بن بطل بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، مؤسس الطريقة الشاذلية، توفي سنة ٦٥٦ هـ بصحراء عيذاب بمصر.

(٢) اتبع طريق الشاذلي فإنه محمد بن محمد بن الشريعة، والحقيقة، والمحدث، أي هو صحيح النسب إلى الرسول، ومتبع لسنته.

وَإِذَا تَحَقَّقْتَ ^(١) الْعَنَاءَ فَاسْتَرْخِ وَإِذَا تَخَلَّفْتَ ^(٢) الْعَنَاءَ فَاجْهَدْ
أُنْدَى عَلِيًّا فِي الْوُجُودِ ^(٣) وَكُلًّا يُوْجُودُهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ نَفْتَدِي
قُطْبُ ^(٤) الزَّمانِ وَغَوْنُهُ وَإِمَامُهُ عَيْنُ الْوُجُودِ لِسَانُ سِرِّ الْمَوْجِدِ
سَادَ الرِّجَالِ فَقَصَّصَتْ عَنْ شَأْوِهِ هِمَمُ الْمُؤَوَّبِ لِلْعَلَا وَالْمُسْتَدِ
فَتَلَقَّ مَا يُبَاقِي إِلَيْكَ فَنُطْقُهُ نُطْقُ رُوحِ ^(٥) الْقُدْسِ أَيْ مُؤَيَّدِ
إِنَّمَا مَرَرْتَ عَلَى مَكَانٍ ضَرِيحِهِ ^(٥) وَشَمِيتَ رِيحَ النَّدِّ مِنْ تَرَبِّ النَّدِّ
وَرَأَيْتَ أَرْضًا فِي الْفَلَا مُخْضَرَّةً مُخْضَلَّةً مِنْهَا يَقَاعُ الْفَدْفَدِ
وَالْوَحْشُ آمِنَةٌ لَدَيْهِ كَأَنَّهَا حُشِرَتْ إِلَى حَرَمٍ بِأَوَّلِ مَسْجِدِ
وَوَجَدْتَ تَعْظِيمًا بِقَدْبِكَ لَوْ سَرَى فِي جَلْمَدٍ سَجَدَ الْوَرَى لِلْجَلْمَدِ
فَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَحْرَ الْوَدَى الطَّامِي وَيَا نَحْرَ الْعُلُومِ الزُّبْدِ
يَا وَارِنًا بِالْفَرَضِ عِلْمَ نَبِيِّ شَرْفًا وَبِالتَّعْصِبِ غَيْرَ مُفَنَّدِ
الْيَوْمَ أَحْمَدُ مِنْ عَلِيٍّ وَارِثُ حَظِّي نَلِيٍّ مِنْ وَرَائِهِ أَحْمَدُ
يُعْزَى الْإِمَامُ إِلَى الْإِمَامِ وَيَقْتَدِي ^(٦) لِلْمُقْتَدَى مَهْدَاهُ فَضْلُ الْمُقْتَدَى

(١) د ، ت : تحققت . وأظن الصواب : تخلفت . (٢) ك : فإذا .

(٣) ك : بالوجود . يقول إنه يقضى أبا الحسن الشاذلي بالوجود ، وذلك لأن كل إنسان يتخلص من كل سوء ببركة وجود الشاذلي ، لأنه القطب ، وبالقطب تحفظ دائرة الوجود .

(٤) القطب في اللغة : السيد ، وعند الصوفية : التليفة . وخلافته هي المعبر عنها في اصطلاحهم بالغواية ، إذ الفتوى هو الذي يصل منه الممدد الروحاني إلى دوائر الأولياء من نجيب ونقيب وبدل ووتد . وقوله عين الوجود أي سيد الوجود ولسان سر الموجد : أي مبین سر الموجد الذي أوجد الكائنات .

(٥) يقول : إن الله قوى كلام الشاذلي ، وأيده مجبريل . (٥) ضريح الشاذلي بصحراء عيذاب .

(٦) ك : ينتسب .

وَالْمَرْءُ فِي مِيرَاثِهِ أَتْبَاعُهُ فَاقْدِرْ إِذَنْ فَضْلَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
خَيْرِ الْوَرَى صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا صَدَعَ الْأَسَى قَلْبًا بِسَجْعٍ مُعَرَّدٍ
وَسَرَى الشُّرُورُ إِلَى الْقُلُوبِ فَهَزَّهَا مَسْرَى النَّسِيمِ إِلَى الْقَضِيبِ الْأَمَلَدِ
شَوْقًا^(١) لِمُرْسِيَةٍ رَسَتْ آسَاسُهَا بَعْلَى أَبِي الْعَبَّاسِ فَوْقَ الْفَرْقَدِ
الْيَوْمَ قَامَ فَتَى عَلَى^(٢) بَعْدَهُ كَيْمَا يُبْلَغُ مُرْشِدًا عَنْ مُرْشِدِ
فَكَانَ يُوشَعُ بَعْدَ مُوسَى قَائِمٌ بِطَرِيقِهِ الْمَلَى قِيَامَ مُؤَكَّدِ
فَلْيَقْصِدِ الْمُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِهِ دَارَ الْبَقَاءِ مِنَ الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ
فَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى اتِّبَاعِ سَبِيلِهِ فَاسْمَعْ كَلَامَ أَخِي النَّصِيحَةِ تَرْشُدِ
فَنِظَامُ أَعْمَالِ النَّقَى آدَابُهَا فَاصْحَبْ بِهَا أَهْلَ النَّقَى وَالسُّؤْدَدِ
وَتَجَنَّبِ التَّأْوِيلَ فِي أَقْوَالِ مَنْ صَاحَبَتْ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ تَعْنَدِ
قَدْ فَرَّقَ التَّأْوِيلُ بَيْنَ مُقَرَّبِ يَوْمَ الشُّجُودِ لِآدَمَ وَمُبَعَّدِ^(٣)
وَحَذَارٍ أَنْ يَتَّقِ الْمُرِيدُ بِنَفْسِهِ وَاحْزَمْ فَمَا الْإِصْلَاحُ شَأْنُ الْمُفْسِدِ
فَالْوَصْفُ يَبْقَى حُكْمُهُ مَعَ فَقْدِهِ وَالْمَرْءُ مَرْدُودٌ إِذَا لَمْ يَفْقَدْ
إِنَّ الصَّنِينَ بِنَفْسِهِ فِي الْأَرْضِ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ وَلَيْسَ بِمُضْعَدِ
وَيُظَنُّ^(٤) إِنَّ رَكَدَتْ سَفِينَتُهُ عَلَى أَمْوَاجِهَا وَرِيَاحِهَا^(٥) لَمْ تَرَ كُدِ
فَاصْحَبْ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ آخِذَا يَدَ عَارِفٍ بِهِوَى النُّفُوسِ مُنْجِدِ
فَإِذَا اسْتَقَطَتْ^(٦) عَلَى الْخَبِيرِ بِدَائِهَا

(١) ك : شرفا . (٢) على هنا ، أبو الحسن الشاذلي . وفقى على ، هو أبو العباس المرسى .

(٣) يقول : إن التأويل قد فرق بين الملائكة المقربين وبين إبليس وهومن المبعدين .

(٤) ك : أظن . (٥) ك : ورواحه . (٦) د : استطعت .

وَإِذَا بَلَغْتَ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ مِنْ عِلْمِيهِ فَاَنْفَعُ غُلَّةَ الْقَلْبِ الصَّدَى
فَتَى رَأَى مُوسَى الْإِرَادَةَ عِنْدَهُ خَضِرُ الْحَقِيقَةِ نَالَ أَقْصَى الْمُقْصِدِ
وَإِذَا الْفَتَى خَرُقَتْ سَفِينَةُ جِدِّهِ لِنَجَاتِهَا وَجَدَ الْأَسَى غَيْرَ^(١) الدِّدِ
وَتَبَدَّلَتْ أَبْوَابُ الْفُلَامِ بِقَتْلِهِ بِأَبْرٍ مِنْهُ لَوَالِدِيهِ وَأَرْشَدِ
وَأَقِيمَ مُنْتَقِضُ^(٢) الْجِدَارِ وَتَحْتَهُ كَنْزُ الْوُصُولِ إِلَى الْبَقَاءِ السَّرْمَدِ
فَلَيْسَ جَمْعًا فِي الْفِرَاقِ وَوُضَلَّةٍ مِنْ قَاطِعٍ وَتَرْقِيًّا مِنْ مُخْلِدِ
مُعْرَى بِقَتْلِ النَّفْسِ عَمْدًا وَهَوْلًا يُعْطَى إِلَى الْقَوَدِ الْقِيَادَ وَلَا الْيَدِ
لِلَّهِ مَقْتُولٌ بِغَيْرِ جُنَايَةٍ كَيْفَ يُحِبُّ الْقَاتِلِ الْمُتَعَمِّدِ
مَا زَالَ يَعْطِفُهَا عَلَى مَكْرُوهِهَا حَتَّى زَكَّتْ وَصَفَتْ صَفَاءَ الْعَسْجَدِ
وَأَحْيَبَ دَاعِيَهَا لِرَدِّ مُشْرِدِ مِنْ أَمْرِهَا طَوْعًا وَجَمْعِ مُبَدِّدِ
لَمْ تَتْرُكِ التَّقْوَى لَهَا مِنْ عَادَةٍ أَلْقَتْ وَلَا لِمَرِيضِهَا مِنْ عَوْدِ
فَلَيْسَ أَحَدٌ كَيْمِيَاهُ سَعَادَةٍ صَحَّتْ فَلَا نَارَ عَلَيْهِ^(٣) تَفْتَدِي
جَعَلَتْهُ لَمْ يَرِ لِلْحَقِيقَةِ^(٤) طَالِبًا إِلَّا يَمُدُّ إِلَيْهِ رَاحَةً مُجْتَدِي
أَلْفَاظُهُ^(٥) مَبْذُولَةٌ بِذَلِّ الْحَيَا وَمَصُونَةٌ صَوْنَ الْعَذَارَى الْخُرْدِ^(٦)
كُلُّ يَرُوحُ بِشَرْبِ رَاحِ غُلُومِهِ طَرِبًا كَغَضَنِ الْبَانَةِ الْمُتَسَاوِدِ^(٧)
ضَمِنَ الْوَقَارَ لَهَا اعْتِدَالَ مِزَاجِهَا فَشَرَابُهَا لَا يَذْبَنِي لِمُرَبِّدِ
فَضَحَتْ مَعَارِفُهَا مَعَارِفَ غَيْرِهَا وَالزَّيْفُ مَفْضُوحٌ بِنَقْدِ الْجَيِّدِ

(١) ك : عين الرد . (٢) ك : منقض . (٣) ك : عليها .

(٤) علوم الحقيقة هي التي تتناول الإيمان بالله وطرق الاتصال بالذات الإلهية ، أما علوم الشريعة ،

فتتناول أحكام الدين . (٥) ك : ألفاظها . (٦) د ، ومصونة صون العذارى الهند . والخرود :

جمع خريدة ، وهي البكر . (٧) البانة : نوع من الشجر . والمتأود : الموج .

كَشَفَتْ لَهُ الْأَسْمَاعُ عَنْ أَسْرَارِهَا فَإِذَا الْوُجُودُ لِمَقْلَتَيْهِ بِمَرَصَدٍ
وَأَرَتْهُ أَسْبَابَ الْقَضَاءِ مُبِينَةً لِلْمُسْتَقِيمِ بِعِلْمِهَا وَالْمُلْحِدِ
تَأْتِي عُلُومُكَ يَا فَتَى غَيْرِ الْقِي هِيَ فَتَحُ غَيْبٍ فَتَحُهُ لَمْ يُسَدِّدِ
قُلْ لِلَّذِينَ تَكْتَفُوا زِيَّ النَّقَى وَتَخَيَّرُوا لِلدَّرْسِ أَلْفَ مُحَلِّدِ
لَا تَخْسَبُوا كُحْلَ الْعِيُونِ ^(١) بِحِيلَةٍ إِنَّ الْمَهَى لَمْ تَكْتَحِلْ بِالْإِنْمِدِ
مَا النَّحْلُ ذَلَّتِ الْهِدَايَةُ سُبُلَهَا مِثْلَ الْخَيْرِ تَقُودُهَا لِلْفُورِدِ ^(٢)
مَنْ أَمَاتَ التَّقْوَى عَلَيْهِ وَأَنْفَقَتْ يَدُهُ مِنَ الْأَكْوَانِ لَا مِنْ مِرْوَدِ
وَأَبْيَكَ مَا جَمَعَ الْمَعَالِي وَادِعَا ^(٣) جَمَعَ الْأَلُوفِ مِنَ الْحِسَابِ عَلَى الْيَدِ
إِلَّا أَبُو الْعَبَّاسِ أَوْحَدُ عَصْرِهِ أَكْرَمَ بِهِ فِي عَصْرِهِ مِنْ أَوْحَدِ
أَفْتَنَهُ فِي التَّوْحِيدِ هِمَّةٌ مَاجِدِ شَدَّتْ ^(٤) مَقَاصِدُهَا عَنِ الْمُتَشَدِّدِ
سَاحَتْ رِجَالٌ فِي الْقِفَارِ وَإِنِّهِ لَيَسْمِیحُ فِي مَلَكَوْتِ ^(٥) طَرْفٍ مُسَهَّدِ
وَلَهُ مِرَاطُ فِي الْإِسْلَامِ خَطَّارَةٌ خَطَّارَهَا ^(٦) وَرِكَابُهَا لَمْ تُشَدِّدِ
فَالْمُسْتَقِيمِ أَخُو الْكِرَامَةِ عِنْدَهُ لَا كُلُّ مَنْ رَكِبَ الْأَسْوَدَ بِأَسْوَدِ
وَأَجَلٌ حَالٍ مُعَامِلٍ تَبَعِيَّةٍ أَخَذَتْ إِلَى أَدَبِ الْمُرِيدِ بِمَقُودِ ^(٧)
فَأَنَّى مِنَ الطَّرِيقِ الْقَرِيبِ مَنَاسِكُهَا وَأَنَّى سِوَاهُ مِنَ الطَّرِيقِ الْأَبْعَدِ ^(٨)
سَيْفٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مَاضٍ حَدُّهُ فَاضْرِبْ بِهِ فِي النَّائِبَاتِ وَهَدِّدِ
أُنْتَبِ عَلَيْهِ بِبَاطِنٍ وَبِظَاهِرٍ لَا يَسِرُّ مِنْهُ بِمَغْمَدٍ وَبِجَرِّدِ

(١) ك : الجفون . والإمعد : الكحل . (٢) ك : مثل الخمار تقوده المرید . (٣) ك : وادعى .
(٤) ك : سدت . (٥) ك : الملكوت . (٦) ت ، د : خطواتها وركابها لم تشدد والتصحیح عن ك .
(٧) المعامل : الزبون . معنى البيت أن أفضل حال يعامل الإنسان فيها نفسه ، هو أن يجعلها تتبع آداب المرید
وتسلك سبيله . (٨) ك : طريق أبعد .

مِنْ مَعْشَرٍ نَصَرُوا النَّبِيَّ وَسَابِقُوا مَعَهُ الرِّيَّاحَ بِكُلِّ نَهْدٍ أُجْرَدٍ
 وَتَنَوَّأَ أَعْيُنُهُمْ وَقَدْ تَرَكَوا الْعِدَا بِالطَّمَعِ بَيْنَ مُجَدَّلٍ وَمُقَدَّرٍ ^(١)
 مِنْ كُلِّ ذِمِرٍ ^(٢) كَالصَّبَاحِ جَمِينُهُ ذَرْبٌ بِخَوْضِ الْمَفْضَلَاتِ مُعَوَّدٍ
 وَبِكُلِّ أَيْضٍ كَالنَّجِيعِ مُورَدٍ مِنْ رَأْيِهِ وَلِطَاعِنٍ بِمُسَدَّدٍ ^(٣)
 وَتَمَحَضَّتْ ظُلُمُ اللَّيَالِي مِنْهُمْ عَنْ رُكْعٍ لَا يَسْأَمُونَ وَسُجْدٍ
 خَافَ الْعَدُوَّ مَغْيِبُهُمْ لِشُهُودِهِمْ وَالْمَوْتَ يَكْمُنُ فِي الْحَسَامِ الْمُغَدِّ
 السَّاتِرُ الْعَوْرَاتِ مِنْ قَتْلِ الْعِدَا يَوْمَ الْحَفِيطَةِ بِالقَنَا الْمُتَقَصِّدِ
 وَالطَّاعِنُ النَّجْلَاءَ يَدْخُلُ كَفَّهُ فِي إِثْرِهَا الْآسَى مَكَانَ الْمِرْوَدِ
 سَلَّ مِنْ سَلِيلِهِمْ سُلُوكَ سَبِيلِهِمْ يُرْشِدُكَ أَحْمَدُ لِلطَّرِيقِ الْأَحْمَدِ ^(٤)
 مُسْتَمْطِرًا بَرَكَاتِهِ مِنْ رَاحَةٍ أُنْدَى مِنَ الْغَيْثِ السَّكُوبِ وَأُجُودٍ
 فَمَوَاهِبُ الرَّحْمَنِ بَيْنَ مُصَوَّبٍ مِنْهَا لِرَاجِي رَحْمَةٍ وَمُصَعَّدٍ
 يَأْمَنُ أُمْتُ لَهُ بِحِفْظِ ذِمَامِهِ وَبِحُسْنِ ظَنِّي فِيهِ لِي مُسْتَعْبِدِي ^(٥)
 مَوْلَايَ دَوْلِكَ مَا شَرَحْتُ بَوَازِنَهُ وَرَوَّيْهِ قَلْبَ الْكَتِيبِ الْأَكْمَدِ ^(٦)
 فَاقْبَلْ شِهَابَ الدِّينِ عُدْرَ خَرِيدَةٍ ^(٧) عَذْرَاءَ تَزْرِي بِالْعَذَارَى التَّهْدِ
 مَعْسُولَةٍ أَفْطَاهَا مِنْ كَامِلٍ أَبْرِدْ حَشَى مِنْ رِيْقِهَا ^(٨) بِمُبْرَدٍ

(١) د ، ت : مفردا والتصحيح عن ك من قده بالسيف . (٢) الدم : انشجاع .

(٣) البيت ورد في ك هكذا :

شهدوا النهار يناضل بمسدد من رأيه ويطاعن بمسدد

(٤) ك : الأرشد . (٥) د : ويحسن ود فيه لي مستبعد . ك : ويحسن ظن فيه لي مستبعد .

(٦) ك : المكمد . (٧) ك : فريدة . (٨) ك : ربحا .

طلعتْ حَجْرَةٌ فَضْلِهَا بِكَوَاكِبِ دُرِّيَّةٍ مَحْفُوفَةٍ بِالْأَسْنَدِ
 رَامَ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ مِنْهَا مَارِدٌ لَمَّا أَتَتْكَ فَلَمْ يَجِدْ مِنْ مَقْعَدِ
 مِنْ مَنَهْلٍ عَذْبٍ صَفَا سِلْسَالُهُ لَامِنْ صَرَى يَشْوِي الْوُجُوهَ مُصَرَّدٌ^(١)
 بَعَثَتْ إِلَيْكَ بِهَا بَوَاعِثُ خَاطِرٍ مُتَحَبِّبٍ لِحَنَانِكُمْ مُتَوَدِّدٌ
 صَادَقَتْ دُرًّا مِنْ صِفَايِكَ مُنْمَنًا فَأَعَرْتُهُ مَنِيَّ صِفَاتٍ مُنْضَدٍ
 جَاءَتْ تَسْأَلُكَ^(٢) الْأَمَانَ خَاطِفٍ مِنْ رِبْقَةٍ بِذُنُوبِهِ مُتَوَعِدٍ
 فَاضْمَنْ لَهَا دَرَكَ الْمَعَادِ ضَمَانَهَا بِالْفَوْزِ عَنْكَ إِسَامِيعٍ وَلِمْشِدٍ^(٣)
 فَإِذَا ضَمِنْتَ لَهُ فَلَيْسَ بِخَافٍ مِنْ مُبْرِقٍ يَوْمًا وَلَا مِنْ مُرْعِدٍ
 جَاءَ النَّبِيُّ لِكُلِّ عَاصٍ وَاسِعٌ وَالْفَضْلُ أَجْدَرُ بِاقْتِرَاحِ الْمُجَنَّدِ

وقال ، رضى الله^(٤) تعالى عنه ، يمدح المقرء العالى الصحابي الزيني^(٥) زين الدين ،
 رحمهما الله^(٦) تعالى ، وذلك من الكامل :

أَهْلُ النُّقَى وَالْإِلْمِ أَهْلُ السَّوْدِ فَأَخُو السِّيَادَةِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ
 الصَّاحِبُ ابْنُ الصَّاحِبِ ابْنُ الصَّاحِبِ حَبِيزُ الْهُمَامِ السَّيِّدُ ابْنُ السَّيِّدِ
 لَا تُشْرِكَنَّ بِهِ امْرَأً فِي وَضْفِهِ فَتَكُونَ قَدْ خَانَفْتَ كُلَّ مُوَحِّدٍ
 الشَّمْسُ طَالِعَةٌ فَهَلْ مِنْ مُبْصِرٍ وَالْحَقُّ مُتَضَحٌّ فَهَلْ مِنْ مُهْتَدِيٍّ
 إِنَّ الْفَتَى مَنْ سَوَّدَتْهُ نَفْسُهُ بِالْفَضْلِ لَامِنْ سَادَ غَيْرَ مُسَوِّدٍ

(١) الصرى الماء : الذى طال مكثه فى مستقره . والمصدر : المقل ، وهو من التصريد ، بمعنى التقليل .

(٢) د ، ك : جاءتْكَ تَسْأَلُكَ . (٣) ك : أَوْ لَمْشِد .

(٤) الزيادة التى بين الأقواس واردة فى ت والمملوح هو زين الدين أحمد ، حفيد الصحاب بهاء الدين

ابن حنا ، وكان وزيرا للصعبة ، ثم عزله الملك السعيد سنة ٦٧٧ هـ .

والناسُ مُخْتَلِفُو المَذَاهِبِ فِي الْعِلَالِ وَالْمَذْهَبُ الْمُخْتَارُ مَذْهَبُ أَحْمَدَ
وَفِي عُلُومِ الْأَوَّلِينَ حُقُوقُهَا وَالْآخِرِينَ وَفَاءَ مَنْ لَمْ يَجْعَلْ
فَكَأَنَّهُ فِينَا خَلِيفَةُ آدَمَ أَوْ آدَمُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يُولَدْ
أَفْقَى بِهِ عِلْمُ الْبَقِيَّةِ لَعَيْنِهِ وَرَأَى حَاسِدُهُ بَعِيْنِي أَرْمَدَ
كَشَفَ الْعِطَاءَ لَهُ فَلَيْسَ كَخَائِرِ فِي دِينِهِ مِنْ أَمْرِهِ مُتَرَدِّدِ
قَدْ كَانَ يَحْكُمُ فِي الْأُمُورِ بِعِلْمِهِ شَهِدَ الْحَقُّ لَدِينِهِ أَمْ لَمْ يَشْهَدِ
لَوْلَا يُخَاطِبُنَا بِقَدْرِ عَقُولِنَا جَاءَتْ مَعَارِفُهُ بِمَا لَمْ نَعْرِهَ
وَرِثَ النَّبُوَّةَ فَلْيَقُمْ كَقِيَامِهِ مِنْ حَاوِلِ الْمِيرَاثِ أَوْ فَلْيَقْعُدْ
فِلْسَانُهُ الْمَضْبُ الْحَسَامُ الْمُنْتَضَى وَيَبَانُهُ بَحْرُهُ خِضْمُ الْمَزِيدِ^(١)
وَبَصِيرَةُ اللَّهِ يُشْرِقُ نُورُهَا وَيُغْنِي مِثْلَ الْكَوْكَبِ الْمَتَوَقَّدِ
وَحَلَاتِقُ مَا شَابَهَا مِنْ شَانِهَا فَاتَتْ كَلَامَ الزُّنْ فِي قَلْبِ الصَّدَى
فَلِبَابِ زَيْنِ الدِّينِ أَحْمَدَ فَلْيَسِرْ مَنْ كَانَ بِالْأَعْدَارِ غَيْرَ مُقَيَّدِ
هُوَ كَمِيَّةُ الْفَضْلِ الَّذِي قُضَّاهُ قَدْ حَقَّقُوا مِنْهُ بُلُوغَ الْمَقْصِدِ
لَمَّا وَرَدَتْ عَلَى كَرِيمِ جَنَابِهِ فَوَرَدَتْ بِحَرِّ الْجُودِ عَذْبَ الْمَوْرِدِ
وَرَأَيْتُ وَجْهًا أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ فَأَضَاءَ مِثْلَ الْكَوْكَبِ الْمَتَوَقَّدِ
أَغْرَضْتُ عَنْ لُحُومِ الْحَدِيثِ وَقُنْتُ يَا مَدَحَ الْوَرَى عَنِّي فَمَا أَنَا مِنْ دَدِ^(٢)
وَعَزَمْتُ فِي يَوْمِي عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي أَلْقَاهُ لِي نِعَمَ الذَّخِيرَةِ فِي غَدِ
مَدَحٌ إِذَا أَعْمَلْتُ فِيهِ مَقُولِي جَاهَدْتُ عَنْ دِينِ الْهُدَى بِمَهْدِ

(١) د ، ت : البحر الحفص . والصواب : مأثباته . (٢) الدد : اللهو والعبث ، وهو من قول النبي :

« لست من دد ولا الدد مني » أي لست من اللهو والعبث في شيء .

أَبْقَى لَهُ الذِّكْرُ الْمُخْلَدَ عَلَيْهِ أَنْ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا أَمْرٌ لَا يُمُخَّلَدُ
فَاسْتَنْفَدَتْ بِوُجُودِهِ آمَالُهُ وَاخْتَارَ عِنْدَ اللَّهِ مَالٌ يَنْفَدُ
شَغِفَتْ بِهِ الدُّنْيَا وَآثَرَ أُخْتَهَا حُبًّا فَأَوْزَمَ رَغْبَةً يَبْزَهُدُ
وَأَتَى عَلَيْهَا جُودُهُ فَكَأَنَّهَا كَلَّوْنَهَا فِي نَفْسِهِ لَمْ تَوْجَدْ
فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى مَقَاصِدِهِ بِهَا أَبَدْتُ إِلَيْكَ حَقِيقَةَ الْمُتَجَرِّدِ
كَلِفٌ بِمَا يَعْينُهُ مِنْ إِسْعَادِ ذِي الْحَاجَاتِ فِي الزَّمَنِ الْقَلِيلِ الْمُسْعَدِ
يَطْوِي مِنَ التَّقْوَى حِشَاءً عَلَى الطَّوَى وَيَبِيتُ سَهْرَانًا مُقْصِرًا لِمَرْقَدِ
وَيَقْضُ مِنْ مَغْسُولَتَيْنِ بِدَمْعِهِ مَكْحُولَتَيْنِ مِنَ الظَّلَامِ بِإِثْمِدِ^(١)
عَوَّلَ عَلَيْهِ فِي الْأُمُورِ فَإِنَّهُ أَعْلَى الْعَرِيبِ وَبَيْتُ مَالِ الْمُجْتَدِي^(٢)
وَاسْتَمَطِرَ الْبَرَكَاتِ مِنْ دَعَوَاتِهِ حَيْثُ اسْتَقْلَ^(٣) سَحَابُ رَاحَتِهِ النَّدَى
وَاسْمِعْ لِمَا يُوحَى مِنَ الذِّكْرِ الَّذِي يُشْجِي الْقُلُوبَ لَوْ أَنَّهَا مِنْ جَلَدِ
صَدَرَتْ جَوَاهِرُ لَفْظِهِ مِنْ بَاطِنِ صَافِيِ التَّقَى مِثْلِ الْحُسَامِ الْمُغْمَدِ
فَارَاكُهُ سَحَرُ الْبَيَانِ مُنْضَدًّا بِيَدِ الْبَلَاغَةِ وَهُوَ غَيْرُ مُنْضَدِ
مُتَحَلِّيًّا بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّتِي يُغْنِي بِهَا حَدِيثُ عَنَاءِ تَجَلُّدِ
فَالْقَصُّ^(٤) مِنْهُ إِذَا أَتَاكَ تَعَدَّدَتْ مِنْهُ الْمَعَانِي وَهُوَ غَيْرُ مُعَدَدِ
قُلْ لِلْإِيمَانِ الْمُقْتَدَى بِعُلُومِهِ قَدْ فَازَ مَنْ أَضْحَى بِرَأْيِكَ بِقَتْدِي
يَأْمَنُ بِرَأْيِي لِلْفَضِيلَةِ حَقًّا لَتَلْذُذِ بِالْفَضْلِ لَا لَتَزِيدِ
لَمْ تُضْغِرْ لِلْعُلَمَاءِ إِلَّا مِنْهَا أَضْغَى سُلَيْمَانُ لِقَوْلِ الْهُدُودِ
عَجِبْتَ لَزُهُدِكَ فِي الْوِزَارَةِ مَغْشَرُ فَأَجَبْتُهُمْ عَجَبًا إِذَا لَمْ يَزْهَدْ

(١) الأثمَد : الكحل . (٢) المجتدي : السائل .

(٣) استقل : ارتفع . (٤) القص : الواحد .

ماضِرٌ حَبْرًا قَلَدَتْهُ أُمَّةٌ أَنْ لَمْ يَكُنْ لِمَنَاصِبٍ بِمُقَلِّدٍ
 وَإِذَا سَمَا بِاسْمِ الْعُلُومِ فَلَا تَسْلُ عَنْ حَطِّ نَفْسٍ بِالْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ
 مَا الْمَجْدُ إِلَّا حِكْمَةٌ أَوْ لَيْتَمَا بَنَحَطُّ عَنْهَا قَدْرُ كُلِّ مُجَدِّ
 يَارُبُّنَةُ لَا تُرْتَقَى بِسَلَامٍ وَسِيَادَةً مَا تُشْتَرَى بِالْعَسْجَدِ
 خَيْرُ الْمَنَاصِبِ مَا الْعُيُونُ كَالَيْلَةِ عَنْهُ وَمَا الْأَيْدَى لَهُ لَمْ تُمَدِّ
 مَوْلَايَ دُونَكَ مِنْ ثَنَائِي حُلَّةٌ تُبْلِي مِنَ الْأَيَّامِ كُلِّ مُجَدِّ
 جَاءَتْ مُسَارِعَةً إِلَيْكَ بِسَاعَةٍ سَعِدَتْ مُطَالَعَةً وَإِنْ لَمْ تُرْصَدِ
 يَوْمُ اتِّصَالٍ بِالْأَحَبَّةِ ، حَبْدًا يَوْمٌ بِهِ انْقَطَعَتْ قُلُوبُ الْحَسَدِ
 مَا سِيرَتْ مَا بَيْنَ يَوْسُفَ مِنْهَا (١) قَدْ سُرَّ فِيهِ أَحَدٌ بِمُحَمَّدٍ
 بِأَحَبِّهَا مَدْحٌ لَّالِ مُحَمَّدٍ دُونَ النَّغْزَلِ فِي غَزَالِ أَغِيدِ
 إِنَّ الْجَلَالََةَ مِنْذُ رُمْتُ مَدِيحَكُمْ لَمْ تَرْضَ لِي ذِكْرَ الْحَسَنِ الْخُرَدِ
 فَاللهُ يَجْمَعُ شَمْلَكُمْ سَادَاتِنَا جَمْعَ السَّلَامَةِ فِي نَعِيمٍ سَرْمَدِ

وقال لما مدح اليهود وذم النصارى ، وسيأتي ذكرها في حرف الراء ، وهذه (٢) النصارى ، فالزموه فكتب :

مَا لِلنَّصَارَى إِلَى ذَنْبٍ وَإِنَّمَا الذَّنْبُ لِلْيَهُودِ
 وَكَيْفَ تَفْضِيلُهُمْ وَفِيهِمْ سِرُّ الْخَنَازِيرِ وَالْقُرُودِ

(١) ت : ما سيرة ما بين يوسف ، وفيه غموض . (٢) ت : فلها هدهوه والزموه كتب .

وقال قافية^(١) الراء : يمدح بها على بن الصاحب^(٢) :

حَيَّ بُلْبَيْسَ مَنَزِلًا فِي الْعِمَارَةِ وَتَوَجَّهَ تِلْقَاءَ بَنِي عِمَارَةٍ
فَالْبَيْتَاتِ^(٣) فَالْحَرَارِ قَتُبْتُ^(٤) فَشَبَّرَا الْبَيْتُ فَالْحَمَارَهُ
وَإِذَا جِئْتَ حَاجِرًا بَيْنَ بُلْبَيْسَ وَقَلِيوبَ مِنْ خَرَابِ فَرَارِهِ
فَارْجِعِ السَّيْرَ بَيْنَ نَهْجٍ وَأَنْزِيرِ وَكُلُّ لِسَاطِيءِ الْبَحْرِ جَارِهِ
وَإِذَا مَا خَطَرْتَ مِنْ جَانِبِ الرَّمْلِ بِفَاقُوسَ فَاقْصِدِ الْخَطَّارَهُ
وَشَمْنَدِيلَ وَهِيَ مَنَزِلَةُ الْجَيْشِ وَسَعْدَانَةُ مَحَلُّ غِرَارِهِ
خَلَنِي مِنْ هَوَى الْبِدَاوَةِ إِنِّي لَسْتُ أَهْوَى إِلَّا جَالَ الْحِضَارَهُ
وَاقْرَ تِلْكَ الْقُرَى السَّلَامَ فَإِنْ أَعْيَمَتْكَ مِنْهَا عِبَارَةٌ فَإِشَارَةٌ
إِنَّ قَلْبِي أَضْحَى إِلَى سَاكِنِيهَا بِاشْتِيَاقٍ وَمُهْجَتِي مُسْتَطَارَهُ^(٥)
أَذْكَرْتَنَا عَيْشًا قَدِيمًا تَزَعْنَا هُ لِبَاسًا كَالْحَلَّةِ^(٦) الْمُسْتَمَارَهُ
وَرِمَانًا فِي الْحُسْنِ وَجَهَ عَلِيٍّ ذَا بَهَاءٍ وَبِهْجَةٍ وَنَضَارَهُ
صَاحِبُ لَا يَزَالُ بِالْجُودِ وَالْإِفْضَالِ^(٧) طَلَقَ الْيَدَيْنِ خُلُوَ الْعِبَارَهُ
كَمْ هَدَانَا مِنْ فَضْلِهِ بِكِتَابٍ مُعْجَزٍ مِنْ عِلْمِهِ^(٨) بِأَثَارِهِ
وَجْهَهُ مُسْفَرٌ لِعَافِيهِ مَا نَحْتَاجُ فِي الْجُودِ عِنْدَهُ لِسْفَارِهِ^(٩)

(١) ت : وقال ، ساعده الله ، من الخفيف . (٢) يبدو أن هذه القصيدة قيلت في الصاحب

بهاء الدين علي بن محمد بن حنا ، وفيها كثير من الألفاظ والمعاني النامضة .

(٣) ت : فالبيات . (٤) ت : فنقيت . (٥) هذا البيت ساقط من ت .

(٦) د ، ت : كالحسن ولا معنى له . (٧) والإفضال ساقطة من د ، ت ؛ فأضفها لوزن الشعر .

(٨) ت : أو من علمه . (٩) البيت في الأصل :

وجهه مسفر للعفاة وما نحن بحتاج في الجود عنده لسفاره

يَدُهُ رُقْعَةُ الصَّبَاحِ فَاغْرَبَهَا مِنْ سَلَامَةٍ وَطَهَارَةٍ
يَذْكُرُ الْوَعْدَ فِي أُمُورٍ وَلَا يَذْكُرُ جَدْوَى وَلَوْ بِكُلِّ إِمَارَةٍ
إِنَّمَا يَذْكُرُ الْعَطِيَّةَ مَنْ كَانَتْ عَطَايَاهُ تَارَةً بَعْدَ تَارَةٍ
سَيِّدِي أَنْتَ نُصْرَتِي كُلَّمَا شَنَّ عَلَى الزَّمَانِ بِالْفَقْرِ غَارَهُ
شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأْسْتُ كَأَنِّي زَامِرٌ إِلَى أَوْصِيغِ الْحَارَةِ ^(١)
وَابْنُ عِمْرَانَ وَهُوَ شَرُّ مَتَاعٍ لِلْوَرَى فِي بَطَانَةٍ وَظَهَارَةٍ ^(٢)
حَسَنَ الْقُرْبُ مِنْكُمْ قُبُحٌ ذِكْرًا هُوَ كَتَحْسِينِ الْمِسْكِ ذِكْرَ الْغَارَةِ
فَهُوَ فِي الْمَذْحِ قَطْرَةٌ مِنْ سَحَابٍ وَهُوَ فِي الْهَجْوِ مِنْ زِنَادِي شَرَارَةٍ
مَالُهُ مِيزَةٌ عَلَى سِوَى أَنْ لَهُ بَفْلَةٌ وَمَالِي حِمَارَةٍ
وَعِيَاظُ تَدْوَى الدَّوَاوِينُ مِنْهُ لَا بِمَعْنَى كَأَنَّهُ طِنْجَهَارَةٌ ^(٣)
يَتَجَنَّى ^(٤) بِسُوءِ خُلُقٍ عَلَى النَّاسِ وَنَفْسٍ ظَلُومَةٍ كَفَّارَةٍ
لَمْ تُهَدِّدْهُ كُلُّ قَاصِرَةِ الطَّرِيقِ أَجَادَتُ بِأَخْذِ عَيْنِهِ الْقَصَارَةَ
وَابْنُ يَغْمُورَ إِذْ كَسَاهُ مِنَ الدَّرَّةِ دِرْعًا كَأَنَّهُ غَفَّارَةٍ
طَبَعَتْ رَأْسَهُ دَمًا وَبِسَاطِي ^(٥) جِلْدَةً أَوْ حَسْبَتُهُ جُلْنَارَةٍ
وَسَلِيمَانُ كُلَّمَا قَرَعَ الْقَرْعَةَ طَنَّتْ كَأَنَّهُا نَقَارَةٌ
وَقَعَاتُ تَنْسِي الْمُوَرِّخَ مَا كَانَتْ مِنْ سُنْبِسٍ وَمِنْ زُنَّارَةٍ
إِنْ جِهَلْتُمْ مَا حَلَّ فِي سَاحِلِ ^(٦) الشَّيْخِ مِنَ الصَّفْعِ فَاسْأَلُوا ^(٧) الْبَحَّارَةَ

(١) يشير إلى المثل : « زامر الحى لا يطرب » .

(٢) ابن عمران : ناظر الشرقية في ذلك العهد ، وقد فصل البوصيرى من وظيفته فعنق عليه وعرض به .

(٣) دوى بكسر الواو يدوى بفتحها فهو دوى : أى مرض : ولعله يريد تدوى بتشديد الواو المكسورة من

من الدوى وهو الصوت الشديد ، ولكن لا يوجد منه فعل ثلاثى . والطنجهارة : كذابا بالنون كما فى الأصل ،

وفى التاج : الطرجهارة : شبه كأس . وفى التكملة : شبه طاس يشرب فيه . (٤) ت : يتجل .

(٥) د : بسطى . (٦) د : ساحة . (٧) د : فأسأله التجارة .

قَالَتِ الْبَغْلَةُ الَّتِي أَوْقَعَتْهُ^(١) أَنَا مَالِي عَلَى الْغُبُونِ مَرَارَهُ
 إِنَّ هَذَا شَيْخٌ^(٢) لَهُ بِجَوَارِيهِ مَعَ النَّاسِ كُلِّ يَوْمٍ صَهَارَهُ
 قُلْتُ لَا تَفْتَرِي عَلَى الشَّاعِرِ الْفَقِيرِ ، قَالَتْ^(٣) : سَلِ الْفَقِيرَ عُمَارَهُ
 لَوْ أَنَّهُ فِي عَرْسِهِ شَطْرُ فَلْسٍ لَرَأَى^(٤) الْبَيْعَ رَجُلَةً وَشَطَارَهُ
 قُلْتُ هَذَا شَادُّ الدَّوَابِّ ، قَالَتْ مَا أَوْلَى هَذَا عَلَى الْخَرَّارَةِ^(٥)
 قُلْتُ ذِي غَيْرَةِ الْأُيُورَةِ^(٦) أَلَا تَشْتَهِي أَنْ تُفَارِقَ الْأَبَّارَةَ
 قَالَتْ أَقْوَى وَكَيْفَ أُغَيِّرُ مِنِّي عِنْدَ شَيْخٍ كَلِّ بِغَيْرِ زِبَارَةٍ^(٧)
 قُلْتُ : مَا تَكْرَهِينَ مِنْهُ ؟ فَقَالَتْ أَيْ بُخْلٍ فِيهِ وَأَيُّ قِتَارَةٍ
 أَنَا فِي الْبَيْتِ أَشْتَهِي كَفَّ تَبْنٍ وَمِنْ الْقُرْطِ أَشْتَهِي نُورًا
 وَعَلَيْتِي عَلَيْهِ أَرْخَصُ مِنْ مَا لِي الْمَوَارِيثِ فِي شِرَا ابْنِ جُبَارَةٍ
 سَمَرَقِ النَّصْفَ وَاشْتَرِي النَّصْفَ بِالنَّصْفِ وَأَقْتِي بَأْتِ هَذَا تِجَارَةً
 لَا تَلُومُوا إِذَا وَقَعْتُ مِنَ الْجَوِّ عِ فَإِنِّي مِنَ الْخَوَى خَوَّارَةٍ
 مَا كَفَاهُ مِنَ الطَّوَافِ بِبُلْبُنْسٍ إِلَى أَنْ يَطُوفَ بِالسَّيَّارَةِ
 آهٍ مِنْ ضِيَعَتِي وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ مَالِي عَلَى الْغُبُونِ مَرَارَهُ
 أَكْمَلْتُ خِلْقَتِي وَشَبَبِي وَمَالِي^(٨) فِي حُجُورٍ^(٩) أُخْتُ وَلَا فِي مِهَارَةٍ^(١٠)
 أَيْ شَبْرِيَّةٍ^(١١) أَلَذُّ وَطَاءٍ مِنْ رُكُوبِي وَأَيْمًا شَبَّارَهُ

(١) أوقعته ساقطة من ت . (٢) ت : شيخ . (٣) د ، ت : فقالت وقد حذفت الفاء للوزن .

(٤) ت : لرأى . (٥) د : المزمارة . (٦) د ، ت : الإبرة .

(٧) أقننا البيت على هذا النحو ، وكان في الأصل هكذا :

قالت اقوى وكيف أغير على شيخ خصى كل بغير زباره

(٨) ت : وما لي . (٩) حجور ، جمع حجر ، وهي أنثى الخيل . (١٠) مهارة بالكسر :

جمع مهر ، وهو الجواد الصغير . (١١) شبرية ، كلمة عامية تطلق على سرير مصنوع من

قوائم من الخشب وظهر من الجبال المتخذة من ليف النخيل .

عَبَّرْتَنِي بِهَا بِغَالُ الطَوَاحِينِ ، وَقَالَتْ تَمَّتْ عَلَيْكَ الْعِيَارَةُ
 دُرْتُ حَتَّى وَقَعْتُ عِنْدَ الْمَنَاحِيْسِ فَيَالَيْتَ أَنِّي دَوَّارَةٌ
 وَلَقَدْ أُنْذَرْتُهُ فَرَأَيْتُهُ^(١) جَاهِلِيًّا لَمْ تُغْنِ فِيهِ النُّذَارَةُ
 وَقَوَّافِي لَيْسَ فِيهَا صِقَالٌ^(٢) مِنْ نَدَى^(٣) لَا^(٤) ، وَلَيْسَ فِيهَا زَفَارَةٌ^(٥)
 كُلُّ عَذْرَاءٍ مَا تُرْدُّ مِنَ الْكُفِّ بِعَيْبٍ وَلَا زَوَالٍ^(٦) بَكَارَةٍ
 سِرْنَ مِنْ حُسْنَيْنٍ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ بِ فَكُنَّ الْكَوَاكِبَ السَّيَّارَةَ
 لَنْ يَصِيدَهُنَّ^(٧) النَّوَالُ مِنْ بَحْرِ فِكْرِي أَوْ يُصْطَادُ الدُّرُّ بِالسَّنَارَةِ ؟
 غَيْرَ أَنِّي أَعَدَدْتُهَا خِلَاطِيَا وَذُنُوبِ اسْتَفْتَهَا كَفَّارَةَ
 أَوْلَمْ تَذَرِ أَنَّ مَدَحَ عَلِيٍّ مِثْلُ حَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَزِيَارَةِ
 * * *
 أَيُّهَا الصَّاحِبُ الْمُؤَمَّلُ أَدْعُو لَكَ دُعَاءَ اسْتِغَاثَةٍ وَاسْتِجَارَةٍ
 أَنْقَلَتْ ظَهْرِي الْعِيَالُ وَقَدْ كُنْتُ زَمَانًا بِهِمْ خَفِيفٌ^(٨) الْكَارَةِ
 وَلَوْ أَنِّي وَحْدِي لَكُنْتُ مُرِيدًا فِي رِبَاطٍ أَوْ عَابِدًا فِي مَغَارَةٍ
 أَحْسَبُ الزُّهْدَ هَيْنًا وَهُوَ حَرْبٌ لَسْتُ فِيهِ وَلَا مِنَ النَّظَّارَةِ
 لَا تَكْلَنِي إِلَى سِوَاكَ فَأَخِيَا رُزْمَانِي لَا يَمْنَحُونَ خِيَارَةَ
 وَوُجُوهُ الْقُصَادِ فِيهِ حَدِيدٌ وَقُلُوبُ الْأَجْوَادِ فِيهِ حِجَارَةٌ

(١) د ، ت : قرائته . ونظن الصواب ما أثبتناه . وفي وزن البيت خلل بين .

(٢) ت : مقال . وصقال من صقل الشيء : أى جلاه . (٣) ت : ندبا .

(٤) ليست في د ، ت : وقد زدها للوزن . (٥) يقال زفر زفر إذا استقى فحمل . وفي الحديث

« إن امرأة كانت تزفر القرب يوم خيبر تسقى الناس » أى تحمل القرب المملوء ماء .

(٦) ت : بعيب ولا زنى أو بكارة . (٧) ت : إن يصف من النوال . وفي د : لن يصدهم .

وفي البيت اضطراب وتحريف في الألفاظ : ولعل صوابه :

لن يصيده النوال من بحر فكري أو يصطاد دره صناره ؟

(٨) خفيف الكارة : خفيف الحمل .

فَإِذَا فَازَ كَفُّ حُرٍّ بَيْرٍ^(١) فَهَوَ إِمَّا بِنَقْضَةٍ أَوْ نِشَارَةٍ^(٢)
 إِنَّ بَيْتِي يَقُولُ قَدْ طَالَ عَهْدِي بِدُخُولِ التَّلَاسِ^(٣) لِي وَالشُّكَارَةِ
 وَطَعَامٍ قَدْ كَانَ يَعْهَدُهُ النَّاسُ مَتَاعًا لَهُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ
 فَالْكَوَانِينُ مَا تَعَابُ مِنَ الْبَرِّ دِ بَطْبَآخَةٍ وَلَا شُكَّارَةٍ^(٤)
 لِابْسَاطٍ وَلَا حَصِيرٍ بِدِهْلِيزِي وَلَا مَجْلِسِي وَلَا طَيَّارِهِ
 لَيْسَ ذَا حَالٍ مَنْ يُرِيدُ حَيَاةً لِعِيَالٍ وَلَا لِبَيْتٍ عِمَارَةٍ
 قُلْتُ إِنَّ الْوَزِيرَ أَشْكَنَ غَيْرِي فِي^(٥) مَكَانِي وَلِي عَلَيْهِ إِجَارَةٌ
 قِيلَ إِنَّ الْوَزِيرَ لَنْ يَقْصِدَ الْفَسْحَ ، فَلَمْ لَا رَاجَعَتَ فِي الْخَرَارَةِ^(٦)
 أَسْقَطْتُهُ مِنْ ظَهْرِنَا فَأَرْتُنَا جَبْنَهُ لَازِمًا لِبَطْنِ الْمَحَارَةِ
 ثُمَّ شَدُّهُ^(٧) بِالْإِزَارِ فِخْلُنَا هُ الْخِيَالِي مِنْ وَرَاءِ السُّتَارَةِ
 لَمْ يُفْضَلْ عَلَيْكَ غَيْرُكَ لَكِنْ عَطَايَاهُ كَالْكُتُوسِ الْمُدَارَةِ
 فَسَاعِدُو^(٨) بِهِ سَعِيدًا كَأَنِّي لَاعْتَدَلِ الرَّيِّعَ لِلشَّمْسِ دَارَهُ
 وَيَشُوقُ الْأَضْيَافَ فِي^(٩) بَادَاهَنْجٍ مِنْ بَعِيدٍ قُرُونُهُ^(١٠) كَالْمَنَارَةِ
 إِنَّ بَيْتًا يَغْشَاهُ كُلُّ فَقِيرٍ مِنْ عَلِيٍّ فِي ذِمَّةٍ وَخِفَارَةٍ
 صَرَفَ اللَّهُ السُّوءَ عَنْهُ وَأَتَا هُ مِنَ الْمَجْدِ وَالْعُلَا مَا اخْتَارَهُ

(١) د ، ت : بين .

(٢) د ، ت : نقضه بغير باء . (٣) التلّيس : الغرارة .

(٤) د ، ت : بشكارة ، والشكارة : المرأة التي تقطع اللحم . (٥) في ، ساقطة من د ، ت .

(٦) الخرارة : اسم قرية من قرى الشرقية . (٧) د ، ت : شجوة .

(٨) ت : فساعدوه . وفي د ، فاسعدوا ، والصواب : مأثبتاه . (٩) ت : لى . (١٠) ت : برونه .

وقال يمدح^(١) أَيْدَمُرْ عَزَّ الدِّينَ^(٢) ، وَيَعْزِيهِ^(٣) فِي سَيْفِ الدِّينِ :

قَدْ خَصَّ بِالْفَضْلِ قَطْلِيحَا^(٤) وَأَيْدَمُرْ وَطَابَ مِنْهُ وَمِنْكَ الْأَصْلُ وَالنَّمْرُ
بَحْرَانِ لَوْ جَادَ بَحْرٌ مِثْلَ جُودِهَا بَيَّعْتُ بَارِ خَصَّ مِنْ أَصْدَافِهَا الدَّرَرُ
لِلَّهِ دَرَكٌ عَزَّ الدِّينِ لَيْثٌ وَغَى لَهُ مِنَ الْبَيْضِ نَابٌ وَالْقَنَا ظَفَرُ
أَلْقَى الْإِلَهِ عَلَى الدُّنْيَا مَهَابَتَهُ فَالْبَيْضُ تَرَعْدُ خَوْفًا مِنْهُ وَالسُّمْرُ
أَرَيْنَا فَضْلَ شَمْسِ الدِّينِ مُنْتَقِلًا إِلَيْكَ مِنْهُ وَصَحَّ الْخَبْرُ وَالْخَبْرُ
إِنْ تُحْيِ آثَارَهُ مِنْ بَعْدِ مَا دَرَسَتْ فَإِنَّكَ النَّيْلُ تُحْيِ الْأَرْضَ وَالْمَطَرُ
وَإِنْ تَكُنْ أَنْتَ خَيْرَ آوَارِثِينَ لَهُ فَمَا يُنَازِعُكَ^(٥) فِي مِيرَاثِهِ بَشَرُ
وَإِنْ تَكُنْ فِي الْعُلَاوِ الْفَضْلُ تَخْلُقُهُ فَالشَّمْسُ يُخْلُقُهَا إِنْ غَابَتْ الْقَمَرُ
أَخْجَلَتْ بِالْحِلْمِ سَادَاتِ الزَّمَانِ فَلَمْ يَعْقُوا كَعَقْوِكَ عَنْ ذَنْبٍ إِذَا قَدَرُوا
وَلَمْ تَزَلْ تَسْتُرُ الْعَيْنَ الَّذِي كَشَفُوا وَلَمْ تَزَلْ تَجْبُرُ الْعَظَمَ الَّذِي كَسَرُوا
لَوْ أَنَّ أَلْسِنَةَ الْأَيَّامِ نَاطِقَةٌ أَثْنَتَ عَلَى فَضْلِكَ الْأَصَالُ وَالْبُكَرُ
شَرَعَتْ لِلنَّاسِ طُرُقًا مَا بَهَا عُجْرٌ يَخَافُ سَائِلُهَا فِيهَا وَلَا بُجْرُ^(٦)
لَوْ يَسْتَقِيمُ عَلَيْهَا السَّالِكُونَ بِهَا كَمَا أَمَرَتْ مَشَتْ مَشَى إِلَهَا الْحُرُ
أَكْرَمَ بِأَيْدَمُرَ الشَّمْسِيِّ مِنْ بَطَلٍ بِذِكْرِهِ فِي الْوَعَى الْأَبْطَالُ تَفْتَخِرُ
تَخَافُ مِنْهُ وَتَرْجُوهُ كَمَا فَعَلَتْ فِي قَلْبٍ سَامِعِهَا الْآيَاتُ وَالسُّورُ

(١) ت : وقال عفا الله عنه من البسيط .

(٢) هو الأمير عز الدين أيبك الفخرى ، الذى أسندت إليه ولاية القاهرة ، بدلا من شمس الدين أبى بكر بن

إسباسلار ، الذى توفى سنة ٦٧٨ هـ . (٣) د : وهنته .

(٤) د : نقطيحيا .

(٥) ت : فلم .

(٦) أصل العجر : العروق المتعقدة فى الجسد . والبحر : العروق المتعقدة فى البطن . والمعنى هنا : أنك مهدت

للناس طرقا خائفة من الصعاب .

مَعْنَى الْوُجُودِ الَّذِي قَامَ الْوُجُودُ بِهِ وَهَلْ يَغْيِرُ الْمَعْنَى ^(١) قَامَتِ الصُّورُ ؟
 بَنَانُهُ مِنْ نَدَاهُ ^(٢) الْغَيْثُ مُنْسَكِبٌ وَسَيْفُهُ مِنْ سَطَاهُ النَّارُ تَسْتَعِرُ
 نَهْتُهُ عَنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا نَزَاهَتُهُ وَشَرَّدَ النَّوْمَ مِنْ أَجْفَانِهِ السَّهَرُ
 وَلَيْسَ يُضْجِرُهُ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ وَكَيْفَ يُدْرِكُ مَنْ لَا يَتَعَبُ الضَّجْرُ
 يُنْمِي وَيُضْمِحُ فِي تَذْيِيرِ مَمْلَكَةٍ أَعْيَا الْخَلَائِقَ فِيهَا بَعْضُ مَا يَزُرُ
 يَكْفِيهِ حَمْلُ الْأَمَانَاتِ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى الْجِبَالِ فَكَادَتْ مِنْهُ ^(٣) تَنْفَطِرُ
 خَافَ الْإِلَهَ لَخَافَتُهُ رَعِيَّتُهُ وَالْمَرْءُ يُجْزَى بِمَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُ
 وَاخْتَارَهُ مَلِكُ الدُّنْيَا لِيُخْبِرَهُ فِي مُلْكِهِ وَهُوَ مُخْتَارٌ وَمُخْتَبَرُ
 فَطَهَرَ الْأَرْضَ مِنْ أَهْلِ الْفَسَادِ فَلَا عَيْنَ لَهُمْ بَقِيَّةٍ فِيهَا وَلَا أَنْزُرُ
 وَدَبَّرَ الْمُلُوكَ تَذْيِيرًا يُقْصَرُ عَنْ إِدْرَاكِ أَيْسَرِهِ الْأَفْهَامُ وَالْفِكَرُ
 وَحِينَ طَارَتْ ^(٤) إِلَى الْأَعْدَاءِ مَسْمَعَتُهُ مَاتَ الْقَرْنُجُ بِدَاءِ الْخَوْفِ وَالتَّقَرُّ
 فَمَا يُبَالِي بِأَعْدَاءِ قُلُوبِهِمْ فِيهَا تَمَكَّنَ مِنْهُ الْخَوْفُ وَالذُّعْرُ
 وَكُلُّ أَرْضٍ ذَكَرْنَاهُ بِهَا غَنِيَّتٌ عَنْ أَنْ يُجْرَدَ فِيهَا الصَّارِمُ الذَّاكِرُ
 فَلَوْ تُجْرَدُ مِنْ مِصْرِ عَزَائِمُهُ إِلَى الْعِدَا بَطَلُ الْبَيْكَارِ وَالسَّفَرُ ^(٥)
 فِي كُلِّ يَوْمٍ تَرَى الْقَتْلَى بِصَارِمِهِ كَأَنَّا نُجِرَتْ فِي مَوْسِمِ جُزُرُ
 كَأَنَّ صَارِمَهُ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ نَذِيرُ مَوْتٍ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ النَّذَرُ ^(٦)

(١) ت : المعالي . (٢) ت : يدها . وقد صححها تيمور باشا في الهامش فجعلها ، نداء .

(٣) د ، ت : كانت ، ونظن الصواب مأثنتاه . كلمة منه : ساقطة من ت . (٤) الأصل من الأعداء .

(٥) البيكار : الحرب . (٦) هذا البيت ساقط من د .

شُكْرًا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ فِي وَلايَتِهِ مَعْنَى كَرَامَتِهِ لِلنَّاسِ مُشْتَهَرٌ
 عَمَّ الرَّعِيَّةَ وَالْأَجْنَادَ^(١) مَعْدَلَةً فَمَا شَكَا نَفَرًا مِنْ عَدْلِهِ نَفَرٌ
 وَسَرَ أَسْمَاعَهُمْ مِنْهُ وَأَعْيُنَهُمْ وَجْهٌ جَمِيلٌ وَذِكْرٌ طَيِّبٌ عَطِرٌ
 تَأَرَّجَتْ عَنْ نَظِيرِ الْمِسْكِ نَظَرَتُهُ^(٢) كَمَا تَأَرَّجَ عَنْ أَكَامِهِ الزَّهَرُ
 مِنْ مَعَشَرٍ فِي الْعُلَا أَوْفَوْا عُهُودَهُمْ وَلَيْسَ مِنْ مَعَشَرٍ خَانُوا وَلَا غَدَرُوا
 تُرِكَ تَزَيَّنَتْ الدُّنْيَا بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ لَهَا الْحُلَى إِنْ غَابُوا وَإِنْ حَضَرُوا
 حَمَكَتْ ظَوَاهِرُهُمْ حُسْنًا بِوَاطِنِهِمْ فَهُمْ سِوَا أَسْرُوا الْقَوْلِ أَوْ جَهَرُوا^(٣)
 بِيضُ الْوَجْهِ يَجْنُ اللَّيْلُ إِنْ رَكِبُوا إِلَى الْوَعْيِ وَيُضِي الصُّبْحُ إِنْ سَفَرُوا
 تَسْعَى لِأَبْوَابِهِمْ^(٤) قَصَادُ مَا لِهِمْ وَجَاهِهِمْ زُمَرًا فِي إِثْرِهَا زُمَرٌ
 تَسَابَقُوا فِي الْعُلَا سَبْقَ الْجِيَادِ لَهُمْ مِنَ الثَّنَاءِ الْحُجُولُ الْبَيْضُ وَالْفُرَرُ
 وَكُلُّ شَيْءٍ سَمِعْنَا مِنْ مَنَاقِبِهِمْ فَمِنْ مَنَاقِبِ عِزِّ الدِّينِ مُحْتَصَرٌ
 مَوَلَى تَلَدْنَا أَخْبَارُ سُودُدِهِ كَانَ أَخْبَارَهُ مِنْ حُسْنِهَا سَمَرٌ
 فَلَوْ أَدَارَتْ سُقَاةُ الرَّاحِ سِيرَتَهُ عَلَى النَّدَامَى وَحَيَوُهُمْ بِهَا سَكِرُوا
 يَا حُسْنَ مَا يَجْمَعُ الدُّنْيَا وَيُنْفِقُهَا كَالْبَحْرِ يَحْسُنُ مِنْهُ الْوَرْدُ وَالصَّدْرُ
 لِكُلِّ شَرْطٍ جَزَاءٌ مِنْ مَكَارِمِهِ وَكُلُّ مُبْتَدَأٍ مِنْهَا لَهُ خَبَرٌ
 فَمَا نَظَّمْتُ مَدِيحًا فِيهِ مُبْتَكِرًا إِلَّا أَنَا نِيَّ جُودٍ^(٥) مِنْهُ مُبْتَكِرٌ
 صَدَقْتُ فِي مَدْحِهِ فَازْدَادَ رَوْفُهُ فَمَا عَلَى وَجْهِهِ مِنْ رِيْبَةٍ قَتَرٌ

(١) د : الأخبار . (٢) ت : نصرته . (٣) ت : أم .

(٤) ت : لأموالهم . (٥) د : جواد .

أَغْنَتْ عَطَايَاهُ فَقَرَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ - فَسَلِّمُ عَنْهُ إِنْ قَلُّوا وَإِنْ كَثُرُوا
لِذَلِكَ أَثْنَوْا عَلَيْهِ بِالَّذِي عَمِلُوا - خَيْرًا فَيَا حُسْنَ مَا أَثْنَوْا وَمَا شَكَرُوا
قَالُوا وَجَدْنَاهُ مِثْلَ الْكَرَمِ فِي كَرَمٍ - يَفِي بِهِ مِنْهُ عَلَيْنَا الظِّلُّ وَالثَّمَرُ
وَمَا يَزَالُ يُعِينُ الطَّائِعِينَ إِذَا - تَطَوَّعُوا بِجَمِيلٍ، أَوْ إِذَا نَذَرُوا
وَمَنْ أَعَانَ أَوْلَى الطَّاعَاتِ شَارَكَهُمْ - فِي أَجْرِ مَا حَصَرُوا مِنْهُ وَمَا تَجَرَّوْا
فَمَا أَتَى النَّاسُ مِنْ فَرَضٍ وَمِنْ سُنَنِ - فِي صِحْفَتِهِ الْغَرَاءُ مُسْتَطَرُ
كَحَجٍّ وَهُوَ مُقِيمٌ وَالْحِجَارُ بِهِ - قَوْمٌ يَقِيمُونَ لَا حَجُّوا وَلَا اعْتَمَرُوا
وَجَاهَدَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ طَائِفَةٌ - وَخِيَلَهَا مِنْهُ وَالْهِنْدِيَّةُ الْبُتْرُ
وَأَطْعَمَ الصَّائِمِينَ الْجَائِعِينَ وَمِنْ - فَرَطِ الْخِصَاصَةِ فِي أَكْبَادِهِمْ سَعْرُ
وَلَمْ تَفْتَهُ مِنَ الْأُزَادِ نَاشِئَةٌ - فِي لَيْلَةٍ قَامَ يُخَيِّبُهَا وَلَا سَحَرُ
يَطْوِي النَّهَارَ صَيَامًا وَهُوَ مُضْطَرِمٌ - وَاللَّيْلُ يَطْوِي قِيَامًا وَهُوَ مُعْتَكِرُ
وَمَالُهُ فِي زَكَاةٍ كُلُّهُ نُصَبٌ - لَا الْخَمْسُ فِيهِ لَهُ ذِكْرٌ وَلَا الْعُشْرُ
أَعْمَالُهُ كُلُّهَا لِلَّهِ خَالِصَةٌ - وَنُصْحُهُ لَمْ يُخَالِطْ صَفْوَهُ كَدَرُ
كَمْ عَادَ بَغَى عَلَى قَوْمٍ عَلَيْهِ بَغَوَا - وَحَاقَ مَسْكْرٌ بِأَقْوَامٍ بِهِ مَسْكْرُوا
لَمْ يَخَفْ عَنْ عِلْمِهِ فِي الْأَرْضِ خَافِيَةٌ - كَأَنَّهُ لِلْوُجُودِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
فَلَا يَظُنُّ مُرِيبٌ مِنْ جِهَالَتِهِ - بَأَنَّ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ عَنْهُ يَسْتَتِرُ
عَصَتْ عَلَيْهِ أَنْاسٌ لِاخْتِلَاقِ لَهُمْ - الشُّومُ شِيَمَتُهُمُ وَاللَّوْمُ وَالذَّبْرُ
تَلَتَّمُوا ثُمَّ قَالُوا: إِنَّا عَرَبٌ - فَقُلْتُ لَا عَرَبٌ أَنْتُمْ وَلَا حَضَرُ
وَلَا عَهْدٌ لَكُمْ تُرْعَى وَلَا ذِمٌّ - وَلَا بَيُوتُكُمْ شَعْرٌ وَلَا وَبْرُ

وَأَيُّ بَرِيَّةٍ فِيهَا يُؤْتِكُمْ
وَلَيْسَ يُنَجِّي امْرَأًا رَامُوا أَذِيَّتَهُ
يَشْكُو جَمِيعُ بَنِي الدُّنْيَا أَذِيَّتَهُمْ
يَرَوْنَ كُلَّ قَبِيحٍ مِنْهُمْ حَسَنًا
مِنْ لَوْ لَمْ أَحْسَابِهِمْ إِنْ شَاتَمُوا رَجَحُوا
لَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الرَّفْقَ أَبْطَرَهُمْ
زَجَرْتَهُمْ بِعُقُوبَاتٍ مُنَوَّعَةٍ
كَأَنَّهُمْ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ أَنَّهُمْ
فَعَشَرُ رَكِبُوا الْأَوْتَادَ^(١) فَانْقَطَعَتْ
وَمَعَشَرٌ قُطِعَتْ أَوْصَالُهُمْ قِطْعًا
وَمَعَشَرٌ بِالظُّبَا طَارَتْ رُءُوسُهُمْ
وَمَعَشَرٌ وَسَطُوا مِثْلَ الدَّلَاءِ وَلَمْ
وَمَعَشَرٌ سَمُّوا فَوْقَ الْحِيَادِ وَقَدْ
وَأَخْرَوْنَ فَدَّوْا بِالمَالِ أَنْفُسَهُمْ
مَوَاتٍ سَوْءٌ تَلَقَّوْهَا بِمَا صَنَعُوا
وَقَدْ تَادَبَّتِ الْمُسْتَخْدَمُونَ بِهِمْ
فَعَفَّ كُلُّ ابْنِ أَثْنَى عَنْ خِيَاتِهِ
وَهَلْ هِيَ الشَّعْرُ قَوْلُوا لِي أُمِّ الْمَدْرُ ؟
مِنْهُمْ فِرَارٌ قُلٌّ كَلًّا وَلَا وَرَرُ
فَهُمْ بِطَرَقِهِمُ الْأَحْجَارُ وَالْحَفَرُ
وَلَمْ يَبْأُلُوا أَلَامَ النَّاسِ أَمْ عَذَرُوا ؟
وَمِنْ حَقَارَتِهِمْ إِنْ قَاتَلُوا خَسِرُوا
وَالْمُفْسِدُونَ إِذَا أُكْرِمْتَهُمْ بِطَرُوا
وَفِي الْعُقُوبَاتِ لِلطَّاغِينَ مُزْدَجَرُ
لَا يَتْرَكُونَ الْأَذَى إِلَّا إِذَا قَهَرُوا
أَمْعَاؤُهُمْ فَتَمَنَّوْا أَنَّهُمْ نُجِرُوا
فَمَا يُلَقِّقُهَا خَيْطٌ وَلَا إِبرُ
عَنِ الْجُسُومِ فَقَلْنَا إِنَّهَا أُكْرُ
تُرَبِّطُ حِبَالُهَا بِهَا يَوْمًا وَلَا بُكْرُ
شَدَّتْ جُسُومُهُمُ الْأَلْوَاحُ وَالْدُّسْرُ
وَقَالَتِ النَّاسُ خَيْرٌ مِنْ عَمَى عَوْرُ
وَمِنْ وَرَاءِ تَلَقِّيهِمْ لَهَا سَقَرُ
وَالْعَافِلُونَ إِذَا مَا ذُكِّرُوا ذَكِّرُوا
فَلَمْ يَخُنْ نَفْسَهُ أَتْنَى وَلَا ذَكَّرُ

إِنْ كَانَ قَدْ صَلَّحَتْ مِنْ بَعْدِ مَا سَدَّتْ أَوْ أَلْهَمَ بِكَ إِنَّ الْكَسْرَ يَنْجِي
 لَوْلَاكَ مَا عَدَلُوا مِنْ بَعْدِ جَوْرِهِمْ عَلَى الرَّعَايَا وَلَا عَقُّوا وَلَا انْحَصَرُوا
 وَلَا شَكَرْتُهُمْ مِنْ بَعْدِ ذِمَّتِهِمْ كَانَهُمْ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ مَا كَفَرُوا
 وَكُنْتُ وَصَّيْتُهُمْ أَنْ يَحْذَرُوا كَمَا وَصَّى الْحَكِيمُ بَنِيهِ وَهُوَ مُحْتَضِرُ
 وَقُلْتُ لَا تَقْرَبُوا مَا لَا حَوْتَ يَدُهُ فَالْفَتْحُ يَهْزُبُ مِنْهُ الطَّائِرُ الْخَذِرُ
 وَحَازِرُوا مَعَهُ أَنْ تَرَوْهُمْ كَبُورًا فَلَيْسَ يُحْمَدُ مَنْ مَرَّ كُوبُهُ الْغَرَرُ
 وَلَا تَصَدَّوْا لِمَا لَمْ يَرْضَ خَاطِرُهُ إِنَّ التَّصَدَّى لِمَا لَمْ يَرْضَهُ خَاطِرُ
 فَبَانَ نُصْحِي لَهُمْ إِذْ مَاتَ نَاطِرُهُمْ وَقَدْ بَدَتْ لِلْوَرَى فِي مَوْتِهِ عِبْرُ
 مُقَدَّمَاتُ : أَمَاتَاهُ وَأَقْبَرَهُ مَشَا عَلِيَّانِ مَا أَدَّوْا وَلَا نَصَرُوا
 وَجَرَّسُوهُ عَلَى النَّعْسِ الَّذِي حَمَلُوا مِنَ الْفِرَاشِ إِلَى الْقَبْرِ الَّذِي حَفَرُوا
 يَا سُوءَ مَا قَرَّهُوا مِنْ كُلِّ مُخْزِيَةٍ عَلَى جِنَازَتِهِ جَهْرًا وَمَا هَجَرُوا
 وَكَبَّرُوا بَعْدَ تَضْفِيرِ جَرَامَتِهِ وَقَبَّحُوا مَا طَوَّرُوا مِنْهَا وَمَا نَشَرُوا
 وَكَانَ جَمَعَ أَمْوَالًا وَعَدَدَهَا وَظَهَّارَ لَصُروفِ الدَّهْرِ تَدَخَّرُ
 فَأَذْنَتْ بِزَوَالٍ عَنْهُ مُسْرِعَةً كَمَا يَزُولُ بِحَلْقِ الْعَانَةِ الشَّعْرُ
 وَرَاحَ مِنْ خِدْمَةِ صِفْرِ الْيَدَيْنِ فَقُلْ لِلْعَامِلِينَ عَلَيْهَا بَعْدَهُ اعْتَبِرُوا
 مَا عَذَرُ مَا شِئَ بِالظُّلْمِ فِي طُرُقِ رَأَى الْمَشَاةَ عَلَيْهَا بَعْدَهُ عَبَرُوا
 إِذَا تَفَكَّرْتَ فِي الْمُسْتَعْدِمِينَ بَدَا مِنْهُمْ لِعَيْنَيْكَ مَا لَمْ يُبْدِهِ النَّظَرُ
 ظَنُّوهُمْ عَمَرُوا الدُّنْيَا بِبَذْلِهِمْ وَإِنَّمَا خَرَبُوا الدُّنْيَا وَمَا عَمَرُوا
 فَطَّرَ الْأَرْضَ مِنْهُمْ إِنْهُمْ خَبَثُ لَوْ يَفْسِلُونَهُمْ بِالْبَحْرِ مَا طَهَّرُوا

يَبْرَأَنَّ شَرَّ كَفَانَا اللَّهُ شَرَّهُمْ لَا يَزْحُمُونَ وَلَا يُبْقُونَ إِنْ ظَفِرُوا
 فَاحْذَرْ كِبَارَ بَيْنِهِمْ إِنْهُمْ قُرْمٌ وَاحْذَرْ صِفَارَ بَيْنِهِمْ إِنْهُمْ شَرَرٌ
 فَالْقِيلُ تَقْتُلُهُ الْأَقْمَى بِأَصْغَرِهَا فِيهَا وَلَمْ تَحْشَهُ^(١) مِنْ سِنِّهَا الصَّغَرُ
 وَاضْرِبْهُمْ بِقِنَّا^(٢) مِثْلَ الْحَدِيدِ بِهِمْ فَلَيْسَ مِنْ غَيْرِ ضَرْبٍ يَنْفَعُ الزُّبُرُ
 وَلَا تَتَّقِ بَوَاءَ مِنْ أَخِيْ حَقِيْ فَالْحَقُّ دَلَالٌ عِيَالٌ بَرُوهُ عَسِرُ
 مِنْ كُلِّ مَنْ قَدَرُهُ فِي نَفْسِهِ أَبَدًا مُعْظَمٌ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مُخْتَقَرُ
 يَصُدُّ عَنْكَ إِذَا اسْتَفْنَى بِجَانِبِهِ وَلَا يَزُورُكَ إِلَّا حِينَ يَفْتَقِرُ
 كَأَنَّهُ الدَّلْوُ يَغْلُو حِينَ تَمْلُؤُهُ مَاءٌ وَيُفْرِغُ مَا فِيهِ^(٣) فَيَنْحَدِرُ
 وَالذَّهْرُ يَرْفَعُ أَطْرَافًا كَمَا رَفَعَتْ أَذْنَابُهَا لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ الْبَقَرُ
 حَسْبُ الْمَحَلَّةِ لَمَّا زَالَ نَاطِرُهَا أَنْ زَالَ مُذْزَالٌ عَنْهَا الْبُؤْسُ وَالصَّرَرُ^(٤)
 وَأَنَّ أَعْمَالَهَا لَمَّا حَلَّتْ بِهَا تَغَارُ مِنْ طَيِّبِهَا الْجَنَنَاتُ وَالنَّهْرُ
 وَأَهْلُهَا فِي أَمَانٍ مِنْ مَسَاكِنِهَا مِنْ فَوْقِهِمْ غُرْفٌ مِنْ تَحْتِهِمْ سُرُرُ
 مَلَأَتْ فِيهَا بُيُوتَ الْمَالِ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ صُبْرًا يَاحْجَدًا الصَّيْرُ^(٥)
 وَالْمَالُ يُجْنَى كَمَا يُجْنَى الثَّمَارُ بِهَا حَتَّى كَانَ بَنَى الدُّنْيَا لَهَا شَجَرُ
 وَتَابَعَتْ بَعْضَهَا الْفَلَاتُ فِي سَفَرٍ بَعْضًا إِلَى شَوْنٍ^(٦) ضَاقَتْ بِهَا الْخُدُرُ
 وَسَيِّمَتْ الْخَلِيلُ لِلْأَبْوَابِ مُسْرَجَةً لَمْ تُحْصَ عَدًّا وَتُحْصَى الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
 وَالْمُجْنُ تَحْسِبُهَا سُحْبًا مُقَوِّفَةً^(٧) فِي الْحَقِّ مِنْهَا فِضَاءُ الْجَوْ مُنْهَصِرُ

(١) د : تنشه . (٢) د : بقنقع . ت : بثنى . ونظن الصواب ما أثبتناه .

(٣) د : فيفرغ بما فيه . (٤) ت : البأس . (٥) يقال اشترى الشيء صبرة : أى بلا وزن ولا كيل .

(٦) د : شؤون . (٧) مفوف : فيه خطوط بيض .

وَكُلُّ مُقْتَرَحٍ مَا دَارَ فِي خَلَدٍ يَأْتِي إِلَيْكَ بِهِ فِي وَقْتِهِ الْقَدَرُ
وَمَا هَمَمْتَ بِأَمْرِ غَيْرِ مَطْلَبِهِ إِلَّا تَيَسَّرَ مِنْ أَسْبَابِهِ الْقَسِرُ
وَالْعَامِلُونَ عَلَى الْأَمْوَالِ مَا عَمِلُوا مِنْ أَىِّ مَا جَاءَ يَأْتِي وَمَا شَمَرُوا
وَمَا أَرَى بَيْنَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ دَرَى مِنْ أَيْنَ تَأْتِي لَهُ الْأَكْيَاسُ وَالْبِدَرُ
هَذَا وَمَا أَحَدٌ كَلَفْتُهُ شَطَطًا بَمَا فَعَلْتَ كَأَنَّ النَّاسَ قَدْ سَحَرُوا
بَلْ زَادَهُمْ فِيكَ حُبًّا مَا فَعَلْتَ بِهِمْ مِنَ الْجَلِيلِ وَذَنْبُ الْحُبِّ مُغْتَمَرُ
فَإِنْ شَكُّوا بِغِضَةٍ مِمَّنْ مَضَى سَلَفَتْ فَمَا لِقَلْبِي عَلَى الْبَغْضَاءِ مُصْطَبَرُ
فَالصَّبْرُ مِنْ يَدٍ مَنْ أَحْبَبْتَهُ عَسَلَتْ وَالشَّهْدُ مِنْ يَدٍ مَنْ أَبْغَضْتَهُ صَبْرُ
لَقَدْ جُبِلَتْ عَلَى عَدْلٍ وَمَعْرِفَةٍ سَارَتْ بِفَضْلِهِمَا الْأَمْثَالُ وَالسَّيْرُ
فَمَا حَكَمْتَ بِمَكْرُوهِهِ عَلَى أَحَدٍ حُكْمًا يُخَالِفُهُ نَصٌّ وَلَا خَبَرُ
رُزِقْتَ ذُرِّيَّةً ضَاهَتْكَ طَيِّبَةً مِنْ طِينَةٍ غَارَ مِنْهَا الْعَنْبَرُ الْعَطِرُ
فَلِيَهْنِكَ الْيَوْمَ مِنْهَا الْفَضْلُ حِينَ غَدَا دِينَ الْإِلَهِ بِسَيْفِ الدِّينِ مُنْتَصِرُ
عَلَى صِفَاتِكَ دَلَّتْنَا نَجَابَتَهُ وَبَانَ مِنْ أَيْنَ مَاءُ الْوَرْدِ يُعْتَصَرُ
مِيزَانُهُ فِي الثَّقَى مِيزَانُ مَعْدَلَةٍ وَحِكْمَةٍ لِاصْنَعِي^(١) فِيهَا وَلَا صِفَرُ
مَشَى صِرَاطًا سَوِيًّا مِنْ دِيَانَتِهِ فَمَا يَزَالُ بِأَمْرِ اللَّهِ يَأْتَمِرُ
تَرْضِيكَ^(٢) فِي اللَّهِ أَعْمَالُهُ وَتُغْضِبُهُ وَمَا بَدَأَ لِي أَمْرٌ مِنْكُمْ نَكْرُ
قَالَتْ لِي النَّاسُ مَاذَا الْخُلْفُ؟ قُلْتُ لَهُمْ: كَمَا تَخَالَفَ مُوسَى قَبْلُ وَالْخَضِرُ
أَمَا عَصَى أَمْرَ مُوسَى عِنْدَ سَفْكِ دَمٍ مَا فِي شَرِيعَةِ مُوسَى أَنَّهُ هَدَرُ

(١) صُنِي : نقص . يقال : أصْنِي الشَّيْءَ ، بِمَعْنَى نَقَصَهُ . (٢) ت : تَرْضِيهِ .

وقد تعاظم ابنُ عَفَّانٍ لِأَسْرَتِهِ وماتَعَاطَى أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ
 وَلَنْ يَضِيرَ أُولَى التَّقْوَى اخْتِلَافُهُمْ وهم على فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ قَدْ فُطِرُوا
 مُشْمَرٌ فِي مَرَامِي اللَّهِ مُحْتَدٌ وبالْعَفَافِ وَتَقْوَى اللَّهِ مُؤْتَزِرٌ
 زَانِ اللَّيَالَى وَالْأَيَّامِ إِذْ بَقِيَتْ كَأَنَّهَا غُرُرٌ فِي إِثْرِهَا طُرُرٌ
 وَقَعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ مَهَابَتِهِ وَقَالَتِ النَّاسُ مَيِّتٌ مَسَّهُ كِبَرٌ
 وَقَصَّرَتْ كَلَامِي عَنْ مَدَائِحِهِ وَقَدْ أَتَيْتُ مِنَ الْخَالِئِينَ اعْتَذِرُ
 فَاقْبَلْ بِفَضْلِكَ مَدْحًا قَدْ أَتَاكَ بِهِ شَيْخٌ ضَعِيفٌ إِلَى تَقْصِيرِهِ قَصْرُ
 فَمَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ عَيْبٍ تُعَابُ بِهِ إِنْ انْحَنَّتْ وَاسْتَقَامَ السَّهْمُ وَالْوَتَرُ
 وَالْبَسُّ ثَنَاءً أَجَادَتْ نَسِجَهُ فِكْرُ يَغَارُ فِي الْحُسْنِ مِنْهُ الْوَشْيُ وَالْحَبْرُ
 مِنْ شَاعِرٍ صَادِقٍ مَا شَانَهُ كَذِبُ فِيمَا يَقُولُ وَلَا عَيٌّْ وَلَا حَصْرُ
 يَهِيمُ فِي كُلِّ وَادٍ مِنْ مَدَائِحِهِ عَلَى مَعَانٍ أَضَلَّتْ حُسْنَهَا الْفِكْرُ
 لَا يَنْظِمُ الشُّعْرَ إِلَّا فِي الْمَدِيحِ وَمَا غَيْرُ الْمَدِيحِ لَهُ سُؤْلٌ وَلَا وَطْرُ
 مَا شَاقَهُ لِفَزَالٍ فِي الظُّبَا غَزَلُ وَلَا لِغَانِيَةٍ فِي طَرَفِهَا حَوْرُ
 مَدِيحُهُ فَيْكَ حُرٌّ لَيْسَ يَمْلِكُهُ مِنَ الْجَوَائِزِ أَثْمَانٌ وَلَا أَجْرُ
 إِنَّ الْأَدِيبَ إِذَا أَهْدَى كَرَائِمَهُ فَقَصَدَهُ شَرَفُ الْأَنْسَابِ لَا الْمَهْرُ
 تَبًّا لِقَوْمٍ قَدْ اسْتَغْنَوْا بِمَا نَظَّمُوا مِنْ امْتِدَاحِ بَنِي الدُّنْيَا وَمَا نَثَرُوا
 فَلَوْ قَفَّوَتْ بِأَخْذِ الْمَالِ إِثْرُهُمْ لَعَوَّ قَتْنَى الْقَوَافِي فَيْكَ وَالْفَقْرُ
 خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ عِنْدِي مَدْحُ ذِي كَرَمٍ ذِكْرِي بِمَدْحِي لَهُ فِي الْأَرْضِ يَنْتَشِرُ

فَالصُّفْرُ مِنْ ذَهَبٍ عِنْدِي وَإِنْ صَفِرْتَ يَدِي وَإِنْ غَنِيَتْ سَيَّانٍ وَالصُّفْرُ
بَقِيَتْ مَا شِئْتَ فَمَا شِئْتَ مِنْ رُتَبٍ عَلَيْهِ عُمَرُ الدُّنْيَا بِهَا عَمِرُوا
وَبَلَغْتَكَ اللَّيَالِي مَا تَوَمَّلُهُ وَلَا تَعَدَّتْ إِلَى أَيَّامِكَ الْغَيْرُ
وَقَدْ دَعَتْ لَكَ مَنَى كُلِّ جَارِحَةٍ وَبِالْإِجَابَةِ فَضْلُ اللَّهِ يُنْتَظَرُ

وقال (١) :

جَوَارُكَ (٢) مِنْ جَوْرِ الزَّمَانِ يُجِيرُ وَبِشْرُكَ لِلرَّاجِي نَدَاكَ بِشِيرُ
فَضَلْتَ بَنَى الدُّنْيَا فَفَضْلُكَ أَوَّلُ وَأَوَّلُ فَضْلِ الْأَوَّلِينَ أَخِيرُ
وَأَنْتَ هُمَامٌ دَبَّرَ الْمَلِكُ رَأْيُهُ خَبِيرٌ بِأَحْوَالِ الزَّمَانِ بَصِيرُ
إِذَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ حَاوَلَ نَصْرَهُ كَفَى الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ مِنْكَ نَصِيرُ
فَلَا تَذْسِرِ الْأَيَّامُ ذِكْرَكَ إِنَّهُ بِهِ فَرَحٌ بَيْنَ الْمُلُوكِ فَخُورُ
إِذَا مَرَّ فِي أَرْضٍ بِجَيْشٍ عَرَمَزَمَ تَكَادُ لَهُ أُمُّ النُّجُومِ تَعُورُ
وَتَحْسِبُهُ قَدْ سَارَ يَرْمِي بِرُوحِهَا يَخِيلُ عَلَيْهَا كَالْبُرُوجِ يَغِيرُ
وَمَا قَلْبُهَا مِمَّا يَقْرَأُ خُفُوقَهُ وَلَا طَرَفُهَا حَتَّى يَعُودَ قَرِيرُ
سَوَالٍ عَلَيْهِ خَيْلُهُ وَرِكَابُهُ وَسَرَجٌ إِذَا جَابَ الْفَلَاةَ وَكُورُ
لَقَدْ جَهَلْتَ دَاوِيَةَ الْكُفْرِ بِأَسَهُ وَغَرَّهُمُ بِالْمُسْلِمِينَ غَرُورُ
فَلَا بُورُكُمْ وَأَمِنْ إِخْوَةٍ إِنْ أَتَاهُمْ وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهَا الْبَنُونَ تَزُورُ

(١) ت . وقال رضى الله تعالى عنه من الطويل .

(٢) هذه القصيدة نظمها الشاعر فى مدح الملك المنصور قلاوون الألقى الصالحى ، بمناسبة بنائه المارستان المنصورى الكبير ، ومدرسة الحديث والقبه سنة ٦٨٤ هـ .

[فَإِنْ غَلَطَتْ مِنْهُمْ رِقَابٌ لِبُعْدِهِ فَمَا انْحَطَّ عَنْهَا الْمَدْلَعُ نِيرُ^(١)]
 [أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَا نُوَاصِلٌ إِنْ جَفَوْا وَأَنَا عَلَى بَعْدِ الْمَزَارِ نَزُورُ]
 يَظُنُّونَ خَيْلَ الْمُسْلِمِينَ يَصْذُهَا عَنِ الْعَدُوِّ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ دُحُورُ
 أَمَا زُلْزَلَتْ بِالْعَادِيَاتِ وَجَاءَهَا مِنَ التُّرْكِ جَمٌّ لَا يُعَدُّ غَفِيرُ
 أَتَوْا بِطُمَرَاتٍ مِنَ الْجُرُودِ سَيَّرَتْ وَرَجُلٍ لَهُمْ مِثْلُ الْجُرَادِ طُمُورُ^(٢)
 فَلَمْ يَرَقُبُوا مِنْ صَرْحِ هَامَانَ مَرْقَبًا بِهِامَتِهِ بَرْدُ السَّحَابِ بَكُورُ^(٣)
 وَصَبَّ عَلَيْهِمْ عَارِضٌ مِنْ حِجَارَةٍ وَنَبَلٍ وَكُلُّ بِالْعَذَابِ مَطِيرُ
 وَسَامُوهُ^(٤) خَسَفًا مِنْ نُقُوبٍ كَانَتْهَا أَثَافٍ^(٥) لَهَا تِلْكَ الْبُرُوجُ قُدُورُ
 فَذَاقُوا بِهِ مَرُّ الْحِصَارِ فَأَصْبَحُوا لَهُمْ ذَلِكَ الْحِصْنُ الْحَصِينُ حَصِيرُ^(٦)
 يَصِيحُونَ أَعْلَى السُّورِ خَوْفًا كَصَافِنِ^(٧) نَفَى عَنْهُ نَوْمَ الْمُقْلَتَيْنِ صَفِيرُ
 وَمَاذَا يَرُدُّ السُّورُ عَنْهُمْ وَخَلْفَهُ مِنَ الْخَيْلِ سُوْرُ وَالصَّوَارِمِ سُوْرُ
 وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا إِلَى الْأَسْرِ مَلْجَأٌ وَإِلَّا إِلَى ضَرْبِ الرِّقَابِ مَصِيرُ
 فَلَمَّا أَحْسَوْا بَأْسَ أَغْلَبَ هِمَّةً غَدُوًّا إِلَيْهِمْ بِالرَّدَى وَبَكُورُ
 دَعَاؤُهُ وَشَمْلُ النَّصْرِ مِنْهُمْ مُمَزَّقُ أَمَانًا وَجِلْبَابُ الْحَيَاةِ بَقِيرُ^(٨)

- (١) هذان البيتان زيادة في النسخة التيمورية . (٢) رجل ، جمع راجل ، وهو ضد الفارس .
 الطمور : الذهاب في الأرض والمقصود هنا سرعة الحركة والانتقال .
 (٣) برد السحاب : أى السحاب المصحوب بالبرد . (٤) ساموه : أذاقوه .
 (٥) أثاف : جمع إثفية ، وهى الأحجار التى توضع عليها القدر . (٦) حصير : الحبس .
 (٧) الصافن من الخيل : القائم على ثلاث قوائم ، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر .
 (٨) بقير : مشقوق .

أَعَارَهُمْ أَفَرَنْسِيْسُ تِلْكَ وَسِيْلَةً رَأَى مُسْتَعِيْرًا غِيْبَهَا وَسَعِيْرُ
فَدَى نَفْسَهُ بِالْمَالِ وَالْأَلِ وَانْتَنَى تَطِيْرُ بِهِ مِنْ حَيْثُ جَاءَ طُيُوْرُ
فَلَاتَنْدَكُرُوا مَا كَانَ بِالْأَمْسِ مِنْهُمْ فَذَاكَ لِأَحْقَادِ السُّيُوفِ مُثِيْرُ
فَلَوْ شَاءَ سُلْطَانُ الْبَسِيْطَةِ سَاقَهُمْ لِمَصْرِ وَتَخَتَ الْفَارِسِيْنَ بَعِيْرُ
تُبَشِّرُ مِصْرَ دَائِمًا بِقُدُوْمِهِمْ إِذَا فَصَلَتْ (١) مِنْهُمْ لَفَزَةً عِيْرُ
تَسْرُهُمْ عِنْدَ الْقَوْلِ بِضَاعَةً وَتَحْفَظُ مِنْهُمْ إِخْوَةً وَتَمِيْرُ (٢)
وَلَوْ شَاءَ مَدَّ النَّيْلَ سَيْلُ دِمَائِهِمْ وَرَقَّتْ (٣) نُحُوْرُ مَاءَهُ وَسُحُوْرُ (٤)
بَعِيْدٍ كَعِيْدِ النَّحْرِ يَاحْسَنَ مَا يَرَى بِهِ مِنْ عُلُوْجٍ كَالْعُجُوْلِ جَزُوْرُ
وَلَكِنَّهُ مِنْ حِمَاهِ وَاقْتِدَارِهِ عَفُوٌّ عَنِ الذَّنْبِ الْعَظِيْمِ غَفُوْرُ
وَلَمْ يُبْقِيَهُمْ إِلَّا خَيْرًا (٥) لِمِثْلِهَا مَلِيْكُ يَجِبُ الرَّأْيُ وَهُوَ خَبِيْرُ
يَرَى الرَّأْيَ مَزَّ الرَّاحِ يَهْوَى عَتِيْقُهُ وَيُكْرَهُ مِنْهُ الْخُلُوْ وَهُوَ عَصِيْرُ
قَوْلُوا وَسَوْءَ الظَّنِّ يَلْوِي وَجُوْهَهُمْ فَتَحْسِبُهَا صُوْرًا وَمَا هِيَ (٦) صُوْرُ
وَقَدْ شَغَرَتْ مِنْهُمْ حُصُوْنُ أَوَاهِلِ وَمَا رَاعَهَا مِنْ قَبْلِ ذَاكَ شُغُوْرُ
فَلِلَّهِ سُلْطَانُ الْبَسِيْطَةِ إِنَّهُ مَلِيْكُ يَسِيْرُ النَّصْرِ حَيْثُ يَسِيْرُ
وَيُعْمِدُ فِي هَامِ الْمُلُوْكِ حُسَامُهُ وَيَرْهَبُ مِنْ هَامِ الْمُلُوْكِ غَفِيْرُ
وَيَجْمَعُ مِنْ أَشْلَائِهِمْ مُتَفَرِّقًا بِصَارِمِهِ جَمَعَ الْهَشِيْمِ حَظِيْرُ (٧)

(١) فصل من البلاد ، خرج منها . (٢) تمير : تجلب لهم الطعام .

(٣) ت : وزفت . (٤) ت : سخور . ورفت : مصت ، والنحور ، جمع نحر ، وهو أسفل

الخلق . وسحور جمع سحربفتح السين ، وهي الرثة .

(٥) د : حيرا . (٦) ما : ساقطة من د . (٧) الحظير : يريد الحظيرة التي تعمل للدواب ونحوها .

فَأَخْلَقَ بَأْنَ يَنْقَى وَيَبْقَى لِلْمَلِكَةِ ثَنَاءٌ حَكَاهُ عَنْبَرٌ وَعَبِيرٌ
وَتَأْتِيهِ خَيْلُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ يُؤَيِّدُ مِنْهَا بِالْغَفِيرِ نَفِيرٌ
وَيَحْمِلُ كُلَّ الْمَلِكِ عَنْهُ وَإِصْرَهُ^(١) حَرَىُّ بِتَدْيِيرِ الْأُمُورِ جَدِيرٌ
أَخُو عَزَمَاتٍ فَالْبَعِيدُ مِنَ الْعَلَا لَدَيْهِ قَرِيبٌ وَالْعَسِيرُ يَسِيرٌ
تَكَادُ إِذَا مَا أُبْرِمَتْ عَزَمَاتُهُ لَهَا الْأَرْضُ تُطْوَى وَالْجِبَالُ تَسِيرُ
دَعَانِي إِلَى مَغْنَاهُ دَاعٍ وَلَيْسَ لِي جَنَانٌ عَلَى ذَاكَ الْجَنَابِ جَسُورٌ
فَقُلْتُ لَهُ دَعْنِي وَسَيْرِي لِمَا جِدْتُ لَهُ اللَّهُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ يُجِيرُ
إِذَا جِئْتُهُ وَحَدَى يَقُومُ بِنُصْرَتِي قِبَائِلُ مِنْ إِقْبَالِهِ وَعَشِيرُ
فَتَى أَبْدَتْ الدُّنْيَا عَوَاقِبَهَا لَهُ وَأَوْضَتْ بِمَا فِيهَا لَدَيْهِ صُدُورُ
فَفَقَلَّتُهُ مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ يَقْظَةُ وَغَيْبَتُهُ عَمَّا يُرِيدُ حُضُورُ
وَمَا كُلُّ فَضْلٍ فِيهِ إِلَّا سَجِيَّةٌ يُشَارِكُ فِيهَا ظَاهِرٌ وَضَمِيرُ
فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ النَّزَالِ مُحَرِّضٌ وَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ النَّوَالِ سَفِيرُ
هُوَ السَّيْفُ فَاحْذَرُ صَفْحَةَ لِفْرَارِهِ^(٢) قَبِيزَهُمَا لِلْأَمْسِينِ غُرُورُ^(٣)
مَهِيبٌ وَهَوْبٌ لِلْمُحَاوِلِ جُودُهُ جَوَادُ وَلِلْيَتِّ الْمَصُورِ هُصُورُ
إِشَارَاتُهُ فِيمَا يَرُومُ صَوَارِمُ وَسَاعَاتُهُ عَمَّا يَسْعَنُ دُهُورُ
إِذَا هَجَرَ النَّاسُ الْمَهْجِرَ لَكَرِّهِمْ يَلِدُّ لَهُ أَنَّ الزَّمَانَ هَجِيرُ

(١) الإصر. السكل : العبء ، ومثلها .

(٢) غرار السيف : حده . (٣) يقصد بالغرور : الهلاك .

وَهَلْ يَتَقَيَّ حَرُّ الزَّمَانِ ابْنُ غَادَةٍ جَلِيلٌ عَلَى حَرِّ الزَّمَانِ صَبُورٌ
يُحَاذِرُهُ الْمَوْتُ الزَّوَامُ إِذَا سَطَا وَلَكِنَّهُ مِنْ أَنْ يُلَامَ حَذُورٌ
وَتَسْتَهْوُونَ^(١) الْأَهْوَالَ فِي الْمَجْدِ نَفْسُهُ وَتَسْتَخْفِرُ الْمُؤْهُوبَ وَهُوَ خَطِيرٌ
مَكَارِمُهُ لَمْ تَبْقِ فَقْرًا وَرَأْيُهُ إِلَى بَعْضِهِ أَغْنَى الْمَلُوكِ فَقِيرٌ
كَفَتَهُ سَطَاهُ أَنْ يُجَهِّزَ عَسْكَرًا وَآرَاؤُهُ أَنْ يُسْتَشَارَ وَزِيرٌ
فَوَاطِنَ أَطْرَافِ الْبَسِيطَةِ ذِكْرُهُ وَصِيْنَتِ حُصُونٍ بِاسْمِهِ وَثُغُورٌ
مُحْيَاهُ طَلَقَ بِاسْمِ رَوْضٍ كَفَّهُ أَرِيضٌ وَمَاءُ الْبَشْرِ مِنْهُ نَمِيرٌ^(٢)
حَكَى الْبَحْرَ وَضَفَاءً مِنْ طَهَارَةِ كَفِّهِ فَقِيلَ لَهُ مِنْ أَجْلِ ذَاكَ طَهُورٌ
وَمَا هُوَ إِلَّا كِيمِيَاءُ سَعَادَةٍ وَوَصْنِي لَتِلْكَ الْكِيمِيَاءِ شُدُورٌ
بِهَاقَمٍ شِعْرِي لِلْخَلَاصِ^(٣) فَمَا أَرَى لَشِعْرِي امْتِحَانِ النَّاقِذِينَ نَصِيرٌ^(٤)
وَرُبَّ أَدِيبٍ ذِي لِسَانٍ كَمِبَرْدٍ^(٥) بَدَا مِنْ فَمٍ كَالْكَبِيرِ أَوْ هُوَ كَبِيرٌ
أَرَادَ امْتِحَانًا لِي فَزَيَّفَ لَفْظُهُ نَتَانٌ^(٦) بَدَا مِنْ نَظْمٍ وَخَرِيرٌ^(٧)
إِذَا مَا رَأَى عَافِيًى وَاسْتَقْلَنِي كَأَنِّي فِي قَعْرِ الزُّجَاجَةِ سُورٌ^(٨)
وَيُعْجِبُهُ أَنِّي نَحِيفٌ وَأَنَّهُ سَمِينٌ يَسْرُ النَّاظِرِينَ طَرِيرٌ^(٩)

(١) تمدها هينة .
(٢) النмир : الناجع من الماء ، عذبا كان ، أو غير عذب .
(٣) د : لا خلاصى .
(٤) كذا فى الأصل .
(٥) د : مكرّر . (٦) تثنى كسكرم وضرب نتانة وأنثن فهو متثنى . ولم نجد النتان بغير هاء . وهى عامية .
(٧) الخريز : صوت الماء والريح . (٨) سور أصلها سور ، وهو ما يتبقى من الشارب فى الإثاء .
(٩) الطرير : ذو المنظر الحسن .

وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الدَّرَّ يَصْغُرُ جِرْمُهُ وَمَقْدَارُهُ عِنْدَ الْمُلُوكِ خَطِيرُ
 قَامَ بِنَصْرِي دُونَهُ ذُو نَبَاهَةٍ حَلِيمٌ إِذَا خَفَّ الْحَلِيمُ وَقُورُ
 وَلَا جَوْرَ فِي أَحْكَامِهِ غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى الْخَائِنِينَ الْجَائِرِينَ يَجُورُ
 فَلَا تَنْظُرِ الْعُمَالُ لِلْمَالِ إِنَّهُ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ غَيُورُ
 وَأَنَّ عَذَابَ الْمُجْرِمِينَ بَعْدَ لَهُ طَوِيلٌ وَعُمَرُ الْخَائِنِينَ قَصِيرُ
 لَهُ قَلَمٌ بِالْبَاسِ يَجْرِي وَبِالنَّدَى فِي جَانِبَيْهِ جَنَّةٌ وَسَعِيرُ
 تُحَلِّي الطُّرُوسَ الْعَاطِلَاتِ سَطُورُهَا كَمَا تَتَحَلَّى بِالْعُقُودِ نُحُورُ
 أَجَلِي كَلَاظِي فِي خَمَائِلِ حُسْنِهِ فَمِنْ حَيْرَةٍ لَمْ تَدْرِ كَيْفَ تَحُورُ
 عَلَا بَعْضُهُ فِي الْقَدْرِ بَعْضًا كَمَا عَلَا مَعَ الْحُسْنِ زَهْرٌ فِي الرِّيَاضِ نَضِيرُ
 حَكِي حَسَنَاتٍ فِي صَحَائِفِ مُؤْمِنٍ يَسُرُّ كَبِيرِيٌّ بِهَا وَصَفِيرُ
 فَكَانَتْ شُكُوكًا مِنْهُ زَانَتْ حُرُوفُهُ حِسَابًا قَلَّتْ^(١) مِنْهُ الصَّحَاحُ كُسُورُ
 فَقَلْتُ وَقَدْرَاعَتْ بِفَضْلِ خِطَابِهِ وَرَاقَتْ عُيُونُ النَّاضِرِينَ سَطُورُ
 لَيْنِ جَاءَهُمُ كَالْعَيْثِ مِنْهُ مُبَشِّرًا لَقَدْ جَاءَهُمُ كَلِمَاتُ مِنْهُ نَذِيرُ
 فَوَيْلٌ لِقَوْمٍ مِنْ يَرَاجُ كَأَنَّهُ خِلَالُ^(٢) يَرُوعُ الْأَسَدُ مِنْهُ صَرِيرُ
 وَلَمْ لَا وَآسَادُ الْعَرِينِ لِدَاتِهِ^(٣) يَكُونُ لَهُ مِثْلُ الْأَسَدِ زَنْبِيرُ
 يَغْضُ لَدَيْهِ مُقْلَتِيهِ ابْنُ مُقْلَةٍ كَمَا غَضَّ مَنْ فِي مُقْلَتَيْهِ بُثُورُ
 وَأَتَى لَهُ لَوْ نَالَهُ مِنْ تَرَابِهِ لَيَكْحَلَنَّ مِنْهُ مُقْلَتِيهِ ذَرُورُ

(١) قلت : أبغضت . (٢) الخلال جمع خلة بكسر الخاء ، وهي جفن السيف ، والمقصود بها هنا السيف .

(٣) الأصل : لذاته ونظن الصواب ما أثبتناه .

وَقَدْ كَفَّ عَنْ كُوفِيَّةٍ كَفَّ عَاجِزٍ وَفِيهِ نَظِيمٌ دُرُّهُ وَنَشِيرٌ
 وَوَدَّ الْعَذَارَى لَوْ يُعْجَلُ نَحْلَةً إِلَيْهِنَّ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوفِ مُهُورٌ
 رَأَى مَا يَرُوقُ الطَّرْفَ بَلْ مَا يَرُوعُهُ فَخَارَ وَذُو الْقَلْبِ الضَّعِيفِ يَخُورُ
 بَنَى مَا بَنَى كِسْرَى وَعَادَ وَتَبَّعَ وَلَيْسَ سِوَاءَ مُؤْمِنٍ وَكَافُرٍ
 وَدَلَّ عَلَى تَقْوَى الْإِلَهِ أُسَاسُهُ كَمَا دَلَّ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُورُ
 حِجَازِيَّةُ الشَّحْبِ الثَّقَالِ يَسُوقُهَا عَلَى جَلِّ سَوْفًا صَبًّا وَدَبُورُ
 وَمِنْهَا نُجُومٌ فِي بُرُوجِ حَجَرَةٍ عَلَى الْأَرْضِ تَبْدُو تَارَةً وَتَغُورُ
 تَضِيقُ بِهَا السَّبُلُ الْفِجَاجُ فَلَا يَرَى بِهَا لِلرِّيَّاحِ الْعَاصِفَاتِ مَسِيرُ
 فِكْمٌ صَخْرَةٌ عَادِيَّةٌ قَذَفَتْ بِهَا إِلَيْهِ سُهُولٌ جَمَّةٌ وَوُغُورُ
 وَمِنْ مُعْدٍ فِي هِمَّةِ الدَّهْرِ قُوَّةٌ ^(١) وَفِي بَاعِهِ مِنْ طُولِهِنَّ قُصُورُ
 أَشَارَ لَهَا فَأَقَادَ سَهْلًا عَسِيرُهَا إِلَيْهِ وَمَا أَمَرَ عَلَيْهِ عَسِيرُ
 أَتَتْهُ بِهَا أُنْدَى الرِّيَّاحِ وَدُونَ مَا أَتَتْهُ بِهَا أُنْدَى الرِّيَّاحِ ثَبِيرُ
 وَمَا كَانَ لَوْلَا مَالُهُ مِنْ كَرَامَةٍ لَيَأْتِينَا بِالْمُعْجِزَاتِ أَمِيرُ
 لِمَا فِيهِ مِنْ تَقْوَى وَعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ بِحَرْ ^(٢) مَبَانِيهِ الثَّلَاثُ تَشِيرُ
 فَمِثْدَنَةٌ فِي الْجَوْ ثُشْرِقُ فِي الدُّجَى عَلَيْهَا هُدَى لِلْعَالَمِينَ وَنُورُ
 وَمِنْ حَيْنًا وَجَهَتْ وَجْهَكَ نَحْوَهَا تَلَقَّتْكَ ^(٣) مِنْهَا نَضْرَةٌ وَسُرُورُ

يَمُدُّ إِلَيْهَا الْحَاسِدُ الطَّرْفَ حَسْرَةً فَيَرْجِعُ^(١) عَنْهَا الطَّرْفَ وَهُوَ حَسِيرٌ^(٢)
فَكَمْ حَسَدَتْهَا فِي الْعُلُوِّ كَوَاكِبُ وَغَارَتْ عَلَيْهَا فِي الْكَمَالِ بُدُورُ
إِذَا قَامَ يَدْعُو اللَّهَ فِيهَا مُؤَدِّنٌ فَمَا هُوَ إِلَّا لِلنَّجُومِ سَمِيرُ
فَلِلنَّاسِ مِنْ تَذْكَارِهِ وَأَذَانِهِ فَطُورٌ عَلَى رَجْعِ الصَّدَى وَسَحُورُ
وَقُبَّةُ مَارِسْتَانٍ لَيْسَ لِعِلَّةٍ^(٣) عَلَيْهِ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ مُرُودُ
صَحِيحُ هَوَاءٍ لِلنُّفُوسِ بِنَشْرِهِ مَعَادٌ وَلِلْعَظَمِ الرَّيْمِ نُشُورُ
يَهْبُ قَهْدِي كُلَّ رُوحٍ بِجِسْمِهِ كَأَنَّ صَبَاهُ حِينَ يَنْفُخُ صُورُ^(٤)
فَلَوْ تَعَلَّمَ الْأَجْسَامُ أَنْ تُرَابُهُ مَهَادُ حَيَاةٍ لِلْجُسُومِ وَثِيرُ
لَسَارَتْ بِمَرْضَاهَا إِلَيْهِ أَسْرَةٌ وَصَارَتْ بِمَوْتَاهَا إِلَيْهِ قُبُورُ
وَمَا عَادَ يُبْلَى بَعْدَ ذَلِكَ مَيِّتًا ضَرِيحٌ وَلَا يَشْكُو الْمَرِيضَ سَرِيرُ
بِجَنَّتِهِ وَرَقٌّ تُرَاسِلُ مَاءُهُ يَشُوقُ هَدِيبٌ مِنْهُمَا وَهْدِيرُ
وَقَدْ وَصَفَتْ^(٥) لِي النَّاسُ مِنْهَا عَجَائِبًا كَأَوْجُهُ غَيْدٍ مَا لَهْنٌ سُفُورُ
مَحَاسِنُهَا اسْتَدْعَتْ نَسِيْبِي وَمَادَعَا نَسِيْبِي غَزَالٌ قَبْلَ ذَاكَ غَرِيرُ^(٦)
وَبَاتَ بِهَا قَلْبِي يُمَثِّلُ حُسْنَهَا لِعَيْنِي وَنَوْمِي بِالشَّهَادِ غَزِيرُ
وَلَا وَصَفَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَوَاصِفٍ وَرُودٌ عَلَى مَوْصُوفِهِ وَصُدُورُ
بَدَتْ فَهِيَ عِنْدَ الصَّالِحِيَّةِ جِلَقٌ وَفِي تِلْكَ جَنَّاتٍ وَتِلْكَ قُبُورُ

(٢) حسير : متعب ومنقطع من طول المدى .

(٤) الصور: أرواح الموتى ، قيل إنه جمع صورة .

(٦) غرير : ساذج ، غير مجرب .

(١) د : فرجع .

(٣) د : بعلّة .

(٥) د : وصفوا .

وَلَوْ فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا لَتَبَادَرَتْ مِنْ الدَّرِّ وَلِدَانٌ إِلَيْهِ^(١) وَحُورٌ
 وَمَدْرَسَةٌ وَدَّ الْخَوَزَنْقُ أَنَّهُ لَدَيْهَا حَظِيرٌ وَالسَّيْرُ غَدِيرٌ
 مَدِينَةٌ عِلْمٌ وَالْمَدَارِسُ حَوْهَا قُرَى أَوْ نَجُومٌ بَدْرُهُنَّ مِنْبِرٌ
 تَبَدَّتْ فَأَخْفَى الظَّاهِرِيَّةَ نُورُهَا وَلَيْسَ بِظَهْرِ النَّجُومِ ظُهُورٌ
 بِنَاءٌ كَانَ النَّخْلَ هَنْدَسَ شَكْلُهُ وَلَا نَتَ لَهُ كَالشَّمْعِ مِنْهُ صُحُورٌ^(٢)
 بَنَاهَا حَكِيمٌ لَيْسَ فِي عَزَمَاتِهِ فَتُورٌ وَلَا فِيمَا بَنَاهُ فَتُورٌ
 بَنَاهَا شَدِيدُ الْبَأْسِ أَوْحَدُ عَصْرِهِ خَلَتْ حِقَبٌ مِنْ مِثْلِهِ وَعُصُورٌ
 فَمَا صَنَعَتْ عَادٌ مَصَانِعَ مِثْلُهُ وَلَا طَاوَلَتْهُ فِي الْبِنَاءِ قُصُورٌ
 ثَمَانِيَّةٌ فِي الْجَوْثِ يَحْمِلُ عَرْشَهَا وَبَعْضٌ لِبَعْضٍ فِي الْبِنَاءِ ظَهِيرٌ
 يَرَى مَنْ يَرَاهَا أَنَّ رَافِعَ سَمَكِهَا عَلَى فِعْلٍ مَا أَعْيَا الْمُلُوكَ قَدِيرٌ
 وَأَنَّ مَنَارًا قَائِمًا بِإِزَائِهَا بَنَانٌ إِلَى فَضْلِ الْأَمِيرِ تَشِيرٌ
 كَانَ مَنَارَ اسْكَنْدَرِيَّةَ عِنْدَهُ نَوَاطٍ بَدَتْ وَالْبَابُ فِيهِ نَقِيرٌ
 بَنَاهَا سَعِيدٌ فِي بَقَاعِ سَعِيدَةٍ بِهَا سَعِدَتْ قَبْلَ الْمَدَارِسِ دُورٌ
 إِذَا قَامَ يَدْعُو اللَّهَ فِيهَا مُؤَذِّنٌ فَمَا هُوَ إِلَّا لِلنَّجُومِ سَمِيرٌ^(٣)
 فَصَارَتْ بِمَوْتِ اللَّهِ آخِرَ مُعْرِهَا قُصُورٌ خَلَتْ مِنْ سَادَةٍ وَخُدُورٌ
 ذَكَرْنَا لَدَيْهَا قُبَّةَ النَّسْرِ مَرَّةً فَمَا كَادَ نَسْرٌ لِلْحَيَاءِ يَطِيرُ
 فَإِنْ نُسِبَتْ لِلنَّسْرِ فَالطَّائِرُ الَّذِي لَهُ فِي الْبُرُوجِ الثَّابِتَاتِ وَكُورٌ
 وَإِلَّا فِكْمٌ فِي الْأَرْضِ قَدَمَالٌ دُونَهَا^(٤) إِلَى الْأَرْضِ عِقْبَانٌ هَوَتْ وَنُسُورٌ

(١) د : لديه . (٢٤٢) هذه الأبيات ساقطة من الديوان وواردة في خطط المقرئ عند الكلام

عن المارستان المنصوري الكبير . (٤) د : حال .

تَبَيَّنَتْ فِي^(١) نَحْرِهَا وَهِيَ كَالدَّمِي قُدُودٍ غَوَانٍ كُلُّهُنَّ خُصُورُ
 وَقَدْ حُلِيَتْ مِنْهَا صُدُورٌ بِمَسْجِدٍ وَلَقَّتْ لَهَا تَحْتَ الْحِلِيِّ شُعُورُ
 بِهَا عُمْدٌ كَأَثَرِنَ أَيَّامٍ عَامِهَا وَمِنْ عَامِهَا لَمْ يَمُضِ بَعْدُ شُهُورُ
 مَبَانٍ^(٢) أَبَانَتْ عَنْ كَالِ بِنَائِهَا وَأَعْرَبَ عَنْ وَضْعِ الْأَسَاسِ هَتُورُ
 سَمَاقِيَّةٌ أَرْجَاوُهَا فَكُنَّهَا^(٣) عَلَيْهَا مِنَ الْوَشْيِ الْبَدِيعِ سَتُورُ
 تَوَهَّمُ طَرْفِي أَنَّ تَجْزِيعَ بُسْطِهَا رُقُومٌ وَتَلْوِينَ الرُّخَامِ حَرِيرُ
 وَكَمْ جَاوَزَ الْإِبْدَاعُ فِي الْحُسْنِ حَدَّهُ فَأَوْهَمَنَا أَنَّ الْحَقِيقَةَ زُورُ
 فَلِلَّهِ يَوْمٌ ضَمَّ فِيهِ أُمَّةٌ تَدَفَّقَ مِنْهُمْ لِلْعُلُومِ بُحُورُ
 وَشَمْسُ الْمَعَالِي مِنْ كِتَابٍ وَسُنَّةٍ عَلَى النَّاسِ مِنْ لَفْظِ الْكَلَامِ تُدِيرُ
 وَقَدْ أَعْرَبَتْ لِلنَّاسِ عَنْ^(٤) خَيْرِ مَوْلِدٍ عَرُوبٌ^(٥) بِهِ وَالْفَضْلُ^(٦) فِيهِ كَثِيرُ
 فَأَكْرَمَ يَوْمٍ فِيهِ أَكْرَمُ مَوْلِدٍ لِأَكْرَمِ مَوْلُودٍ نَمَتُهُ حُجُورُ
 يُطَالِعُهُ الْمَسَامِينُ مَسَرَّةً وَلَكِنْ بِهِ لِلْكَافِرِينَ ثُبُورُ^(٧)
 قَرَأْنَا بِهَا الْقُرْآنَ غَيْرَ مُبَدَّلٍ فَعَارَتْ أُنَاجِيلُ وَغَارَ زَبُورُ
 وَنَنَتْ بِأَخْبَارِ النَّبِيِّ رِوَاثُهَا وَكُلٌّ بِأَخْبَارِ النَّبِيِّ خَبِيرُ
 وَثَلَّثَ يَدْعُو اللَّهَ فِيهَا مُوَحِّدٌ ذَكُورٌ لِنِعْمَاءِ الْإِلَهِ شَكُورُ
 وَمَا تَلَكَّ لِلسُّلْطَانِ إِلَّا سَعَادَةٌ يَدُومُ لَهُ ذِكْرُهَا وَأَجُورُ
 دَعَاهَا إِلَيْهِ وَافِرُ الرَّأْيِ وَالْحِجَا يَزِينُ الْحِجَى وَالرَّأْيُ مِنْهُ وَقُورُ

(١) ت : من . (٢) د : إبان ابينت . (٣) ت : فكأنما .

(٤) د : من . (٥) الأصل عذوبة إن الفضل فلعلها عروبة أو غدوا به .

(٦) د : إن الفضل . (٧) الثبور : الهلاك .

فهل في ملوك الأرض أو خلفائها له في الذي شادت يده نظير
على أنهم^(١) في جنب ما شاد من علا ولو كان كالسبع الطباقي حصير^(٢)

وقال^(٣) :

ذو يراع يروع كالسيف إما بصليل عده أو بصير
مارأى الناس قبله من يراع لوزير صريره كالزير
فإذا سطر الكتاب أرانا بخر فضل أمواجه من سطور
وإذا استخرجوه يستخرج الدر نفيساً من بخره المسجور^(٤)
نظرت مقلتي إليه كاني ناظر في بديع زهر نصير
ثم شرفت مسمعي بتوأم^(٥) وفرادى من دره المنشور
لاتطاوله في الفخار فما غا در في الفخر مرتقى لفخور
ذكره لذة المسامع فاستمتع به من لسان كل ذكور
ثم معنى وصورة فهو في الحا^(٦) كين ملء العيون ملء الصدور
زرت أبوابه التي أسعد الله بها كل زائر ومزور

(١) د : أنه . (٢) حصير : بخيل .

(٣) عبارة « وقال » ساقطة من النسخة التيمورية . وقد ترتب على سقوطها أن امتزجت هذه القصيدة بالتي قبلها . وقد علق ناسخ المخطوطة التيمورية على ذلك بقوله « الظاهر أن هذه الأبيات من قصيدة أخرى غير التي قبلها . فإن هذه من الضرب الأول من بحر الحفيف وتلك من الضرب الثالث من بحر الطويل . وحرف الروى في تلك مضموم وفي هذه الأبيات مكسور . وقد وجدت النسخة الأصلية كذلك فتتبعها والله أعلم . والنسخة المنقول عنها خلط الثانية مع الأولى وجعلها قصيدة واحدة . وهذا خلاف الصواب . ولذا فصلتها عن التي قبلها » .

(٤) المسجور : الزاخر . (٥) التوأم : كل اثنين ولدا في بطن واحد . (٦) د : للحالين .

كُلُّ مَنْ زَارَهَا يَعُودُ كَمَا عُدْتُ بِفَضْلِ مِنْهَا وَأَجْرِ كَثِيرٍ
وَكَفَانِي سَعْيِي إِلَيْهَا لِأَهْدَى مِنْهُ بِالرُّشْدِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ^(١)
إِنَّ مَنْ دَبَّرَ الْمَالِكَ لَا يَفْزُبُ عَنْ حُسْنِ رَأْيِهِ تَذِيرِي
كَانَ رِزْقِي مِنْ جَدِّهِ وَأَبِيهِ أَيْ رِزْقِي مُبَسَّرٌ مَوْفُورٌ
وَإِذَا كَانَ مِثْلُ ذَلِكَ عَلَى الْوَالِدِ رِثَ إِنِّي عَبْدٌ لِعَبْدٍ^(٢) الشَّكُورِ
فَارِسِ الْخَيْلِ الْعَالِمِ الْعَامِلِ الْحَبِيرِ الْهَمَامِ الْخَلَّاحِلِ^(٣) النَّحْرِيرِ
لَمْ يَزَلْ مِنْ عُلُومِهِ وَتَقَاهُ بَيْنَ تَاجٍ مِنْ سُودُدٍ وَسَرِيرِ
أَبَدًا بِالصَّوَابِ^(٤) يَنْظُرُ فِي الْمُلْكِ وَفِي بَيْتِ مَالِهِ الْمَعْمُورِ
فَعَدَا الْجُنْدُ وَالرَّعِيَّةُ وَالْمَالُ لُبْخِيرٍ مِنْ سَعْيِهِ الْمَشْكُورِ
فَأَقْلُ الْأَجْنَادِ فِي مِصْرَ يُزْرَى مِنْ بِلَادِ الْعِدَا بِأَوْفَى أَمِيرِ
قُلُوبٍ مِنْ خَابَ قَصْدُهُ فِي جَمِيعِ النَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ وَمِنْ مَأْمُورِ
يَمَّمُ الصَّاحِبَ الَّذِي يُتَرَجَّى^(٥) فَتَنْحُ ثَعْرٌ^(٦) بِهِ وَسَدُّ ثُعُورِ
وَبَعِيدُ الْأُمُورِ مِثْلُ قَرِيبِ عِنْدَهُ وَالْعَسِيرُ مِثْلُ يَسِيرِ
أَمْ مِمَّا لَقِيتُ مِنْ غَيْبَتِي عَنْهُ وَمِنْ نِسْبَتِي^(٧) إِلَى التَّقْصِيرِ
كَثُرَ الشَّاهِدُونَ لِي أَنَّي مُتُّ فِي الْبُعْدِ عَنْهُ قَلَّ عَذِيرِي
مَنْ لَشَيْخٍ ذِي عِلَّةٍ وَعِيَالٍ ثَقَلَتْ ظَهْرُهُ بِغَيْرِ ظَهِيرِ^(٨)
أَثْقَلُوهُ وَكَلَّفُوهُ مَسِيرًا^(٩) وَمِنْ الْمُسْتَحِيلِ سَيْرُ ثَبِيرِ^(١٠)

(١) ت : أموري . (٢) د : إني لعبد شكور ، ت : إني عبد الشكور . وقد كتب تيمور باشا

أمام هذا الشطر في نسخته ما نصه « ولعل الصواب إني عبد لعبد الشكور » وقد استصوبت هذا فأثبتته .

(٣) الخلاجل : السيد الركين . والنحرير : العالم المتقن . (٤) د : في الصواب .

(٥) د : يزجي . (٦) د : ثعور . (٧) د : ينسبني . (٨) الظهير : المعين .

(٩) د : سيرا . (١٠) ت : يسير .

قَهْوٌ فِي قَيْدِهِمْ يُدَادُ مِنَ السَّعْيِ لِتَحْصِيلِ قُوَّتِهِمْ كَالْأَسِيرِ
وَعَتَّتْ أُمُّهُمْ عَلَى وَجَّهَتْ فِي عُمُوٍّ مِنْ كِبَرَتِي وَنُفُورِ
وَدَعَتْ دُونَهُمْ هُنَالِكَ بِالْوَيْلِ لِأَمْرِ فِي نَفْسِهَا وَالثُّبُورِ
حَسِبْتُ عَلَيَّ تَزُولُ فَقَالَتْ يَا كَثِيرَ التَّهَوُّينِ وَالتَّهَوُّيرِ^(١)
كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَوَاءٌ فَجَعَلْ بِمُدَاوَاةٍ دَاءَ غُضُوِّ خَطِيرِ
قُلْتُ مَهْلًا فَمَا يَمْلَحُ السَّعْنَقُو رِ أَدَاوِي وَلَا يَلْحَمُ الذُّرُورِ
سَقَطَتْ قُوَّةُ الْمَرِيضِ الَّتِي كَانَتْ قَدِيمًا تَزَادُ بِالْكَافُورِ
وَعَصَانِي نَظَمُ الْقَرِيضِ الَّذِي جَرَّ ذُيُولًا عَلَى قَرِيضِ جَرِيرِ
وَأَزْدَرَّتَنِي^(٢) بَعْضُ^(٣) الْوَلَاةِ وَقَدْ أَصْبَحَ شَعْرِي فِيهِمْ كَخَبْزِ الشَّعِيرِ
وَعَسَلْتُ الَّذِي جَمَعْتُ مِنَ الشَّعْرِ بِفَيْضٍ^(٤) عَلَيْهِ غِشْلٌ صُخُورِ
وَنَهَتَنِي عَنِ الْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ شِدَّةُ الْبَاسِ مِنْ سَخَا فِي مَسِيرِ
وَهَجَرْتُ الْكِرَامَ حَتَّى شَكَانِي مِنْهُمْ كُلُّ عَاشِقٍ مَهْجُورِ
وَكَرْغَبِ الْقَطَا وَرَانِي فِرَاحُ^(٥) مِنْ إِنْثٍ أَعُولُهُمْ وَذُكُورِ^(٦)
يَتَعَاوَنَ كَالذَّنَابِ وَيَنْقَضُونَ مِنْ فَرَطِ جُوعِهِمْ كَالنُّسُورِ
وَفَتَاةٍ مَا جُهِّزَتْ بِجِهَازٍ خُطِبَتْ لِلدُّخُولِ بَعْدَ شَهْوَرِ
وَأَقْتَضَتْنِي الشُّوَارُ^(٧) بَغْيًا عَلَى مَنْ بَيْتُهُ لَيْسَ فِيهِ غَيْرُ^(٨) حَصِيرِ
هَذِهِ السُّورَةُ^(٩) الَّتِي أَقْعَدَتْنِي عَنْكَ آيَاتُهَا قُعُودَ حَسِيرِ

(١) التَّهَوُّيرُ : الفُتُورُ . (٢) د : وَاذْدَرَّتَنِي . (٣) د : لِبَعْضٍ . (٤) د : لِفَيْضٍ ، ت : لِفَيْضٍ ،

وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَتْنَاهُ . (٥) ت : وَرَانِي . (٦) د : أَوْ . (٧) الشُّوَارُ : جِهَازُ الْعُرُوسِ .

(٨) د : إِلَّا . (٩) د : النُّشُورُ ، ت : الشُّورَةُ وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ .

أَقْعَدْتَنِي بِقَرَبَةٍ أَسْمَعْتَنِي لِضِيَاعٍ مِنْ فَاقِي وَكُفُورِ
 كُلِّ يَوْمٍ مُنْقَصٍ بِطَعَامٍ أَوْ رَفِيقٍ مُنْقَصٍ بِشُرُورِ
 وَرِفَاقِي فِي خِدْمَةٍ طُولَ عُمرِي رِفَقَتِي^(١) فِي الْحِرَانِ مِثْلُ الْحَمِيرِ
 كُلَّمَا رُمْتُ أَنْسَهُمْ ضَرَبُوا مِنْ وَخْشَةٍ بَيْنَهُمْ وَبَنِي بِسُورِ
 وَأَبَوْا أَنْ يُسَاعِدُونِي عَلَى قُوَّةِ عِيَالِي مُجَلًّا بِكَيْلِ بَعِيرِ^(٢)
 فَسَيِّغُنِي إِلَهُ عَنْهُمْ بِجَدْوَى خَيْرِ مَوَالِي لَنَا وَخَيْرِ نَصِيرِ
 صَاحِبٍ يَبْلُغُ الْمُؤَمِّلُ مِنْهُ كُلَّ مَارَامِهِ يَغِيرُ سَفِيرِ
 مِنْ أَنْاسٍ سَادُوا بَنِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا فَمَا فِي الْوَرَى لَهُمْ مِنْ نَظِيرِ
 سَرَّتِ النَّاطِرِينَ^(٣) مِنْهُمْ وَجُودَ وَصِفَتِ بِالْجَمَالِ وَصَفَ الْبُدُورِ
 وَرَثُوا الْأَرْضَ مِثْلَ مَا كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الذِّكْرِ بَعْدَ الزُّبُورِ
 فَهُمْ الْقَائِمُونَ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ بِالْقِسْطِ وَالزَّمَانِ الْأَخِيرِ
 وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَالْوَارِثُونَ الْفِرْدَوْسِ وَالْمُفْلِحُونَ فِي التَّفْسِيرِ
 عَبْدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ نُورِ
 وَأَحَبُّوا آلَ النَّبِيِّ فَكَانُوا مَعَهُمْ فِي مَفَهِمِهِمْ وَالْحَضُورِ
 فِي مَقَامٍ مِنَ الصَّلَاحِ وَأَمْنٍ وَمُقَامٍ مِنَ النِّعَمِ وَثَبِيرِ
 أَهْلُ بَيْتِ مُطَهَّرِينَ مِنَ الرَّجَسِ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ^(٤) عَنِ التَّطَهِيرِ
 حُجِبُوا بِالْأَثَافِ عَنَّا وَبِالزِّيِّ وَأَخْفَوْا بِجَاهِلِهِمْ بِالْخُدُورِ
 لَبِسُوا الزِّيَّ بِالْقُلُوبِ وَأَغْنَوْا صِدْقَهُمْ عَنِ لِبَاسِ ثَوْبِي زُورِ

(١) د : روفقة . (٢) د : بغيرى . (٣) د : للناظرين .

(٤) د : أغنياء ، ت : أغنياء عن تطهير ولعل الصواب ما أبتناه .

وَأَرَوْنَا أَهْلَ التَّقَى فِي الزَّوَايا سَلَمُوا فِي الْبَقَا لِأَهْلِ الْقُصُورِ
وَأَتَوْا كُلَّهُمْ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَأَتَى غَيْرُهُمْ بِثَوْبٍ نَقِيرِ
وَحَكَّتْهُمْ ذُرِّيَّةُ كَالْدَرَارِي مِنْ بَطُونٍ زَكِيَّةٍ وَظُهُورِ
يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ لَا لِحِزَاءِ يَتَرَجَّوْنَهُ وَلَا لِشُكُورِ
عَلَّمَ اللَّهُ مِنْهُمْ مَا جَهِلْنَا وَكَفَاهُمْ شُكْرُ الْعَالِمِ الْخَبِيرِ

وقال (١) :

تَنَاوَلَكَ مِنْ رَوْضِ الْحَمَائِلِ أُعْطِرُ وَوَجَّهَكَ مِنْ شَمْسِ الْأَصَائِلِ أَنْوَرُ
وَسَعْيُكَ مَقْبُولٌ وَسَعْدُكَ مُقْبِلٌ وَكُلُّ مَرَامٍ رُمْتَ فَهُوَ مُبَسَّرُ
وَجَاءَكَ مَا تَخْتَارُ مِنْ كُلِّ رِفْعَةٍ كَأَنَّكَ فِي أَمْرِ الْمَعَالِي مُخَيَّرُ
وَقَدَّرَكَ أَعْلَى أَنْ تُهَيَّيَ بِمَنْصِبٍ وَأَنْتَ مِنَ الدُّنْيَا أَجَلٌ وَأَكْبَرُ
فِيَالِكَ تَسْمَسُ تَمَلًّا الْأَرْضَ رَحْمَةً وَيَمَلًّا هَا شَوْقًا لَهُ حِينَ يُذْكَرُ
لَقَدْ مُلِئَتْ حُبًّا وَرُغْبًا قُلُوبُنَا بِهِ فَهُوَ بِالْأَمْرَيْنِ فِيهَا مُصَوَّرُ
وَقَدْ أَدْعَمَتْ مِنْهُ الْجَوَارِحُ طَاعَةً لَهُ إِنَّ سُلْطَانَ الْجَوَارِحِ سُنْقَرُ
يَرْوَعُ الْعِدَا مِثْلَ الْبَغَايَا (٢) إِمَاتَةً إِذَا رَاعَاهَا مِنْ رُحَى اللَّذَنِ مَنَسِرُ (٤)
فِيَأْيُهَا الشَّمْسُ الذِي فِي صِفَاتِهِ عُقُولُ الْوَرَى مِنْ دَهْشَةٍ تَتَحَيَّرُ
تَعَلَّمَ مِنْكَ النَّاسُ مَا مُدِحُوا بِهِ كَأَنَّكَ فِيهِمْ لِلْفَضَائِلِ عُنْصُرُ

(١) ت : وقال ساعده الله تعالى من الطويل .

(*) يبدو أن هذه القصيدة نظمت بعد سنة ٦٨٦ وذلك لأن الشاعر يشير فيها إلى طرد الأقباط من الوظائف الحكومية وكان ذلك سنة ٦٨٦ حيث قال :

ومذكره السلطان خد منهم له تمنى النصارى أنهم لم ينصروا

(٢) ت : فله شمس . (٣) الأصل : البغاة ، ولعلها البغايا ، وهى طلائع الجيش .

(٤) المنسر : المنقار . والمقصود به هنا ، سن الرمح .

وَأَنْتَ هُمَامٌ قَدَمَتُهُ ثَلَاثَةٌ لَهَا الْمُتَتَهَى قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَمَنْظَرٌ
 مِنَ التُّرْكِ فِي أَخْلَاقِهِ بَدْوِيَّةٌ لَهَا يَغْتَرِي زَيْدٌ وَعَمَرُو وَعَنْتَرٌ
 وَكَمْ فِتْنَةٍ بَيْنَ الْعَشِيرِ^(١) أَزَالَهَا وَكَانَ بِهَا لِلنَّاسِ بَعْثٌ وَمَحْشَرٌ
 فَأَنْخَدَ مَا بَيْنَ الْخَلِيلِ بِرَأْيِهِ وَنَابُلسَ النَّارَ الَّتِي تَنْسَعَرُ
 وَقَدْ زَبَرْتَ زَبْرًا وَقَبْضًا وَحَارِنًا كِنَانَةً مِثْلَ الْكَرَمِ إِبَّانَ يَزْبَرُ^(٢)
 وَقَدْ أَخْرَبْتَ مَا لَيْسَ يَغْمُرُ عَامِرٌ وَقَدْ قَتَلْتَ مَا لَيْسَ يَقْبُرُ مَقْبَرٌ
 وَلَوْلَاهُ لَمْ تُخْذَمِ مِنَ الْقَوْمِ فِتْنَةٌ وَلَمْ يَنْعَقِدْ فِيهَا عَلَى الصِّلَحِ مَشُورٌ^(٣)
 إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ إِنْفَازَ أَمْرِهِ يُنْطِقُ ذَا رَأْيٍ بِهِ وَيُبْصِرُ
 فَإِنْ فَوَّضَ السُّلْطَانُ أَمْرَ بِلَادِهِ إِلَيْهِ فَمَا خَلَقَ بِهِ مِنْهُ أَجْدَرُ
 وَأَمْسِرَ رَأَى حَالَ الْمَحَلَّةِ حَائِلًا وَأَعْمَلَهَا وَالْجَوْرَ يَنْهَى وَيَأْمُرُ
 فَقَالَ لِأَهْلِ الرَّأْيِ مَنْ يُرْتَضَى لَهَا فَقَالُوا لَهُ الْإِمْتُ الْهُمَامُ الْغَضَبُفُ
 فَمَا غَيْرُ شَمْسِ الدِّينِ يَحْمِي دِيَارَهَا سَطَاهُ كَمَا يَحْمِي الْعَرِينَةَ قَسُورُ
 خَيْرٌ بِأَحْوَالِ الْأَنَامِ كَأَنَّهُ بِمَا فِي نَفُوسِ الْعَالَمِينَ يُخْبِرُ
 وَلَا يَسْتَرُ مَا بَيْنَ الرَّعَايَا وَبَيْنَهُ وَلَكِنَّهُ حِلْمًا عَلَى النَّاسِ يَسْتُرُ
 فَلَمَّا رَأَتْ أَهْلُ الْمَحَلَّةِ قُدْرَهُ يُعَزِّزُ مَا بَيْنَ الْوَرَى وَيُوقِرُ
 تَنَاجَوْا وَقَالُوا : قَامَ فِينَا خَلِيفَةٌ وَلَكِنْ لَهُ مِنْ صَبَوَةِ الظَّرْفِ مَنَبَرُ
 هَلُمُّوا لَهُ فَهَوَ الرَّشِيدُ بِرَأْيِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ جُودٌ كَفَيْهِ جَعْفَرُ
 فَقُلْتُ لَهُمْ هَذَا رَسُولُ سَيَادَةِ وَصَارِمُهُ لِلنَّاسِ هَادٍ وَمُنْذِرُ
 قَلُّ لِلرَّعَايَا لَا تَخَافُوا ظُلَامَةً وَلَا تَحْزَنُوا مِنْ حُكْمِ جَوْرِ وَأَبْشِرُوا

(١) العتير : قوم من العرب ، كانوا يعيشون في فلسطين في ذلك الوقت .

(٢) ورد هذا البيت في الأصل هكذا وفيه غموض . (٣) المشور : مجلس التشاور .

فقد جاءكم وال بروقُ سيوفِهِ
فَتَيَّ حَسَنَتُ أَخْبَارُهُ واختيارُهُ
عَجِبْتُ لَهُ يُرْضِي الرِّعَايَا انِّصَاعُهُ
وَيَرْمِي الْعِدَا مِنْ كَفِّهِ بِصَوَاعِقِ
وَيَجْمَعُ سِرَّ الْمَاءِ وَالنَّارِ سَيْفُهُ
وَيُجْرِي عَلَى وَفْقِ الْمُرَادِ أُمُورُهُ
وَتَنْفَعِلُ الْأَشْيَاءُ مِنْ غَيْرِ فِكْرَةٍ
وَيَسْتَعْظِمُ الظُّلَمَ الْحَقِيرَ فَلَوْ بَدَا
فَطَهَّرَ وَجْهَ الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ فَاسِدٍ^(١)
وَمَهَّدَهُ لِلسَّالِكِينَ^(٢) مِنَ الْأَذَى
فَشَرَّقَ وَغَرَّبَ فِي الْبِلَادِ فَكَمْ لَهُ
وَمَا كُلُّ وَالٍ مِثْلُهُ فِيهِ يَقْظَةٌ
أَنَامَ الرِّعَايَا فِي أَمَانٍ وَطَرَفُهُ
فَلَا الْخَوْفُ مِنْ خَوْفٍ أَلَمَّ بِأَرْضِهِ
أَتَى النَّاسَ مِثْلَ الْغَيْثِ فِي أَرْضِ جُودِهِ
وَكَانَتْ وِلَاةُ الْحَرْبِ فِيهَا كَعَنَاصِفِ
وَكُلُّ أَمْرٍ وَلِيَّتُهُ فِي رَعِيَّةٍ
فَمَنْ حَسُنَتْ آثَارُهُ فَهُوَ مُقْبِلٌ
إِذَا لَمَعَتْ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ مُنْكَرٌ
وَطَابَ^(٣) مَغِيبٌ مِنْ عُلَاهُ وَمَحْضَرٌ
وَيَعْظُمُ مَا بَيْنَ الرِّعَايَا وَيَكْبُرُ
وَأَنَمْلُهَا^(٤) أَنَهَارُ جُودٍ تَحَدَّرُ
وَفِي الْعُودِ سِرُّ النَّارِ وَالْعُودُ أَخْضَرُ
فَيَسُطُّ فِيهَا مَا يَشَاءُ وَيَقْدُرُ
لَهُ وَقَدْ اعْتَاصَتْ^(٥) عَلَى مَنْ يُفَكِّرُ
كَمِثْلِ الْقَذَا فِي الْعَيْنِ أَوْ هُوَ أَحْمَرُ
وَمَا خِلْتُهُ مِنْ قَبْلِهِ يَتَطَهَّرُ
فَلَيْسَ بِهِ الْأَعْمَى إِذَا سَارَ يَقْتَرُ
بِهَا عَابِرٌ يُبْذَنِي عَلَيْهِ وَيَعْبُرُ
وَلَا قَلْبُهُ بِاللَّهِ قَلْبٌ مُنَوَّرُ
لِمَا فِيهِ إِصْلَاحُ الرِّعِيَّةِ يَسْنَهُ
وَلَا الشَّرُّ فِيهَا بِالْخَوَاطِرِ يَخْطُرُ
يُرَوِّضُ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ وَيُزْهِرُ
مِنَ الرِّيحِ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ تُدْمِرُ
بِمَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ يُؤَثِّرُ
وَمَنْ قَبَحَتْ آثَارُهُ فَهُوَ مُدِيرٌ

(١) د : طابت .

(٢) الأئمة : أطراف الأصابع .

(٣) د : للساكنين .

(٤) ت : مفسد .

(٥) اعتاصت : صعبت .

وَكَمْ سَعِدَتْ بِالطَّالِعِ السَّعْدِ أُمَّةٌ
فَمَا بَلَغَ الْقَصَادُ غَايَةَ سُؤْلِهِمْ
وَمَنْ حَظَّهُ مِنْ حُسْنِ مَدْحِي وَإِفْرِ
أَمْوَالِي عُدْرًا فِي الْقَرِيضِ وَكُلُّ مَنْ
لَكَ الْهِمَمُ الْعُلْيَا وَكُلُّ مُحَاوِلٍ
تَبَاشَرَتْ الْأَعْمَالُ لَمَّا رَأَيْتَهَا
عَذَرْتُ الْوَرَى لَمَّا رَأَوْكَ فَهَلَّلُوا
دَعْوَكَ^(١) بِهَا كَسَرَى وَكَمْ لَكَ نَائِبٌ
عَمَرَتْ بِهَا مَا لَيْسَ يَخْرَبُ بَعْدَهَا
تَفَاءَلْتُ لَمَّا قِيلَ أَقْبَلَ مِنْ سَخَا
فِيَمَمَّتُهُ مُسْتَبْشِرًا بِقُدُومِهِ
وَحَقَّقَ طَرْفِي أَنَّ مَرَاكَ جَنَّةٌ
وَلَوْلَمْ تَكُنْ شِمْسًا لَمَاسَرَتْ فِي الصُّحَى
وَأَقْبَلْتَ تُخَيِّ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدَمَوْتِهَا
فَأَخْرَجْتَ مَرَاغَا وَأَجْرَيْتَ مَاءَهَا
وَلَوْلَاكَ مَارَاعَتْ بُحُورًا تَرَاغَا
فَهَا هِيَ تَحْكِي جَنَّةَ الْخُلْدِ نَزْهَةً
وَكَمْ شَقِيَّتْ بِالطَّالِعِ النَّحْسِ مَعْشَرُ
لَقَدْ خَابَ مَنْ يَرْجُو سِوَاهُ وَيَحْذَرُ
وَحَظَّتْ مِنْ إِحْسَانِهِ بِي أَوْفَرُ
شَكَا الْعَجْزَ عَنْ إِدْرَاكِ وَصْفِكَ يُعْذَرُ
مَدَاها وَكَمْ بِالْمَدْحِ مِثْلِي مُقْصَرُ
بِمَرَاكَ وَالْوَجْهَ الْجَمِيلُ مُبَشِّرُ
لِمَطْلَعِ شَمْسِ الْفَضْلِ مِنْكَ وَكَبَّرُوا
يُقِرُّ لَهُ فِي الْعَدْلِ كَسَرَى وَقَيْصَرُ
وَقَدْ أَخْرَبَ الْمَاضُونَ مَا لَيْسَ يَعْمُرُ
وَكُلُّ أَمْرِي غَادٍ لِمَلَقَاهُ مُبَكِّرُ
وَطَائِرُ حَظِّي مِنْهُ بِالسَّعْدِ يُزْجَرُ^(٢)
وَبِشْرُكَ رِضْوَانٍ وَكَفْكَ كَوْنُ
تَسْرُّ عِيُونَ النَّظِيرِينَ وَتَبَهَّرُ
وَفِي الْجُودِ مَا يُخَيِّ الْمَوَاتِ وَيَنْشُرُ
غَدَاةَ بَحَارِ الْأَرْضِ أَشْعَثُ أَغْبَرُ
وَلَا كَانَ مِنْ جِسْرِ عَلَى الْمَاءِ يُجَسِّرُ
وَمِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارُهَا تَنْفَجِّرُ

(١) د ، ت : دعوت . وقد صححها تيمور باشا ، فجعلها دعوك .

(٢) يزجر : يطير من على شجره ، ليتفاد به .

وَأُعْطِيتَ سُلْطَانًا عَلَى الْمَاءِ عَالِيًا
فَخَذَ آتَيْنِ مُوسَى وَعِيسَى بِقُوَّةٍ
فِيَا صَالِحًا فِي قِسْمَةِ الْمَاءِ بَيْنَهُمْ
فَفِي بَلَدٍ مِنْ حُكْمِكَ الْمَاءُ رَاكِدٌ
فَهَذَا لَهُ وَقْتُ وَحْدَةٍ مُعَيَّنٌ
هَنِيئًا لِابْنِ طَيْرٍ أَنْكَ زُرْتَهَا
دَعَتْ لَكَ سُكَّانُهَا وَمَسَاكِنُهَا
وَصَلُّوا بِهَا لِلَّهِ شُكْرًا وَصَدَّقُوا
فَكُلُّ مَكَانٍ مِنْكَ بِالْعَدْلِ مُخَصَّبٌ
أَتَيْتُكَ بِالْمَذْحِ الَّذِي جَاءَ مُظْهِرًا
فَخَذَهُ ثَنَاءً يُخْجِلُ الزَّهَرَ نَظْمُهُ
مِنْ الرَّأْيِ أَنْ يَهْدِيَ لِمِثْلِكَ مِثْلُهُ
فَتَنَّتْ بِشِعْرِي وَهُوَ كَالسَّحْرِ فِتْنَةٌ
وَمَالِي أَرْكَى النَّفْسَ فِيمَا أَقُولُهُ
وَهَا ^(٢) إِنْ شَمَسَ الدِّينَ لِلْفَضْلِ بَاهِرٌ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو ^(٣) إِنْ صَفَوْا مَوَدَّتِي
وَإِنْ أَظْهَرَ الْأَصْحَابُ مَا لَيْسَ عِنْدَهُمْ
وَإِنْ غُرِسَتْ فِي أَرْضِ قَلْبِي مَحَبَّةٌ

بِهِ يَزْخَرُ الْبَحْرُ الْخِضَمُّ وَيُسَجَّرُ
وَكُلُّ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ تَحَسَّرُوا
وَلَا نَاقَةَ فِي أَرْضِهِمْ لَكَ تُعْفَرُ
وَفِي بَلَدٍ مِنْ حُكْمِهِ يَتَحَدَّرُ
وَهَذَا لَهُ حَدٌّ وَوَقْتُ مُقَدَّرُ
وَشَرَّفَهَا مِنْ وَقْعِ خَيْلِكَ عَنَبَرُ
وَلَمْ يَدْعُ إِلَّا ^(١) عَامِرٌ وَمُعَمَّرُ
وَحَقٌّ عَلَيْهِمْ أَنْ يُصَلُّوا وَيَنْحَرُوا
وَبِالْحَمْدِ وَالذِّكْرِ الْجَمِيلِ مُعْطَرُ
إِلَى النَّاسِ مِنْ حُبِّكَ مَا أَنَا مُضْمِرُ
وَهَلْ تُنْظِمُ الْأَزْهَارُ نَظْمِي وَتُنَثِّرُ
جِهَتِي وَهَلْ يَهْدِي إِلَى الْبَحْرِ جَوْهَرُ
وَقُلْتُ كَذَا كَانَ أَمْرُ الْقَيْسِ بِشِعْرِ
وَأَتَّبَعُهَا فِيمَا يَذْمُ وَيُشْكُرُ
وَلَيْسَ بِخَافٍ عَنْهُ لِلْفَضْلِ مَخْبِرُ
عَلَى كَدَرِ الْأَيَّامِ لَا تَتَكَدَّرُ
فَإِنِّي بِمَا عِنْدِي مِنَ الْوَدِّ مُظْهِرُ
فَلَيْسَ بِبُغْضٍ آخِرَ الدَّهْرِ تُمْرُ

وَيَمْلِكُنِي خُلُقٌ عَلَى السَّخَطِ وَالرِّضَا جَمِيلٌ كَمَثَلِ الْبُرْدِ يُطَوَّى وَيُنْشَرُ
وَقَلْبٌ كَمَثَلِ الْبَحْرِ يَغْلُو عُبابُهُ وَيَزْخَرُ مِنْ غَيْظٍ وَلَا يَتَغَيَّرُ
إِذَا سُئِلَ الْإِبْرِيذُ^(١) جَاشَ لُعَابُهُ^(٢) وَيَصْفُو بِمَا يَطْفُو عَلَيْهِ وَيَظْهَرُ
وَمَا خُلِقِي مَدْحُ^(٣) اللَّيْمِ وَإِنْ عَلَتِ بِهِ رُتَبٌ لَا أَنْتِي مُتَكَبِّرُ
وَلَا أَبْتَغِي الدُّنْيَا وَلَا عَرَضًا بِهَا بِمَدْحِي فَإِنِّي بِإِقْنَاءَةٍ مُكْبِرُ
لِيَعْلَمَ أَغْنَى الْعَالَمِينَ بِأَنَّهُ إِلَى كَلِمِي مَنَى لِدُنْيَاهُ أَقْرُ
وَأَسْطُو وَجْهِي حِينَ يَقْطُبُ^(٤) وَجْهَهُ فَيَحْسَبُ أَنِي مُوسِرٌ وَهُوَ مُعْسِرُ
أَنْظِمُ هَذَا الدَّرَّ فِي حَبِيدٍ جَاهِلٍ وَأَظْلِمُهُ إِنِّي إِذْنُ لِمُبْدِرُ
وَعِنْدِي كَلَامٌ وَاجِبٌ أَنْ أَقُولَهُ فَلَا تَسَامُوا مِنِّي أَقُولُ وَتَسْخَرُوا
وَلَمْ تَرَنِي لِلْمَالِ بِالْمَدْحِ مُؤَثِّرًا وَلَكِنِّي لِلوَدِّ بِالْمَدْحِ مُؤَثِّرُ
فِيَا مَصْدَرَ الْفَضْلِ الَّذِي الْفَضْلُ دَابُّهُ فَمَا اشْتَقُّ إِلَّا مِنْهُ لِفَضْلِ مَصْدَرُ
بَرِئْتُ مِنَ الْمُسْتَخْدَمِينَ^(٥) فَخَيَّرُهُمْ لِصَاحِبِهِ أَعْدَى وَأَدْهَى وَأُنْكَرُ
هَدَرْتُهُمْ مِثْلَ الرَّمَاةِ لِكَذِبِهِمْ وَعِنْدِي أَنَّ الرِّءَا بِالكَذِبِ يُهْدَرُ^(٦)
فَلَا تُدْنِ مِنْهُمْ وَاحِدًا مِنْكَ سَاعَةً وَلَوْ فَاحَ مِنْ بُرْدِيهِ مِسْكٌ وَعَنْبَرُ
وَقَدْ قِيلَ كُتِّبَ النَّصَارَى مَنَاسِرُ فَمَا مِثْلُ كُتَابِ الْمَحَلَّةِ مَنَسَرُ^(٧)
فَبَرَّدَ فَوَادِي بَاتِقَامِكَ مِنْهُمْ فَقَدْ كَادَ قَلْبِي مِنْهُمْ يَتَفَطَّرُ^(٨)
مَنْعَتْ بِهِمْ حَظِّي شَهْرًا وَلَمْ أَصِلْ إِلَى حَظِّهِمْ حَتَّى مَضَتْ لِي أَشْهُرُ
وَحَسْبُكَ أَنِي مِنْهُمْ مُتَصَوِّرُ وَكُلُّ أَمْرِي مِنْهُمْ كَذَا يَتَصَوَّرُ

(١) ت : الأبرين . (٢) د : لغامه ، ت : نعامه ؛ والصواب ما أثبتناه .

(٣) ت : مدحى . (٤) ت : يقبض . (٥) ت : أدبت المستخدمين .

(٦) هدرتهم . يقال هدرت دمه وأهدرته أى أبجته .

(٧) المنصرف لئمة المصريين : العصابة من الصرصر . (٨) يتفطر : يتشقق .

فَوَاعْجَبَا مِنْ وَاقِفٍ مِنْهُمُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ مَعِيَ يَتَهَوَّرُ^(١)
 يَقُولُونَ لَوْ شَاءَ الْأَمِيرُ أَزَالَهُمْ فَقُلْتُ زَوَالُ الْقَوْمِ لَا يَتَصَوَّرُ
 فَقَدَّ قَهَرَ السُّلْطَانُ كُلَّ مُعَانِدٍ وَمَا أَحَدٌ لِلْقَبِيطِ^(٢) فِي الْأَرْضِ يَقْهَرُ
 وَمَا^(٣) فِيهِمْ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ أَخُو قَلَمٍ إِلَّا يَخُونُ وَيَغْدِرُ
 إِنْ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ كَانَ أَقْلَهُمْ عَلَى كُلِّ سُوءٍ يُعْجِزُ النَّاسَ أَقْدَرُ
 كَأَنَّهُمُ الْبُرْغُوثُ ضَعْفًا وَجُرْأَةً وَإِنْ يَشْبَعِ الْبُرْغُوثُ لَوْلَا يَعْدِرُ
 رِيَاسَتُهُمْ أَنْ يُضْفَعُوا وَيُجَرَّسُوا وَدِينُهُمْ أَنْ يَضْلُبُوا وَيُسْمَرُوا
 وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى الصَّرْفِ صَابِرٌ وَلَا أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى الذِّلِّ أَصْبَرَ
 وَمُذْكَرَةَ السُّلْطَانِ خِدْمَتُهُمْ لَهُ تَمَنَّى النَّصَارَى أَنَّهُمْ لَمْ يُنْصَرُوا
 إِذَا كَانَ سُلْطَانُ الْبَسِيطَةِ مِنْهُمْ يَغَارُ عَلَى الْإِسْلَامِ فَاللَّهُ أَغْيَرُ
 وَبِالرَّغْمِ^(٤) مِنْهُمْ أَنْ يَرَوَالِكَ كَاتِبًا وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ مَنْ جَدُّ جَدِّهِ بِطَرُوسٍ
 وَيُعْجِبُهُمْ مَنْ جَدُّ جَدِّهِ بِطَرُوسٍ بِأَنَّ النَّصَارَى يَرْغَبُونَ لِبَعْضِهِمْ
 عَدَاوَتُهُمْ لِلْمَلَائِكَةِ مَا لَيْسَ تَنْقِضِي وَمَنْهُمْ أَنْاسٌ يُظْهِرُونَ مَوَدَّتِي
 وَكَمْ عَمَّرَ الْوَالِي بِلَادًا وَأَخْرَبُوا وَلَيْسَ لَهُمْ فَلَاسٌ مَسَاقٌ مُحَرَّرٌ
 وَقَالُوا بِأَيَّامِي مَسَاقٌ مُحَرَّرٌ وَكَمْ زُورٍ^(٥) قَوْلٍ قُلْتُمْ أَيُّ^(٦) حُجَّةٍ
 شَفَا جُرْفٍ هَارٍ مَعِيَ يَتَهَوَّرُ^(١) شَفَا : حافة . هَار : متصدع ويتهور : ينهدم .
 الْقَوْمِ لَا يَتَصَوَّرُ (٢) د : أما . صحح تيمور باشا كلمة « أما » فجعلها « وما » .
 فِيهِمْ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ (٣) د ، ت : أما . صحح تيمور باشا كلمة « أما » فجعلها « وما » .
 بِالرَّغْمِ مِنْهُمْ أَنْ يَرَوَالِكَ كَاتِبًا (٤) د : أما . صحح تيمور باشا كلمة « أما » فجعلها « وما » .
 وَمَنْهُمْ أَنْاسٌ يُظْهِرُونَ مَوَدَّتِي (٥) د : أما . صحح تيمور باشا كلمة « أما » فجعلها « وما » .
 وَكَمْ زُورٍ قَوْلٍ قُلْتُمْ أَيُّ حُجَّةٍ (٦) د : أما . صحح تيمور باشا كلمة « أما » فجعلها « وما » .

(٢) د : للقطب .

(٤) د : ويرغم .

(٧) د : قلم الشد حجة .

(١) شفا : حافة . هار : متصدع ويتهور : ينهدم .

(٣) د ، ت : أما . صحح تيمور باشا كلمة « أما » فجعلها « وما » .

(٥) هذا البيت ساقط من د . (٦) د : وكَمْ زورواقي .

وَإِنْ تَنْصُرُونِي قُتِلْتُ فِيهِمْ مُجَاهِدًا فَإِنَّهُمْ لِلَّهِ أَغْصَى وَأَكْفَرَ
وَالَّا فَإِنِّي لِلْأَمِيرِ مُذَكَّرٌ بِمَا قَعَلُوهُ وَالْأَمِيرُ مُنْظَرٌ
وَكَمْ مُشْتَكٍّ مِثْلِي شَكَالِي مِنْهُمْ كَمَا يَشْتَكِي فِي اللَّيْلِ أَعْمَى وَأَعْوَرُ
وَكُنْتُ وَمَالِي عِنْدَهُمْ مِنْ طِلَابَةٍ أَزَوَّدُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَأُسْقَرُ
وَمَا ضَرَّنِي إِلَّا مَعَارِفُ مِنْهُمْ ذُنُوبُ وَدَادِي عِنْدَهُمْ لَا تُكْفَرُ
وَلَوْلَا ^(١) حَيَاتِي أَنْ أَعَانِدَ مُنْسَكًا لَخَقَّتْ أَتَانِي الْحَقُّ وَهُوَ مُعَبَّرُ
فَإِنْ شَعَرُوا عَنْ سَاقِ ظِلْمِي فَإِنِّي لِدَمِّهِمْ عَنْ سَاقِ جَدِّي ^(٢) مُشَمَّرُ
وَإِنْ حَمَلُوا قَلْبِي وَسَارُوا فَنَنْطَقِي يُحْمَلُ فِي آثَارِهِمْ وَيُسِيرُ
وَإِنْ يَسْقُوا لِلْبَابِ ^(٣) دُونِي فَإِنَّهُمْ بِمَا صَنَعُوا بِالنَّاسِ أُخْرَى ^(٤) وَأَجْدَرُ
فَإِنْ أَشْكُ مَا بِي لِلْأَمِيرِ فَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنْهُ مَا أَسِرُّ وَأُجَهَرُ
فَإِنْ أَشْكَتَ ^(٥) الْأَيَّامُ تَلْقَى قِيَادَهَا إِلَيْهِ وَتَجْفُ مِنْ جَفَاهُ وَتَهْجُرُ
وَتُمْلِي عَلَى أَعْدَائِهِ مَا يَسُوهُمُ وَتُوْحِي إِلَى أَسْمَاعِهِ مَا يُحْبَرُ

[وَقَالَ يَدَاعِبُ بَهَاءُ الدِّينِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمٍ «بَنَ حَنَا» ^(٦) مِنَ الْكَامِلِ :]

يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الْوَزِيرُ الَّذِي أَيَّامُهُ طَائِمَةٌ أَمْرَةٌ
وَمَنْ لَهُ مَنْزِلَةٌ فِي الْعُلَا تَكِلُهُ عَنْ أَوْصَافِهَا الْفِكْرَةُ
أَخْلَاقُكَ الْغُرُّ دَعَتْنَا إِلَى الْإِذْلَاءِ ^(٧) فِي الْقَوْلِ عَلَى غِرَّةٍ
إِذْ لَمْ ^(٨) تَزَلْ تَصْفَحُ عَمَّنْ جَنَى وَتَوَثِّرُ الْعَفْوَ مَعَ الْقُدْرَةِ

(٢) د : حد .

(١) ت : وإلا .

(٥) د : شكت .

(٤) ت : أجرا .

(٣) ساقطة من ت .

(٨) د : ولم .

(٧) د : الإيلاء .

(٦) ما بين القوسين زيادة في ت .

حتى لقد يَخْفَى على الناسِ ما تُحِبُّ مِنْ أَمْرٍ وَمَا تَكْرَهُ
إِلَيْكَ^(١) نَشْكُو حَالَنَا إِنَّا عَائِلَةٌ فِي غَايَةِ الْكَثْرَةِ
أَحَدْتُ^(٢) الْمَوْلَى الْحَدِيثَ الَّذِي جَرَى عَلَيْهِم بِالْخَيْطِ وَالْإِبْرَةِ
صَامُوا مَعَ النَّاسِ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا لِمَنْ يُبْصِرُهُمْ عِزَّةً
إِنْ شَرَبُوا فَالْيَسْرُ زِيرٌ لَهُمْ مَا بَرِحَتْ وَالشَّرْبَةُ الْجَرَّةُ
لَهُمْ مِنْ الْخُبْزِ مَسْلُوقَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ تُشْبِهُ النَّشْرَةَ
أَقُولُ مَهْمَا اجْتَمَعُوا حَوْلَهَا تَنَزَّهُوا فِي الْمَاءِ وَانْظُرْهُ
وَأَقْبَلَ الْعِيدَ^(٣) وَمَا عِنْدَهُمْ قَحْحٌ وَلَا خُبْزٌ وَلَا فَطْرَهُ
فَارْحَمَهُمْ إِنْ أَبْصَرُوا^(٤) كَفْكَةً فِي يَدِ طِفْلٍ أَوْ رَأَوْا تَمْرَهُ
تَشْخَصُ أَبْصَارُهُمْ نَحْوَهَا بِشَهْقَةٍ^(٥) تَتَّبِعُهَا زَفْرَهُ
فَكَمْ أَقَامِي مِنْهُمْ لَوْنَةً وَكَمْ أَقَامِي مِنْهُمْ حُسْرَهُ
كَمْ قَائِلٍ يَا أَبَتَا مِنْهُمْ قَطَعْتَ عَنَّا الْخُبْزَ^(٦) فِي كَرِّهِ
مَا صِرْتَ تَأْتِينَا بِفَلَسٍ وَلَا بِدِرْهَمٍ وَرِقٍ وَلَا نُقْرَةٍ^(٧)
وَأَنْتَ فِي خِدْمَةِ قَوْمٍ فَهَلْ تَخْدُمُهُمْ يَا أَبَتَا^(٨) سُخْرَهُ

(١) هذا الشطر ورد في فوات الوفيات هكذا « في قلة نحن ولكن لنا » .

(٢) هذا البيت ورد في د ، هكذا :

أحدث المولى حديثا جرى لي معهم بالخيط والإبرة

وقى ت : لهم فدا . وما أثبتناه هو رواية فوات الوفيات .

(٣) د ، ت : ولا ، وهذه رواية فوات الوفيات . (٤) فوات الوفيات : عابثوا .

(٥) د ، ت : شدة . وهذه رواية فوات الوفيات . (٦) فوات : الخير .

(٧) النقرة : سبيكة من الذهب أو الفضة والورق : الدراهم المضروبة . (٧) فوات : يا أيها .

يَا خَيْبَةَ الْمَسْعَى إِذَا لَمْ يَكُنْ يَجْرَى ^(١) لَنَا أَجْرٌ وَلَا أَجْرَهُ
 [لَقَدْ تَعَجَّبْتُ لَهَا فِطْنَةً أَتَى بِهَا الطِّفْلُ بِلَا جَرِّهِ] ^(٢)
 وَكَيْفَ يَخْلُو الطِّفْلُ مِنْ فِطْنَةٍ وَكُلُّ مُوَلَّدٍ عَلَى الْفِطْرَةِ
 وَيَوْمَ زَارَتْ أُمَّهُمْ ^(٣) أُخْتَهَا وَالْأُخْتُ فِي الْغَيْرَةِ كَالضَّرَةِ
 وَأَقْبَلَتْ تَشْكُو لَهَا حَالَهَا وَصَبَّرَهَا مِنْ عَلَى الْعُسْرَةِ ^(٤)
 قَالَتْ لَهَا كَيْفَ تَكُونُ النَّسَاءُ كَذَا مَعَ الْأَزْوَاجِ يَا غِرَّةَ ^(٥)
 قَوْمِي أَطْلُبِي حَقَّكَ مِنْهُ بِلَا تَخَلُّفٍ مِنْكَ وَلَا فَتْرَةٍ ^(٦)
 وَإِنْ تَأْتِي فَخُذِي ذِقْنَهُ نَمَّ أَنْتِ فِيهَا شَعْرَةً شَعْرَهُ
 قَالَتْ لَهَا مَا عَادَتِي ^(٧) هَكَذَا فَإِنَّ زَوْجِي عِنْدَهُ ضَجَرَهُ
 أَخَافُ إِنْ كَلَّمْتُهُ كَلِمَةً طَلَّقَنِي . قَالَتْ لَهَا : بَعْرَهُ
 فَهَوَّنَتْ ^(٨) قَدَرِي فِي نَفْسِهَا فَجَاءَتْ الزَّوْجَةَ مُحْتَرَةً
 فَاسْتَقْبَلَتْنِي ^(٩) فَهَدَّذَهَا فَاسْتَقْبَلَتْ رَأْسِي بِأَجْرِهِ
 وَبَاتَتْ الْفِتْنَةُ مَا بَيْنَنَا مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى بُكْرِهِ
 وَمَا رَأَى الْعَبْدُ لَهُ مُحْلَصًا إِلَّا وَمَا فِي عَيْنِهِ قَطْرَهُ
 فَحَقُّ ^(١٠) مَنْ حَالَتُهُ هَذِهِ أَنْ يَنْظُرُ الْمَوْلَى لَهُ نَظْرَهُ ^(١١)

(١) د ، ت : تجرى لنا . (٢) ما بين القوسين ساقط من د . (٣) د ، ت : أمها .
 (٤) فوات : العشرة . (٥) د ، ت : ياعره . والغرة : الجاهلة . (٦) فترة : ضعف .
 (٧) فوات : ما هكذا عادتني . (٨) فوات : وهونت . (٩) فوات : فقاتلتني .
 (١٠) نوات : وحق . (١١) فوات : أمره .

وله في عيد المسيح^(١) ؛ لم يحبز ولا نَبَّه النصارى لطعام العيد .

يَهُودُ بُلْبَيْسَ كُلِّ عِيدٍ أَفْضَلُ عِنْدِي مِنَ النَّصَارَى
أَمَا تَرَى الْبَغْلَ وَهُوَ بَغْلٌ فِي فَضْلِهِ يَفْضُلُ الْحَارَا

قافية السين :

قال يمدح صاحب شمس الدين بن صاحب برهان الدين ؛ من الكامل^(٢) :

إِنْ تُحْيَ آمَالِي بِرُؤْيَا عَيْسَى فَلَطَالَمَا أَنْصَتُ إِلَيْهِ الْعَيْسَا
وَحَظِيتُ بَعْدَ الْيَأْسِ بِالْخُضْرِ الَّذِي مَا زَالَ يَرْقِي أَوْ حَكَمِي إِذْ رِيسَا
لَوْلَا وَجُودُ الصَّاحِبَيْنِ كُلَيْهِمَا صَارَتْ بُيُوتُ الْعَالَمِينَ رُمُوسَا
كَمْ قُلْتُ لَمَّا أُنْجِبَ الْأَبُ ابْنَهُ لَا غَرَوْا أَنْ يَلِدَ النَّفِيسُ نَفِيسَا
لِلَّهِ شَمْسُ الدِّينِ شَمْسٌ أَطْلَعَتْ فِينَا بُدُورًا لِلْهَدَى وَشُمُوسَا
رَدَّتْ لَنَا يَدُهُ الْغَضُوبَ وَأَسْكَنْتْ بِالْعَدْلِ آرَامَ الْكِنَاسِ الْخَلِيسَا
أَغْنَتْ مَكَارِمَهُ الْفَقِيرَ وَأَطْعَمَتْ مَنْ كَانَ مِنْ خَيْرِ الزَّمَانِ يَتُوسَا
حَبْرٌ تَصَدَّرَ لِلنَّوَالِ فَلَمْ يَزَلْ يَتْلُو عَلَيْهِ مِنَ الْمَدِيحِ دُرُوسَا
دُعِيَ ابْنُ سِينَا بِالرَّئِيسِ وَلَوْ^(٣) رَأَى عَيْسَى لَسَمَّى نَفْسَهُ الْمَرْهُوسَا
وَحَسِبْتُهُ مِنْ بَأْسِهِ وَذَكَائِهِ بِهَرَامٍ قَارَنَ فِي الْعُلَا بَرَجِيسَا
مِنْ مَعَشَرٍ لَيْسَارِ عُونٍ إِلَى الْوَعَى مُتَنَازِعِينَ مِنَ الْحِمَامِ كُؤُوسَا

(١) ت : وله في عيد المسيح حيث لم يهد إليه النصارى طعام العيد .

(٢) من الكامل : زيادة في ت . وهو شمس الدين عيسى بن صاحب برهان الدين السنجاري توفي سنة ٥٦٨٢ هـ

وكان يتوب عن أبيه في الوزارة . (٣) د : ولا . (٤) ت : يتسارعون .

لَهُ الْخِصَامِ إِذَا تَشَاوَرَتِ الْقَنَا
وَأَخُو الْبَسَالَةِ مَنْ غَدَا بِذِرَاعِهِ
يُؤْفُونَ مَا وَعَدُوا كَأَنَّ وَعُودَهُمْ
يَأْتِيهَا الْمَوْلَى الْوَزِيرُ وَمَنْ لَهُ
هَنَيْتَ تَقْلِيدًا أَتَاكَ مُجَدِّدًا
أَرْسَلْتَ مِنْهُ لِلْخَلَائِقِ رَحْمَةً
وَكَأَنَّ قَارِئَهُ بَيَوْمٍ عَرُوبَةٍ
وَنَظَّمْتَ شَمْلَ الْمَلِكِ بِالْقَلَمِ الَّذِي
وَسِئْرَكَ الْعَوْرَاتِ قَدْ كَشَفَ الْوَرَى
مِنْ كُلِّ مَشْدُودِ الْخِنَاقِ بِكُرْبَةٍ
أَطْفَأْتَ نِيرَانَ الْعَدَاوَةِ بَعْدَمَا
وَأَرْحَتَهُمْ مِنْ فِتْنَةٍ تُخَيِّ لُهُمْ
هَلَكْتَ جَدِيسُ وَطَسَمَ حِينَ تَعَادَتَا
يَا بَنَ الَّذِي يَنْتَقِي الْفَوَارِسَ بِاسْمًا
سَعِدْتَ بِكَ الْجُلَسَاءُ فَاحْذَرُ بَعْضَهُمْ
بَحْسُوا ضِيُوفَ اللَّهِ عِنْدَكَ حَظَّهُمْ
وَأَعِذْ مُجَدِّدَكَ أَنْ يَكُونَ بِطَائِفٍ
فَاللَّهُ عِلْمَ كُلِّ عِلْمٍ آدَمًا

لَمْ يَجْعَلُوا لَهُمُ الْحَدِيدَ لَبُوسًا
لَا دِرْعَهُ^(١) يَوْمَ الْوَعْدِ تَحْرُوسًا
كَانَتْ يَمِينًا بِالْوَفَاءِ غَمُوسًا
حِكْمَهُ أَغَارَتْ مِنْهُ رَسْطَالِيسًا
لِلنَّاسِ مِنْ سُلْطَانِهِمْ نَامُوسًا
عَمَتْ قِيَامًا مِنْهُمْ وَجُلُوسًا
لَكَ يُعْرِبُ التَّسْبِيحَ وَالتَّقْدِيسَا
حَلَّتْ مِنْهُ لِلسُّطُورِ طُرُوسًا
لَكَ بِالذُّعَاءِ الْمُسْتَجَابِ رُهُوسًا
نَفَسَتْ عَنْهُ خِنَافُهُ تَنْفِيسَا
أَوْطَأَتْ مِنْهَا الْمُوقِدِينَ وَطِيسَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ دَاحِسًا وَبَسُوسَا
وَكَأَنَّ طَسَمًا لَمْ تَكُنْ وَجَدِيسَا
حَاشَاكَ أَنْ تَلْقَى الضُّيُوفَ عَبُوسَا
فَلَرُبَّمَا أَعْدَى الْجَلِيسُ جَلِيسَا
لَا^(٢) كَانَ حَظُّكَ عَنْدهُمْ مَبْخُوسَا^(٤)
مِنْ حَاسِدٍ بَنِيْمَةٍ تَمْسُوسَا
وَأَطَاعَ آدَمُ نَاسِيًا إِبْلِيسَا

(١) د : لدراعه . (٢) د : قاربه . (٣) د : لكن .

(٤) د : منحوسا . وهذا البيت وما يليه تعريض بطبقة الفقهاء ودفاع عن الدراويش . وقد تناولت هذا الموضوع بالتفصيل في كتابي « البوصيري : دراسة ونقد » .

إِنَّ الْمُرَاحِلَ مَنْ أَضَاعَ أَجُورَهُ وَاعْتَاضَ عَنْهَا بِالنَّفِيسِ خَمِيسًا^(١)
 فَارْغَبَ^(٢) إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَوِي فِي الذِّكْرِ نِعَمٌ وَبِئْسَا
 مَا أَنْتَ بِمَنْ تَسْتَبِيحُ صُدُورَهُمْ^(٣) حَقْدًا وَلَا أَعْرَاضَهُمْ تَدْنِيسَا
 أَدْعُوكَ لِلصَّفْحِ الْجَمِيلِ فَإِنْ تُجِبْ أَحْكَمْتَ بُنْيَانًا عَلَا^(٤) تَأْسِيسَا
 وَمِنْ السِّيَاسَةِ أَنْ تَكُونَ مُرَاعِيًا لِلصَّالِحِينَ تَبَرُّهُمْ وَتَسُوسَا^(٥)
 قَوْمٌ إِذَا اتَّذَبَوْا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ أَلْفَيْتَ وَاحِدَهُمْ يَرُدُّ خَمِيسًا^(٦)
 تَالَهُ مَا خَابَ أَمْرُؤُ مُتَوَسِّلٌ بِالْقَوْمِ فِي النِّعَمِ وَلَا فِي الْبُؤْسِ
 وَلَقَدْ أَتَيْتُكَ بِالْيَقِينِ فَلَا تَخَلْ قَوْلِي ظُنُونًا فِيهِمْ وَحُدُوسَا
 وَرَأَيْتُ مِنْهُمْ مَا رَأَيْتُ^(٧) لِنَعِيرِهِمْ وَأَقْبْتُ دَهْرًا بَيْنَهُمْ جَاسُوسَا
 مَنْ كَانَ مُلْتَدِسًا عَلَيْهِ حَدِيثُهُمْ أَذْهَبَتْ عَنْهُ مِنْهُمْ التَّلْذِيسَا
 مَا ضَرَّهُمْ قَوْلُ الْمُعَانِدِ إِنْهُمْ بِفِعَالِهِمْ أَقْوَى الْأَنَامِ نَفُوسَا
 كَمْ ذَمُّهُمْ جَهْلًا وَأَنْكَرَ حَالَهُمْ قَوْمٌ يَلُونُ الْحُكْمَ وَالتَّدْرِيسَا
 فَرَدَدْتُ قَوْمَهُمْ بِقَوْلِي ضَارِبًا مَثَلًا عَلَى الْخَضِرِ السَّلَامِ وَمُوسَى
 وَعَلَى سُلَيْمَانَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ أَغْرَى رِحَالِيهِ عَلَى بَلْقِيسَا
 وَعَلَى فَتَى الْحَسَنِ الَّذِي سَطَوَاتُهُ مَرَّتْ عَلَى الْأَعْدَاءِ مَرَّ الْمُوسَى
 يَا رَبِّ ذِي عِلْمٍ رَأَى نُصْحِي لَهُ فَأَجَابَنِي أَنْتَ طِبُّ جَالِينُوسَا
 لَمْ يَدْرِ أَنِّي كَلِمًا اسْتَعْظَفْتُهُ كَانَ الْحَدِيدَ وَكُنْتُ مِغْنَاطِيسَا

(١) د : نفيسا . (٢) د : أَرُغِبَ . (٣) ت : مَا أَنْتَ مِنْ تَسْبِيحِ نَفْسِ صُدُورِهِمْ .

(٤) ت : بَنِيَانِ الْعَلَا . (٥) ت : د : سَتُوسَا .

(٦) ت : رُويِتْ . (٧) ت : الْحَمِيسِ : الْجَيْشِ الْكَثِيفِ .

(١) د : نفيسا . (٢) د : أَرُغِبَ . (٣) ت : مَا أَنْتَ مِنْ تَسْبِيحِ نَفْسِ صُدُورِهِمْ .

(٤) ت : بَنِيَانِ الْعَلَا . (٥) ت : د : سَتُوسَا .

(٦) ت : رُويِتْ . (٧) ت : الْحَمِيسِ : الْجَيْشِ الْكَثِيفِ .

لو كنتُ أَرْضَى الجَاهِلِيَّةَ مِثْلَهُ أُمْلَيْتُ مَامَلَأُ الْقُلُوبَ نَسِيْسًا^(١)
وَنَفَخْتُ نَارَ عَدَاوَةٍ لَا تُضْطَلَّى بَلْ^(٢) لَا يُطِيقُ لَهَا الْعَدُوُّ حَسِيْسًا
لَمْ يَبْقَ لِي خَوْفُ الْمَعَادِ مُعَادِيًّا فَهَيِّجْ مِنِّي لِلْهَيَّاجِ رَسِيْسًا^(٣)
أَوْ مَا تَرَى حُبَّ السَّلَامَةِ جَاعِلِي أُلْقِ السَّلَامَ مُسَالِمًا وَالْكِيْسَا
أُمَكِّفْنِي نَظْمَ النَّسِيبِ وَقَدْ رَأَى عُودَ الشَّبَابِ الرَّطْبَ عَادَ يَبِيْسَا
أَمَّا النَّسِيبُ فَمَا يُنَاسِبُ قَوْلُهُ شَيْخًا أَبَدًا مُعَمَّرًا مَنَكُوسًا^(٤)
مَا هَمَّ يَخْضِبُ شَيْبَهُ^(٥) مُتَشَوِّقًا زَمَنَ الصَّبَا إِلَّا اتَّقَى التَّدْلِيْسَا
لَمَّا رَأَى زَمَنَ الشَّيْبَةِ مُذْبِرًا نَزَعَ السَّرَى وَتَدَرَّعَ التَّعْرِيسَا^(٦)
مَضَتْ الْأَحِبَّةُ وَالشَّبَابُ وَخَلَفَا لِي الْاَدَّكَارَ مُسَامِرًا وَأُنَيْسَا
أَذْكَرْتَنِي عَهْدَ الطَّعَانِ فَلَمْ أَجِدْ رُحْمًا أَصُولُ بِهِ وَلَا دَبُوسًا^(٧)
أَيَّامَ عَزْمِي لَا تَقُوتُ سِهَامُهُ غَرَضًا وَسَهْمِي جُرْحُهُ لَا يُوسَى
نَذَتْ السُّنُونُ سِنَانَ صَعْدَتِي الَّتِي لَمْ تَلَقْ رَادِفَةً وَلَا قَرَبُوسًا^(٨)
فَقَنَاءُ حَرْبِي لَا أُرِدُّ تَقْوِيْمَهَا لِلطَّعْنِ إِلَّا رَدَّهَا تَقْوِيْسَا
مَاحَالُ مَنْ مَنَعَ الرُّكُوبَ وَطَرَفُهُ يَشْكُو إِلَيْهِ رِبَاطُهُ مَحْبُوسَا
بِالْأَمْسِ كَانَ لَهُ الشَّمُوسُ مُذَلَّلًا وَالْيَوْمَ صَارَ لَهُ الذَّلُولُ شَمُوسًا^(٩)
لَا دَرَدَرُ الشَّيْبِ إِنْ نَجْوَمُهُ تَذَرُ السَّعِيدَ مِنَ الرِّجَالِ نَحِيْسَا

-
- (١) النسييس : غاية جهد الإنسان . (٢) د : بدلا . (٣) الرسيس : ابتداء الحمى وفى د : شكيسا
(٤) المنكوس : الضعيف . (٥) ت : فاحم بحصب سبيله .
(٦) السرى : السير بالليل . والتعريس ، من عرس القوم إذا نزلوا فى آخر الليل للاستراحة .
(٧) الدبوس : نوع من الأسلحة . (٨) صعدتى : قناتى . والرادفة : الرادف الذى يركب خلف
الراكب والقربوس : حنوط المرح ، وهما قربوسان .
(٩) الشموس : يقال شمس الفرس ، إذا منع ظهره . والشموس ضد الذلول .

كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى اجْتِمَاعِ جَاعِلِ
 لَوْ كَانَ لِي فِي بَيْتِ خَالِي نُصْرَةٌ
 وَنَصِيحَةٌ أَعْرَبْتُ عَنْهَا فَانْتَنَتْ
 إِنَّ النَّصَارَى بِالْمَحَلَّةِ وَدُهُمُ
 أَتَرَى النَّصَارَى يَحْكُمُونَ بِأَنَّهُ
 ابْنُ عَادَ إِسْنَقُ إِلَى ثَانِيَا
 صَرَفَ إِلَهُ السُّوءِ عَنْكَ بِصَرْفِهِ
 أَفْدَى بِهِ الْمُسْتَعْدَمِينَ وَإِنَّمَا
 لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ أَمْرَهُمْ مِنْ غَيْرَتِي
 يَرْعَوْنَ أَمْوَالَ الرَّعِيَّةِ بِالْأَذَى
 اللَّهُ أَرْسَلَهُمْ عَلَى أَقْوَاتِهِمْ
 مَلَأَتْ بُيُوتَهُمُ^(٤) الْغِلَالُ فَلَا^(٥) تَرَى
 مَنْ لَمْ يَقُمْ لِي مِنْهُمْ بِوُظَيْفَتِي
 إِنِّي لَا أَنْذِرُ بَعْضَهُمْ وَكَأَنِّي
 لِي صَاحِبُ سَرَقِ اللَّصُوصِ ثِيَابِهِ
 وَشَكَا لَوْلَى الْحَرْبِ سَارِقَ بَيْتِهِ
 وَكَأَنَّهُ قَاضٍ يَقُولُ لِحَصْمِهِ:
 وَحُجَّجُهُ أَصْحَابُ رَنْجٍ عِنْدَهُ

بَيْتَ الْفِرَاشِ بِسَاكِنِ مَأْنُوسَا^(١)
 جَمَعَتْ نَقِيَّ الْخَدِّ وَالْإِنْكِيْسَا^(٢)
 كَالصَّبْحِ يَجْلُو ضَوْؤُهُ التَّغْلِيْسَا^(٣)
 لَوْ كَانَ جَامِعُهَا يَكُونُ كَنِيسَا
 مَنْ بَاشَرَ الْأَحْبَاسَ صَارَ حَبِيسَا
 ضَرَبُوا عَلَى أَبْوَابِهَا النَّاقُوسَا
 فَاضْرَفُهُ عَنَّا وَاضْفَعِ الْقَسِيْسَا
 أَفْدَى بِتَيْسٍ كَالْيَهُودِ تَيْوُسَا
 لَمْ أَتَقِ لِلْمُسْتَعْدَمِينَ ضَرْوُسَا
 لَوْ يُحْلِبُونَ لِأَشْهُوَا الْجَامُوسَا
 سَوْسَا وَقَدْ أَمِنُوا عَلَيْهَا السُّوسَا
 مِنْهَا كَبَيْتِي فَارِغًا مَكْنُوسَا
 جَرَسَتْهُ بِلَامَتِي تَجْرِيسَا
 فِي أُذُنِ بَغْلِ الْكُوسِ أَضْرِبُ كُوسَا^(٦)
 لَيْلًا فَبَاتَ بَيْتُهُ^(٧) مَحْبُوسَا
 فَكَاثَمَا يَشْكُو لَهُ أَفْرَنْسِيْسَا
 هَذَا غَرِيْمُكَ أَثْبَتَ التَّقْلِيْسَا
 وَيَقْدَمُوهُ فَيُظْهِرُ التَّعْبِيْسَا

(١) ت ، د : مكنوسا . (٢) الإنكيس : الضعيف . (٣) التغاس : الفلاس ، ظلمة آخر الليل .

(٤) ت ، د : قلوبهم . ولعلها بيوتهم .

(٥) د : متى .

(٦) للكوس : العليل .

(٧) ت : بلبله .

وَلَرُبَّمَا التَّمَسُّوهُ بِالْمَالِ الَّذِي
مَلَأُوا الْبُيُوتَ بِمَالِهِ وَلَوْ اشْتَكَى
كَمْ قُلْتُ إِذْ سَمِعَ الْوَلَاةُ كَلَامَهُمْ
قَلْبَ الْعِيَانِ لَهُمْ وَكَمْ فِي عِلْمِهِ
فَانْظُرْ لِمَنْ ذَهَبَ الْأُصُوصُ بِمَالِهِ
رَفَعُوا الْقَوَاعِدَ مِنْ شَوَارِبِ^(١) ثِيَابِهِ
قَدْ كُنْتُ مِنْ خَوْفِ الْأُصُوصِ أَخَافُ أَنْ
لَا زِلْتُ طَوْلَ الدَّهْرِ تَخِيكِي فِي الْعَلَا
مَا دَامَ يَدْمِغُ النُّجُومَ مُنْجِمٌ^(٢) وَيُخَبِّرُ التَّثْلِيثَ^(٣) وَالتَّسْدِيسَ

وقال في رجل مغربي عانده في الشعر ، وشرع في هجائه وكان نزل^(٣) عند ولي الدولة
المستوفى ضيفا^(٤) عنده ، وكان يعمل شعره نخلة^(٥) :

قُلْ لَوَلِيَّ الدَّوْلَةِ الْمُرْتَجَى وَالتُّقَى فِي الْجُودِ وَالْبَاسِ
فُزْتُ بِأَهْلِ الْفَضْلِ حَتَّى حَكُوا عِنْدَكَ فَوْزًا^(٦) عِنْدَ عَبَّاسِ
لَا سِيًّا هَذَا الْأَدِيبُ الَّذِي أَتَى مِنَ النَّظْمِ بِأَجْناسِ
النَّابِ^(٧) الْمُفْلِقُ فِي مَدْحِهِ وَهَجْوِهِ وَالْجَارِحُ الْآسِ
لَمْ أَرِ^(٨) مِنْ قَبْلِ وَفُوفِي طَلَى مَا قَالَ نُشَابًا بِقِرْطَاسِ

(١) خزانة توضع فيها الثياب أو صندوق .

(٢) د : ما دام تربيح النجوم منجم ، ت ما دم تربيح ... ونظن الصواب ما أثبتناه .

(٣) د : كان نزول عدول الدولة . (٤) د ، ت : صفا والصواب ما أثبتناه .

(٥) ت : بحلة . (٦) د : عبد . (٧) ت : بي . (٨) د : لم أدره .

وَنَخَلَةٍ تَشْكُرُ جَدْوَالٍ مِنْ أَصْلِ وَمِنْ فَرْعٍ وَمِنْ رَاسِ
 شَاهِقَةٍ مِنْ دُونِ مِصْرٍ تَرَى وَهِيَ حَوَالَى دَرْبِ دَوَاسِ
 وَرُقْمَةُ الشَّطْرُ نَجْمٌ انْتَهَى وَلَمْ أَكُنْ لِلْفَضْلِ بِالنَّاسِ
 حَالِيَةً عَامِرَةً شُبَّهَتْ بِيَادِقٍ فِيهَا بِأَفْرَاسِ
 فَقُلْ لَنَا مَنْ ذَا الْأَدِيبُ الَّذِي زَادَ بِهِ حُسْبَى وَوَسْوَاسِي؟
 إِنْ كَانَتْ مِثْلِي مَعْرِيًّا فَمَا فِي صُحْبَةِ الْأَجْنَسِ مِنْ بَاسِ
 وَإِنْ مِثْلِي عِنْدَهُ ^(١) الْيَوْمَ كَالصَّخْرَةِ عِنْدَ الْجَبَلِ الرَّاسِ
 وَبَيْنَ دَارَيْنَا كَمَا بَيْنَنَا وَأَيْنَ مُرَاكِشٍ مِنْ فَاسِ
 وَإِنْ يُكَذِّبُ نِسْبَتِي جِثَّتُهُ يَجِبَتِي الصُّوفُ وَدَقَاسِي
 وَإِنْ يَجِدُ فِي لَفْتِي رِيْبَةً أَكْتَمَ بِنَا نَازَعْتُ إِفْلَاسِي ^(٢)
 قافية الفاء ^(٣) :

قال للقاضي عماد ^(٤) الدين ، يحرضه على كنفاته :

مَا أَكَلْنَا فِي ذَا الصِّيَامِ كُنْفَةً آمٍ وَابُعْدَهَا عَلَيْنَا مَسَافَةً
 قَالَ قَوْمٌ إِنَّ الْعِمَادَ كَرِيمٌ قُلْتُ هَذَا عِنْدِي حَدِيثُ خُرَافَةٍ
 أَنَا ضَيْفٌ لَهُ وَقَدْ مِتُّ جَوْعًا لَيْتَ شِعْرِي لَمْ لَا تُعِدُّ الضِّيَافَةَ

(١) د : عبده .

(٢) ت : نازعت فلامي . وكتب أمامها في الهامش :

وإن تجسد في لفتي ريبة أكتم بنا نازعت فلامي

ولا معنى للشطر الثاني .

(٤) د : عماد الدين بن أبي .

(٣) ساقطة من ت .

وَهُوَ إِنْ يُطْعِمَ الطَّعَامَ فَمَا يُطْعِمُهُ إِلَّا بِسْمِعَةٍ أَوْ مَخَافَةٍ
وَهُوَ فِي الْحَرِّ^(١) وَالْخَرِيفِ^(٢) وَفِي السَّبْتِ يَجْمَعُ الْحُطَامَ كَالْجِرَافَةِ
فَاعْلَمُوهُ عَنِّي وَلَا تَعْتَبُونِي إِنْ عِنْدِي فِي الصَّوْمِ بَعْضُ الْحِرَافَةِ^(٣)
فَهُوَ إِنْ لَمْ يُخْرِجْ قَلِيلًا^(٤) إِلَى الْحَا يُطِرُ فِي كَيْلَتِي طَلَعْتُ الْقِرَافَةَ

ولما أحضر الجنب السابق شيوخ صنعاء^(٥) وحاق نصف لحية كل منهم ، وعزم على أن
يخلصهم ، دخلوا عليه فكتب^(٦) له^(٧) هذه الأبيات :

أَخْبَرُونِي غَضَبَةَ^(٨) وَصَلَفًا^(٩) أَنْكُمْ رُحْمٌ إِلَيْهِ^(١٠) مَرَصَفًا
ثُمَّ قَالُوا عَنْ ذُقُونِ حُلِقَتِ قُلْتُ لَا بُدَّ لَهَا أَنْ تُتَخَلَّفَا^(١١)
إِنَّ حَلَقَ الذَّقْنِ خَيْرٌ لِلْفَقَى يَا بَنِي الْأَعْمَامِ^(١٢) مِنْ أَنْ تُتَنَفَّأَ
وَالَّذِي حَلَقَ أَنْصَافَ اللَّحَى كَانَ فِي الْأَحْكَامِ عَدْلًا مُنْصِفًا
حَلَقَ النُّصْفَ بِذَنْبٍ حَاضِرٍ وَعَفَا بِالنُّصْفِ عَمَّا^(١٣) سَلَفَا

قافية اللام :

قال هذه القصيدة ، سماها « المخرَج والمردود ، على النصرى واليهود » :

جَاءَ الْمَسِيحُ مِنَ الْإِلَهِ رَسُولًا فَأَبَى أَقْلُ الْعَالَمِينَ عُقُولًا
قَوْمٌ رَأَوْا بَشَرًا كَرِيمًا فَادَّعَوْا مِنْ جَهْلِهِمْ لِلَّهِ فِيهِ حُلُولًا

(١) د : البحر . (٢) د : لحريف .

(٣) هذا البيت ساقط من د . (٤) ت : الطعام .

(٥) د : ولما حضر لجنب السابق شيوخ صنعاء . (٦) د : كتب .

(٧) ساقطة من د . (٨) د : غضة . (٩) د : صنفا . (١٠) د : إليهم .

(١١) د : تتخلفا . (١٢) د : الم . (١٣) د ، ت : عن . والصواب ما أثبتناه .

وَعِصَابَةٌ مَا صَدَّقْتُهُ وَأَكْثَرْتُ بِالْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ فِيهِ الْقِيلَ
لَمْ يَأْتِ فِيهِ مُفَرِّطٌ وَمُفَرِّطٌ بِالْحَقِّ تَجْرِيحًا وَلَا تَعْدِيلًا
فَكَأَنَّمَا جَاءَ الْمَسِيحُ إِلَيْهِمْ لِيُكَذِّبُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
فَاعْجَبَ لِمَتِّهِ الَّتِي قَدْ صَيَّرَتْ تَنْزِيهَهَا^(١) لِإِلَهِهَا التَّنْكِيلَ
[وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ فِتْنَةً مَعْشَرَ وَأَضْلَهُمْ رَأَوْا الْقَبِيحَ جَمِيلًا]^(٢)
هُمْ بِجَلَّوْهُ بِبَاطِلٍ فَأَبْرَزَهُ أَعْدَاؤُهُ بِالْبَاطِلِ التَّبْجِيلَ
وَتَقَطَّعُوا أَمْرَ الْعَقَائِدِ بَيْنَهُمْ زُمَرًا أَلَمْ تَرَ عِقْدَهَا مَحْلُولًا
هُوَ آدَمُ فِي الْفَضْلِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُعْطَ حَالَ النَّفْخَةِ التَّنْكِيلَ

* * *

[تعليق الناظم] :

قال الناظم : لما رأيت كتب النصارى واليهود الآن مشحونة بما ينفكرونه من بعث
النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيها القول بخلاف ما يدعونه من ألوهية المسيح ، ومن صلبيه ،
وإثبات رسالته إلى النصارى واليهود ، وما لا يخفى ، تعرضت في هذه القصيدة إلى ذكر ماسهل
نظمه من ذلك ، وأردت أن أورد تحت كل أبيات منها ما أشارت إليه من النصوص التي
لا يستطيع النظم ذكرها بلفظها^(٣) ولا بترتيبها . فمن ذلك :

ذكروا أن المسيح عبد الله ورسوله وواسطته بينه وبين الناس بلفظهم الذى رضوا إظهاره
باللغة العربية ، واعترفوا أنها لفظ الإنجيل . قوله فى إنجيل لوقا : أنه لم يُقتل أحد من الأنبياء
فى وطنه ، فكيف يقتلوننى ؟ ! وقوله حين خرج من السامرة : الحق بجلجال ، إنه لم يكرم

(١) د : بتلفظها .

(٢) زيادة فى م .

(٣) د : تنويعها .

أحد من الأنبياء في وطنه . فهذا دليل أنه ما جعل نفسه إلا نبيا . وكقوله في إنجيل مرقس ^(١) :
 إن رجلا أقبل عليه وقال : أيها المعلم الصالح ، أئى خير أعمل ، لأنال الحياة الدائمة ؟ فقال له
 المسيح : لم قلت لى صالحا ؟ إنما الصالح الله وحده . وفي إنجيل يوحنا : أن اليهود لما أرادوا
 القبض عليه وعلم بذلك ، رفع بصره إلى السماء ، وقال : « قد دنا ^(٢) الوقت يا إلهى ! فشرفى لديك ،
 واجعل لى سبيلا إلى أن أملك كل ما تملكتنى الحياة الدائمة ، وإنما الحياة الباقية أن يؤمنوا
 بك إلها واحدا . وبالمسيح الذى بعثت ، فقد عظمتك على أهل الأرض ، واحتملت ما أمرتنى به ،
 فشرفى لديك » . وكفى بذلك تذلا لله وعبودية ، وسؤالا واعترفا ، واثمارا بأمر الله
 سبحانه وتعالى . وكقوله لتلاميذه : لانسوا أباكم فى الأرض ، فإن أباكم الذى فى السماء وحده .
 وفى إنجيل لوقا حين أحيا الميت بباب مدينة ، قام حين أشفق لأمه ، لشدة حزنها عليه ،
 فقال الناس : إن هذا نبي عظيم ^(٣) . وإن الله يفيدك منه . فلو كان المسيح ادعى أنه إله ،
 لما قيل عنه خلاف ما ادعاه فى معرض الشكر والتصديق . وكقوله فى إنجيل يوحنا لست
 أقدر أن أفعل من ذاتى شيئا ، لكننى أجيبكم بما أسمع ، لأنى لست أنفذ إرادتى ، بل إرادة
 الذى بعثنى ؛ وكقوله فى إنجيل يوحنا ، أيضا لليهود : قد عرفتمونى وموضعى ، ولم آت من
 ذاتى ، ولكنى بعثنى بالحق وأتم تبهلونى ؛ فإن قلت لى أجهله ، كنت كاذبا مثلكم .
 وأنا أعلم أنى نبيه ، وأنه بعثنى . وكقوله لليهود : إن كنتم بنى إسرائيل ، فافتقوا أثره ،
 ولا تريدوا قتلى ، على أننى رجل أدبت لكم الحق الذى سمعته من الله تعالى ، غير أنكم

(١) إنجيل مرقس : الإصحاح العاشر :

« أيها المعلم الصالح ، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية . فقال له يسوع : لماذا تدعونى صالحا . ليس أحد
 صالحا إلا واحد هو الله » ووردت هذه العبارة أيضا فى إنجيل لوقا ، إصحاح ١٨ .

(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٧ « أيها الأب قد أتت الساعة . مجد ابنك لمجدك ابنك أيضا إذ أعطيت
 سلطانا على كل جسد ليعطى حياة أبدية لكل من أعطيته . وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى
 وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته . العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكلمته . والآن مجدني أنت أيها الأب عند ذاك
 بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم .

(٣) إنجيل لوقا ، الإصحاح السابع .

تَقْفُونِ آثَارَ آبَائِكُمْ . وقال : لو أن أبائكم الله ، لحفظتموني ، لأنى رسول منه خرجت مقبلا ، ولم أَقْبِلْ من ذاتى ، ولكن هو بعثنى إليكم ، لكنكم لا تقبلون وصيتى . وفى الإنجيل أنه كان يوما يمشى فى أسطوان سليمان ، فأحاطت به اليهود ، وقالوا له : إلى متى تُخْفِى أمرَكَ ؟ فإن كنت المسيح الذى يُنتظر ، كما علمنا بذلك ولم يقولوا : إن كنت الله ولا الرب . وفيه أن اليهود أرادوا القبض عليه ، فبعثوا إليه الأعوان ، وأن الأعوان رجعوا إلى قوادهم ، فقالوا لهم : لم تأخذوه ؟ فقالوا : ما سمعنا آدميا أنصف منه . فقالت اليهود : وأنتم أيضا مخدوعون . أترون أنه آمن به أحد من القواد ، ومن رؤساء أهل الكتاب ؟ إنما آمن به من الجماعة من يجهل الكتاب . فقال لهم يودنس القس : أترون أن كتابكم يحكم على أحد قبل أن يُسَمَّعَ منه ؟ فقالوا له : اكشف الكتاب ترى أنه لا ينجىء من جَلْجال نبيّ قط ؟ فلو ظهر عنه دعوى غير أنه بشر رسول ، لما قالت الأعوان : ما سمعنا آدميا أنصف منه . ولا قالت اليهود : إنه لا ينجىء من جَلْجال نبيّ قط ، وكقوله لتلاميذه إنه ستأتى ساعة يظن كل من يقتلكم أنه يقرب إلى الله تعالى قُرْبَانًا ، لأنه لم يعرف الله ولا أنا . وفى رسائل بولس : يسوعُ المؤتمِنُ عند من خلَّقه . وقوله حكاية عن جبريل لأم المسيح : إنك ستعتلين جبلا ، وتلدن ابنا ، ويدعى اسمه يسوع : هذا يكون عظيما ، ومعظما لربه الإله كرسى داود أبيه . وقال بولس الرسول : عندهم إله سيدنا يسوع المسيح ، يعطيكم روح الحكم والبيان . وقال أناشدك الله سيدنا يسوع المسيح ، والملائكة المصطفين : وقوله إن هذا الرسول عظيم ، اختار إيماننا يسوع الذى صنعه مثل موسى . وكقوله كما زعموا : إلهى إلهى ، لماذا تركتني . وقوله يستطاع أن تقرَّ عيني هذه الساعة . وكقوله : الآن كل شيء بقدرتك ، أجر عني هذا الكأس الذى ليس كإرادتى يكون ، بل كما تريد أنت . وكقوله : جرعت نفسى الآن ، فماذا أقول يارباه ، فسلمنى من هذا الوقت . وقوله وقد سئل عن الساعة : إنما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا تعلمها الملائكة ولا الأمم ، إلا الله وحده . وقوله لتلاميذه : آمنوا بالله ، وآمنوا بى . وكقوله للذى سأله ماذا أصنع لأعمل أعمال الله تعالى ؟ هذا هو عمل الله : أن يؤمنوا بمن أرسله . وفى زبور داود (ع)

خطاباً له من الله : إنه سيولد لك ولد أذعى له أبا ، ويدعى لى ابنا : فقال داود : اللهم ابعث جاعل السنة ، كي يعلم الناس أنه بشر .

المفهوم من ذلك أن الله أطلع داود على من سيُدعى بالمسيح ، فقال : اللهم ابعث جاعل السنة يعلم الناس أنه بشر ، وأن دعوى الربوبية له ، ما كان إلا بعد دفعه وموت حوارييه ينحو من ثلاث مئة سنة ، ولا أعلم الناس أنه بشر بعده إلا النبي (ص) وكذلك قول المسيح في الإنجيل : اللهم ابعث البارقليط^(١) ، ليعلم الناس أن الإنسان بشر .

وفي الزبور : سَلِّني لأعطيكَ الشعوب ترعاهم . وقول بولس : فאלله واحد هو ، والواسطة بين الله وبين الإنسان يسوعُ المسيح . وقوله : وليعف بعضكم عن بعض ، كما عفا الله تعالى عنكم بالمسيح عليه الصلاة والسلام .

أَسْمِعْتُمْ أَنَّ الإِلَهَ لِحَاجَةٍ	يَتَنَاوَلُ الْمَشْرُوبَ وَالْمَا كُولا
وَيَنَامُ مِنْ تَعَبٍ وَيَدْعُو رَبَّهُ	وَيَرُومُ مِنْ حَرِّ الْهَجِيرِ مَقِيلَا
وَيَمْسُهُ الْأَلَمُ الَّذِي لَمْ يَسْتَطِيعْ	صَرْفًا لَهُ عَنْهُ وَلَا تَحْوِيلَا
يَالَيْتَ شِعْرِي حِينَ مَاتَ بِزَعْمِهِمْ	مَنْ كَانَ بِالْتَّذِيرِ عَنْهُ كَفِيلَا
هَلْ كَانَ هَذَا الْكَوْنُ دَبَّرَ نَفْسَهُ	مِنْ بَعْدِهِ أَمْ آثَرَ التَّعْطِيلَا
إِجْزُوا الْيَهُودَ بِصَلَابِهِ خَيْرًا وَلَا	تُخْزُوا يَهُودَا الْآخِذَ الْبِرْطِيلَا ^(٢)
زَعَمُوا الإِلَهَ فَذَى الْعَبِيدِ بِنَفْسِهِ	وَأَرَاهُ كَانَ الْقَاتِلَ الْمَقْتُولَا
أَيَكُونُ قَوْمٌ فِي الْجَحِيمِ وَيَصْطَفَى	مِنْهُمْ كَلِيمَا رَبَّنَا وَخَلِيلَا
وَإِذَا قَرَضْتُمْ أَنَّ عَيْسَى رُبُّكُمْ	أَفَلَمْ يَكُنْ لِفِدَائِكُمْ مَبْدُولَا

(٢) البرطيل : الرشوة .

(١) البارقليط : كلمة يونانية معناها محمد .

وَأَجِلُّ رُوحًا قَامَتِ الْمَوْتَى بِهِ عَنْ أَنْ يُرَى بِيَدِ الْيَهُودِ قَتِيلًا
فَدَعُوا حَدِيثَ الصَّلْبِ عَنْهُ وَدُونَكُمْ مِنْ كُتُبِكُمْ مَا وَافَقَ التَّنْزِيلَ
شَهِدَ الزَّبُورُ بِحِفْظِهِ وَنَجَاتِهِ أَفَتَجْعَلُونَ دَلِيلَهُ مَذْخُولًا
أَيَكُونُ مَنْ حَفِظَ الْإِلَهَ مُضَيِّعًا أَوْ مَنْ أَشِيدَ بِنَصْرِهِ مَخْذُولًا؟ ^(١)
أَيَجُوزُ قَوْلُ مُنْزِهِ لِلَّهِ سَبْحَانَ قَاتِلِ نَفْسِهِ فَأَقُولًا؟ ^(٢)

* * *

[تعليق الناظم] :

في زبور داود (ع) : إن الله تعالى نجى مسيحه واستجاب له من سماء قدسه ، وكذلك قوله إن الله يوصى ملائكته بك ليحفظوك ، فإذا لم يكن ذلك الحفظ وتلك النجاة من الصاب والقتل ، فماذا يكون؟ وليس عند النصارى ولا اليهود خبر يأتيون به ، ولا رواية صحيحة ، أن المسيح صلب ، فإن أحدا ما حضره من أصحابه عند ما أخذ شبهه ، ولا كانت اليهود يعرفونه ، وإنما دُهِم عليه رجل يقال له يهوذا ، ويسمونه يودنس الأسخريوطى ، وكان فيمن آمن بالمسيح وارتد .

* * *

أَوْ جَلَّ مَنْ جَعَلَ الْيَهُودُ بِزَعْمِكُمْ شَوْكَ الْقَتَادِ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلًا
وَمَضَى بِحَمْلِ صَلْبِهِ مُسْتَسْلِمًا لِقَوْتِ مَكْتُوفِ الْيَدَيْنِ دَلِيلًا

(١) هذا البيت ورد في الأصل هكذا .

فيكون من حفظ الإله مضيعا ومن استبد بنصره مخذولا

(٢) زيادة في م .

وهذه رواية م .

كَمْ ذَا أَبَكَّتْكُمْ وَلَمْ تَسْتَنْكِفُوا أَنْ تَسْمَعُوا التَّبَكِيتَ وَالتَّخَجُّيلاً
ضَلَّ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ وَأَقْسَمُوا لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الرَّشَادِ سَبِيلاً
جَعَلُوا الثَّلَاثَةَ وَاحِداً وَلَوْاهْتَدَوْا لَمْ يَجْعَلُوا الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلاً
عَبَدُوا إِلَهَا مِنْ إِلَهٍ كَانَتْ ذَا صُورَةٍ صَلَّوْا بِهَا وَهَيَّوْا

* * *

[تعليق الناظم] :

وأعطوه على تعريفهم به ثلاثين درهماً، ثم بدا له وردَّ الدراهم وندم ، وأن اليهود جاءوا إلى المكان الذى فيه المسيح فخرج إليهم رجل ، فقالوا له : أنت يسوع ، فقال نعم . فأخذوه ومضوا ، وكانوا يستفهمونه ويقولون : أنت هو المسيح ؟ فيقول : أنتم تقولون ، فمضوا به يوم الجمعة ، وقالت النصارى : إنه صلب فى يوم ... فى الساعة التاسعة ، وقالت اليهود : إنه أقام عندهم محبوساً أربعين يوماً وهم يستخبرونه ويسألونه إن كان هو هو ، ويظهر لهم آية فلم يجيبهم إلى ما سألوه ، لافى حال أخذه ولا فى حال صلبه ، وقالت النصارى إن يودس الذى دل عليه اليهود خنق نفسه ندماً ، وتأولوا له أنه قصد أن يموت قبل المسيح ليدخل النار ، فإذا مات المسيح مضى إلى الجحيم فخلصه من جملة بنى آدم وبنيه ، فإنهم كانوا يزعم النصارى منذ آدم وإلى ذلك اليوم فى الجحيم : نبيهم ورسولهم ومؤمنهم وكافرهم ، وإنه أخرج الجميع وخلصهم . وصلبه ، فاما من اليهود من عرف المسيح ، ولا من أصحابه من حضره حياً ولا ميتاً على زعمهم : وصدقوا فيه قول واحد مرتد ، ثم إنه عدم ، فقالوا خنق نفسه ، وتأولوا . وما يدريك أن الله ألقى شبه المسيح على ذلك الذى دل عليه بذنبه وبكفره ، والله أعلم .

* * *

ضَلَّ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ فَلَا تَكُنْ بِهِمْ عَلَى سُبُلِ الْهُدَى مَذْلُولًا
وَالْمُدْعَوُ التَّشْدِثِ قَوْمٌ سَوَّغُوا مَا خَالَفَ النُّقُولَ وَالْمَقُولَا
وَالْعَابِدُونَ الْعِجَلَ قَدْ فَتِنُوا بِهِ وَدُّوا اتِّخَاذَ الْمُرْسَلِينَ عَجُولَا
فَإِذَا أَتَتْ بُشْرَى إِلَيْهِمْ كَذَّبُوا يَهُوَى النُّفُوسِ وَقَتُلُوا تَقْتِيلَا
وَكَفَى الْيَهُودَ بِأَنَّهُمْ قَدْ مَثَلُوا مَعْبُودَهُمْ بِعِبَادِهِ تَمْثِيلَا (١)
وَبَآنَ إِسْرَائِيلَ صَارِعَ رَبِّهِ وَرَمَى بِهِ شُكْرًا لِإِسْرَائِيلَا (٢)
وَبَآنَهُمْ رَحَلُوا بِهِ فِي قُبَّةٍ إِذْ أَرْمَعُوا نَحْوَ الشَّامِ رَحِيلَا (٣)

* * *

[تعليق الناظم] :

أى شبه كان ، والله أصدق القائلين يقوله - وإن الذين اختلفوا فيه لنى شك (١) منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن - وما خرج أمره عن ذلك . وكذلك إخبارهم عن قيامه من القبر عن امرأتين مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ، أخبرتا أنهما أتيتا إلى القبر فوجدتا فيه رجلا قال لهما إن يسوع المصلوب قام ولحق بجلجال ، وأخبارهم فى ذلك وفى عقائدهم مثل ذلك . هذه الأخبار كلها هذيانية .

(١) وفى التوراة ما يدل على التبديل : أن الله تعالى كالإنسان شخص وجوارح .

(٢) وفيها أن الله سبحانه تصارع مع يعقوب ، فضرب به يعقوب .

(٣) وفيها أن الله عز وجل لما أمرهم بالتوجه إلى الشام ، وعدهم أن يتوجه معهم ، وأمرهم أن يعملوا له قبة على صورة كذا ، ينزل فيها فى سيره معهم . ثم إن موسى قال : يارب إن هذه الأمة القاسية رقابها لاتمضى إلى الشام حتى تمضى معها كما وعدتها ، فقال الله تعالى : نعم اعملوا لى قبة ، وعل موسى القبة ، وسماها قبة العهد ، ونزل فيها من عرشه ، وسار معهم فى داخل القبة ، ينزل

بنزولهم ، ويرحل برحيلهم . هذا نص ما ترجموه من التوراة . وتتمة الحديث مامعناه أنهم حملوا أموالا إلى موسى عليه السلام ، وتولى إنفاقها على القبة ، وأنهم حسبوا ما أنفق عليها فعجز ألف رطل وسبع مئة رطل ، فاتهموا فيه موسى حتى سمعوا صوتا من الهوا يخبر أن ذلك الوزن انصرف في القبة ورأس العمد .

* * *

وَبِأَنَّهُمْ سَمِعُوا كَلَامَ إِلَهِهِمْ وَسَبِيلَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا الْمُنْقُولَا (١)
وَبِأَنَّهُمْ ضَرَبُوا لِيَسْمَعَ رَبُّهُمْ فِي الْحَرْبِ بُوقَاتٍ لَهُ وَطُبُولَا (٢)
وَبِأَنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ بَدَأَ لَهُ فِي خَلْقِ آدَمَ يَا لَهُ تَجْهِيلَا (٣)
وَبَدَأَ لَهُ فِي قَوْمِ نوحَ وَانْنَتَى أَسْفَا يَعَضُّ بَنَانَهُ مَذْهُولَا (٤)

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) وفيها أن جميع بني إسرائيل سمعوا كلام الله بلا واسطة ، كما سمعه موسى ، فأى فضيلة لموسى عليهم بذلك ؟

(٢) ومما نسبوه إلى التوراة أن الله أمرهم أن يضربوا البوق في عسكرهم قليلا قليلا ، حتى يلقوا عدوهم ، فحينئذ يضربون به بأشد ما يقدرون عليه ليسمعهم الله تعالى ، فيؤيدهم على عدوهم . كأن الله تعالى وتقدس وتنزه ؛ إنسان ، سبحانه وتعالى عن قولهم .

(٣) ومما ترجموه فيها أن الله تعالى ندم على خلق آدم ، وخاف أن يأكل من شجرة الحياة ، فيكون إلها مثله ، وكذلك أخرجه من الجنة . وفيها : ورأى أن كثرة فساد الآدميين في الأرض فقدم على خلقهم ، فقال : سأذهب الآدمي الذي خلقت على الأرض والحشاش

وطهر السماء ، لأنى نادى على خلقهم جدا ، وفيها ذكر ندمه على ما فعل قوم نوح بلفظ أبشع من هذا فى البارى سبحانه وتعالى ، وأشد استحالة .

* * *

وَبِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ حَاوَلَ أَكْثَلَهُ خُبْرًا وَرَامَ لِرَجُلِهِ تَفْسِيلًا (١)
وَبِأَنَّ أَمْوَالَ الطَّوَائِفِ حُلَّتْ لَهُمْ رَبًّا وَخِيَانَةً وَغُلُولًا (٢)

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) وفيها أن إبراهيم كان يوما قاعدا عند باب فسطاط الله تعالى ، وأبصر ثلاثة رجال واقفين منه على مقربة ، فخر إليهم ساجدا ، وقال يا هذا إن كنت راضيا عنى فلا يحلف عندك حتى أسوق ما تغسلون به أرجلكم وتستقبلون حتى هذه الشجرة ، وأقدم إليكم كسرة تقوّمون بها قلوبكم ، وبعد هذا تذهبون . زعموا أن إبراهيم إنما دعا الثلاثة باسم الواحد ، علما بأنه الله سبحانه وتعالى ، وجوزوا عليه وعلى إبراهيم عليه السلام أن يطعم الله خبزا ، ليقوى بها قلبه ، ويفسل رجله عليه تعالى وتقدس عن ذلك علوا كبيرا . وجعلت النصارى ذلك دليلا على أن الثلاثة واحد ، وهم الذين ذكرهم فى القرآن بقوله تعالى وتقدس (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) .

(٢) اليهود تزعم أن موسى (ع) عليه السلام أمرهم أن يأخذوا أموال خزائهم من أهل مصر على سبيل الفدية ، ثم قال لهم : يقول لكم اهربوا بها ففعلوا ، وقالوا : هى أجرة سحرتنا مع فرعون وليست أجرتهم على الضعفاء والمساكين والعامّة ، إنما أجرتهم على فرعون الذى استخدمهم . وفى التوراة : فلا تَزَنْ لأجل أن يباركك الرب إلهك . وفيها : لا تسرقوا ولا تكذبوا ولا يفجر المرء بأخيه ، فتأولوا إخوان اليهود خاصة دون سائر بنى آدم . وقد أخبر

الله تعالى عنهم بذلك فقال : « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ، ويقولون ^(١) على الله الكذب وهم لا يعلمون » . ومن أقوالهم : احفظ سبيك ، واصنع ماشئت .

* * *

وبأنهم لم يخرجوا من أرضهم فكأنهم حسبوا الخروج دخولاً (١)
وحديثهم في الأنبياء فلا تسأل عنه وخل غطاءه مسدولاً (٢)
لم ينتهوا عن قذف داود ولا لوط فكيف بقذفهم رؤيلاً
وعزوا إلى يتقوب من أولاده ذكراً من الفعل القبيح مهولاً
وإلى المسيح وأمه وكفى بها صديقة حملت به وبتولا
ولن تعلق بالصلب بزعمهم لئنا يعود عليهم مكفولاً (٣)

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) وفيها أن بنى إسرائيل يمشون في الأرض المقدسة إلى الاقتراض ، وإخراجهم منها دليل كذبهم على الله تعالى في كتبه .

(٢) ترجوا في التوراة التي بأيديهم الآن من قذف الأنبياء الكرام الذين اصطفاهم الله تعالى ما لا يجوز ذكره ولا التنويه به ، وذلك مما يدل على كذبهم ، فإن الله تعالى حيي كريم ، عصم أنبياءه ، لا يذكر عنهم الفواحش في كتبه التي تقرأ على عمر الأزمان ، تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً .

(٣) وما يدل على كذبهم أنهم كتبوا في التوراة : ملعون ابن ملعون من تعلق بالصلب ؛ تمهيداً لعذرهم بزعمهم أنهم صلبوا المسيح ، وأنه ليس المسيح الذي شهدت به ، وكذلك

النصارى نسبوا إلى كتاب عاموس النبى: إذا سمر فى ثلاثة أعواد، سمر فى الأرض . فقال صهيون عبد لبدران الناموسى ، ونصب عليها علم الخلائق ، حينئذ يتلف بنى إسرائيل بالخزى والجوع . وكلام النصارى فى ذلك ضد كلام اليهود ، وكلاهما باطل فى حديث الصلب الذى ضلوا فيه بالشبه .

* * *

وَجَنَوْا عَلَى هَارُونَ بِالْعِجْلِ الذِّى نَسَبُوا لَهُ تَصْوِيرَهُ تَضْلِيلًا (١)
وَبَأَنَّ مُوسَى صَوَّرَ الصُّورَ الَّتِى مَاحَلَّ مِنْهَا نَهْيُهُ مَقْعُولًا (٢)
وَرَضُوا لَهُ غَضَبَ الْإِلَهِ فَلَا عَدَا غَضَبُ الْإِلَهِ عَدُوَّهُ الضَّلِيلَا (٣)
وَبَأَنَّ سِحْرًا مَا اسْتَطَاعَ لآيَةٍ مِنْهُ وَلَا اسْتَطَاعَتْ لَهُ تَبْطِيلَا
وَبَأَنَّ مَا أَبْدَى لَهُمْ مِنْ آيَةٍ أَبَدُوا إِلَيْهِ مِثْلَهَا تَخْيِيلَا
إِلَّا الْبَعُوضَ وَلَا يَزَالُ مُعَانِدَا لِلْهِ بِبِعُوضَةٍ مَحْذُولَا

* * *

[تمليق الناظم] :

(١) وفى التوراة : أن هارون صاغ لهم العجل الذى عبدوه ، وأمرهم أن يذبحوا له القرابين من دون الله تعالى ، ففعلوا واتخذوا له عيدا ، وجلسوا عنده يأكلون ويشربون ويتساقون . فانظر هذا القول الذى لا يجوز نسبته إلى نبي اختاره الله تعالى لهداية خلقه . ولقد تحدثت مع بعض من أسلم منهم فى ذلك ، قال : ما عندهم خلاف أن ذلك فى التوراة منصوص ، وإنما الحلى الذى أحضروه إلى هارون كان فيه خاتم ذهب من خواتم يوسف الصديق (ع) ، عمل فى طالع الثور وعليه صورة الثور ، فلما سأل هارون الزينة وقلبها تصور منها العجل . فانظر هذه الأقاويل ، ما أضل قائلها !

(٢) وفي التوراة تحريم التصوير وعمل الأصنام ، واللعنة لمن عمل ذلك والغضب عليه ، ثم فيها أن موسى عمل صورة ملكين من الكروبيين من ذهب مفرغ ، أجنحتها مبسوطة ، ووجه كل منهما إلى الآخر ، ونصبهما على صحيفة ذهب تسمى صحيفة التطهير بكلمة الله تعالى ، ومن بينهما أنه أيضا عمل صورة حية من نحاس .

(٣) معناه أن اللعنة والغضب في التوراة على من صور الصور ، وقد نسبوا إلى موسى عملها ، وفي أن الله غضب على موسى وهارون ، ومنعهما من الدخول إلى الأرض المقدسة ، ثم تكرر ذلك في السفر الخامس ، فقال موسى : وغضب الله على أنا ، وحلف لا أدخل إلى الأرض الصالحة التي وهبها ربكم لكم .

وفيهما أن سحرة فرعون عملوا الآيات التسعة الأولى التي جاء بها موسى ، وأنهم ماقدروا أن يبطلوا شيئا من آياته ولا أبطل شيئا من سحرهم الذي جاءوا به ، والله تعالى وتقدس قال : (ما جئتم به ^(١) السحر ، إن الله سيبطله) .

* * *

وَرَضُوا لِمُوسَى أَنْ يَقُولَ فَوَاحِشًا	خَتَمَتْ وَصِيَّتُهُ لَهُنَّ فَصُولًا (١)
نَقَلُوا فَوَاحِشَ عَنْ كَلِمَةِ اللَّهِ لَمْ	يَكُ مِثْلُهَا عَنْ مِثْلِهِ مَنَقُولًا
وَأَظْنُهُمْ قَدْ خَالَفُوهُ فَعُجِّلَتْ	لَهُمُ الْعُقُوبَةُ بَاخِلْنَا تَعْجِيلًا
وَشَكَّتْ رِجَالُهُمْ مَصَادِرَ ذَيْلِهَا	وَنَسَاؤُهُمْ غَيْرَ الْبُعُولِ بُعُولًا

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) ومن التوراة عندهم أن موسى (ع) قال لبني إسرائيل في الوصية التي وصاهم بها ، فقال عند آخرها : وإن كفرتم وحدت عن سبيله وعبدت الآلهة الأجنبية ، يبتليك الله بدواهي

مصر ، ويضرب الجرب من جسدك الذى يصدر عنه الذيل بالجرب والحكاك الذى لا دواء له ، وتزوج زوجا ويضاجعها غيرك . ولا خلاف أن بنى إسرائيل عبدوا الآلهة ، فإما أن يكون هذا القول باطلا ، أو يكون قد ابتلوا بما أوعدهم الله به من علمه القطم والقرن ، فإن الجرب والحكاك الذى لا دواء له وهو القطم ، لأنه عين فى مصدر الذيل من الجسد ، وليس البواسير التى يولونها لأن البواسير مرض كالبرص والجذام ، وكذلك أن يتزوج زوجة ويضاجعها غيره ، فإن المقصود بذلك المعيرة فى الموضعين ، ولا معيرة فى برص .

وتعالى الله عما يقولون ، وتنزه فى التوراة التى جعلها هدى ونورا للإنسان كلمه الله عز وجل عن ذكر هذه الفواحش .

* * *

لُعِنَ الَّذِينَ رَأَوْا سَبِيلَ مُحَمَّدٍ	وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ أَضَلَّ سَبِيلًا
أَبْنَاهُ حَيَّاتٍ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ	يَجِدُونَ دِرْيَاقَ السُّومِ قَتُولًا
مَذْفَرَقُوا الْعِجْلَ الَّذِي فَتَنُوا بِهِ	وَدُّوا اتِّخَاذَ الْأَنْبِيَاءِ عُجُولًا
فَإِذَا أَنَّى بَشَرُهُمْ كَذَّبُوا	يَهْوَى النَّفُوسِ وَقَتَّلُوا تَقْتِيلًا
أَخْلَوْا كِتَابَ اللَّهِ مِنْ أَحْكَامِهِ	عَدُوًّا وَكَانَ الْعَامِرَ الْمَأْهُولًا
جَعَلُوا الْحَرَامَ بِهِ حَلَالًا وَالْهُدَى	غِيًّا وَمَوْصُولَ التَّقَى مَقْضُولًا
وَدَعَاكُمْ مَا ضَيَعُوا مِنْ فَضْلِهِ	أَنْ يَمْلِئُوهُ مِنَ الْكَلَامِ فُضُولًا
كَتَمُوا الْعِبَادَةَ وَالْمَعَادَ وَمَارَعَوْا	لِلْحَقِّ تَعَجُّيلًا وَلَا تَأْخِيلًا

* * *

أعلم أن علماء المسلمين ذكروا أن التوراة والإنجيل لم يبق فيهما الآن إلا ما اختاره ضلال
النصارى واليهود ، بعد الحذف والاستدراك ، والتحريف والتبديل ، فאלله تعالى يقول : (يا أهل
الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير) .
وكفى بذلك . واليهود مقررون أن سبعين كاهنا منهم اتفقوا على أن بدلوا من التوراة ثلاثة عشر
حرفا اعترفت اليهود بثلاثة حروف ، ومن اعترف بذلك فما ينكر ما قيل عنه من جنسه ،
وفيا تقدم من نصوصهم الدالة على ذلك الكفاية . وما يدل أيضا على ذلك ما أذكره ، وهو
ما لا ينكره أحد من اليهود ، وذلك أن التوراة التي بأيديهم الآن ليس فيها ذكر البعث
والقيامة ولا الدار الآخرة ولا الجنة ولا النار ، وكل ما ذكر من خير فيها إنما هو معجل في الدنيا
فيجزون كما زعموا على الطاعة بنصر على الأعداء وطول العمر وطيب العيشة وسعة الرزق وطول
المكث في الأرض المقدسة ، ويجزون على الكفر والمعاصي بالموت ومنع قطر السماء ومنع الثرة
وظهور الأعداء عليهم ، والشقاء والتعب والقروح والحيات والجرب واليرقان وريح السموم ؛
وتكون السماء عليهم مثل النحاس ، والأرض مثل الحديد ، فينزل عليهم بدل المطر الغبار
والظلمة ويسقى عليهم التراب من السماء ويكونون يلتمسون الشيء نصف النهار كما يلتسمه
الأعمى لا يبصرونه ولا يستقيم لهم أمر ، ويهربون ويسبون ، وتصيبهم عين سوء في ركبهم
وفي سوقهم ، ولا يكون لهم شفاء . وليس في كتابهم اليوم ذم الدنيا ولا الزهد فيها ولا وظيفة
صلاة معلومة ، بل فيها الأمر بالبطالة والأكل والشرب والقصف والغناء واللهو ، كل هذا نص
فيما يزعمون أنها التوراة ، وأن موسى عليه السلام قال لله عز وجل : أطلب إليك يارب أن ترسل
في هذه الرسالة غيري ، فاشتد غضب الله تعالى على موسى (ع) وقال لله تعالى : ولئن أنت غفرت
لهم خطاياهم وإلا فاعنني من سفرك الذي كتبت : أي اعنني من النبوة ، وفيها أن بني إسرائيل
يمتحنهم الله بأنبياء كذابين يأتون بالآيات والعجائب ، وأن الله تعالى يأخذ الأبناء بذنوب

الآباء إلى ثلاثة خلوف ، إلى غير ذلك مما يعلم كل ذى بصيرة أن ذلك القول لا يأتي عن الله تعالى مثله . وفي التوراة أن الله تعالى قال لموسى : أنا هو الذى أدخل يدك فى حجرك وأخرجها مبروصة كالثلج ، وإذا أخرجها مبروصة فأى آية فيها ، إذ يياض البرص موجود فى الناس ، والله أخبرنا فى محكم كتابه العزيز أنه قال : (وأدخل^(١) يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) .

وفى التوراة عن اللوحين ، أنهما منقوشان بأصبع ، والله تعالى يقول : (وكتبنا له^(٢) فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء) وفى التوراة أن إسحاق هو الذبيح ، وإنما الذبيح إسماعيل ، ودليل ذلك أن النحر والذبح بنى موطن إسماعيل ، فإن قرون الكباش كانت معلقة فى الكعبة من عهد إبراهيم (ع) إلى دخول الحجاج بن يوسف على عبد الله بن الزبير فخرقت ، وفى التوراة أن الحية أغوت حواء فى أكل الشجرة ، فقال لها الله تعالى : سأجعل العداوة بين نسلك ونسلها ، وترصدين أنت أبدا عقبها وترصد أبدا رأسك لتقطعه ، إلى خبر كثير هو مثل خرافة . والله تعالى يقول : (فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وُورىَ عنهما من سوءاتهما) وفى التوراة أيضا عن نوح (ع) أنه رقد وأولاده أمامه فأنكشفت عورته ، فضحك ابنه حام من ذلك ، فجاء ابنه سام وألقى قفاه إلى جهة عورة أبيه ، يمشى إلى وراء ، حتى غطاها واستيقظ نوح (ع) ودعا على حام : سيسود لونك ويكون أولادك عبيدا لأولاد أخيك ، إلى غير ذلك من أحاديث العجائز والصبيان . وفى التوراة أن سليمان بن داود (ع) ختم أمره بالسحر وعبادة الأوثان ، وسب نساء وبنيه وغير ذلك من الفواحش المنسوبة إلى الأنبياء وأبناء الأنبياء عليهم السلام ، ما يمنع من تسيطيره والنطق به الحياء من الله سبحانه وتعالى ، والإشفاق على أعراض رسله الكرام المعصومة ، صلوات الله تعالى عليهم أجمعين .

* * *

(١) آية ١٢ سورة النمل . (٢) آية ١٤٥ سورة الأعراف . (٣) آية ٢٠ سورة الأعراف .

عَجَبًا لَهُمْ وَالسَّبْتُ يَنْعُ عِنْدَهُمْ لَمْ يَلْقَ مِنْهُ الْمُسْتَرُونَ مَقِيلًا^(١)
هَلَّا عَصَوْا فِي السَّبْتِ يَوْشَعَ إِذْ عَدَا يَدْعُو جُنُودًا لَوَغَى وَخَبُولًا
أَوْ خَالَفُوا هَارُونَ فِي ذَبْحٍ وَفِي عَجَنٍ بِهِ لَمْ يُبَدِّ عَنْهُ نُكُولًا^(٢)
أَوْ أَخْلَقُوا بِهِمَا الْمَسِيحَ وَسَوَّغُوا التَّحْرِيمَ فِي الْحَالَيْنِ وَالتَّحْلِيلَ^(٣)
[أَوْ اثْبَتُوا النَّسَخَ الَّذِي فِي كُتُبِهِمْ قَدْ نَصَّ عَنْ شَعْيَا وَعَنْ يُونْيَسَا
أَوْ لَمْ يَرَوْا حُكْمَ الْعَتِيقَةِ نَاسِخًا أَحْكَامَ كُتُبِ الْمُرْسَلِينَ الْأُولَى]

[تعليق الناظم] :

وفي التوراة تمسكوا بالسبت ما دامت السموات والأرض ، وفيه من التغليظ والتشديد ما لا يخفى ، واليهود تقول : إن الله تعالى أمرنا بمعصية كل نبي ادعى ديناً يتضمن نسخاً لبعض ما شرعه في جميع الأيام المتصلة ، وأمرهم بتضعيف المحاربة يوم السبت ، وأن يلبثوا فيه إلى أن يجتمع الأئمة وسائر العساكر سبع مرات بأشد المحاربة ، فقال في نص التوراة : ويحيطون بالمدينة للقتال ، ويتسورون عليها مرة واحدة ، ويصنعون ذلك في الستة أيام ، ويحمل سبعة أيام سبعة أبواق ، والشمع بين يدي الصندوق ، وفي اليوم السابع يحيطون بالمدينة سبع مرات والأئمة يضربون الأبواق . وفي التوراة يأمر هارون أن يذبح في يوم السبت كبشين أصيلين ابني سنة كاملة ومكيل سميد يعجن بالزيت ، فاعجب لهذا التناقض : كون حكم التوراة أن لا ينقض السبت ، وأى نبي جاءهم بما ينقض شيئاً من أحكامها لا يطاع ، وقد أطاعوا شعياً وهارون فيما نهوا

(١) المقتبل من إقالة البيع وفسخه .

(٢) في م هكذا :

أَوْ أَجْهَلُوا هَارُونَ فِي ذَبْحٍ وَفِي مَجَنٍ وَمَا كَانَ الثَّيِّ جَهُولًا

(٣) في م هكذا :

أَوْ أَخْلَقُوا بِهِمَا الْمَسِيحَ وَأَوْجَبُوا لَهُ حَرِيمَ فِي الْحَالَيْنِ وَالتَّحْلِيلَ

وحلّلوا ما حرمت التوراة مع منعهم النسخ ، وأنكروا على المسيح إحياء الميت في يوم السبت ، وكفروا به ، لأنهم أنكروا مافى الكتابين ولا وافقوا ما فيها وكل من الثلاثة نبى .

* * *

أَفَيَأْتَفُ الْكُفَّارُ أَنْ يَسْتَدْرِكُوا قَوْلًا عَلَى خَيْرِ الْوَرَى مَنَحُولًا
لَادَرَّ دَرُهُمْ فَإِنَّ كَلَامَهُمْ يَذَرُ الثَّرَى مِنْ أَدْمَعِي ^(١) مَبْلُولًا
فَكَأَنَّنِي أَلْفَيْتُ مُقَلَّةً فَاقِدٍ نَكَلَى وَمُوجَعَةً تُصِيبُ عَوِيلًا ^(٢)
[ظَنُّوا بِرَبِّهِمُ الظَّنُّونَ وَرُسُلُهُ وَرَمَوْا إِنَانًا بِالْأَذَى وَفُحُولًا]
إِنْ يَبْخَسُوهُ بِكَيْلٍ زُورٍ حَقَّهُ فَلَا وَسِعَتَهُمُ الْجِزَاءُ مَكِيلًا ^(٣)
وَمِنَ الْغَيْبَةِ أَنْ يُجَازَى إِنْكَامَهُمْ صِدْقِي وَلَسْنَا فِي الْكَلَامِ شُكُولًا ^(٤)

* * *

[تعليق الناظم] :

وفى التوراة : أن ملك الله قال لهاجر : إني أكثر ولدك ، ولا يحصى عددهم لكثرتهم ، وقال لها : إنك حامل ، وستلدن غلاما ، وتدعين اسمه إسماعيل ، فإن الله تعالى قد سمع تعبدك ، ويكون هو وحش الناس ، يده على كل يد ، ويد كل به ، ويحلى على سهمى وأخوته كلهم . وفى نسخة هذا الكلام : ويكون عظيما فى الأمم ، وفى نسخة : وتكون يده فوق الجميع ، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع ، فهذه بشارت بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن إسماعيل لم يحل على سهم

(١) د : أدمع ، وهذه رواية م . (٢) هذه رواية م ، وأما د فهكذا :

فَكَأَنَّنِي بِالْغَيْبِ مُقَلَّةً مَا جَدَ تَلَرُو لِمُوجَعَةٍ تَمَسُّ عَقِيلًا

(٣) م : إن يبخسوا بالكيل زورا حقه . (٤) م يجازى .

إخوته ، ولا بسطوا أيديهم إليه بالخضوع ، ولا كانت يده على أيديهم ، ولا يده على كل يد ، ولا يد كل به ، لأن في التوراة أن إسماعيل وأمه خرجا منفين مطرودين ، ولم يورث إسماعيل مع إسحاق شيئا ، ولم يقل أحد إن إسحاق وولده خضعوا لإسماعيل وولده ، ولم تزل الفتوة والملك في ولده إسحاق ، حتى بعث الله محمدا (ص) فبسط بنو إسحاق حينئذ أيديهم بالخضوع له ، وعلت يده وأيدى بنى إسماعيل على كل يد ، وصارت يد كل بهم ، فكان ذكر إسماعيل مقصود به ولده .

* * *

أَتَرَى الطَّبِيبَ غَدَا يَزُورُ عَلِيْلًا ^(١)	[لَوْ يَصْدُقُونَ لَمَّا أَتَتْ رُسُلُ لَهُمْ
أَرْخَوْا عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ سُدُّوْا	إِنْ أَنْكَرُوا فَضَلَ النَّبِيِّ فَإِنَّمَا
وَكِتَابُهُ أَقْوَى وَأَقْوَمُ قِيْلَا	اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ
وَأَبَى لَهَا وَصَفُ الْكَمَالِ أَفُولَا	طَلَعَتْ بِهِ شَمْسُ الْهِدَايَةِ لِلْوَرَى
جَمَعَتْ ^(٢) فَرَوْعًا لِلْوَرَى ^(٣) وَأُصُولَا	وَالْحَقُّ أَبْلَجُ فِي شَرِيعَتِهِ الَّتِي
طَلَعَ النَّهَارُ فَأَطْفَنُوا الْقِنْدِيلَا	لَا تَذْكُرُوا الْكُتُبَ السَّوَالِفَ عِنْدَهُ
مِنْهَا رُسُومًا قَدْ عَفَتْ وَطُلُولا	دَرَسَتْ مَعَالِمُهَا أَلَا فَاسْتَخْبِرُوا
قَدْ مَّا بِأَحْمَدَ أُمَ ^(٤) يَا إِسْمَاعِيلَا	تُخْبِرُكُمْ التَّوْرَةُ أَنْ قَدْ بَشَّرَتْ
وَعَلَى الْجَمِيعِ لَهُ الْإِيَادِي الطُّوْلَى	وَدَعَتْهُ وَحْشَ النَّاسِ ^(٥) كُلُّ نَذِيَّةٍ

(١) ما بين القوسين زيادة في م .

(٢) د : حفت ، ونظن الصواب ما أثبتناه . (٣) د : للهدى وهذه رواية م .

(٤) د : نفر . (٥) م : الغار .

تَجِدُوا الصَّحِيحَ مِنَ السَّقِيمِ فَطَالَمَا صَدَقَ الْحَبِيبُ هَوَى الْمَحِبِّ نَحُولَا
 مَنْ مِثْلُ مُوسَى قَدْ أُقِيمَ لِأَهْلِهِ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِمْ سِوَاهُ رَسُولَا
 أَوْ أَنَّ إِخْوَتَهُمْ بَنُو الْعِيسَى الَّذِي نَقَلَتْ بَكَارَتُهُ لِإِسْرَائِيلَا
 تَاللهِ مَا كَانَ الْمُرَادُ بِهِ فَتَى مُوسَى وَلَا عِيسَى وَلَا شَمُورِلَا
 إِذْ لَنْ يَقُومَ لَهُمْ نَبِيٌّ مِثْلُهُ مِنْهُمْ وَلَوْ كَانَ النَّبِيُّ مِثْلَا
 طُوبَى لِمُوسَى حِينَ بَشَّرَ بِاسْمِهِ وَلِسَامِيعَ مِنْ فَضْلِهِ مَا قِيلَا
 وَجِبَالُ فَارَانَ الرَّوَاسِي إِنْهَا نَالَتْ عَلَى الدُّنْيَا بِهِ التَّفَضِيلَا

* * *

[تعليق الناظم] :

وكما أن في مواضع كثيرة من التوراة ذكر يعقوب ، والمقصود به ولد يعقوب ، فمن ذلك قوله في السفر الخامس : يا إسرائيل ، لأن تحشى الله ربك ، وتسلك في سبيله ، وتعمل له . فهذا خطاب لبنى إسرائيل باسم أبيهم ، وذلك قوله في السفر الخامس : فسمن إسرائيل وأبر وجمع الأموال ونسى الله الذى خلقه ، وأسخط السيد الذى خلصه وأغضبه بالإنسان إلى ذبح الشياطين . وذلك قوله لقوم موسى : أسمع إسرائيل ثم احفظ واعمل ويحسن إليك ربك ويكرم وينعم . وفي التوراة يقول لإبراهيم وفي إسماعيل : قد سمعتك وباركتك وكرمتك جدا جدا وسيلد اثني عشر عظيما وأعطيه شعبا جليلا . وفي نسخة أخرى : وإسماعيل قد سمعت دعاك فيه ، وباركت عليه ، وعظمته جدا جدا . وفي نسخة طيبا طيبا ، وقل حمدا حمدا ، وسيلد اثني عشر عظيما ، وأجعله لأمة عظيمة ، فهل كانت لإسماعيل أمة عظيمة ، لكن الأمة العظيمة لولده محمد (ﷺ) .

وفي التوراة : فدعا ملك الله هاجر وقال لها : مالك يا هاجر ! لا تخشى ، فإن الله قد سمع صوت الغلام حيث هو ، فقوى فاحمل الغلام وشدى يديك به ، فإننى جاعله لأمة عظيمة ، وفي التوراة هذه بركة موسى التى بارك بنى إسرائيل قبل وفاته قال : جاء الله من طور سيناء ، وأشرق لنا من ساعير ، واستعلن من جبال فاران ومعه ربوة من الطهور من عن يمينه . وفي نسخة : تجلى الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران ، فهذه إشارة نبوة عيسى ومحمد (ﷺ) .

فإن الطور مكان خص الله فيه موسى بمناجاته ، وساعير جبل الشام ، منه ظهرت نبوة المسيح عليه السلام بقرب الناصرة ، وهى البلدة التى ولد فيها ، وفاران مكة لا يخالف فى ذلك أحد من أهل الكتاب .

وفى أقبل السيد من سيناء ، ومن البر تراءى لنا من جبال فاران ومعه الألف من الصالحين ، ومعه كتاب بارى وهو جيم الأجناس وجميع الصالحين فى قبضته ، ومن تدانى من قدميه يصيب من عمله . وفى السفر الخامس من التوراة ، قال الله لموسى بن عمران : إني أقيم لبنى إسرائيل من إخوتهم مثلك ، أجعل كلامى على فيه ، فمن عصاه انتقمته منه . وفي نسخة : والله ربك يقيم نبيا من إخوتك فاسمع له كالذى سألت ربك فى حوريت يوم الاجتماع حين قلت لا أعود أسمع صوت الله ربى لئلا أموت ، فقال الله لى نعم ما قالوا ، وسأقيم لهم نبيا مثلك من إخوتهم وأجعل كلامى فى فيه فيقول لهم كل شئ أمرته ، وأما رجل لم يطع من تكلم باسمى فإنى أنتقم منه .

فإن قلت إن ذلك إنما هو يوشع بن نون ، فقد قال الله فى آخر التوراة : لا يخلف من بنى إسرائيل نبي مثل موسى . وفي نسخة : لا يقوم فى بنى إسرائيل أحد مثل موسى . وفي نسخة أخرى : مثل موسى لا يقوم فى بنى إسرائيل أبدا . وانظر إلى من هم إخوة بنى إسرائيل ، فلا محالة أنهم العرب والروم . فأما بنو إسرائيل فلم يكن منهم نبي سوى أيوب ، وكان قبل موسى بزمان ، فلا يجوز أن يكون هو الذى بشرت به النوراة . فلم يبق إلا العرب فهو محمد (ﷺ) وقد قال الله سبحانه وتعالى فى التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب ، إنه يضع فسطاطه فى وسط بلاد إخوته .

فكنى عن بنى إسرائيل بإخوة إسماعيل ، كما كنى عن العرب بإخوة بنى إسرائيل فى قوله :

سأقيم لبني إسرائيل من إخوانهم مثلك ، ولم يكن يوشع كفؤا لموسى ، بل كان خادما له في حياته، مؤكدا لدعوته بعد وفاته، ولكن كفؤ موسى محمد (ﷺ) فإنه مماثل في نصب الدعوة، والتحدى بالمعجزات، وشرع الأحكام، وإجراء النسخ على الشرائع السالفة . وقوله أجعل كلامي في فمه إشارة إلى محمد (ﷺ) معناه أوحى إليه من غير ألواح ولاصحف، لأنه أوحى لا يقرأ الكتاب، ولا يخطه بيمينه .

* * *

وَاسْتَخْبِرُوا الْإِنْجِيلَ عَنْهُ وَحَازِرُوا مِنْ لَفْظِهِ التَّخْرِيفَ وَالتَّبْدِيلَ

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) ذكر بعض العلماء أن سبب التحريف والتبديل في الإنجيل ، وفساد عقائد النصارى ، أن الحواريين لما توفوا ، وتفرق شمل النصارى ، واختلفت أقوالهم ، واستضعفوا حتى لا يوجد أحد منهم إلا قتل ومثل به ، بعد انقضاء أربعين سنة من رفع المسيح عليه السلام تمادت أعمال دينهم إلى نحو ثلاث مئة سنة ، وقيل مئتين وثلاثا وثلاثين سنة ، وفي ذلك الزمن اضطربت مملكة قسطنطين ملك الروم ، فأراد أن يحملهم على شريعة ينظم بها سلوكهم ، ويؤلف متفرقهم . فاستشار من لديه من أهل النظر ، فوقع اختيارهم على أن يتعبد القوم بطلب دم ، ليكون ذلك أقوى لارتباطهم معه ، ويؤيد بجيشهم في نصره، فوجدوا اليهود يزعمون أن في بعض تواريتهم خبرا عن رجل كان منهم ، هم أن ينسخ حكمة التوراة ، ويتفرد بالتأويل فيها، فعمدوا إليه وهو في نفر ممن تبعه، وظفروا بواحد منهم ، وشهد رجل واحد أنه ذلك المطلوب ، فصلبوه وما عندهم تحقيق أنه ذلك المصلوب بعينه ، إلا أن قدّمهم إياه من حينئذ . فعمد قسطنطين إلى من وجد من أمة عيسى ، وقد اختلفت دعائها بعد المسيح بأربعين سنة ، فاستخرج قسطنطين ما تبقى من

رسم الشريعة بأيديهم ، وجمع عليه وزراءه ، فأثبت ما شاء ، وما رآه موافقا لاختياره ، كالقول بالصلوية ، ليتبعه قومه بطلب دم ، والقول بترك الختان ، لأنه شأن قومه ، وذلك أول شيء أظهره من هذا الأمر ، فجميع أنصاره ورعاياه من الروم ذكر لهم أنه كان يرى في منامه آتيا أتاه ، فيقول له بهذا الرسم تغلب ، وتعرض عليه هيئة صليب ، فأعظم ذلك العامة ، وانفعلت لما سمعت منه . ثم بعث إلى امرأة كانت في ذلك الزمان فيها روح كهانة ، وكانت ذات جأش وقوة ، فشهدت له أنها رأت مثل ما رأى ، وقوى تصديق العامة لذلك ، وفي ذلك كله لا يرون لذلك الرسم تأويلا ، ولا كان قسطنطين كشف لهم شيئا من أمره ، وخرج بهم إلى عدوه ، ووعظهم وهون عليهم أمر الرسم ، فحصل لهم كل ما أرادوا من جد القوم واجتهادهم معه ، فلما عادوا إلى أوطانهم سألوه عن تأويل ذلك الرسم ، ولجوا عليه فيه ، فقال : إنه قد أوحى في نومي أنه كأن الله تبارك وتعالى هبط من السماء إلى الأرض ، وصلبته اليهود ، فهلم ذلك كثيرا مع ما حصل عندهم من تصديقه ، وعظم عليهم الخطب فيه ، وانقادوا إلى قسطنطين انقيادا حسنا ، وصح له منهم ما أراد ، وشرع لهم هذه الشرائع على بعض ما هي عليه ، وقد ظهر للجماعة من أهل العلم في ذلك الزمان غير أولى الشرائع ، أن هذا الشخص الذي تعظمه النصارى وتصفه بالإلهية ، لم يكن وجوده في العالم ، ولكن قسطنطين ابتدع لهم ذلك كله ، واتفق مع نفر من أحرار اليهود وعلمائهم على أن بذل لهم ما شاءوا من متاع الدنيا ، ويشهدون له عند قومه بأن ذلك الشخص كان عند اليهود ، فصلبته ، وأن يضع الأخبار ذلك مسطورا عند اليهود . ففعلت وألفت من أخباره شيئا ، وشهدت أن ذلك القول جميعه بعد صلب ذلك الشخص بسنين قلائل ، فبقيت النصارى على ذلك ، الإحداث في شريعتهم ، مع السماعات بمنامات تدعيها النساء والصبيان ، ومن لا يوثق به يدون ذلك وإبدال ما كان بأيديهم ، ورأوا ما في الإنجيل من إجراء صفات البشرية على المسيح ، فقالوا بالحلول . واختلفوا في تلك العقائد ، وسوغوها بألفاظ فلسفية ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، ولا شهد بها كتاب قبل ذلك . وفي الإنجيل من تناقض

الأقوال، مما يدل على التبديل كثيرا ؛ فمن ذلك قول المسيح : أنا الباب ، فمن دخل على يسلم ويجد فرجا أبدا ، فمن عرّض بمن قتله من الأنبياء فجعلهم لصوصا وسراقا ، فقال آمين آمين ، أقول لكم إنى أنا باب الضأن ، والقادمون عليكم كانوا للصوصا وسراقا ، ولا يقبل اللص إلا ليسرق شيئا ويقتل ، وأنا قدمت لتحيوا وتزدادوا أجرا . وفى الإنجيل منه : إنى كنت أشهد لنفسى ، فشهادتى حق ، لأنى أعلم من أين جئت وإلى أين أذهب . وكيف تكون شهادته حقا وباطلا ، ومقبولة وغير مقبولة ، وكيف يجمع بين هذين فى كتاب ينسب إلى الله تعالى . وفى الإنجيل أنه حين استشعر بوقوف اليهود عليه بظنكم ، قال قد جرعت نفسى الآن ، فماذا أقول يا أبنا ؟ فسلمنى من هذا الوقت ، وأنه حين رفع فى الخشبة صاح صياحا عظيما إلهى إلهى : لماذا تركتنى ؟ وفى موضع آخر من الإنجيل : أنه قال قبل ذلك : من أحب أن يقفو أثرى فليذهب ، فخرض على إتلاف النفوس ، فكيف يجزع مما حرض عليه ؟ أم كيف يكون إلهما ويجزع نفسه ؟ أم كيف يكون ابن الله ويدعوه أن يخلصه من ذلك الوقت ، فلم يستجب له .

وفى الإنجيل عن يوحنا الحواري حين ذكر نسب عيسى عليه الصلاة والسلام من يوسف ابن يعقوب بن يثنا بن أليعازر بن اليود بن أخيم ، وعدّ إلى إبراهيم الخليل تسعة وثلاثين أبا . ثم فى إنجيل لوقا^(١) الحواريّ أنه ابن يوسف بن هالى بن لاوى بن ملجان بن يثنا بن حنان ، وعدّ إلى إبراهيم نيفا وخمسين أبا ، فكيف يقع هذا الاختلاف فى كتاب الله ؟ وفيه أنه كان يوما نهما عن التجارة فى بيت المقدس ، وأن اليهود قالت له يومئذ : أى علامة تظهر لنا ؟ قال : تهدمون هذا البيت وأبنيه لكم فى ثلاثة أيام ، فقالت اليهود بيت بنى فى خمس وأربعين سنة ، تبنيه أنت فى ثلاثة أيام ؟ وفى موضع آخر منه لما ظفرت به اليهود بظنكم ، وحل إلى بلاد عامل قيصر ، واسترعت عليه البنية أن شاهدى زور جاء وقال : هذا يقول أنا قادر على بنيان هذا البيت فى ثلاثة أيام ، اجزلى كيف استخرتم أن تسموها شاهدى زور ، وقد شهد نص كتابكم

(١) ورد نسب عيسى (ح) فى إنجيل لوقا متصلا بآدم (إصحاح ٣) كما ورد مختلفا فى إنجيل متى الإصحاح الأول .

أنه قال ذلك ! فإن قلت إن اليهود ظنوا بهذا القول عما عني عيسى عليه السلام فإن الشاهدين لم يشهدا على تأويل ، إنما شهدا على لفظه وما نطق به لسانه .

ومما هو نص في كتابكم ، وأى تأويل لهذا غير ما يظهر من فحوى مجاوبة اليهود ، من أن البيت المعنى فيه بيت المقدس ، إنما أراد جسمه ، وأنه قام بعد ما صلب بثلاثة أيام . ومن عجيب الأشياء أنكم تأولتم على اليهود في ذلك ما أقررتم أنهم لم يقصدوا له ، وذلك حين قال لهم عيسى اهدموا هذا البيت ، وأبنيه لكم في ثلاثة أيام ، فقالوا : بيت بنى فى خمس وأربعين سنة تبنيه فى ثلاثة أيام ! فقلتم فى معنى ذلك إنها التربة التى صنعت منها الخمسة وأربعون من أقطار الأرض ، وأن الأحرف التى فى ابتداء السطر إذا حصلت وجدت آدم ، وأكتم التصديق بهذا الهذيان الذى لا يؤدى إلى معنى ، بإخراج العدد من اسم آدم حين نزلت حروفه بحساب أبى جاد ، على خمسة وأربعين من العدد ، وأعجب الأشياء من هذا ، ولكن أسلافهم جرى بينهم وبين المسيح هذا المجلس . وفيه أن يحى قال فيه إنه يكثّر ولا ينقص ، وكيف تجوز الزيادة والنقص على من كان إلها . وفيه عن لوقا أن عيسى عليه السلام قال لرجلين من تلاميذه : اذهبا إلى الحصن الذى يقابلكما ، فإذا دخلتماه فتجدان فلوا مربوطا لم يركبه أحد ، فحلاه وأقبلا به إلى . وفيه لمن يذكر أنها كانت حمارة متعبة ، وكفى بذلك شكا . وفيه للوقا يخبر عن المرأة التى صبت الطيب على رجلى عيسى عليه السلام وشق ذلك على التلاميذ ، وقالوا هلا تصدقت به ، وفيه متى : أنها إنما صبت الطيب على رأس المسيح عليه السلام فما أبعد اليقين من كتاب فيه مثل هذا الاختلاف ! وفيه أن أم ابني سيده جاءت إلى عيسى عليه السلام ومعها ابناها ، فقال : ما تريدن ؟ فقالت : أريد أن تجلس ولدى : أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك إذا جلست فى ملكك ، فقال : تجهلين السؤال ، أيصبران على الكأس التى أشربها ؟ فقالا : نصبر ، فقال : سيشربان بكأسى ، وليس إلى تجليسا عن يميني ولا عن شمالي إلا بن وهب ذلك إلى ، فهاهوذا عيسى عليه السلام قد أقر أنه ليس له من الأمر شيء . ومن تناقض إنجيلكم أنه قال : لا تحسبوا أنى قدمت لأصلح

بين أهل الأرض . لم آت بصلاحكم لكن لألقى الحاربة بينكم ، إنما قدمت لأفرق بين المرء وأبيه ، البنت وأما ، حتى يصير أعداء المرء أهل بيته . وفيه عنه أنه قال : لم آت لأقض شريعة من قبلى إنما جئت لأتمم . ثم فيه بعد ذلك نقض التوراة وأحكامها بقوله : أما علمتم أنه قيل للقديما لا تقتلوا ، ومن قتل فقد استوجب القتل ، وأنا أقول كل من سخط على أخيه فقد استوجب العقوبة ، ومن قذف أخاه فقد استوجب النفي من الجماعة ، ومن رماه بالخرق فقد استوجب نار جهنم . أما علمتم ما قد قيل للقديما : من فارق امرأته فليكتب لها كتابا بطلاق ، وأنا أقول لكم من فارق امرأته^(١) منكم فقد جعل لها سبيلا إلى الزنا ، ومن تزوج بمطلقة فهو فاسق ، وقوله : أما بلفظكم^(٢) أنه قد قيل للقديما : العين بالعين ، والسن بالسن ، وأنا أقول لكم : لا تكافئوا أحدا بسيئة . ولكن من لطم خدك الأيمن فانصب له الأيسر ، ومن أراد مغالبتك وانتزاعك قميصك فزده رداك ، ومن سخرك ألف باع فاصحبه مثله ، ومن سأل شيئا فأعطه ، ومن استسلفك شيئا فأسلفه . وفيه لمتى عن المسيح أنه قال ليطرط : طوبى لك يا سمعون بن الحماة وأنا أقول لك إنك الحجر ، وعلى هذا الحجر أبتى بيعتى ، وكلما أخلتته على الأرض يكون محلولاً من السماء ، وما عقدته على الأرض يكون معقوداً فى السماء . ثم فيه بعد أحرف يسيرة : يقول له بعينه : اذهب غنى يا شيطان ، ولا تعارض فإنك جاهل ، فكيف شيطان يطيعه صاحب السماء ؟ وفيه أيضا أنه لم تلد النساء مثل يحيى ، هذا فى إنجيل متى ، ثم فى إنجيل يوحنا أن يحيى بعث إليه من اليهود من يكشف له عن أمره ، فسأله : أهو المسيح ؟ قال : لا ، فقالوا : أنت نبي ؟ قال : لا ، قالوا : أخبرنا من أنت ؟ صوت كلام مناد فى المغار ، إلى كلام كثير ينفي عن نفسه كونه نبيا ، ولا يجوز لنبي أن ينكر نبوته فى هذا الكلام . وقد ذكر عيسى عليه السلام أنه لا يصلح أن يحمل شرك نعله ، وسماه خروف الله ، وأنتم تقولون هو الله ، ولذلك تتأولون من الإنجيل الذى بأيديكم أنه لاني بعده . وفيه أيضا من جهة أخرى أنه يبعث أنبياء فى قوله لليهود : وسأبعث إليكم أنبياء وعلماء وستقتلون منهم وتصلبون وتجلدون فى حماكم

(١) إنجيل متى إصحاح ٥ « وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعل الزنى يجعلها تزنى . ومن

تزوج مطلقة فإنه يزنى » . (٢) إنجيل متى ، الإصحاح الخامس .

وتطلبونهم من مدينة إلى أخرى ، وفي كتبكم أنه كان بعده بأنطاكية أنبياء ، منهم بارينا
 وشمعون ولوقیوس ومانالی ؛ وكذلك في كتبكم أنه قدم أنبياء من بيت المقدس ، وتكلم أحدهم
 وكان يسمى أنحنانوس ، وقال إنه يكون في البلاد فحاجة وقطط شديد ، وفيها أن جرجيس
 الذي كان من بعده وبث إلى ملك الموصل وهو من أهل فلسطين ، وكان أذن لبعض الحواريين
 وأتم القائلون أن لاني بعد المسيح ، وأتم مصدقون نبوة هؤلاء كلهم ، ولم يكن من الذكر
 في الكتب ولا النبوات مثل الذي كفرتم به .

* * *

إِنْ يَدْعُهُ الْإِنْجِيلُ فَارْقُلِيْطُهُ	فَلَقَدْ دَعَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ إِيْلَا
وَدَعَاهُ رُوحَ الْحَقِّ لِلْوَحْيِ الَّذِي	يُتْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيْلَا
وَأَرَاهُ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا إِذَا	أَرْفَعْتُ ^(١) عَنْكُمْ لِلَّهِ مَقُولَا
إِنْ أَنْطَلَقَ عَنْكُمْ يَكُنْ خَيْرٌ لَكُمْ	لِيَجِيْثَكُمْ مَنْ تَرْتَضَوُهُ ^(٢) بِدِيْلَا
يَأْتِي عَلَى اسْمِ اللَّهِ مِنْهُ مُبَارَكٌ	مَا كَانَ مَوْعِدُ بَعْنِهِ مَمْطُولَا
يَتْلُو كِتَابَ الْبَيِّنَاتِ كِتَابَهُ	وَيُرْدُ ^(٣) أُمَثَالِي بِهِ التَّأْوِيْلَا ^(٤)
وَيُفَنِّدُ الْعُلَمَاءَ تَوْبِيْخًا لَهُمْ	وَكِفَاهُمْ بِخَطِيئَتِهِ تَخْجِيْلَا ^(٥)
وَيُزِيحُ مُلْكَ اللَّهِ مِنْكُمْ عَنْوَةً	لِيُبَيِّحَهُ أَهْلَ الثَّقَى وَيُنْفِيْلَا ^(٦)

(١) كذا في الأصل . (٢) كذا في الأصل ، ولعله محرف عن « ترضون » . (٣) د : يرود .

(٤) البيت في م هكذا :

يتلو كتابا بالبيان كتابه وترد أمثالي به التأويلا

(٥) البيت في م هكذا :

من فند العلماء غير محمد مهم وجهل رأيهم تجهيلا

(٦) م : وأزاح ملك الله عنهم عنوة ليبينه أهل الثقى وينفلا

وَمَا شَهِدْتُ لَهُ سِيَّهْدٌ إِلَى إِذَا صَارَ الْعَلِيمُ بِمَا أَتَيْتُ جَهُولًا
يُبْدِي الْحَوَادِثَ وَالْغُيُوبَ حَدِيثُهُ ^(١) وَيَسُوسُكُمْ بِالْحَقِّ جِيلًا جِيلًا
هُوَ صَخْرَةٌ مَارُوحَتٌ صَدَمَتْ فَلَا تَبْعُوا لَهَا إِلَّا النُّجُومَ وَغُولا
وَالْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ فَقَوْمُهُ أَخَذُوا عَلَى الْعَمَلِ الْقَلِيلِ جَزِيلًا
وَالْمُنْحَمِنًا لَا تَشْكُوا إِنَّ أُنَى لَكُمْ فُلَيْسَ بِحَيْثُهُ مَجْهُولًا ^(٢)
وَهُوَ الْمُؤَكَّلُ آخِرًا بِالْكَرَمِ لَا يَخْتَارُ مَالِكُهُ عَلَيْهِ وَكِيلًا

* * *

[تعليق الناظم] :

فمن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الإنجيل وبشارة المسيح عليه السلام قوله : اللهم ابعث الفارقليط يعلم الناس أن ابن الإنسان بشر، وفيه عن يوحنا: الفارقليط ^(٣) لا يبحثكم مالم أذهب، فإذا جاء ولح العالم عن الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً، ولكنه مما يسمع يكلمكم، ويسوسكم بالحق، ويخبركم الحوادث والغيوب .

إلى أن قال عنه : وسيعظمي . وذكر كيف يقهر أصحاب الدنيا، وتمادي في وصفه بكلام بين . وقال هو سيشهد لي كما شهدت له، وأنا أجيبكم بالأمثال، وهو يحكم بالتأويل . وفيه عن يوحنا أن المسيح قال للحواريين : من أبغضني فقد أبغض الرب . ولولا أني صنعت لكم بحضرتي صنائع لم يصنعها أحد، ولم يكن لهم ذنب . ثم قال : فلو قد جاء المنحمن، فهو الذي يرسله إليكم من عند الرب روح القدس، فهو شهيد علي، وأنتم أيضاً لأنكم قديماً كنتم معي . هذا قولي لكم كيلا تشكوا إذا جاء . المنحمن بلسان السريانية، وتفسيره بالرومية: الفارقليط، وهو بالعربية محمد (ﷺ) . وفيه أنه قال

(١) م ، د : يبد الحوادث والغيوب سيبله .

(٢) د : والمنحمن لا تشكون أن فيه . وليس أضرار النجوم وغولا

(٣) الفارقليط : كلمة يونانية معناها محمد .

اليهود، وأنا أقول لكم : لا تروني الآن حتى يأتي من يقولون له مبارك، يأتي على اسم الله . وفيه : إنما النبوة والكتاب إلى يحيى ، ومن بعده يكثر ملك الله وتوجد عنوة . فهذا بشارة بمحمد (ﷺ) في الأرض الذى قهر الأجnas ، وقتل من قتل بالسيف من اليهود، وصابر الكفرة انتقاما من الله . وتكاملت عليهم دماء المؤمنين المتفرقة على الأرض ، من دم هابيل الصالح ، إلى دم يحيى بن زكريا الذى قتلوه عند المذبح آمين آمين . أقول إنه سيأتى جميع ما وصف على هذه الأمة بؤسا ، ثم تقتل الأنبياء ، ورحم من بعث إليك . قد أردت أن أجمع بينك كجمع الدجاجة فرار يحيا تحت جناحيها . وفيه عن متى : أنه الحبس يحيى بن زكريا عليه السلام بعث تلاميذه إلى المسيح ، وقال لهم قولوا له أنت الآتى أم تتوقع غيرك . فأجابهم المسيح ، وقال : الحق اليقين أقول لكم إن لم يقم النساء عن أفضل من يحيى بن زكريا . وأن التوراة وكتب الأنبياء يتلو بعضها بعضا بالنبوة والوحى ، حتى جاء يحيى ، وأما الآن فإن شئتم فافعلوا ، فإن إيليا المزمع أن يأتى . فمن كان له أذنان سامعتان فليسمع . فهذه بشارة محمد (ﷺ) . فإن زعمت أنه إنما بشر بالناس النبى ، فهذا من أعظم الجهل والكذب على الله تبارك وتعالى ، لأن الناس تقدم إرساله إلى قومه وصار إلى الله تعالى قول المسيح عليه السلام إن إيليا مزمع أن يأتى قائل هو الله تعالى . فمجىء الله تعالى هو مجىء رسوله بكتابه وأمره ، كما قال في التوراة جاء الله من طور سيناء ، وفيه أقول لكم إنه سيزاح عنكم ملك الله ، ويعطى الأمة المطيعة العاملة . ثم ضرب مثلا بصخرة ، من سقط على هذه الصخرة سينكر ، ومن سقطت عليه ينهشم . يريد بذلك محمد (ﷺ) من ناوأه وحاربه أظهره الله عليه . وفيه أنه ضرب مثلا للدنيا كمثل رجل غرس كرما وسبخ حوله ، وجعل فيه معصرة ، وشيد فيه قصرا ، ووكل به أعوانا ، وتغرب عنه . فلما دنا أو انقطعاه بعث عبيده إلى أعوانه الموكلين بالكرم . وضرب المسيح مثلا للأنبياء ، ثم لنفسه فى كلام كثير ثم محمد (ﷺ) وجعل الموكل آخر بالكرم ، وأنصح عن أمة محمد (ﷺ) وشرف وكرم .

* * *

وَهُوَ الَّذِي مِنْ بَعْدِ يَحْيَى جَاءَهُمْ إِذْ كَانَ يَحْيَى لِّلْمَسِيحِ رَسِيلًا^(١)

وَسَلُّوا^(١) الزَّبُورَ فَإِنَّ فِيهِ الْآنَ مِنْ
 فَهُوَ الَّذِي نَعَتَ الزَّبُورُ مُقَلِّدًا
 قُرْنَتْ بِهِ بَدَيْتُهُ شَرِيعَةً دِينِهِ^(٢) فَأَرَاكَ أَخَذَ الْكَافِرِينَ وَبَيْسِلًا^(٣)
 فَاضَتْ عَلَى شَفَتَيْهِ رَحْمَةُ رَبِّهِ فَاسْتَشْفَى مِنْ تِلْكَ الشَّفَاهِ عَلِيلًا
 وَلِغَالِبٍ مِنْ حَمْدِهِ وَبِهَائِهِ مَلَأَ الْأَعَادِيَ ذِلَّةً وَخُحُولًا
 فِي أُمَّةٍ خَصَّتْ بِكُلِّ كَرَامَةٍ وَتَفَيَّاتُ ظِلِّ الصَّلَاحِ ظَلِيلًا
 وَعَلَى مَضَاجِعِهِمْ وَكُلِّ ثَنِيَّةٍ كُلُّ يُسْرِ وَيُعْنِي التَّهْلِيلًا^(٤)
 رُهْبَانُ لَيْلٍ أَسْدُ حَرْبٍ لَمْ تَلِجْ إِلَّا الْقَنَا يَوْمَ الْكَرْبَةِ غِيلًا^(٥)
 كَمْ غَادَرُوا الْمَلِكَ الْجَلِيلَ مُقِيدًا وَالْقَرَمَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ مَغْلُولًا^(٦)
 فَالَّهُ مُنْتَقِمٌ بِهِمْ مِنْ كُلِّ مَنْ يَبْنِي عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ عُدُولًا
 أَعْجَبَتْ مِنْ مَلِكٍ رَأَيْتَ مُقِيدًا وَشَرِيفٍ قَوْمٍ عِنْدَهُمْ مَغْلُولًا
 خَضَعَتْ مُلُوكُ الْأَرْضِ طَائِعَةً لَهُ وَغَدَا بِهِ قُرْبَانُهُمْ^(٨) مَقْبُولًا
 مَا زَالَ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مُوَازِرًا وَأَوَّلِي الصَّلَاحِ وَلِلْعَفَاةِ^(٩) بَذُولًا
 لَمْ يَدْعُهُ ذُو فَاقَةٍ وَضُرُورَةٍ إِلَّا وَنَالَ بِجُودِهِ الْمَأْمُولًا
 ذَاكَ الَّذِي لَمْ يَدْعُهُ ذُو فَاقَةٍ إِلَّا وَكَانَ لَهُ الزَّمَانُ مُنِيلاً
 تَبَقَّى الصَّلَاةُ عَلَيْهِ دَائِمَةً فَخُذْ وَصَفَ النَّبِيُّ مِنَ الزَّبُورِ مَقُولًا

* * *

- (١) م : وسل .
 (٢) م : قرنت شريعته يباس يمينه .
 (٣) (٤) وبيل : شديد .
 (٥) ثنية : منحدر .
 (٦) النيل : الأجمة . (٧) القرم : السيد . مغلولا : مقيدا .
 (٨) القرينان : ما يتقرب به .
 (٩) العفاة : جمع عاف وهو المتعرض لطالب الإحسان .

[تعليق الناظم] :

ومن بشارة الزبور به (ﷺ): سبحوا الله تسبيحا جديدا ، سبحوا الذى هيكله الصالحون ،
وليفرح إسرائيل بخالقه صهيون ، من أجل أن الله اصطفى لهم أمة ، وأعطاهم النصر ، وسدد
الصالحين منهم بالكرامة ، ويسبحون الله على مضاجعهم ، ويكبرونه بأصوات مرتفعة ، بأيديهم
سيوف ذات شفرتين ، لينتقم الله بهم من الأمم التى لاتعبده ، ويوثقون ملوكهم بالقيود ، وأشرفهم
بالأغلال . وفيه : تقلد أيها الجبار بالسيف ، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بيمينك ، ومنها مك
مسنونة ، والأم تجرى تحتك .

وفيه : ويجوز من البحر إلى البحر ، ومن منقطع الأنهار إلى منقطع الأنهار ، وتخزله
أهل الجزائر بين يديه على ركبهم ، ويلحق أعداءه بالركب ، وتأتيه ملوك بالقرايين ، وتسجد له ،
وتدين له الأمم بالطاعة والافتقاد ، لأنه يخلص الناس من أقوى منه ، وينقذ الضعيف الذى
لاناصر له ، ويرأف بالضعفاء والمساكين ، وأنه يعطى ذهابا من بلاد شتى ، ويصلى عليه فى كل
وقت ، ويدوم أمره إلى آخر الدهر . وفى الزبور : أن الله أظهر من صهيون إكليل محمود ،
والإكليل ضرب مثلا للرياسة ، والحمود اسم محمد . وفى الزبور : يقول الله تعالى لداود عليه السلام
سيولد لك ولد أدعى له أبا ، ويدعى لى ابنا ، فقال داود : اللهم ابث جاعل السنة ؛ كيما يعلم الناس
أنه بشر . فانظر إلى قول داود حين راعه ذلك ، وخاف أن يدعى ولده إلها : اللهم ابث جاعل
السنة ، ليعلم الناس أنه بشر ، وكذلك قال المسيح فى الإنجيل : اللهم ابث الفارقليط ، ليعلم
أن ابن الإنسان بشر .

* * *

وَكِتَابُ شَعْيَا مُخْبِرٌ عَنْ رَبِّهِ فَاسْمَعُهُ يَفْرَحُ قَلْبُكَ الْمُتَبَوِّلَا
عَبْدِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي وَمَنْ وَخِي عَلَيْهِ مُنْزَلُ تَنْزِيلَا

لَمْ أُعْطِ مَا أُعْطِيَتْهُ أَحَدًا مِنَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَحَسْبُهُ تَنْوِيلًا
يَأْتِي فَيُظْهِرُ فِي الْوَرَى عَدْلِي وَلَمْ يَكُ بِالْهَوَى فِي حُكْمِهِ لِيَمِيلًا
إِنْ غَضَّ مِنْ بَصَرٍ وَمِنْ صَوْتٍ فَمَا غَضَّ التَّقَى وَالْفَضْلُ مِنْهُ كَلِيلًا
فَتَحَّ الْعِيُونَ الْعُورَ لَكِنَّ الْعِدَا عَنْ فَضْلِهِ صَرَفُوا الْعِيُونَ الْخُولا
أَحْيَا الْقُلُوبَ الْغُلْفَ، أَسْمَعَ كُلَّ ذِي صَمَمٍ وَكَمْ دَاءَ أَرَالَ دَخِيلًا
يُوصِي إِلَى الْأُمَمِ الْوَصَايَا مِثْلَهَا يُوصِي الْأَبُ الْبَرَّ الرَّحِيمُ سَلِيلًا
لَا تُضْحِكُ الدُّنْيَا لَهُ سِنًا وَمَا لَمْ يُوْتِ مِنْهَا عَدَهُ تَنْوِيلًا^(١)
مَنْ غَيْرُ أَحْمَدَ جَاءَ يَحْمَدُ رَبَّهُ خَدًّا جَدِيدًا بِالْمَزِيدِ كَفِيلًا
وَكِتَابُهُ مَا لَيْسَ يُطْفَأُ نُورُهُ وَالْحَقُّ مُنْقَادٌ إِلَيْهِ ذُلُولًا^(٢)
خَصَمَ الْعِبَادَ بِحُجَّةِ اللَّهِ الَّتِي أُمْسَى^(٣) بِهَا عُذْرُ الْوَرَى مَتْبُولًا^(٤)
فَرِحَتْ بِهِ الْبَرِّيَّةُ الْقُصُوى وَمَنْ فِيهَا وَفَاضَلَتْ الْوُعُورُ سُهُولًا
فَزَهَتْ وَنَالَتْ حُسْنَ لُبْنَانٍ^(٥) الَّذِي لَوْلَا كَرَامَةُ أَحَدٍ مَا نِيلَا
مُلِيتُ مَسَاكِينَ آلٍ قِيدَارٍ بِهِ عِزًّا وَطَابَتْ مَنَزِلًا وَتَزِيلًا^(٦)

* * *

[تعليق الناظم] :

ذكر ما ورد في كتاب شُعْبَا عَلَيْهِ السَّلَام من البشارة بِمُحَمَّدٍ (ﷺ) قوله : عبدی الذی
سرت به نفسی، أنزل وحی، فیظهر فی الأمم عدلی، ویوصیهم الوصایا، لا یضحک ولا یسمع صوته

(١) التَّنْوِيلُ : المَعْنَاءُ . (٢) م : ذَلِيلًا . وَالذُّلُولُ : السَّهْلُ الْانْقِيَادُ . (٣) م : م : أَضْحَى .
(٤) مَتْبُولًا : مَقْطُوعًا . (٥) د : تَبْيَانٌ وَالتَّصْحِيحُ مِنْ م . (٦) م : وَتَزُولًا .

في الأسواق ، يفتح العيون العور ، والآذان الصم ، ويحيي القلوب الغلف ، وأعطيه مالم أعط أحدا ، يسبح بحمد الله حمدا جديدا ، ويأتي من أقصى الأرض ، يفرح البرية ، وسكانها يهللون لله على كل مشرف ، ويكبرونه على كل رابية ، لا يضعف ولا يغلب ، ولا يميل إلى الهوى ، ولا يذل الصالحين الذين هم كالعصبة الضعيفة ، بل يقوى الصديقين ، وهو ركن المتواضعين ، وهو نور الله الذي لا يطفأ ، أثر سلطانه على كتفيه . هذه ترجمة السريانيين ، وترجمة اليونانيين : على كتفه علامة النبوة ، وقوله يسفح هو محمد (ﷺ) بلسان السرياني ، والسفح عندهم : الحمد .

* * *

جَعَلُوا الْكَرَامَةَ لِلْإِلَهِ فَأَكْرَمُوا	فَاللَّهُ يَجْزِي بِالْجَمِيلِ جَمِيلًا
وَلِبَيْتِهِ الْحَرَمِ الْحَرَامِ طَرِيقَهُ	يَتَلَوُ رَعِيلَ الْمُخْلِصِينَ رَعِيلًا
لَا تَخْطُرُ الْأَرْجَاسُ فِيهِ وَلَا يَرَى	مُخْطَاطُهُمْ فِي أَرْضِهِ تَنْقِيًا
كَتِفَاهُ بَيْنَهُمَا عِلَامَةٌ مُلْكِهِ	لِلَّهِ مُلْكٌ لَا يَزَالُ أَثِمًا
مَنْ كَانَ مِنْ حِزْبِ الْإِلَهِ فَلَمْ يَزَلْ	مِنْهُ بِحُسْنِ عِنَايَةٍ مَشْمُولًا
هُوَ رَاكِبُ الْجَمَلِ الَّذِي سَقَطَتْ بِهِ	أَصْنَامُ بَابِلَ قَدْ أَتَاكَ دَكِيلًا ^(١)

* * *

[تعليق الناظم :

ومن كتاب شفاء عليه السلام : أتت أيام الاعتقاد ، أتت أيام الكمال ، ثم قال : لتعلموا يا بني إسرائيل الجاهلين أن الذي تسمونه ضالا هو صاحب النبوة ، تفرعون ذلك على كثرة

ذنوبكم وعظم فجوركم . ومن كتاب شَعْبِيَا : قيل لى قم فانظر ما ترى فأخبر به ، فقلت : أرى راكبين مقبلين ، أحدهما على حمار ، والآخر على جمل ، يقول أحدهما لصاحبه سقطت بابل وأصنامها . ومن كتاب شَعْبِيَا : لأرفعنّ علما بجميع أهل الأرض يظفروهم فى أقاصى البلاد ، فإذا هم سراع يأتون ، يريد به النبي صلى الله عليه وسلم ، ودخول الناس فى دين الله أفواجا ، وحجهم البيت الحرام من أقاصى الأرض .

ومن كتاب شَعْبِيَا عليه السلام يصف أمة النبي (ﷺ) : يدوسون الأمم كدياس البيادر بفدان ، ليهزموا بين سيوف مسلولة ، وقسى موتورة من شدة الملحمة : إشارة لانهمزام العرب ببدر ، ثم آمنوا بالنبي (ﷺ) فداسوا به الأمم كدياس البيادر .

* * *

وَالْعَرَسُ فِي الْبَدْوِ الْمُشَارِ لِفَضْلِهِ ^(١) إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُهُ فَسَلْ حَزْقِيلَا (١)
عُرِسَتْ بِأَرْضِ الْبَدْوِ مِنْهُ دَوْحَةٌ لَمْ تَخْشَ مِنْ عَطَشِ الْفَلَاةِ ذُبُولَا
فَأَتَتْكَ فَاضِلَةُ الْفُصُوفِ وَأُخْرِجَتْ نَارًا لِمَا عَرَسَ الْيَهُودُ أَكُولَا
ذَهَبَتْ بِكَرَمَةٍ ^(٢) قَوْمٌ سَوَاءٌ ذُلَّتْ بِيَدِ الْغُرُورِ قُطُوفُهَا تَذَلِيلَا
وَسَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّتِي قَدْ أُيِّدَتْ ^(٣) قِيدَارَ تَبْدِي الْعِلَّةِ الْمَعْلُولَا

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) بشارة حزقيل النبي عليه السلام بمحمد (ﷺ) : فمن ذلك قصة ذكر فيها ظهور اليهود

(١) د : بفضلته والتصحيح عن م . (٢) د : بكرم والتصحيح عن م . (٣) د : قيدت .

وكفراهم النعمة ، فشبههم بالكرمة ، ثم قال : إني بلوت تلك الكرمة : إن قلت بالسخطة ، ورمى بها على الأرض ، فخرقت السماء ، فعند ذلك غرس غرسته في البدو ، أو في الأرض المهملة العطشى ، فخرجت من أغصانها الفاضلة نار ، فأكلت تلك الكرمة ، حتى لم يوجد فيها قضيب .

ومن كلام حزقيل إخبارا عن الله تعالى : إني مؤيد قيدار بالملائكة ، وقيدار هو ابن إسماعيل ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

* * *

وَسَلَّمَ حَبَقُوقَ الْمُصْرَحَ بِاسْمِهِ وَبَوَصَّفِهِ وَكَفَى بِهِ مَسْئُولًا^(١)
إِذَا أَوْصَلَ الْقَوْلَ الصَّرِيحَ بِذِكْرِهِ لِلْسَّامِعِينَ فَأَحْسَنَ التَّوَصُّيلَا
وَالْأَرْضُ مِنْ تَحْمِيدِ أَحْمَدَ أَصْبَحَتْ وَبُنُورِهِ عَرْضًا تُضِيءُ وَطُولَا
رَوَيْتَ سِهَامَ مُحَمَّدٍ بِقِسِيَّةٍ وَغَدَا بِهَا مَنْ نَاضَلَتْ مَنُضُولَا

* * *

[تمليق الناظم] :

من كتاب^(٢) حبقوق النبي (ع) يبشر برسول الله (ص) : جاء الله من تيمان ، وظهر قدس على جبال فاران ، وامتلات الأرض من تحميد أحمد وتقديسه ، وملك الأرض بيمينه ، وأضاءت الأرض بنوره ، وحملت خيله في البحر ، وملك رقاب الأمم . ومن صحف حبقوق : يضيء بنوره الأرض وسينزع في قسيك أعراب ، وترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء . ومن كلامه : إذا جاءت الأمة الأخيرة يسبح صاحب الجمل (أو قال راكب الجمل) تسبيحا جديدا في الكنائس الجدد . ففرحوا وسيروا في الأرض إلى صهيون يعلنون أمته بأصوات عالية بالتسبيحة الجديدة

(١) د : وسلوا وعده عن م . (٢) رجعتا إلى سفر حبقوق فلم نجد هذا الكلام .

التي أعطاها الله في الأيام الأخيرة ؛ أمة جديدة ، بأيديهم سيوف ذات شفرتين ، فينتقمون من الأمم الكافرة في جميع أقطار الأرض ، وهذا تصريح لا يحتاج إلى تفسير .

* * *

وَاسْمَعْ بِرُؤْيَا بُخْتَنْصَرَ وَالتَّمَسْ مِنْ دَانِيَالَهَا إِذَنْ تَأْوِيلًا
وَسَلَوُهُكُمْ تَمْتُدُّ دَعْوَهُ بَاطِلٍ لِنَزِيحِ عِلَّةٍ مُبْطِلٍ وَتُزِيلًا

* * *

[تعليق الناظم] :

كان بختنصر قد رأى رؤيا^(١) ، فأحضر دانيال النبي (ع) وسأله أن يخبره عن منامة رآها وتأويلها ، فقال له : رأيت صنما بارع الجمال ، أعلاه من ذهب ، ووسطه من فضة ، وأسفله من نحاس ، وساقاه من حديد ، ورجلاه من فخار ، فبينما أنت تنظر إليه وقد أعجبك ، إذ دقه الله بحجر من السماء ، ففُضرب رأس الصنم ، فطحنه ، حتى اختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديدته وفخاره ، ثم إن الحجر ربا وعظم ، حتى ملأ الأرض كلها ، فقال له بختنصر : صدقت ، فأخبرني بتأويلها ، فقال له دانيال : أما الصنم فأمم مختلفة في أول الزمان وفي وسطه وفي آخره ؛ فالرأس من الذهب : أنت أيها الملك ، (والفضة : ابنك من بعدك ، والنحاس : الروم ، والحديد : الفرس ، والفخار : أمتان ضعيفتان تملكهما) امرأتان باليمن والشام ، والحجر : هو دين نبي وملك أبدى ، يكون في آخر الزمان ، يغلب الأمم كلها ، ثم يعظم ، حتى يملأ الأرض كلها ، كما ملأها ذلك الحجر^(٢) .

وفي صفح دانيال (ع) وقد بعث الكذابين ، فقال : لا تتم دعوتهم ، ولا يتم قربانهم ، وأقسم الرب بساعده أن لا يظهر الباطل ، ولا يقوم كاذب . ليسرع كاذب ، دعوة الرب ثلاثون سنة ، وهذا أول دليل على الجاحدين لنبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

* * *

(١) دانيال لإصحاح ٢ . (٢) ما بين القوسين لا وجود له في النسخ المطبوعة .

وَأَرْمِ^(١) الْعِدَا بِبَشَائِرٍ عَنْ أَرْمِيا إِذْ كَفَّ نَبْلُ كِنَانِهِ مَتَّبُولًا
 إِذْ قَالَ قَدْ قَدَّسْتُهُ وَعَصَمْتُهُ وَجَعَلْتُ لِلْأَجْناسِ مِنْهُ رَسُولًا
 وَجَعَلْتُ تَقْدِيسِي^(٢) قُبَيْلَ وَجُودِهِ وَعَدًّا عَلَى كِبَعْنِهِ مَفْعُولًا^(٣)
 وَحَدِيثُ مَكَّةَ قَدْ رَوَاهُ مُطَوَّلًا شَعِيًا فَخَذَهُ وَجَانِبِ التَّطْوِيلَا
 إِذْ رَاحَ بِالْقَوْلِ الصَّرِيحِ مُبَشِّرًا بِالنَّسْلِ مِنْهَا عَاقِرًا مَعْضُولًا
 وَتَشَرَّفَتْ بِاسْمِ جَدِيدٍ فَادَّعَاهَا حَرَمَ الْإِلَهِ بَلَّغَتْ مِنْهُ السُّوْلَا
 فَتَنَبَّهَتْ بَعْدَ الْحَوْلِ وَكَلَّتْ أَبْوَابُهَا وَسُقُوفُهَا تَكْلِيلًا

[تعليق الناظم] :

من كتاب^(٤) إرميا قوله : قبل أن أخافك فقد عصمتك ، من قبل أن أصورك في البطن
 قدستك وجعلتك نبيا للأجناس . هذه بشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه لم يبعث
 للأجناس غيره .

وفي الإنجيل من كلام المسيح لم أبعث إلى الأجناس ولكن إلى الغنم الرابضة من نسل
 إسرائيل . وقال للحواريين : لا تسلكوا في سبيل الأجناس ولكن احضروا إلى الغنم الرابضة
 من نسل إسرائيل .

(١) د : وَأَتِ الْعِدَا بِبَشَائِرٍ عَنْ أَرْمِيا إِذْ كَفَّ نَبْلُ كِنَانِهِ مَتَّبُولًا
 وهذه رواية م . ومتبولا : مقطوعا . (٢) د : تَقْدِيسِهِ وَالتَّصْحِيحُ عَنْ م . (٣) م : مَسْئُولًا .
 (٤) الذي في سفر إرميا الإصحاح الأول هو : « قبلما صورتك - والخطاب من الله لارما - في البطن عرفتك ،
 وقبلما خرجت من الرحم قدستك . جعلتك نبيا للشعوب » .

وَنَاتُ عَنْ الظُّلْمِ الَّذِي لَا يَبْتَغِي
حَرَمٌ عَلَى حَمْلِ السَّلَاحِ مُحَرَّمٌ
وَتَخَالُ مِنْ تَخْرِيمِ حُرْمَتِهِ الْعِدَا
لَمْ يَتَّخِذْ بَيْتٌ سِوَاهُ قِبْلَةً
وَبَنُو نَبَايَتٍ لَمْ تَزَلْ خُدَامُهَا
جُمِعَتْ لَهُ أَغْنَامُ قَيْدَارِ الَّتِي
فَنَمَتْ وَأُمِّنَ خَوْفُهَا وَعَدُوُّهَا
خِلَاضِهِ شَيْبُ الزَّمَانِ نَصُولًا^(١)
فَكَأَنَّمَا يَسْقِي السُّيُوفَ قُلُولًا
عُزْلًا وَإِنْ لَبِسُوا السَّلَاحَ وَمِيلًا^(٢)
فَارْدَدَ بِذَلِكَ لِمَا أَقُولُ قَبُولًا
لَا تَبْتَغِي عَنْهَا لَهُمْ تَحْوِيلًا
قَدْ كَانَ مِنْهَا ذِيحُ إِسْمَاعِيلَا
قَدْ بَاتَ مِنْهَا خَائِفًا مَهْزُولًا

* * *

[تعليق الناظم] :

ومن كتاب شعنا يذكر مكة شرفها الله تعالى قوله : فقد أقسمت نفسي كقسمى أيام نوح :
لأغرقن الأرض بالطوفان . كذلك أقسمت لا أسخط عليك ولأبين فضلك ، وأن الجبال
تزلزل ، والقلاع تنحط ، ورحمتي عليك لا تزول ، يأسكينة يامضطهدة ، مبانك بالحجارة ، وتربتك
بالجوهر ، وملكتك بالمولو ، وسقفك بالزبرجد وأبوابك . وتبعدين من الظلم فلا تخافين .
وكل سلاح يصنعه صانع لا يعمل فيك . وكل لسان يقوم معك بالخصومة . ويسميك الله اسما
جديدا . فقولى واشرفى ، فإنه قد دنا نورك ، ووقار الله عليك . انظرى بعينك فإنهم مجتمعون
حولك ، يأتون بنيك وبناتك عدوا ، فحينئذ تشرقين وتزهرين ، ويخاف عدوك ، ويشبع قلبك .
وكل غنم قيدار تجتمع إليك . وسادات نبات يخدمونك ، وتفتح أبوابك دائما بالليل والنهار ،
ويتخذونك قبلة ، وتدعين بعد ذلك مدينة الرب . فهذا خطاب لمكة ، وقيدار بن إسماعيل .
والاسم الجديد الذى سميت به الكعبة هو البيت الحرام ومدينة الرب حرم الله . وكل سلاح
يصنعه صانع لا يعمل فيك ، إشارة إلى أمن الحرم . وقوله غنم قيدار تصريح بالهدى الجلوب إليها

(١) نصولا : من نصل أى خرج من الخطاب . (٢) ميلا : الأصيل الذى لا سلاح معه .

في الحج والعمرة . وسادات نبايت يخدمونك: يعنى سدنة الكعبة، وهم من ولد نبايت بن قيدار ابن إسماعيل ، واتخذها قبلة : غاية التصريح .

ومن كتاب شعيا (ع) أيها العاقر: قومي فأضيئي، فإنه قد دنا ضياؤك، وكرامة الرب عليك تظهر، لأن الظلمة قد غطت الأرض، و عليك يتجلى، وكرامة الرب عليك، تجيء الشعوب والملوك، ضوءك والنور المنظور عليك مدى نظرك إلى حدودك، فانظري إلى الجميع يتحزون ويأتون إليك عن بعد هنالك، فتضيئين وتفرحين، من أجل أنه يأتيك أقوياء الشعوب، وقوافل الجمال تغشاك، والأغنياء يأتون بالذهب، والكومان يحملونه بتسييح الرب، وجميع غنم قيدار تجتمع إليك . هذا قول الرب القوى .

ومن كتاب شعيا (ع) أيها العاقر افرحى واجهرى وانطقى بالتسييح، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلى، إشارة إلى مكة فإنها عاقر، لأنها بواد غير ذى زرع، ولم يخرج منها نبى قبل ذلك غير إسماعيل ، ولم يكبر ولد بها .

* * *

وَكَلَامُ شَمْعُونِ النَّبِيِّ تَخَالَهُ	لِكَلَامِ مُوسَى قَدْ أَتَى تَذْيِيبًا لَا
وَجَمِيعُ كُتُبِهِمْ عَلَى عِلَائِهَا	نَطَقَتْ بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ تَعْلِيلًا
لَمْ يَجْهَلُوهُ غَيْرَ أَنْ سَيُوفَهُ	أَبَقَتْ حُقُودًا عِنْدَهُمْ وَذُحُولًا ^(١)
فَاسْمَعْ كَلَامَهُمْ وَلَا تَجْعَلْ عَلَى	مَاحِرَفُوا مِنْ كُتُبِهِمْ تَعْوِيلًا
لَوْلَا اسْتَحْيَا لَهُمْ لَمَّا أَلْفَيْتَنِي	لَكَ بِالذَّلِيلِ عَلَى الْغَرِيمِ مُحِيلًا
أَوْ قَدْ جَهِلْتَ مِنَ الْحَدِيثِ رِوَايَةً	أَمْ قَدْ نَسِيتَ مِنَ الْكِتَابِ نَزُولًا
فَانْزُكْ جِدَالَ أَخِي الضَّلَالِ وَلَا تَكُنْ	بِإِثْمٍ مَنْ لَا يَهْتَدِي مَسْغُولًا
مَالِي أُجَادِلُ فِيهِ كُلَّ أَخِي عَمِي	كَيْمَا أَقِيمَ عَلَى النَّهَارِ دَلِيلًا

(١) ذحولا : جمع ذحل ، وهو الحقد والمهارة .

واضرف إلى مدح النبي محمد
قولا غدا عن غيره معدولا
فإذا حصلت على الهدى بكتابه
لا تبغ بعد لغيره تحصيلا
ذكر به ترقى إلى رتب العلا
فتخال حامل آية محمولا
يذر المعارض ذا الفصاحة الكنا
في قوله وأخا الحجا^(١) محبولا
لا تنصين له حبال معانيد
فترى بكفة آفة محبولا^(٢)
إن كنت تنكر معجزات محمد
يوما فكن عما جهلت سؤلا

* * *

[تعليق الناظم :

ومن كتاب شعيا (ع) : بحق أقول لكم ، لأعطين البادية كرامة لبنان وبيت المقدس ،
وتشقها مياه وقصور وإيوان في الأرض القلاة . وأجعل هناك طريقا حراما ، لا يمر به أنجاس الأمم ،
ويكون هناك طريق الخلف .

ومن صحف شعيا (ع) : ليفرح أهل البادية العطشى ، ولتبتهج البوادي والفلوات ، لأنها
ستعطى بأحمد محاسن لبنان ، وكمثل حسن الدساكر والرياض .

ومن كلام شمعون : جاء الله بالبيان من جبال فاران ، وامتلات السموات والأرض من
تسيحه وتسييح أمته ، يعني حكي موسى في قوله جبال فاران .

* * *

شهدت له الرسل الكرام وأشفقوا
من فاضل يستشهد الفضولا
قارنت نور النيرين بنوره
قرايت نور النيرين ضيلا

(١) الجحى : العقل . (٢) محبولا : مربوطا بالحبل .

وَنَسَبْتُ فَضْلَ الْعَالَمِينَ لِفَضْلِهِ
وَأَرَانِي الزَّمَنُ الْجَوَادَ بِجُودِهِ
مَازَالَ يَرْقَى فِي مَوَاهِبِ رَبِّهِ
حَتَّى انْتَهَى أَغْنَى الْوَرَى وَأَعَزُّهُمْ
بَثَّ الْفَضَائِلَ فِي الْوُجُودِ فَمَنْ يُرِدْ
فَالشَّمْسُ لَا تُغْنِي الْكَوَاكِبُ جُمَّلَهُ
سَلَّ عَالَمَ الْمَلَكُوتِ عَنْهُ فَخَيْرُ مَا
فَنِ الْمُخْبِرُ عَنْ عَلَا مِنْ دُونِهَا
فَلَوْ اسْتَمَدَّ الْعَالَمُونَ عُلُومَهُ
فَتَلَقَّ مَا تَسْطِيعُ مِنْ أَنْوَارِهِ
فَلَرَجَا أَلْقَى عَلَيْكَ كِتَابَهُ
ذَلِكَ الَّذِي رَفَعَ الْهُدَى بِيَمِينِهِ
أَوْ مَا تَرَى الدِّينَ الْخَنِيفَ بِسَيْفِهِ
وَالشَّرَّكَ رِجْسٌ فِي الْأَنَامِ وَخَيْرُ مَا
دَاعٍ بِأَمْرِ اللَّهِ أَسْمَعَ صَوْتُهُ الشُّقْلَيْنِ حَتَّى ظَنَّ إِسْرَافِيلاً
لَمْ يَدْعُهُمْ إِلَّا لِمَا يُحْيِيهِمْ
تَحَدُّوْا عَزَائِمُهُ الْعِبَادَ كَأَنَّمَا
يُهْدَى إِلَى دَارِ السَّلَامِ مَنْ اتَّقَى
وَيَظْلُ يُهْدَى لِلْجَحِيمِ بِسَيْفِهِ
فَنَسَبْتُ مِنْهُ إِلَى الْكَثِيرِ قَلِيلاً
لَمَّا وَزَنْتُ بِهِ الزَّمَانَ بَخِيلًا
وَيُنَالُ فَضْلًا مِنْ لَدُنْهُ جَزِيلاً
يَنْفَادُ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ ذَلِيلًا
فَضْلًا يَزِدُّهُ بِفَضْلِهِ تَفْضِيلًا
فِي الْفَضْلِ مَغْنَاهَا وَلَا تَفْصِيلًا
سَأَلَ الْخَبِيرُ عَنِ الْجَلِيلِ جَلِيلًا
ثَلَّثَ الْبُرْقَ وَأَخْرَجَ جِبْرِيلًا
مَدَّهُمْ الْقَطَرَاتُ مِنْهُ سَيْوِلًا
إِنْ كَانَ رَأْيُكَ فِي الْفَلَاحِ أَصِيلًا
قَوْلًا مِنَ السَّرِّ الْمَصُونِ ثَقِيلًا
عَلَمًا وَجَرَّدَ صَارِمًا مَصْقُولًا
جَعَلَ الطُّهُورَ لَهُ دَمًا مَطْلُولًا^(١)
أَلْفَيْتُهُ بِدَمِ الْعِدَا مَغْسُولًا
دَاعٍ بِأَمْرِ اللَّهِ أَسْمَعَ صَوْتُهُ الشُّقْلَيْنِ حَتَّى ظَنَّ إِسْرَافِيلاً
لَمْ يَدْعُهُمْ إِلَّا لِمَا يُحْيِيهِمْ
تَحَدُّوْا عَزَائِمُهُ الْعِبَادَ كَأَنَّمَا
يُهْدَى إِلَى دَارِ السَّلَامِ مَنْ اتَّقَى
وَيَظْلُ يُهْدَى لِلْجَحِيمِ بِسَيْفِهِ
فَنَسَبْتُ مِنْهُ إِلَى الْكَثِيرِ قَلِيلاً
لَمَّا وَزَنْتُ بِهِ الزَّمَانَ بَخِيلًا
وَيُنَالُ فَضْلًا مِنْ لَدُنْهُ جَزِيلاً
يَنْفَادُ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ ذَلِيلًا
فَضْلًا يَزِدُّهُ بِفَضْلِهِ تَفْضِيلًا
فِي الْفَضْلِ مَغْنَاهَا وَلَا تَفْصِيلًا
سَأَلَ الْخَبِيرُ عَنِ الْجَلِيلِ جَلِيلًا
ثَلَّثَ الْبُرْقَ وَأَخْرَجَ جِبْرِيلًا
مَدَّهُمْ الْقَطَرَاتُ مِنْهُ سَيْوِلًا
إِنْ كَانَ رَأْيُكَ فِي الْفَلَاحِ أَصِيلًا
قَوْلًا مِنَ السَّرِّ الْمَصُونِ ثَقِيلًا
عَلَمًا وَجَرَّدَ صَارِمًا مَصْقُولًا
جَعَلَ الطُّهُورَ لَهُ دَمًا مَطْلُولًا^(١)

حتى يقول الناس أتعب مالكا
 فاسمع شأئله التي ذكرى لها
 من خلقه القرآن جل ثاؤه
 وإذا أنت آياته بمدح
 إن امرأ متبتلا ببنائه
 إلى لاورد ذكره لتعطى
 والنيل يذكركى كريم بنائه
 من لى باني من بنان محمد
 من راحة هي في السماحة كوثر
 سارت بطاعتها السحاب كأنما
 أنى دعا وأشار متبتلا بها
 وأظنه لو لم يرد إقلاعه
 وكم اشتكت بلد أذاه فالبيت
 يارحمة للعالمين ألم يكن
 إذ قام عمك في الورى مستسقى
 ورفعت عام الفيل عنهم فتنة
 بسحاب الطير الأبايل التي
 ففدوك مولودا وقيت نفوسهم
 حتى إذا ماقت فيهم منذرا

بحسامه وأراح عزرائلا
 قد كاد تحسبه القول شولا^(١)
 عن أن يكون حديثه مملولا
 رتلت منها ذكره ترتيبا
 متبتل لإله تبتتلا^(٢)
 فإخال أنى قد وردت النىلا
 فاطيل من شوقى له التقبيل
 بالأم نلت المنهل المغسولا
 لكن واردها يزيد غليلا^(٣)
 أمرت بما تختار ميكائلا
 لمياه مزن ما يزال هطولا
 لآتى يسيل ما يصب مسيلا
 بدعائه من صخرة إكليلا
 طفلا لضر العالمين مزيلا
 كادت تجر على البطاح ذيولا
 ألفت فيها التابعين الفيلا
 جادتهم مطار الردى سجيلا
 شيبا وشبانا معا وكهولا
 أبدوا إليك عداوة وذحولا

(١) شأئله : خلقه . شولا : خيرا . (٢) متبتل ببنائه : انقطع لمداحه ، وأخلص فيه .

(٣) الغليل : المعطر .

فَلَقَيْتَهُمْ قَرَدًا يَعْزِمُ مَا أَنْذَنِي
وَوَكَلْتَ أَمْرَكَ لِلْإِلَهِ وَيَا هَا
وَأُطَلَّتْ فِي مَرْضَاةِ رَبِّكَ سُخْطَهُمْ
وَوَطِّقْتَ يَلْفَاكَ الصَّدِيقُ مُعَادِيًا
وَدَعَوْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنَ الْهُدَى
وَأَقَمْتَ ذَاكَ الْعَضْبَ فِيهِمْ قَاضِيًا
فَطَفِقْتَ لَا تَنْفَكُ تَتْلُو آيَةً
حَتَّى قَضَى بِالنَّصْرِ دِينَكَ دِينُهُ
وَعَنْتَ لِسْطَوْنِكَ الْمُلُوكُ وَلَمْ تَزَلْ
لَمْ تَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فِي أَمْرٍ وَلَمْ
اللَّهُ أُعْطِيَ الْمُسْطَفَى خُلُقًا عَلَى
عَمَرِ الْبَرِيَّةِ عَدْلُهُ فَصَدِيقُهُ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ حِفْظَ وَلِيِّهِ
عُرِضَتْ عَلَيْهِ جِبَالُ مَكَّةَ عَسْجَدًا
رَكِبَ الْحِمَارَ تَوَاضَعًا مِنْ بَعْدِ مَا
أَمْعَنِي أَنْيَ أُطِيلُ مَدِيحَهُ
إِنِّي تَرَكْتُ مِنَ الْكَلَامِ نُحَالَهُ
مَاذَا عَلَى مَنْ مَدَّ حَبْلَ مَدَامَحٍ
قَيْدَتُهُ بِالنَّظْمِ إِلَّا أَنَّهُ

يَوْمًا وَحُسْنِ تَصَرُّ مَاعِيَلَا
ثِقَةً يَنْصُرِ مَنْ اتَّخَذَتْ وَكِيَلَا
فَجَرَعَتْ مِنْهُمْ عِلْقَمًا مَغْسُولَا
وَالسَّلْمُ حَرْبًا وَالنَّصِيرُ خَذُولَا
وَهَزَزْتَ فِيهِمْ صَارِمًا مَسْأُولَا
وَنَصَبْتَ تِلْكَ الْبَيِّنَاتِ عُذُولَا^(١)
فِيهِمْ وَتَحْسِمُ بِالْحُسَامِ تَلِيلَا^(٢)
وَعَدَا لِدِينِ الْكَافِرِينَ مُزِيلَا
بِرًّا رَحِيمًا بِالضَّعِيفِ وَضُولَا
تَمَلِّكَ طِبَاعَكَ عَادَةً فَتَحُولَا
حُبُّ الْإِلَهِ وَخَوْفُهُ تَحْبُولَا
وَعَدُوُّهُ لَا يُظْلَمُونَ فَتِيلَا^(٣)
خَرَجَ الْهَوَى مِنْ قَلْبِهِ مَغْزُولَا
فَأَبَى لِفَاقَتِهِ وَكَانَ مُعِيلَا
رَكِبَ الْبَرَاقَ السَّابِقَ الْهَذُولَا^(٤)
مَنْ عَدَّ مَوْجَ الْبَحْرِ عَدًّا طَوِيلَا
وَأَخَذَتْ مِنْهُ لُبَابُهُ الْمَنَحُولَا
فِيهِ بِحَبْلٍ مَوْدَّةٍ مَوْصُولَا
سَبَقَ الْجِيَادَ إِلَى اللَّدَى مَشْكُولَا^(٥)

(١) المضرب : السيف القاطع . (٢) تليلا : علقا .

(٣) فتيل : الفئيل : حبل دقيق من ليف ، والسحاة التي في شق النواة .

(٤) الهذلول : الطويل الصلب والريع .

(٥) مشكولا : يقال شكل الدابة : أى قيدها . وشكل الكتابة ضبطها بعلامات الإعراب .

وَأَضَاءِ الْأَيَّامِ مِنْ أَنْوَارِهِ
إِنِّي أَمُرُّوْ قَلْبِي يُحِبُّ مُحَمَّدًا
أَحِبَّهُ وَأَمَلْتُ مِنْ ذِكْرِي لَهُ
بِالْيَتَنَى مِنْ مَعَشَرٍ شَهِدُوا الْوَعَى
فَأَقْوَمَ عَنْهُ بِمَقُولٍ وَبَصَارِمٍ
طَوْرًا بِقَافِيَةِ يَرْبُكَ ثَبَاتُهَا
وَبِضْرَبَةٍ يَدْعُ الْمُدَجَّجَ وَتَرُهَا
وَبِطَعْنَةٍ جَلَّتِ السَّنَانُ فَثَلَّتْ
فِي مَوْقِفٍ غَشَى اللَّحَاطَ فَلَا بَرَى
فَرَشَفْتُ نَفَرَ الْمَوْتِ فِيهِ أَشْنَبَا
وَالْخَلِيلُ تَسْبَحُ فِي الدِّمَاءِ وَتَتَّقَى
فَاطَرَبَ إِذَا غَنَى الْحَدِيدُ فَخَيْرُ مَا
تَالَهُ يُثْنَى الْقَلْبُ عَنْهُ مَا ثَنَى
أَبْيَضُ عَنْهُ بِمَالِهِ وَبِنَفْسِهِ
فَلَا فَطَعْنَ حِبَالَ تَسْوِيَنِي الَّتِي
وَلَا مُنَعْنَ الْعَيْنَ فِيهِ مَنَامَهَا
وَلَا زَمِينَ لَهُ الْفَجَاجَ بِضُمِّ
مِنْ كُلِّ دَامِيَةِ الْأَيَّاطِلِ زِدْنَهَا
سَارَتْ تَقْيِسُ ذِرَاعُهَا سَقَفَ الْفَلَا

فَاسْتَضَحَبَتْ غُرًّا بِهَا وَحُجُولَا
وَيَلُومُ فِيهِ لَانَمَا وَعَدُولَا
لَيْسَ الْمُحِبُّ لِمَنْ يُحِبُّ مَلُولَا
مَعَهُ زَمَانًا وَالْكَفَاحَ طَوِيلَا
أَبَدًا قَتُولَا فِي رِضَاهُ فَعُولَا
كَفَّ الرَّدَى عَنْ عَرَضِهِ مَشُولَا
شَفَعًا كَمَا شَاءَ الرَّدَى مَجْدُولَا^(١)
عَيْنًا لِعَيْنِكَ فِي الْكَمِيِّ كَحِيلَا^(٢)
لَحَظْتُ بِهِ إِلَّا قَنَاءَ مِيلَا^(٣)
وَلَثَمْتُ خَدَّ الْمَشْرِفِ أُسَيْلَا^(٤)
أَبْدَى الْكُمَاةِ مِنَ النَّجِيعِ وَحُولَا^(٥)
سَمِعَ الْمَشُوقُ إِلَى النَّزَالِ صَلِيلَا
خَوْفُ الْمَنِيَّةِ عَامِرًا وَسَلُولَا
صَبَّ يَرَى لَهَا الْقَوَاتِ حُصُولَا
مَنْعَتُ سِوَايَ إِلَى حِمَاهُ وَصُولَا
وَلَا جَعَلَنَّ لَهَا الشُّهَادَ خَلِيلَا
كَالْبَيْلِ سَبَقًا وَالْقِسَى نُحُولَا^(٦)
عَنْقًا إِذَا كَلَفَتْهَا التَّمْهِيلَا^(٧)
فَكَأَنَّمَا قَاسَتْ بِمِيلِ مِيلَا

(١) مجدولا : مصروعا على الأرض . (٢) الكمي : الشجاع . والكحيل الذي وقع في شدة
(٣) ميلا : مائلة للسر . (٤) أشنب : الشنب ماء ورقة وعدوبة في الأسنان . أسيل : طويل حشا .
(٥) النجيع : الدم الأسود . (٦) بضمير : بجياد ضامرة .
(٧) الأياطل : جمع أياطل ، وهو الخاصرة . يريد أدماها طول السير .

حَتَّى تَرِيكَ الْحَرْفَ مِنْ صَلْدِ الصَّفا
 وَكَأَمَّا ضَرَبْتُ بِصَخْرٍ مِثْلَهُ
 قَطَعْتَ حِبَالَ الْبُعْدِ لَمَّا أَعْمَلْتُ
 حَتَّى أَضْمَّ بِطَيْبَةِ الشَّمْلِ الَّذِي
 وَأَرْجَحُ مِنْ تَعَبِ الْخَطَايَا ذِمَّةً
 وَيُسْرًا بِالْغُفْرَانِ قَلْبُهُ لَمْ يَزَلْ
 وَأَعُودَ بِالْفَضْلِ الْعَظِيمِ مَنْوَلًا
 وَإِذَا تَعَسَّرَتِ الْأُمُورُ فَإِنِّي
 يَارَبِّ هَبْنَا لِلنَّبِيِّ وَهَبْ لَنَا
 وَاسْتُرْ عَلَيْنَا مَا عَلِمْتَ فَلَمْ يُطِقْ
 وَاعْطِفْ عَلَى الْخَلْقِ الضَّعِيفِ إِذَا رَأَى
 يَوْمَ تَضِلُّ بِهِ الْعُقُولُ فَتَشْخَصُ الْأَبْصَارُ خَوْفًا عِنْدَهُ وَذَهُولًا
 وَيُسْرًا فِيهِ الْمُجْرِمُونَ نَدَاةً
 وَيَطْلُ مُرْتَادُ الْخِلَاصِ مُقَلِّبًا
 لِنَتَالِ مِنْ ظَمَأِ الْقِيَامَةِ نَفْسُهُ
 وَاجْعَلْ لَنَا اللَّهُمَّ جَاءَ مُحَمَّدٍ
 وَأَصْرِفْ بِهِ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ
 واجعلْ صَلَاتَكَ دَائِمًا مُنْهَلَةً
 مَا هَزَّتِ الْقُضْبُ النَّسِيمُ وَرَجَعَتْ
 أَخْفَافُهَا بِدِمَائِهَا مَشْكُولًا^(١)
 مِنْ مَيْسِمٍ فَتَكَافَأَ تَقْتِيلًا
 شَوْقًا لَطِيبَةً سَاعِدًا مَفْتُولًا
 أَنْفَى إِلَيْهَا الْعِرْمَسِ الشَّمْلِيلَا^(٢)
 ثَقُلَتْ عَلَيْهَا لِلذُّنُوبِ حُمُولًا
 حِينًا بِطُولِ إِسَاءَتِي مَشْكُولًا^(٣)
 وَكَفَى بِفَضْلٍ مِنْهُ لِي تَنْوِيلًا
 رَاجٍ لَهَا بِمُحَمَّدٍ تَسْهِيلًا
 مَا سَوَّلَتْهُ نَفُوسُنَا تَسْوِيلًا^(٤)
 مِنَّا امْرُؤٌ لَخَطِيبَةٌ تَخْجِيلًا
 هَوْلَ الْمَعَادِ فَأَظْهَرَ التَّهْوِيلًا
 حِينًا وَحِينًا يُظْهِرُونَ عَوِيلًا
 فِي الشَّافِعِينَ لِحَاظَهُ وَجْهِيلًا^(٥)
 رِيًّا وَمِنْ حَرِّ السَّمِيرِ مَقِيلًا
 فَرَطًا تَبَلُّغُنَا بِهِ الْمَأْمُولًا^(٦)
 كَرَمًا وَكُفًّا ضِرَامَهَا الْمَشْمُولًا
 لَمْ تُلَفِ دُونَ ضَرْبِهِ تَهْلِيلًا
 وَرَقَاهُ فِي قَتَنِ الْأَرَاكِ هَدِيلًا^(٧)

(١) الصلد : الصلب الأملس . الصفا : الحجارة .

(٢) أنفى : أهزل . العرمس : الناقة الصلبة . الشمليل : السريعة .

(٣) مشكولا : مقيدا . (٤) سولت : زينت . (٥) مرتقاد : طالب .

(٦) فرطا : الفرط ما تقدم من أجر وعمل . (٧) رجعت : رددت ووقاه : نوح من الهام . لفتنه :

الغصن . الأراك : شجره منتف الأعصان . هديلا : غناه .

وقال ^(١) رضى الله عنه ، وتسمى « ذخر المعاد ، فى وزن بانث سعاد » :

إلى متى أنت بالذات مشغول	وأنت عن كل ما قدمت مسؤل
فى كل يوم ترجى أن تتوب غدا	وعقد عزمك بالتسوية مخلول
أما يرى لك فيما سر من عمل	يوما نشاط وعمما ساء تكتسيل
فجرد العزم إن الموت صارمه	مجرد بيد الآمال مسلول
واقطع حبال الأمانى التى انصلت	فأما حبلى بالزور موصول
أنفقت عمرك فى مال تحصله	وما على غير إنهم منك تحصيل
ورحمت تعمردا لابقاء لها	وأنت عنها وإن عمرت منقول
جاء النذير فشمّر للسير بلا	مهل فليس مع الإنذار تمهيل
وصن مشيك عن فعل تشان به	فكل ذى صبوة بالشيب معذول
لا تنكر نه وفى الفودين قد طلعت	منه الثريا وفوق الرأس إكليل
فإن أرواحنا مثل النجوم لها	من المنيّة تسير وترحيل
وإن طالعتها منا وغار بها	جيل يمر ويأتى بعمده جيل
حتى إذا بعث الله العباد إلى	يوم به الحكم بين الخلق مفصول
تبيين الرنج والخسران فى أمم	تخالف بيننا منها الأفاريل

(١) ت : وقال رضى الله عنه هذه القصيدة ، وتسمى « ذخر المعاد ، فى معارضة بانث سعاد ، وهى فى مدح

النبي صلى الله عليه وسلم ، وهى من بحر البسيط :

• إلى متى أنت بالذات مشغول •

إلى آخر القصيدة وهى مشهورة .

فَأَخْسَرُ النَّاسِ مَنْ كَانَتْ عَقِيدَتُهُ فِي طَائِفَةٍ لِنُشُورِ الْخَلْقِ تَعْطِيلُ
وَأُمَّةٌ تَعْبُدُ الْأَوْثَانَ قَدْ نُصِبَتْ لَهَا التَّصَاوِيرُ يَوْمًا وَالتَّائِيلُ
وَأُمَّةٌ ذَهَبَتْ لِلْعَاجِلِ عَابِدَةٌ فَلَهَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعْجِيلُ
وَأُمَّةٌ زَعَمَتْ أَنَّ الْمَسِيحَ لَهَا رَبُّ غَدَا وَهُوَ مَصْلُوبٌ وَمَقْتُولُ
فَنَلَّشْتُ وَاحِدًا فَرْدًا نُوحِدُهُ وَلِلْبَصَائِرِ كَلًّا بِصَارِ تَخْيِيلُ
تَبَارَكَ اللَّهُ عَمَّا قَالَ جَاهِدُهُ وَجَاهِدُ الْحَقَّ عِنْدَ النَّصْرِ نَحْذُولُ
وَالْفَوْزُ فِي أُمَّةٍ ضَوْوُهُ الْوُضُوءُ لَهَا قَدْ زَانَمَا غُرَّرَ مِنْهُ وَتَنْجِيلُ^(١)
تَظَلُّ تَقْلُو كِتَابَ اللَّهِ لَيْسَ بِهِ كَسَائِرِ الْكُتُبِ تَحْرِيفٌ وَتَبْدِيلُ
فَالْكِتَابُ وَالرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ الْإِلَهِ أَنْتَ وَمِنْهُمْ فَاضِلٌ حَقًّا وَمَفْضُولُ
وَالْمُصْطَفَى خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ لَهُ عَلَى الرُّسُلِ تَرْجِيحٌ وَتَفْضِيلُ
مُحَمَّدٌ حُجَّةُ اللَّهِ الَّتِي ظَهَرَتْ بِسُنَّتِهِ مَا لَهَا فِي الْخَلْقِ تَحْوِيلُ
تَجَلُّ الْأَكَارِمِ وَالْمَقُومِ الَّذِينَ لَهُمْ عَلَى جَمِيعِ الْأَنَامِ الطُّولُ^(٢) وَالطُّولُ
مَنْ كَمَلَ اللَّهُ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ فَلَمْ يَفْتَهُ عَلَى الْخَالَيْنِ تَكْمِيلُ
وَخَصَّهُ بِوَقَائِرٍ قَرَأَ مِنْهُ لَهُ فِي أَنْفُسِ الْخَلْقِ تَعْظِيمٌ وَتَنْجِيلُ
بَادِيَ السَّكِينَةِ فِي مَسْخَطِهِ لَهُ بِرِضَا فَلَمْ يَزَلْ وَهُوَ مَرْهُوبٌ وَمَأْمُولُ
يُقَابِلُ الْبَشَرَ مِنْهُ بِاللَّدَى خُلُقٌ زَالِكٌ عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مَجْبُولُ
مِنْ آدَمَ وَلَحِينَ الْوَضْعِ جَوَّهَرُهُ الـمَكْنُونُ فِي أَنْفُسِ الْأَصْدَافِ مَحْمُولُ
فَلِلُّبُوءَةِ إِيَّاهُمْ وَتَبَدُّلًا بِهِ وَلِلْفَخْرِ تَعْجِيلٌ وَتَأْجِيلُ

(١) الغرة : بياض في الوجه . والتنجيل : بياض في القوائم . (٢) الطول : المن والفضل .

أُتَتْ إِلَى النَّاسِ مِنْ آيَاتِهِ جُلٌّ أُعِيَتْ عَلَى النَّاسِ مِنْهُنَّ التَّفَاصِيلُ
 أَنْبَا سَطِيحٌ وَشِقٌّ وَابْنُ ذِي يَزَنٍ عَنْهُ وَقْسٌ وَأَحْبَارٌ مَقَاوِيلُ^(١)
 وَعَنْهُ أَنْبَاءُ مُوسَى وَالْمَسِيحِ وَقَدْ أَصْعَتْ حَوَارِيَّتُهُ الْعُرُ الْبَهَائِلُ^(٢)
 بَأَنَّهُ خَاتَمُ الرُّسُلِ الْمُبَاحُ لَهُ مِنْ الْغَنَائِمِ تَقْسِيمٌ وَتَنْفِيلُ^(٣)
 وَلَيْسَ أَعْدَلُ مِنْهُ الشَّاهِدُونَ لَهُ وَلَا بِأَعْلَمَ مِنْهُ إِنْ هُمْ سَيَلَوْا
 وَإِنْ سَأَلْتَهُمْ عَنْهُ فَلَا حَرَجٌ إِنَّ الْمَحَكَّ عَنِ الدِّيْنَارِ مَسْئُولُ
 كَمْ آيَةٍ ظَهَرَتْ فِي حِينِ مَوْلَدِهِ بِهِ الْبَشَائِرُ مِنْهَا وَالتَّهَاوِيلُ^(٤)
 عُلُومٌ غَيْبٍ فَلَا الْأَرْصَادُ حَاكِمَةٌ وَلَا التَّقَاوِيمُ فِيهَا وَالتَّحَاوِيلُ^(٥)
 إِذِ الْهَوَاتِفُ وَالْأَنْوَارُ شَاهِدُهَا لَدَى الْمَسَامِعِ وَالْأَبْصَارِ مَقْبُولُ
 وَنَارُ فَارِسٍ أَضْحَتْ وَهِيَ خَامِدَةٌ وَنَهْرُهُمْ جَامِدٌ وَالصَّرْحُ مَثْلُولُ^(٦)
 وَمُذْ هَدَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ مَبْعُثُهُ دَهَى الشَّيَاطِينِ وَالْأَصْنَامِ تَجْدِيلُ^(٧)
 وَانْظُرْ سَمَاءَ غَدَتِ مَمْلُوءَةً حَرَسًا كَأَنَّهَا الْبَيْتُ لَمَّا جَاءَهُ الْفِيلُ^(٨)

(١) سطيج وشق : كاهنان . وسيف بن ذى يزن : أحد ملوك اليمن . وقس بن ساعدة : الخطيب المشهور .

والمقاويل : جمع مقوال : وهو الفصيح القول .

(٢) الحواري : الناصر . والغرر : السادات . والبهائل : جمع بهلول : وهو السيد .

(٣) التنفيل : الإعطاء من الغنيمة .

(٤) التهاويل من الهول . والتهاويل أيضا : زينة النقوش والألوان المختلفة . ففي هذه الكلمة تورية .

(٥) الأرصاد : ما يستعمل لرصد الكواكب . والتقاويم والتحاويل : من اصطلاحات المنجمين ، للاطلاع على

المفنيات ومعرفة الأوقات . (٦) الهواتف : جمع هاتف ، وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه .

(٧) الصرح : القصر ، والمراد هنا إيوان كسرى . ومثلول : مهدوم ، من ثل بمعنى هدم .

(٨) جدله تجديلا : ألغاه على الجدالة مصروعا ، وهى الأرض .

فَرَدَّتِ الْجِنَّ عَنْ سَمْعِ ملائكةٗ إِذْ رَدَّتِ الْبَشَرَ الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ^(١)
 كُلُّ غَدَا وَلَهُ مِنْ جَنْسِهِ رَصَدٌ لِجِنَّ شُهْبٍ وَالْإِنْسَانِ سَجِيلٌ^(٢)
 لَوْلَا نَبِيُّ الْهَدَى مَا كَانَ فِي فَلَكٍ عَلَى الشَّيَاطِينِ لِلْأَنْلَاقِ تَوَكِيلٌ
 لَمَّا تَوَلَّتْ تَوَلَّى كُلُّ مُسْتَرَقٍ عَنْ مَقْعَدِ السَّمْعِ مِنْهَا وَهُوَ مَعزُولٌ^(٣)
 إِنْ رُمْتَ أَكْبَرَ آيَاتٍ وَأَكْمَلَهَا كِفَاكَ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ تَنْزِيلُ
 وَانْظُرْ فَلَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ وَلَا كَقَوْلِ أَنِي مِنْ عِنْدِهِ قِيلُ
 لَوْ يُسْتَطَاعُ لَهُ مِثْلُ الْجَلَى بِهِ وَالْمُسْتَطَاعُ مِنَ الْأَعْمَالِ مَفْعُولُ
 لِلَّهِ كَمْ أَفْحَمَتْ أَفْهَامَنَا حِكْمَهُ مِنْهُ وَكَمْ أَعْجَزَ الْأَلْبَابَ تَأْوِيلُ
 يَهْدِي إِلَى كُلِّ رُشْدٍ حِينَ يَبْعَثُهُ إِلَى الْمَسَامِعِ تَرْتِيبٌ^(٤) وَتَرْتِيلُ
 تَزْدَادُ مِنْهُ عَلَى تَزْدَادِهِ مِقَّةٌ وَكُلُّ قَوْلٍ عَلَى التَّزَادِ مَمْلُولٌ^(٥)
 وَرَبَّمَا حَجَّهُ قَلْبٌ بِهِ رِيبٌ كَمَا يَمْجُجُ دَوَاءُ الدَّاءِ مَعْلُولٌ^(٦)
 مَا بَعْدَ آيَاتِهِ حَقٌّ لِمُتَّبِعٍ وَالْحَقُّ مَا بَعْدَهُ إِلَّا الْأَبَاطِيلُ
 وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَحْمَةٌ بُعِثَتْ لِلْعَالَمِينَ وَفَضَّلُ اللَّهِ مَبْدُولُ
 هُوَ الشَّفِيعُ إِذَا كَانَ الْمَادُ غَدَاً وَاشْتَدَّ لِلْحَشْرِ تَخْوِيفٌ وَتَهْوِيلُ
 فَا عَلَى غَيْرِهِ لِلنَّاسِ مُعْتَمَدٌ وَلَا عَلَى غَيْرِهِ لِلنَّاسِ تَعْوِيلُ
 إِنْ أَمْرًا شَمِلَتْهُ مِنْ شَفَاعَتِهِ عِنَايَةٌ لَامَزُوا بِالْقَوَزِ مَشْمُولُ

(١) الْأَبَابِيلُ : الجملاءات ، قيل : لا واحد له من لفظه . (٢) الرصد : الرقب . والسجيل : حجارة .

(٣) تولت : استولت . وتولى : فر . (٤) الترتيل في القراءة : الترتيل والتبيين .

(٥) مقة : النخبة . (٦) مج // شراب

نَالَ الْمَقَامَ الَّذِي مَا نَالَهُ أَحَدٌ وَطَالَمَا مَيَّزَ الْقُدَارَ تَنْوِيلُ
 وَأَذْرَكَ السُّؤَالَ لَمَّا قَامَ مُجْتَهِدًا وَمَا بِكُلِّ اجْتِهَادٍ يُدْرِكُ السُّؤَالَ
 لَوْ أَنَّ كُلَّ عَلَاءٍ بِالسَّعْيِ مُكْتَسَبٌ مَا جَازَ حِينَ نَزُولِ الْوَحْيِ تَرْمِيلُ^(١)
 أَعْلَى الْمَرَاتِبِ عِنْدَ اللَّهِ رُبَّتُهُ فَاعْلَمْ فَمَا مَوْضِعُ الْمُحِبُّوبِ بِمَجْهُولُ
 مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى لَهُ نَزْلُ وَحَقٌّ مِنْهُ لَهُ مَشْوَى وَتَحْلِيلُ^(٢)
 مَرَى إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَعَادَ بِهِ لَيْلًا بُرَاقٌ يَبَارِي الْبَرَقَ هُذُلُ^(٣)
 يَاحِبِّدًا حَالُ قُرْبٍ لَا أَكْيَفُهُ وَحِبِّدًا حَالُ وَضَلٍ عَنْهُ مَغْفُولُ
 وَكَمْ مَوَاهِبَ لَمْ تَدْرِ الْعِبَادُ بِهَا أَتَتْ إِلَيْهِ وَسِترُ الْإِيلِ مَسْدُولُ^(٤)
 هَذَاهُوَ الْفَضْلُ لَا الدُّنْيَا وَمَارَجَحَتْ بِهِ الْمَوَازِينَ مِنْهَا وَالْمَسْكَايِلُ
 وَكَمْ أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ بَيِّنَةٌ فِي فَضْلِهَا وَافَقَ الْمَقُولُ مَقْعُولُ
 نُورٌ فَلَيْسَ لَهُ ظِلٌّ يُرَى وَلَهُ مِنْ الْعِمَامَةِ أَتَى سَارَ تَظْلِيلُ
 وَلَا يُرَى فِي الثَّرَى أَثَرٌ لِإِخْصِهِ إِذَا مَشَى وَلَهُ فِي الصَّخْرِ تَوْحِيلُ^(٥)
 دَنَا إِلَيْهِ حَيْنُ الْجَذَعِ مِنْ شَعْفٍ إِذْ نَالَ مِنْهُ بَعْدَ الْقُرْبِ تَرْمِيلُ^(٦)
 فَلَيْتَ مِنْ وَجْهِهِ حَظَى مُقَابَلَةً وَلَيْتَ حَظَى مِنْ كَفَيْهِ تَقْمِيلُ
 بَيْضُ مَيَامِينَ يُسْتَسْقَى الْعِمَامُ بِهَا لِلشَّمْسِ مِنْهَا وَلِلْأَنْوَاءِ تَحْجِيلُ^(٧)
 مَا إِنْ يَزَالُ بِهَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ لِلْقُلِّ كَثْرٌ وَلِلتَّصْعِيبِ تَسْمِيلُ^(٨)
 فَاعْجَبْ لِأَفْعَالِهَا إِنْ كُنْتَ مُدْرِكَهَا وَاطْرَبْ إِذَا ذُكِرَتْ تِلْكَ لِأَفَاعِيلُ

(١) ترميل : يقال زملة في نومه، أى لفته . (٢) تحليل من الخلول .

(٣) الهذلول : الدريع الخفيف . (٤) المسدول : المرعى . (٥) الأخصص : باطن القدم .

(٦) ترميل : مفارقة . (٧) ميامين : جمع ميمون، أى مبارك . (٨) النازلة : المصيبة والشدة .

كَمْ عَاوَدَ الْبُرْءُ مِنْ إِغْلَالِهِ جَسَدًا يَلْسُهُ وَاسْتَبَانَ الْعَقْلُ مَخْبُولُ
 وَرَدَّ الْفَيْنِ فِي رِيٍّ وَفِي شَيْعٍ إِذْ ضَاقَ بَانْنِينَ مَشْرُوبٌ وَمَأْكُولُ
 وَرَدَّ مَاءٌ وَنُورًا بَعْدَ مَا ذَهَبَا رِيْقٌ لَهُ بِكِلَا الْعَيْنَيْنِ مَتَقُولُ
 وَمَنْبَعُ الْمَاءِ عَذْبًا مِنْ أَصَابِعِهِ وَذَلِكَ صُنْعٌ بِهِ فِينَا جَرَى النَّيْلُ
 وَكَمْ دَعَا وَحَيًّا الْأَرْضِ مُكْتَتِبُ ثُمَّ انْتَنَى وَلَهُ بِشَرٌّ وَتَهْلِيلُ
 فَأَصْبَحَ لِلْمَحَلِّ فِيهَا لَا مَحَلَّ لَهُ وَغَالَ ذِكْرَ الْغَلَا مِنْ خِصْبِهَا غُولُ^(١)
 فَبِالظَّرَابِ ضُرُوبٌ لِلْغَمَامِ كَمَا عَنِ الْبِنَاءِ عَزَالِيهَا مَعَارِيلُ^(٢)
 وَأَصَّ مِنْ رَوْضِهَا جِيدُ الْوُجُودِ بِهِ مِنْ لَوْ لَوْ النُّورِ تَرْصِيعٌ وَتَكْلِيلُ^(٣)
 وَعَسْكَرٍ لَجِبٍ قَدْ لَجَّ فِي طَلَبِ لِنُزُوءِ غَرَّةٍ بَأْسٌ وَتَرْغِيلُ^(٤)
 دَعَا نَزَالَ قَوْلِي وَالْبَوَارُ بِهِ مِنَ الصَّبَا وَالْحَصَى وَالرُّغْبِ مَزُولُ^(٥)
 وَغَيْرَتَا حِينَ أَضْحَى الْفَارُ وَهُوَ بِهِ كَمَثَلِ قَلْبِي مَقْمُورٌ وَمَأْهُولُ
 كَأَنَّمَا الْمُسْطَقَى فِيهِ وَصَاحِبُهُ الصَّدِيقُ لَيْثَانِ قَدْ آوَأَهَا غَيْلُ
 وَجَلَّلَ الْفَارَ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى وَهْنٍ فَيَا حَبْدًا نَسْجٌ وَجَجِيلُ
 عِنَايَةً ضَلَّ كَيْدُ الْمُشْرِكِينَ بِهَا وَمَا مَكَايِدُهُمْ إِلَّا الْأَصَانِيلُ

(١) القول : كل ما اغتال الإنسان .

(٢) الظراب : جمع ظرب : وهى الراية الصغيرة . والعزالي : جمع عزلاء ، وهى معصب الماء من القرية .

ومعاريل جمع موزول : أى أنها لا تمطر على البناء ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم حوالينا ولا علينا» .

(٣) آص : رجع . والجيد : العنق . (٤) لج : تمادى . الرعدة : الكثير من العيال . والمراد

هنا : كثرة الجيش . (٥) موزول : نازل .

إِذْ يَنْظُرُونَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ وَهُمْ كَأَنَّ أَبْصَارَهُمْ مِنْ زَيْفِهَا حُولُ^(١)
 إِنَّ يَقْطَعَ اللَّهُ عَنْهُ أُمَّةً سَفِهَتْ
 فَيَأْتِمَا الرُّسُلُ وَالْأَمْلَاقُ شَافِعُهَا
 مَا عَذَرُ مَنْ مَنَعَ التَّصَدِيقَ مَنْطِقُهُ
 وَالذُّبُّ وَالْعَيْرُ وَالْمَوْلُودُ صَدَقَهُ
 وَالْبَدْرُ بَادَرَ مُنْشَقًّا بِدَعْوَتِهِ
 وَالنَّخْلُ أُنْمِرَ فِي عَامٍ وَسُرَّ بِهِ
 إِنْ أَنْكَرَتْهُ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ عَلَى
 فَقَدْ تَكَرَّرَ مِنْهُمْ فِي جُحُودِهِمْ
 قُلْ لِلنَّصَارَى الْأَلَى سَاءَتْ مَقَالَتُهُمْ
 مِنَ الْيَهُودِ اسْتَفَذْتُمْ ذَا الْجُحُودِ كَمَا
 فَإِنَّ عِنْدَكُمْ تَوَارِثُهُمْ صَدَقَتْ
 ظَلَمْتُمُونَا فَأَضْحَوْا ظَالِمِينَ لَكُمْ
 مِنْكُمْ لَنَا وَلَكُمْ مِنْ بَعْضِكُمْ شُغْلُ
 لَقَدْ عَلِمْتُمْ وَلَكِنْ صَدَّكُمْ حَسَدُ
 كَأَنَّ أَبْصَارَهُمْ مِنْ زَيْفِهَا حُولُ^(١)
 نَفْسُهَا فَلَهَا بِالْكَفْرِ تَعْلِيلُ^(٢)
 لَوْصَلَةٍ مِنْهُ تَسَاكُ وَتَطْفِيلُ^(٣)
 وَقَدْ نَبَا مِنْهُ مَحْسُوسٌ وَمَعْقُولُ
 وَالظُّبَى أَفْصَحَ نَطَقًا وَهُوَ مَحْبُولُ^(٤)
 لَهُ كَمَا شُقَّ قَلْبٌ وَهُوَ مَتَبُولُ^(٥)
 سَلَمَانُ إِذْ بَسَقَتْ مِنْهُ الْعَاكِيلُ^(٦)
 مَا بَيَّنَّتْ مِنْهُ تَوَارَةً وَإِنْجِيلُ
 لِلْكَفْرِ كُفْرٌ وَلِلتَّجْهِيلِ تَجْهِيلُ
 فَمَا لَهَا غَيْرَ مَحْضٍ الْجَهْلُ تَعْلِيلُ
 مِنَ الْغُرَابِ اسْتَفَادَ الدَّفْنَ قَابِلُ
 وَلَمْ تُصَدِّقْ لَكُمْ مِنْهُمْ أَنْجِيلُ
 وَذَلِكَ مِثْلُ قِصَاصٍ فِيهِ تَعْدِيلُ
 وَالنَّاسُ بِالنَّاسِ فِي الدُّنْيَا مَشَاغِيلُ
 أَنَا بِمَا جَاءَنَا قَوْمٌ مُقَابِيلُ^(٧)

- (١) زاغت الأبصار : تحولت عن موضعها . (٢) سفهت نفوسها : خسرت نفوسها . تعليل :
 من العلة وهي المرض . (٣) يقول إن الملائكة والرسل يتوسلون إلى النبي محمد طالبين منه الشفاعة .
 (٤) المحبول : المصطاد في الحيلة ، وهي الشرك . (٥) تبلة الحب : أى تيممه وذهب بقله .
 (٦) بسقت النخل : بمعنى طالت . والعساكيل : جمع عسكول : وهو العذق الذى يحمل البلح .
 (٧) المقابيل : جمع مقبل من أقبل بمعنى عقل بعد حماقة .

أما عَرَفْتُمْ نَبِيَّ اللَّهِ مَعْرِفَةً الْأَبْنَاءِ لَكُمْ قَوْمٌ مَنَاقِيلُ^(١)
 هذا الذى كنتم تَسْتَفْتِحُونَ بِهِ لَوْلَا اهْتَدَى مِنْكُمْ لِلرُّشْدِ ضَلِيلُ^(٢)
 فَلَا تُرْجُوا جَزِيلَ الْأَجْرِ مِنْ عَمَلٍ إِنَّ الرَّجَاءَ مِنَ الْكُفَّارِ مَخْذُولُ
 تُؤَدُّونَ بَرَقَ مِنْ جَهَالَتِكُمْ بِهِ انْتِفَاحٌ وَجِسْمٌ فِيهِ تَرْهِيلُ^(٣)
 مُوتُوا بَغِيْظٍ كَمَا قَدْ مَاتَ قَبْلَكُمْ قَابِيلُ إِذْ قَرَّبَ الْقُرْبَانَ هَابِيلُ
 يَاخِيَا مَنْ رُوِيَ لِلنَّاسِ مَكْرُمَةٌ عَنْهُ وَفُضِّلَ تَخْرِيْمٌ وَتَحْلِيلُ
 كَمْ قَدْ أَتَتْ عَنْكَ أَخْبَارٌ مُخْبِرَةٌ فِي حُسْنِهَا أَشْبَهَ التَّفْرِيعَ تَأْصِيلُ
 تَسْرَى إِلَى النَّفْسِ مِنْهَا كَمَا وَرَدَتْ أَنْفَاسُ وَرَدِ سَرَتْ وَالْوَرْدُ مَطْلُولُ
 مِنْ كُلِّ لَفْظٍ بَلِيغٍ رَاقٍ جَوْهَرُهُ كَأَنَّهُ السَّيْفُ مَاضٍ وَهُوَ مَضْعُولُ
 لَمْ تَبْقِ ذِكْرًا لِذِي نَطْقٍ فَصَاحَتُهُ وَهَلْ تُضِيءُ مَعَ الشَّمْسِ الْقَنَادِيلُ
 جَاهَدَتْ فِي اللَّهِ أَبْطَالُ الضَّلَالِ إِلَى أَنْ ظَلَّ لِلشَّرِّكَ بِالتَّوْحِيدِ تَبْطِيلُ
 شَكَا حُصَامِكَ مَا تَشْكُو جُوعُهُمْ فِيهِ فَفِيهِ مِنْهَا وَفِيهَا مِنْهُ تَقْلِيلُ
 لِلَّهِ يَوْمٌ حُنَيْنٍ حِينَ كَانَ بِهِ كَسَاعَةِ الْبَعْثِ تَهْوِيلٌ وَتَطْوِيلُ
 وَيَوْمٌ أَقْبَلَتْ الْأَحْزَابُ وَانْهَزَمَتْ وَكَمْ خَبَا لَهَبٌ بِالشَّرِّكَ مَشْعُولُ
 جَاءُوا بِأَسْلِحَةٍ لَمْ تَحْمِ حَامِلَهَا إِنَّ الْكُفَّاءَ إِذَا لَمْ يُنْصَرُوا مِيلُ^(٤)
 مِنْ بَعْدِ مَا زُلْزِلَتْ بِالشَّرِّكَ أُبْدِيَةٌ وَأَنْبَتَ حَبْلٌ بِأَيْدِي الرَّيْبِ مَقْتُولُ

(١) مناكيل : من النكال ، وهو الهلاك .

(٢) الاستفتاح : الاستنصار . وكان اليهود يقولون للأَنْصَارِ سَبِّعْتَ نَبِيَّ فَنَتَّبِعُهُ ، وَنَسْتَنْصِرُ بِهِ عَلَيْكُمْ ، وَلَوْلَا : لِلتَّحْضِيضِ كَهَلَا .

(٣) الترهيل : الانتفاخ . (٤) الميل : جمع أميل ، وهو الذى لا يثبت على الخيل .

وَوَظَنَ كُلُّ امْرِئٍ فِي قَلْبِهِ مَرَضَهُ بَأَنَّ مَوْعِدَهُ بِالنَّصْرِ مَمْطُولُ
فَأَنْزَلَ اللَّهُ أَمْلًا كَأَنَّ مُسَوِّمَةً لَبُوسُهَا مِنْ سَكِينَاتِ سَرَابِيلٍ^(١)
شَاكَ السَّلَاحَ فَمَا شَكُّوا الْكَلَالَ وَمِنْ صُنْعِ الْإِلَهِ لَهَا نَسِجٌ وَتَأْثِيلٌ^(٢)
مِنْ كُلِّ مَوْضُونَةٍ حَصْدَاءُ سَابِقَةٍ تَرُدُّ حَدَّ النَّايَا وَهَوَ مَقُولُ
وَكُلٌّ أَتَرَ لِلْحَقِّ الْمُبِينِ بِهِ وَلِلضَّلَالَةِ تَعْدِيلٌ وَتَمِيلُ
لَمْ تُبْقِ لِلشَّرِّكَ مِنْ قَلْبٍ وَلَا سَبَبٍ إِلَّا غَدَاً وَهَوَ مَتَبُولٌ وَمَتَبُولٌ^(٣)
وَيَوْمُ بَدْرِ إِذِ الْإِسْلَامُ قَدْ طَلَعَتْ بِهِ بُدُورًا لَهَا بِالنَّصْرِ تَكْمِيلُ
سَيِّئَتْ بِمَا سَرَّنا الْكُفَّارُ مِنْهُ وَقَدْ أَفْنَى سَرَاتِهِمْ أَسْرَ وَتَقْتِيلُ
كَأَنَّمَا هُوَ عُرْسٌ فِيهِ قَدْ جُلِيَتْ عَلَى الظُّبَا وَالْقَنَا رُوسٌ مَفَاصِيلُ
وَالْخَيْلُ تَرْقُصُ زَهْوًا بِالْكُمَاةِ وَمَا غَيْرَ السَّيْفِ بِأَيْدِيهِمْ مَنَادِيلُ
وَلَا مَهْوَرٌ سِوَى الْأَرْوَاحِ تَقْبِلُهَا الْبَيْضُ وَالسُّمُرُ الْعَطَائِيلُ^(٤)
فَلَوْ تَرَى كُلَّ عَضْوٍ مِنْ كُمَاهِمُ مُفَصَّلًا وَهُوَ مَكْفُوفٌ وَمَشْلُولٌ^(٥)
كَأَخْرُفٍ أَشْكَتْ خَطًّا فَأَكْثَرُهَا بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ مَنَقُوطٌ وَمَشْكُولُ
وَكُلٌّ بَيْتٌ حَكَى بَيْتَ الْعَرُوضِ لَهُ بِالْبَيْضِ وَالسُّمُرِ تَقْطِيعٌ وَتَفْصِيلُ

(١) مسومة : معلمة . واللبوس : اللباس . والسراويل : الدروع .

(٢) الكلال : العجز . والتأثيل : التأصيل .

(٣) المتبول : الهالك . والمتبول : المقتطوع .

(٤) البهاتير : القصار جمع بهتر . والعطائيل : جمع عطبول .

(٥) مفصل : مقطوع . ومكفوف : ممنوع . ومشلول : معطل . وفي كل من هذه الكلمات تورية .

وَدَاخَلَتْ بِالرَّدَى أَجْزَاءَهُمْ عِلَلٌ
وَكُلُّ ذِي تَرَةٍ تَغْلِي مَرَاجِلُهُ
وَكُلُّ جُرْحٍ بِجِسْمٍ يَسْهَلُ دَمًا
وَعَاطِلٌ مِنْ سِلَاحٍ قَدْ غَدَا وَلَهُ
وَالْأَرْضُ مِنْ جُثَثِ الْقَتْلِ مُجَلَّلَةٌ
غَصَّتْ قُلُوبٌ كَأَغْصَانِ الْقَلْبِ^(٣) بِهِمْ
فَأَصْبَحَ الْبَيْتُ إِذْ أَهْلُ الْبَوَارِ بِهِ
وَأَصْبَحَتْ أَيْمَاتٌ مُحْصَنَاتُهُمْ
لَا تُمَسِّكُ الدَّمْعَ مِنْ حُزْنٍ عِيُونُهُمْ
وَصَارَ فَقْرُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ غِنَى
وَرَدَّ أَوْجُهُهُمْ سُودًا وَأَغْمِيَهُمْ
سَالَتْ وَسَاءَتْ عِيُونُ مِنْهُمْ مَثَلًا
أَبْغَضَ بِهَا مَقَلًّا قَدْ أَشْبَهَتْ لَبَنًا
وَيَوْمَ عَمَّ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ أَسَى
وَنَالَ إِحْدَى الثَّنَايَا الْكَسْرُ فِي أَحَدٍ
غَدَا الْمُرْقَلُ مِنْهَا وَهُوَ مَجْزُولُ^(١)
غَدَا يُقَادُ ذَلِيلًا وَهُوَ مَقُولُ^(٢)
كَأَنَّهُ مَبْسِمٌ بِالرَّاحِ مَقُولُ
أَسَاوِرٌ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ خَلَاخِيلُ
وَالْتُرْبُ مِنْ أَذْمُعِ الْأَحْيَاءِ مَبْلُولُ
فَلِلْأَسَى فِيهِمْ وَالنَّارِ تَأْكِيلُ
مِثْلُ الْوَطِيسِ بِهِ جُزُرٌ رَعَابِيلُ^(٤)
وَأُمَمَاتُهُمْ وَهِيَ الثَّنَاكِيلُ
إِلَّا كَمَا يُمَسِّكُ الْمَاءُ الْغَرَابِيلُ
وَفِي الْمَصَائِبِ تَقْوِيَةٌ وَتَحْصِيلُ
بِيضًا مِنَ اللَّهِ تَنْكِيدٌ وَتَنْكِيلُ^(٥)
كَأَنَّمَا كُلُّهَا بِالشَّوْكِ مَسْمُولُ^(٦)
طَفَا الذُّبَابُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَقْمُولُ^(٧)
بِفَقْدِ عَمِّكَ وَالْمَقْمُودُ مَجْذُولُ^(٨)
وَجَاءَ يَجْبُرُ مِنْهَا الْكَسْرَ جَبْرِيلُ

(١) الترفيل : أن يزداد في البحر الكامل سبب على متفاعلن فيصير متفاعلات . والمجزول ساقط الرابع من

متفاعلن مع إسكان ثانيه في زحاف الكامل . (٢) الترة : النار .

(٣) القلب : البئر . (٤) الرعابيل : جمع رعبولة ، وهي الخرقعة الممزقة .

(٥) د : تنكيل وتشكيل . (٦) مسمول من سمل عينه بمعنى فقأها ، د : سارت بدلًا من ساءت .

(٧) المقمول : المقدوس . (٨) المجنول : المسرور .

وَفِي مَوَاطِنَ شَتَّى كَمْ أَتَاكَ بِهَا
 وَمَلَكَتْ يَدَكَ الْيُمْنَى مَلَائِكَةٌ
 يُسَارِعُونَ إِذَا نَادَيْتَهُمْ لِوَعَى
 مِنْ كُلِّ نِصْوٍ نُحُولٍ مَا يَزَالُ بِهِ
 بَنَانُهُ يَدَمُ الْأَبْطَالِ مُخْتَضِبٌ
 آلَ النَّبِيِّ يَمَنُ أَوْ مَا أَشْبَهَكُمْ
 وَهَلْ سَبِيلٌ إِلَى مَدْحٍ يَكُونُ بِهِ
 يَأْقَوْمُ بَايَعْتَكُمْ أَنْ لَا شَبِيهَ لَكُمْ
 جَاءَتْ عَلَى تِلْوِ آيَاتِ النَّبِيِّ لَهُمْ
 مَعَاشِرٌ مَارَضُوا إِنِّي لَمُبْتَهِجٌ
 وَإِنَّ مَنْ بَاعَ فِي الدُّنْيَا مَحَبَّتَهُمْ
 وَحَسَبُ مَنْ نَكَلَتْ عَنْهُمْ خَوَاطِرُهُ
 إِنْ الْمَوَدَّةَ فِي قُرْبَى النَّبِيِّ غَيَّ
 وَكَمْ لِأَصْحَابِهِ الْغُرِّ الْكَرَامِ يَدُ
 قَوْمٍ لَهُمْ فِي الْوَعَى مِنْ خَوْفِ رَبِّهِمْ
 كَأَنَّهُمْ فِي مُحَارِيبٍ مَلَائِكَةٌ
 نَضَرُ مِنَ اللَّهِ مَضْمُونٌ وَمَكْفُولٌ
 غُرٌّ كِرَامٌ وَأَبْطَالٌ بِهَالِيلٍ
 إِنَّ الْكَرَامَ إِذَا نُودُوا هَذَا لِيلٌ^(١)
 إِلَى الْمَكَارِمِ جِدٌّ وَهُوَ مَهْزُولٌ^(٢)
 وَطَرَفُهُ سِنَا الْإِيمَانِ مَكْحُولٌ
 لَقَدْ تَعَذَّرَ تَشْبِيهِهُ وَتَمْثِيلُهُ
 لِأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ تَأْهِيلُهُ
 مِنَ الْوَرَى فَاسْتَقْبِلُوا الْبَيْعَ أَوْ قِيلُوا^(٣)
 دَلَائِلُ هِيَ لِلتَّارِيخِ تَذْيِيلُهُ
 بِهِمْ وَمَا سَخَطُوا إِنِّي لَمَشْكُولُ
 يَبْغُضُهُ اللَّهُ فِي الْأُخْرَى لَمْزُودُ
 أَنْ مَاتَ أَوْ عَاشَ تَنْكِيلٌ وَتَشْكِيلُهُ
 لَا يَسْتَمِيلُ فَوَادِي عَنْهُ تَمْوِيلُهُ^(٤)
 عِنْدَ الْإِلَهِ لَهَا فِي الْفَضْلِ تَخْوِيلُهُ^(٥)
 حُسْنُ ابْتِلَاءٍ وَفِي الطَّاعَاتِ تَبْتِيلُهُ^(٦)
 وَفِي حُرُوبٍ أَعَادِيهِمْ رَأْيِيلُهُ^(٧)

(١) هذاليل : مسرعون . (٢) النضو : التحيل .

(٣) بايعتكم : عاهدتكم . وقتله البيع أقبيله : فسخته . واستقال : طلب إليه أن يقبله .

(٤) التمويل : كثرة المال . (٥) تخويل : تمليك . (٦) التبتيل : الانقطاع إلى الله عن الدنيا .

(٧) الرأبيل : جمع رثبال ، وهو الأسد .

- حَكَى الْعِبَادَةَ قَلْبِي حِينَ كَانَ بِهَا (١) اللَّالِ تَغْطِيَةٌ وَالصَّحْبِ تَخْلِيلُ (١)
- وَلِي فُؤَادٌ وَنُطْقٌ بِالْوِدَادِ لَهُمْ (٢) وَبِالْمَدَاحِ مَشْعُوفٌ وَمَشْغُولُ
- فَإِنْ ظَنَنْتُ بِهِمْ خِتَلًا لِبَعْضِهِمْ (٣) إِنِّي إِذْنُ بِعُرُورِ النَّفْسِ مَحْتُولُ (٢)
- أُئِمَّةُ الدِّينِ كُلُّهُ فِي مُحَاوَلَةٍ إِلَى صَوَابِ اجْتِهَادٍ مِنْهُ مَوْكُولُ
- لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ قَدَرُهُ (٤) وَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ
- حَسْبِي إِذَا مَا مَنَحْتَ الْمُصْطَفَى مَدْحِي (٥) فِي الْحَشْرِ تَرْكِيبُهُ مِنْهُ وَتَعْدِيلُ (٣)
- مَدْحٌ بِهِ ثَقُلْتُ مِيزَانُ قَائِلِهِ وَخَفَّ عَنْهُ مِنَ الْأَوْزَارِ تَفْقِيلُ
- وَكَيْفَ تَأْتِي جَنِّي أَوْصَافِهِ هَمَمٌ يَرُوقُهَا مِنْ قُطُوفِ الْعِزِّ تَذْلِيلُ
- وَلَيْسَ يَدْرِيكَ أَدْنَى وَضْفِهِ بَشَرٌ (٦) أَيْقَطُّعُ الْأَرْضَ سَاعٍ وَهُوَ مَكْبُولُ (٤)
- كُلُّ الْفَصَاحَةِ عَيٌّْ فِي مَنَاقِبِهِ إِذَا تَفَكَّرْتَ وَالتَّكْثِيرُ تَقْلِيلُ
- لَوْ أَجْمَعَ الْخَلْقُ أَنْ يُحْصُوا مَحَاسِنَهُ أَعْيَتَهُمْ مُجْمَلَةٌ مِنْهَا وَتَفْصِيلُ
- عُذْرًا إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ مِنْ كَلَمِي (٧) إِنَّ الْكَرِيمَ لَدَيْهِ الْعُذْرُ مَقْبُولُ
- إِنْ لَمْ يَكُنْ مَنْطِقِي فِي طَبِيبِهِ عَسَلًا فَإِنَّهُ بِمَدْيَحِي فِيكَ مَعْسُولُ
- هَاجِلَةٌ بِخِلَالٍ مِنْكَ قَدْ رُقِمَتْ (٨) مَا فِي مَحَاسِنِهَا لِلْغَيْبِ تَخْلِيلُ (٥)
- جَاءَتْ بِحُجْبِي وَتَصَدِّيقِي إِلَيْكَ وَمَا حُجِّي مَشُوبٌ وَلَا التَّصْدِيقُ مَدْخُولُ (٦)

(١) تخليل : من تخلل الشيء بمعنى دخل في خلاله .

(٢) مخنول : مخدوع . (٣) عدله : شهد بعدالته .

(٤) مكبول : مقيد .

(٥) خلال : خصال ، رقم الكتاب : كتبه ، والثوب : خطه . وتخلل الشيء دخل في خلاله .

(٦) كل ما دخله عيب فهو مدخول .

أَلْبَسْتَهَا مِنْكَ حُسْنًا فَازْدَهَتْ شَرَفًا بِهَا الْخَوَاطِرُ مِنَّا وَالْمَنَاوِيلُ ^(١)
 لَمْ أَنْتَحِلْهَا وَلَمْ أَغْصِبْ مَعَانِيَهَا وَغَيْرُ مَذْحِكَ مَغْصُوبٌ وَمَنْحُولُ ^(٢)
 وَمَاعِلًا قَوْلٍ كَعَبٍ أَنْ تُوَاظِنَهُ فَرُبَّمَا وَازَنَ الدَّرُّ الْمُنَاقِيلُ ^(٣)
 وَهَلْ تُعَادِلُهُ حُسْنًا وَمَنْطِقُهَا عَنْ مَنْطِقِ الْعَرَبِ الْعَرَبَاءِ مَعْدُولُ
 وَحَيْثُ كُنَّا مَعًا نَرْمِي إِلَى غَرَضٍ فَحَبِّدَا نَاضِلٌ مِنَّا وَمَنْصُولُ
 إِنْ أَقْفُ أَثَارَهُ إِنْى الْعَدَاةَ بِهَا عَلَى طَرِيقِ نَجَاحٍ مِنْكَ مَدْلُولُ
 لَمَّا غَفَرْتَ لَهُ ذَنْبًا وَصُنْتَ دَمًا لَوْلَا ذِمَامُكَ أَضْحَى وَهُوَ مَطْلُولُ ^(٤)
 رَجَوْتُ غُفْرَانَ ذَنْبٍ مُوجِبٍ تَنَافَى لَهُ مِنْ النَّفْسِ إِمْلَاءٌ وَتَسْوِيلُ ^(٥)
 وَلَيْسَ غَيْرَكَ لِي مَوْلَى أَوْ مَلُهُ بَعْدَ الْإِلَهِ وَحَسْبِي مِنْكَ تَأْمِيلُ
 وَلِي فُؤَادٌ مُحِبٌّ لَيْسَ يَقْنَعُهُ غَيْرُ الْإِقْدَاءِ وَلَا يَشْفِيهِ تَعْلِيلُ
 يَمِيلُ بِي لَكَ شَوْقًا أَوْ يُخِيلُ لِي كَأَنَّمَا بَيْنَنَا مِنْ شُقَّةٍ مِيلُ
 يَهُمُّ بِالسَّعْيِ وَالْأَقْدَارُ تُمْسِكُهُ وَكَيْفَ يَعْدُو جَوَادٌ وَهُوَ مَشْكُولُ ^(٦)
 مَتَى تَجُوبُ رَسُولَ اللَّهِ نَحْوَكَ بِي تِلْكَ الْجِبَالُ نَجِيَّاتٌ مَرَايِلُ ^(٧)
 فَأَنْتَنِي وَيَدِي بِالْقَوَزِ ظَافِرَةٌ وَثَوْبُ ذَنْبِي مِنَ الْآثَامِ مَغْسُولُ
 فِي مَعَشَرٍ أَخْلَصُوا لِلَّهِ دِيْنَهُمْ وَفَوَّضُوا إِنْ هُمْ نَالُوا وَإِنْ نِيلُوا

(١) ازدهت : افتخرت . والمناويل : جمع منوال ، وهو معروف . وهى هنا بمعنى الأفكار .

(٢) انتحلها : ادعاه لنفسه ، وهو لغيره . (٣) مثقال الشيء : وزنه مثله .

(٤) الذمام : العهد . المطلول : مهدر . (٥) سولت له نفسه كذا : أى زيفت .

(٦) مشكول : مقيد . (٧) نجيات : جمع نجية وهى الناقة . مراسيل : سهلة الانقياد .

شُعْثُ لَمْ مِنْ ثَرَى الْبَيْتِ الذِّى شَرُفَتْ بِهِ الْبَيْدُونَ تَطْيِيبٌ وَتَكْحِيلٌ^(١)
 مُحَلَّقَى أَرْوُسٍ زِيدَتْ وَجُوهُهُمْ حُسْنًا بِهِ فَكَأَنَّ الْخَلْقَ تَرْجِيلٌ^(٢)
 قَدْ رَحَّبَ الْبَيْتُ شَوْقًا وَالْقَامُ بِهِمْ وَالْحِجْرُ وَالْحَجَرُ الْمَلُومُ وَالْمِيلُ^(٣)
 نَذَرْتُ إِنْ جَمَعْتُ شَمْلَى بِبَايِكَ أَوْ شَفَتْ فُؤَادِي بِهِ قَوْدَاهُ شَمْلِيلٌ^(٤)
 أَبْلُ مِنْ طَيِّبَةٍ بِالْذَّمِّ طِيبَ ثَرَى لُغْلَى وَغُلِيلَى مِنْهُ تَبْدِيلٌ^(٥)
 دَامَتْ عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ يَكْفُلُهَا مِنْ الْمَيْمَنِ إِبْلَاغٌ وَتَوْصِيلٌ
 مَا لَاحَ ضَوْوهُ صَبَاحٍ فَاسْتَسَرَّ بِهِ مِنْ الْكَوَاكِبِ قِنْدِيلٌ فَقَنْدِيلٌ

وقال^(٦) يمدحه صلى الله عليه وسلم :

مَدَحُ النَّبِيِّ أَمَانُ الْخَائِفِ الْوَجِلِ فَا مَدَحُهُ مُرْتَجِلًا أَوْ غَيْرَ مُرْتَجِلٍ
 وَلَا تُشَبِّبُ بِأَوْطَانٍ وَلَا دِمَنِ وَلَا تُعَرِّجُ عَلَى رَنْعٍ وَلَا طَلَلٍ
 وَصِفَ بَحَالٍ حَبِيبِ اللَّهِ مُنْفَرِدًا بِوَصْفِهِ فَهَوَ خَيْرُ الْوَصْفِ وَالْعَزَلِ
 رِيحَانَتَاهُ عَلَى زَهْرِ الرُّبَا زَهْتَا فَمَا لِقَلْبِي وَذِكْرِي الْبَانِ وَالْأَثَلِ^(٧)
 رِيحَانَتَاهُ مِنَ الزَّهْرَاءِ فَاطِمَةِ خَيْرِ النِّسَاءِ وَمِنْ صِنْفِ الْإِمَامِ عَلَى^(٨)

(١) الأشعث : الذى يدهن شعره ولم ينظفه . تطيب : اتخذ الطيب . (٢) الترجيل : تسريح الشعر .

(٣) الميل : المنار الموضوع بين الصفا والمروة .

(٤) القوداء : الناقة العظيمة . والشمليل : المريمة .

(٥) الغلة : شدة العطش . والغليل : حرارة الحب والحزن . د : تغليل .

(٦) ت : وقال ، رضى الله تعالى عنه ، فى مدح النبى ، صلى الله عليه وسلم ، من البسيط .

(٧) ت : زهر الرياض زهت . (٨) هذا البيت ساقط من د .

إِذَا امْتَدَحْتُ^(١) نَسِيبًا مِنْ سُلَالَتِهِ
مُحَمَّدٌ أَفْضَلُ الرُّسُلِ الَّذِي شَهِدَتْ
لَمْ يَعُدَّهُ الْحَسَنُ فِي خَلْقٍ وَفِي خَلْقٍ
وَقَفَ^(٢) عَلَى سُنَنِ الْمَرْضِيِّ مِنْ سُنَنِ
وَنَزَّهِ الْفِكَرُ فِي رَوَاضَاتِ فِكْرَتِهَا
فَهُوَ النَّسِيبُ لِمَذْحِي سَيِّدِ الرُّسُلِ
بِفَضْلِهِ أَنْبِيَاءُ الْأَعْصُرِ الْأَوَّلِ
وَلَمْ يَزَلْ حُبُّهُ شُغْلًا لِكُلِّ خَلِيٍّ
فَإِنَّ^(٣) فِيهَا شِفَاءَ الْخُبْلِ وَالْخَبْلِ
وَاجِنَ الْبَلَاغَةِ مِنْ أَغْصَانِهَا الدُّلَى

وقال [رضى الله تعالى عنه]^(٤) من الكامل :

الْيَوْمَ قَدْ حَكَمَ الْهَوَى بِالْمَعْدَلَةِ
وَتَبَدَّلَتْ مِثْلِي الصَّبَابَةُ سَلْوَةً
مَالِي وَلِلْعِشَاقِ أَتْبَعُ مِنْهُمْ
مِنْ كُلِّ مَنْ^(٥) يَشْكُو جَنَابَةَ نَفْسِهِ
إِنِّي أَمْرُؤٌ أُعْطِيَ السَّلْوَ قِيَادَهُ
وَدَعَا جَمِيلُ ابْنِ الزُّبَيْرِ^(٦) مَدِيحَهُ
مَوَلَّى عَرَفْتُ بِجَاهِهِ^(٧) وَبِمَالِهِ
وَأَتَمَّ حَظِّي بَعْدَ نُقْصَانِ فَكَمِ
وَجَبَتْ عَلَى لَهُ حَقُوقُ لَمْ أَقُمْ
وَأَرَاخَ قَلْبِي مِنْ مُكَابَدَةِ الْوَلَةِ
صَيَنْتُ بِهَا عِبْرَاتِي الْمُتَبَدَّلَةِ
أَمَّا تَصِلُ عَنِ الرَّشَادِ مُضْلَلَةً^(٨)
وَيَرُومُ مِنْ أَحْبَابِهِ مَا لَيْسَ لَهُ
وَأَرَاخَ مِنْ تَعَبِ الْمَلَامَةِ عُدْلَهُ
فَأُطَاعَهُ وَعَصَى الْهَوَى وَتَغَزَّلَهُ
عِزَّ الْغِنَى وَجَهَلْتُ ذُلَّ الْمَسْأَلَةِ
مِنْ عَائِدٍ لِي مِنْ نَدَاهِ وَمِنْ صَلَهُ
مِنْهَا بِمَاضِيَةٍ وَلَا مُسْتَقْبَلَةٍ

(١) ت : مدحت . (٢) د : وقفته . (٣) د : له ففيها .

(٤) ما بين القوسين زيادة في ت . (٥) ومظله . (٦) د ، ت : ما .

(٧) جميل : معروف . وابن الزبير : هو زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن الزبير الذي ولي الوزارة من سنة ٦٥٦ هـ إلى سنة ٦٥٩ هـ حيث عزله السلطان الظاهر . وكان آية في السكرم ، أديبا شاعرا ، توفي سنة ٦٦٨ هـ .

(٨) ت : بجاله . وقد علق عليها صاحبها في الهامش بقوله « ولعلها بجاهه » .

لَا أُسْتَطِيعُ جُحُودَهَا ، وَشُهُودَهَا عِنْدِي بِمَا أُولَتْ يَدَاهُ مُعَدَّلَهُ
 مَا طَالَ صَمْتُ مَدَائِحِي عَنْ بَجْدِهِ إِلَّا لِأَنَّ صَلَاتِهِ مُسْتَرْسَلَهُ
 فَتَى هَمَمْتُ بِشُكْرِ سَالِفِ نِعْمَةٍ أَلْفَيْتُ سَالِفَتِي ^(١) بِأُخْرَى مُثَقَّلَةٍ ^(٢)
 مَنْ مِثْلُ زَيْنِ الدِّينِ يَعْقُوبَ الَّذِي أَضَحَّتْ بِهِ رُتَبُ الْفَخَارِ مُوْثَلَهُ
 عَمَّ الْخِلَاطِقُ جُودَهُ فَكَأَنَّمَا يَدُهُ بِأَرْزَاقِ الْوَرَى مُتَكَفَّلَهُ
 حَكَمْتُ أَنَامِلَهَا لَهُ بِالرَّفْعِ مِنْ أَفْعَالِهِ الْحُسْنَى بِخَمْسَةِ أُمْنِلَهُ
 وَأَحَلَّهُ الشَّرَفَ الرَّفِيعَ ذَكَوُهُ فَرَأَيْتُ مِنْهُ عَطَارِدًا فِي السُّنْبُلَةِ
 سَلَّ عَنْهُ وَاسْأَلْ عَنْ أَبِيهِ وَجَدَهُ تَسْمَعُ أَحَادِيثَ الْكَرَامِ مُسَلْسَلَهُ
 إِنْ صَالَ كَانَ اللَّيْثُ مِنْهُ شَعْرَةً أَوْ جَادَ كَانَ الْبَحْرُ مِنْهُ أُنْمَلَهُ
 كَمْ أَظْهَرْتَ أَفْلاَمَهُ مِنْ مُعْجِزٍ لِلطَّرْسِ لَمَّا أَنْ رَأَتْهُ مُرْسَلَهُ
 مَلَأَتْ بِإِمْلَاءِ الْخَوَاطِرِ كُتُبَهُ حِكْمًا عَلَى وَفْقِ الصَّوَابِ مُزَلَّهُ
 وَبَدَتْ فَوَاصِلُهُ خِلَالَ سَطُورِهَا ^(٣) تُهْدِي لِقَارِئِهَا الْعُقُودَ ^(٤) مُفَصَّلَهُ
 مَا صَانَهَا نَقْصُ الْكَمَالِ وَلَمْ تَقُتْ فِي الْحُسْنِ بِسَمَلَةِ الْكِتَابِ الْحَمْدَلَهُ
 قَدْ أَغْنَتْ الْفُقَرَاءَ وَافْتَقَرَتْ لَهُمْ هِمَمُ الْمُلُوكِ فَمَا تَزَالُ مُوْثَلَهُ
 مِنْ مَعَشَرٍ شَرَعُوا الْمَكَارِمَ وَالْعُلَى وَتَبَوَّهُوا مِنْ كُلِّ بَجْدٍ أَوَّلَهُ
 آلُ الزُّبَيْرِ الْمُرْتَجَى إِسْعَادُهُمْ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ تَنْوُبُ وَمُفْضِلَهُ
 الْمَكْتُرُونَ طَعَامَهُمْ وَطِعَانَهُمْ يَوْمَ النَّزَالِ وَفِي السَّنِينَ الْمُحِجَلَهُ

(١) د ، ت : سالفى . والصواب ما أثبتناه .

(٢) د : بأخر .

(٣) ت : سطوره .

(٤) د عقود .

قَوْمٌ لِكُلِّهِمْ عَلَى كُلِّ الْوَرَى أَبَدًا يَدٌ مَرَهُوبَةٌ وَمُنَوَّلَةٌ
 إِنَّ يُسْأَلُوا كَرَمًا وَعِلْمًا أَعْجَزُوا بِمَدِّعٍ أَجْوَبَةٌ لَتَلَكَّ الْأَسْئَلَةُ
 أَنْفُوا ذُنُوبًا وَدَّ كُلُّ مُقْبَلٍ لَوْ أَنَّهَا حَسَنَاتُهُ الْمُتَقَبَّلَةُ
 لَوْلَا مَنَاقِبُكُمْ لَكَانَتْ هَذِهِ الدُّ نِيَامِنَ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ مُعْطَلَةٌ

وله ؛ رحمه الله ؛ فيما كتب به لجناب السابق :

إِنَّ خُلُقَ الشُّهُودِ وَالْعَمَالِ مِثْلُ خُلُقِ الْعُشَاقِ وَالْعُدَالِ
 كُلُّ عَدَلٍ مُضَاقٍ ^(١) فِي وُصُولٍ كَعَدُولٍ مُضَاقٍ ^(٢) فِي وَصَالٍ
 لَسْتُ أَدْرِي مَعْنَى التَّبَاغُضِ مَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ غَيْرَ حُبِّ الْمَالِ ^(٣)
 فَإِذَا زَالَتِ الْمَطَامِعُ مِنْهُمْ أَذَّنَ الْخُلْفُ بَيْنَهُمْ بِالزَّوَالِ
 سَأَلْتَنِي الْمُسْتَعْدَمُونَ وَكَانُوا قَدْ أَعَدُّوا سِلَاحَهُمْ لِقِتَالِي
 وَرَأَيْتُ ^(٤) بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَقَدْ بَا نَ لَكَ الْآنَ شِدَّةُ الْأَهْوَالِ
 وَرَأَى ابْنُ الْأَشَلِّ قَدْ كَانَ يَبْقَى كَاتِبًا مِثْلَ جَدِّهِ بِالشَّمَالِ
 فَالْتَجَا لِلْعَفَافِ مَنْ كَانَ يَوْمًا لَا لَهُ يَخْطُرُ الْعَفَافُ بِبَالِ
 وَلَهُمْ أَعْيُنٌ تَغُضُّ عَنِ الْعَيْنِ وَأَيْدٍ تَمُدُّ عِنْدَ الْغِلَالِ

(٢٠١) د، و ت : يضايق .

(٣) هذا البيت ورد في د هكذا :

لست أدر معنى التباغض ما بين الفريقين غير حب المال

(٤) ت : رثا . وقد كتب أمامها « ولعله رأى » والصواب ما ورد في د .

بأبي حزمك الذى طَرَقَ الْأَنْدَالَ^(١) مِنْهُمْ طَرَائِقَ الْأَبْدَالِ
 لَا تُوْطِنُ قُلُوبَهُمْ^(٢) يَهْجَاءُ إِنْهَا مِنْ سَطَاكَ فِي بَلْبَالِ
 مَا اسْتَوَى السِّيفُ وَاللِّسَانُ مَضَاءً أُنْسَاوَى حَقِيقَهُ بِمُحَالِ
 إِنْ قَوْلِي هَزَلًا وَفِعْلَكَ جَدًّا مِثْلُ نَبْلِ الْحَصَى وَرَشَقِ النَّبَالِ
 وَلَلْهَنَى وَلَيْتُ بِالضَّرْبِ فِي الرَّمْلِ لِأَحْظَى بِأَسْمَدِ الْأَشْكَالِ
 كَفَمِدْتُ الطَّرِيقَ إِذَا أَشْهَدْتُ لِي حِينَ عَايَنْتُهَا بِحُسْنِ مَالِ
 وَغَدَا الْأُجْتِمَاعُ يَضْمَنُ لِي عَنْكَ بُلُوغَ الرَّجَاءِ وَالْآمَالِ
 أَنْبَتَ الْعِزُّ مِنْكَ فِي بَيْتِ نَفْسِي وَالْغِنَى مِنْ يَدَيْكَ فِي بَيْتِ مَالِي
 وَإِذَا كُنْتُ نُصْرَةً لِي فِيمَا أُرْتَجِيهِ فَذَاكَ عَيْنُ سُؤَالِي

وقال يهجو النصارى واليهود ، لعنهما الله :

إِنَّ النَّصَارَى وَالْيَهُودَ مَعَاشِرٌ جُبِلُوا عَلَى التَّخْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ
 لَوْ أَنَّ فِيهِمْ عَوْرٌ عَنْ بَاطِلٍ أَبْقَوْا عَلَى التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ

وقال لما استعار منه جمال الدين حمارته [وأبى^(٣) أن يعيدها إليه ، بحكم أنه كانت له عند

صاحب الحمار مبلغ من الدراهم] :

يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي شَهِدْتُ^(٤) أَلْفَاظُهُ لِي بِأَنَّهُ فَاضِلٌ

(١) د : أنذال بغير لام . (٢) ت : قلبك .

(٣) ما بين القوسين زيادة في ت : ، في فوات الوفيات : كانت ه حماره استعارها منه ناظر الشرقية ،

فأعجبته ، فأخذها وجهر له مائتي درهم ، فكتب على لسانها إلى الناظر « المملوكة حماره البوصيري »

الآيات ، فردها الناظر إليه ، ولم يأخذ الدراهم منه . (٤) د : شهدت له .

حاشاكَ مِنْ أَنْ أَجُوعَ فِي بَلَدِي وَأَنْتَ بِالرِّزْقِ فِيهِ لِي كَافِلٌ
 أَلَمْ تَكُنْ^(١) قَدْ أَخَذْتَ عَارِيَةً مِنْ شَرْطِهَا أَنْ تُرَدَّ فِي الْعَاجِلِ
 وَكَانَ عَزَمِي عِنْدَ الْوَصُولِ بِكُمْ أَجَلَ مِنْ أَنْ أُسَاقَ لِلْإِحْصَالِ
 مَا كَانَ مِثْلِي يُعِيرُهُ أَحَدٌ قَطُّ وَلَكِنْ سَيِّدِي جَاهِلٌ
 لَوْ جَرَسُوهُ عَلَىَّ مِنْ سَفَهٍ لَقُلْتُ غَيْظًا عَلَيْهِ يَسْتَاهِلُ
 طَالَ بِي^(٢) شَوْقٌ إِلَى وَطَنِي وَالشَّوْقُ دَاءٌ لَا ذُقْتُهُ قَاتِلٌ^(٣)
 وَبُغْيَتِي أَنْ أَكُونَ سَائِبَةً مِنْ بَلَدِي فِي جَوَانِبِ السَّاحِلِ
 لَا تَطْمَعُوا أَنْ أَكُونَ عِنْدَكُمْ فَذَاكَ مَا لَا يَرُومُهُ الْعَاقِلُ
 وَبَعْدَ هَذَا فَمَا يَحِلُّ لَكُمْ مِلْكِي فَإِنِّي مِنْ سَيِّدِي حَامِلٌ

قافية الميم ، وقال يمدح النبي ؛ صلى الله عليه وسلم ؛ وهي من أشهر شعره . وهذه القصيدة تعرف بالبردة أو بالبرأة . وقد وفد بها على النبي ؛ صلى الله عليه وسلم ؛ وهو مريض ، فعوفى من وقته وساعته .

أَمِنْ تَذَكَّرِ جِيرَانِ بَذِي سَلَمٍ مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقَلَّةٍ بِدَمٍ
 أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاطِمَةٍ وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ
 فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَّتَا وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمَّ
 أَيْحَسِبُ الصَّبُّ أَنَّ الْحُبَّ مُنْكَتَمٌ مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمٍ^(٤)

(١) د : أكن . (٢) د : طال بها ، ت : طال شوقا ، ونظن الصواب ما أثبتناه .

(٣) د : مائل . (٤) المنسجم : الدمع السائل . والمضطرم : القلب المشتعل بالحب .

لَوْلَا الْهَوَى لَمْ تُرَقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ وَلَا أُرِقَتْ لِذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ
فَكَيْفَ تُنْكَرُ حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدَتْ بِكَ عَلَيْكَ عَدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ
وَأُنْبَتَ الْوَجْدُ خَطِيئَةَ عِبْرَةٍ وَضَيَّ مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالْعَنَمِ^(١)
نَعَمَ سَرَى طَيْفٍ مِنْ أَهْوَى فَأَرَقَنِي وَالْحُبُّ يَغْتَرِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ
يَا لَا بُدَّ لِي فِي الْهَوَى الْعُذْرَى مَعْدِرَةً مَنِيَّ إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلَمْ
عَدَّتْكَ حَالِي لَا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ عَنِ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي مِنْ حَسَمِ^(٢)
مَحْضَتْنِي النَّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ إِنْ الْمَحِبَّ عَنِ الْعُدَالِ فِي صَمِّ^(٣)
إِنِّي أَتَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَدَلٍ وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ التَّهَمِ
فَإِنَّ أَمَارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظْتُ مِنْ جَهْلِهَا بِذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ^(٤)
وَلَا أَعَدْتُ مِنَ الْفِعْلِ الْجَلِيلِ قَرَى ضَيْفٍ أَلَمْ يَرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَسِمِ
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أُوقِرُهُ كَتَمْتُ سِرًّا بَدَأَ لِي مِنْهُ بِالْكَمِّ^(٥)
مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللَّجْمِ
فَلَا تَرُمُ^(٦) بِالْمَعَاصِي كَسَرَتْ شَهْوَتِهَا إِنَّ الطَّعَامَ يَقْوَى شَهْوَةَ النَّهَمِ
وَالنَّفْسُ كَالطُّفْلِ إِنْ شُهِمِلَهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَقَطَّعَتْ يَنْفَطِمِ
فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَازِرْ أَنْ تُؤَلَّيَهُ إِنَّ الْهَوَى مَا تَوَلَّى يَصُمُّ أَوْ يَصِمُ^(٧)

(١) البهار : ورد أصفر . والعنم : ورد أحمر . (٢) عدتك : تجاوزتك . ومنحسم : منقطع .

(٣) محضتني النصح : أخلصته . (٤) الأماراة بالسوء : هي النفس .

(٥) الكتم : نبت يخضب به كالحناء . (٦) لا ترم : لا تقصد ولا تطلب .

(٧) أن توليه : تجعله واليا عليك . ويصمي : يقتل ؛ من أصمى . ويصم : يعيب ؛ من وصم .

وَرَاعِهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتِ الْمَرْعَى فَلَا تُسَمُّ (١)
كَمْ حَسَدَتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً مِنْ حَيْثُ لَمْ يَذَرِ أَنْ الشَّمَّ فِي الدَّسَمِ
وَإِخْشَ الدَّسَائِسِ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبِيعٍ قَرُبٌ مَحْصَةٌ شَرٌّ مِنَ التَّخَمِ (٢)
وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدَامَتَلَتْ مِنَ الْمَحَارِمِ وَالزَّمْ حِيَةَ النَّدَمِ (٣)
وَخَالَفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِمَا وَلَا تُطِيعَ مِنْهُمَا خَفَمًا وَلَا حَكَمًا
فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخُصْمِ وَالْحَكَمِ فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخُصْمِ وَالْحَكَمِ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلٍ بِلاَ عَمَلٍ لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلًا لِيَذَى عَقْمِ
أَمْرُ نَفْسِكَ الْخَيْرُ لَكِنْ مَا انْتَمَرْتُ بِهِ وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ
وَلَا تَزَوِّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً وَلَمْ أَصَلِّ سِوَى فَرَضِي وَلَمْ أَصُمْ
ظَلَمْتُ سَنَةً مِنْ أَحْيَا الظَّلَامِ إِلَى أَنْ اشْتَكَيْتَ قَدَمَاهُ الضَّرْمِ وَرَمِ
وَشَدَّ مِنْ سَبَبِ أَحْشَاءِهِ وَطَوَى تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحَامُتَرَفِ الْأَدَمِ (٤)
وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ
وَأَكَدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَمْدُو عَلَى الْعِصَمِ (٥)
وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى اللَّهِ نِيَا ضَرُورَةً مَنْ لَوْلَاهُ لَمْ تُخْرِجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ
مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْنِ وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمِ

(١) السوم : الرعى في العشب المباح . (٢) الخمصة : الجوع .

(٣) الحمية عن الشيء : الامتناع عنه .

(٤) السغب : الجوع . والكشع : ما بين الحاصرة إلى الضلع . والمترف : المنعم .

(٥) العصم : جميع عصمة ، وهي الحفظ .

نَبِينَا الْآمِرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ
هُوَ الْحَلِيبُ الَّذِي تُرْجَى شِفَاعَتُهُ
دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ
فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ
وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ
وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ
فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ
مُزَنَّةٌ عَنْ شَرِيكَ فِي مَحَاسِنِهِ
دَعَا مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ
وَانْسَبَ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ
لَوْ نَاسَبَتْ قُدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَمًا
لَمْ يَمْتَحِنًا بِمَا تَعْيَا الْعُقُولُ بِهِ
أَعْيَا الْوَرَى فَهُمْ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى
كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بَعْدِ
وَكَيفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ
أَبْرَ فِي قَوْلٍ «لَا» مِنْهُ وَلَا «نَعَمْ»
لِكُلِّ هَوًى مِنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحِمٌ
مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْفَصِمٍ
وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ
غَرَفَا مِنَ الْبَحْرِ أَوْرَشَفَا^(١) مِنَ الدِّيمِ
مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكَلَةِ الْحَكَمِ^(٢)
ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِئُ النَّسَمِ^(٣)
خَجَوْهُرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ
وَاحْكُمُ بِمَا شِئْتَ مَذْحًا فِيهِ وَاحْتَكُمِ
وَانْسَبُ إِلَى قُدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمٍ
حَدِّ فَيُعْرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِقَمٍ
أَحْيَا اسْمَهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرَّمَمِ
حِرْصًا عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهْمِ^(٤)
فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَجِمٍ^(٥)
صَغِيرَةً وَتُكِلُ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمٍ^(٦)
قَوْمٌ نِيَامٌ تَسْلَوُا عَنْهُ بِالْحُلَمِ

(١) الرشف : المص . والديم : جمع ديمة ، وهي المطار .

(٢) الحكم جمع حكمة وهي وضع الأشياء في مواضعها . (٣) النعم جمع نسمة ، وهي الإنسان .

(٤) لم نهم : لم نفضل . (٥) المنفجم : الساكت عجزا في المناظرة . (٦) تكل : تعجب . أمم : قرب .

فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ^(١)
وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسُلَ الْكَرَامُ بِهَا فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ
فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلِ هُمْ كَوَاكِبُهَا يُظْهِرُنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ
أَكْرَمُ بِخَلْقِ نَبِيِّ زَانَهُ خُلُقُ بِالْحَسَنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمِ^(٢)
كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالتَّيْدِ فِي شَرَفٍ وَالتَّبَخْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هِمَمِ
كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ مِنْ جَلَالَتِهِ فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمِ
كَأَنَّمَا اللَّوْلُوُ الْمَسْكُونُ فِي صَدَفٍ مِنْ نَعْدَتِي مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسِمِ
لَا طِيبَ يَعْدِلُ تَرْبَا ضَمَّ أَعْظَمُهُ طُوبَى لِمُنْدَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَمِ^(٣)
أَبَانَ مَوْلَاهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ يَاطِيبَ مُبْتَدَأٍ مِنْهُ وَمُخْتَمِ
يَوْمٌ تَفْرَسَ فِيهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمْ قَدْ أَنْذَرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنَّقَمِ^(٤)
وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وَهُوَ مُنْصَدِعٌ كَشَمَلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَمِ
وَالنَّارُ خَامِدَةٌ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسْفٍ عَلَيْهِمُ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ^(٥)
وَسَاءَ سَاوَةٌ أَنْ غَاضَتْ بِحَيْرَتِهَا وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالْغَيْظِ حِينَ ظَمَى^(٦)
كَأَنَّ النَّارَ مَا بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ حَزْنًا وَبِالْمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ^(٧)
وَالْجِنُّ تَهْتِفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ وَالْحَقُّ يُظْهِرُ مِنْ مَعْنَى مِنْ كَلِمِ

(١) مبلغ العلم : غايته . (٢) متمم : متصف .

(٣) طوبى من الطيب قلبوا الياء واوا لضمه ما قبلها . والمندشق : من يشمه ، والمُلتَم : من يقبله .

(٤) تفرس : تعرب بالظن الصائب . (٥) ساهى : ساكن . والسدم : الحزن .

(٦) ساوة مدينة في بلاد فارس بين همدان الرى . (٧) الضرم : الالتهاب .

عَمُوا وَصَمُّوا فَأَعْلَانُ الْبَشَائِرِ لَمْ
 مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ
 وَبَعْدَ مَا عَيْنُوا فِي الْأَفْقِ مِنْ شُهْبِ
 حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مُنْهَزِمٌ
 كَاهِنُهُمْ هَرَبًا أَبْطَالُ أَبْرَهَةَ
 نَبَذَا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَا
 جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الْأَشْجَارُ سَاجِدَةً
 كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْرًا لِمَا كَتَبَتْ
 مِثْلَ الْعَمَامَةِ أُنَّى سَارِ سَائِرَةٍ
 أَفْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ
 وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ
 فَالْصِّدْقُ فِي الْغَارِ وَالصِّدْقُ لَمْ يَرِ مَا
 ظَنُّوا الْحِمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى
 وَقَايَةُ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةِ
 مَا سَامَنِيَ الدَّهْرُ ضَمِيمًا وَاسْتَجَرَتْ بِهِ
 وَلَا التَّمَسُّتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ
 لَا تُنْكَرِ الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ
 تَسْمَعُ وَبَارِقَةُ الْإِنْذَارِ لَمْ تُشْمِ^(١)
 بَأَنَّ دِينَهُمُ الْمُفْجَعُ لَمْ يَقُمْ
 مُنْقَضَةً وَفَقَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَنْمِ^(٢)
 مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمِ
 أَوْ عَسْكَرٍ بِالْحَيِّ مِنْ رَاحَتِهِ رُمِي
 نَبَذَ الْمَسْبُوحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ
 تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلا قَدَمِ
 فَرُوعُهَا مِنْ بَدْرِيعِ الْخَطِّ فِي اللَّقَمِ
 تَقِيهِ حَرَّ وَطَيْسٍ لِلْهَجِيرِ^(٣) حَمَى
 مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ
 وَكُلُّ طَرَفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمَى
 وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرَمِ^(٤)
 خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحْمِ
 مِنَ الدَّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأُطَمِ^(٥)
 إِلَّا وَنِلْتُ جَوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضَمِ
 إِلَّا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ
 قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنْهَمِ^(٦)

(١) تشم: تنظر. (٢) الوفق: الموائق، أى المائل. (٣) د: بالهجير.

(٤) لم يرما: لم يبرحا. وأرم على وزن كَتَف: العلم والأثر. (٥) الأطم: الحصون.

(٦) يقول: إن رؤيا النبي في المنام هي وحى من عند الله.

وذاك حينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَمِلٍ^(١)
تَبَارَكَ اللَّهُ مَا وَحَى بِمُكْتَسَبٍ وَلَا نَبِيٍّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمٍ
كَمْ أَبْرَأَتْ وَصِيًّا بِاللَّهِ رَاحَتُهُ وَأُطْلِقَتْ أَرْبَابًا مِنْ رِبْقَةِ اللَّعْمِ^(٢)
وَأُحْيِيَتِ السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ دَعْوَتُهُ حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الْأَعْصُرِ الدَّهْمِ^(٣)
بِعَارِضٍ جَادٍ أَوْ خِلَتْ الْبِطَاحَ بِهَا سَبَبٌ مِنَ الْيَمِّ أَوْ سِيلٌ مِنَ الْعَرَمِ^(٤)
دَعَا وَوَصَفَى آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ فَالْذُّرُّ يَزِدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مُنْتَظَمٌ
ظُهُورَ نَارِ الْقَرَى لَيْلًا عَلَى عِلْمٍ وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظَمٍ
فَمَا تَطَاوَلُ آمَالِ الْمَدِيحِ إِلَى مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَالشَّيْمِ^(٥)
آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثَةٌ قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمَوْصُوفِ بِالْقَدَمِ^(٦)
لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهِيَ تُخْبِرُنَا عَنْ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمٍ
دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجَزَةٍ مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدَمْ
مُحْكَمَاتٌ فَمَا تُبْقِيَنَّ مِنْ شُبُهٍ لَدَى شَقَاقٍ وَمَا تُبْقِيَنَّ مِنْ حَكَمٍ
مَاحُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرْبٍ أَعْدَى الْأَعَادَى إِلَيْهَا مُلْقَى السَّلَمِ
رَدَّتْ بِبَلَاغَتِهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنْ الْحَرَمِ
لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيمِ

(١) المحتلم الذي يرى الحلم في النوم، فحلم النبي كما يقول وحى لا ينكر .

(٢) الوصب : المريض . والأرب : المحتاج . والربقة أصلها الخيل . واللم : الجنون .

(٣) السنة الشهباء : المجذبة .

(٤) أُوخِلَتْ : أى إلى أن خلت . والبطاح : جمع أبطح ، وهو مسيل الماء . والسيب : الجرى . والعرم : الوادى

(٥) تطاول إلى كذا : طلب الوصول إليه . (٦) محدثة : إنزاعها محدث .

فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى مَجَائِبُهَا وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّامِ
قَرَّتْ بِهَا عَيْنٌ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ لَقَدْ ظَفَرْتَ بِجَبَلِ اللَّهِ فَاغْتَصِمِ
إِنْ تَتْلَاهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارٍ لَطَى أَطْفَأَتْ نَارَ لَطَى مِنْ وَرْدِهَا الشَّيْمِ
كَأَنَّهَا الْخَوْضُ تَبْيِضُ الْوَجْوهُ بِهِ مِنْ الْعُصَاةِ وَقَدْ جَاءَهُ كَالْحَمَمِ
وَكَالصَّرَاطِ وَالْمِيزَانِ مَعْدِلَةً فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمْ
لَا تَعْجَبَنَّ لِحُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا تَجَاهُلًا وَهُوَ عَيْنُ الْحَاقِقِ الْفَهَمِ
قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ
يَا خَيْرَ مَنْ يَمِّمُ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ سَعِيًّا وَفَوْقَ مُتُونِ الْأَيْتَنِ الرَّسْمِ^(١)
وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُفْتَسِرِ
سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
وَبِتَّ^(٢) تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرِكْ وَلَمْ تَرْمِ
وَقَدْ مَتَكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا وَالرُّسُلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ
وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ فِي مَوْكِ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعِلْمِ
حَتَّى إِذَا لَمْ تَدْعُ شَأْوًا لِمُسْتَبِقٍ مِنَ الدُّنُوِّ وَلَا مَرَقٍّ لِمُسْتَنْمٍ^(٣)
خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ نُودِيتَ بِالرَّقْعِ مِثْلَ الْمَفْرَدِ الْعِلْمِ^(٤)
كَيْمَا تَقْوُزَ بِوَضَلٍ أَيْ مُسْتَتِرٍ عَنِ الْعُيُونِ وَسِرٍّ أَيْ مُكْتَتِمٍ

(١) العافون : طلاب الرزق . و الأيتق : النياق . والرسم : التي ترسم : الأرض أى تعلمها .

(٢) د : فظلت . (٣) المستنم : طالب الرفعة إلى السنام ، وهو أعلى الشئ .

(٤) بالإضافة إلى مقامك . والرفع الارتفاع وفيه تورية برفع الإعراب عند النحاة .

فَحَزَنَتْ كُلَّ فَخَّارٍ غَيْرِ مُشْتَرَكٍ وَجُزَّتْ كُلُّ مَقَامٍ غَيْرِ مُزْدَحَمٍ
وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُوْلِيَتْ مِنْ نِعَمٍ
بُشِّرَى لَنَا مَعَشَرَ الْإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدَمٍ
لَمَّا دَعَا اللَّهُ دَاعِيَنَا لِطَاعَتِهِ بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ
رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أَنْبَاءَ بَيْعَتِهِ كَنَبَأَةِ أَجْفَلَتْ غَفْلًا مِنَ الْفَنَمِ
مَازَالَ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ حَتَّى حَاكَمُوا بِالْقَنَاءِ لِحَمَاءٍ عَلَى وَضَمٍ ^(١)
وَدُّوا الْفِرَارَ فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ أَشْلَاءَ شَالَتْ مَعَ الْعِقْبَانِ وَالرَّحَمِ
تَمَضَى الْيَأْلَى وَلَا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيْلَى الْأَشْهُرِ الْحَرُمِ
كَأَنَّما الدِّينُ صُنِيفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ بِكُلِّ قَرَمٍ إِلَى لَحْمِ الْعِدَا قَرَمٍ ^(٢)
يَجْرُ بِحَرِّ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِجَةٍ يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الْأَبْطَالِ مُلْتَطِمٍ ^(٣)
مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلَّهِ مُخْتَسِبٍ يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكَفْرِ مُضْطَلِمٍ ^(٤)
حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةُ الرَّحِمِ
مَكْفُولَةٌ أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ وَخَيْرِ بَعْلِ فَلَمْ تَتَيْتَمِ وَلَمْ تَتِمِ ^(٥)
هُمْ الْجِبَالُ فَسَلَّ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ مَا ذَا رَأَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُضْطَدَمٍ
وَسَلَّ حُنَيْنًا وَسَلَّ بَدْرًا وَسَلَّ أَحَدًا فُصُولُ حَتَفٍ لَهُمْ أَذْهَى مِنَ الْوَحَمِ ^(٦)
الْمُصْدِرِ الْبَيْضِ خُمْرًا بَعْدَ مَا وَرَدَتْ مِنَ الْعِدَا كُلِّ مُسَوِّدٍ مِنَ اللَّمَمِ ^(٧)

(١) الوزم : كل خشبة يقطع عليها اللحم .

(٢) القرم : السيد . والقرم : بالتحريك شدة الشهوة إلى اللحم . (٣) السابجة : الخيل .

(٤) المنتدب : المحيىب . (٥) التأييم : فقدان الزوج . (٦) الوحم : الوباء .

(٧) اللمم : جمع لمة وهى الشعر إذا جاوز الأذن .

- وَالْكَاتِبِينَ بِسُومٍ مَخْطُوطٍ مَاتَرَكْتُ أَقْلَامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمٍ
 شَاكِيَ السَّلَاحِ لَهُمْ سِمَى تُمَيِّزُهُمْ وَالْوَرْدُ يَمْتَارُ بِالسِّمَى عَنِ السَّلَمِ^(١)
 تَهْدِي إِلَيْكَ رِيَّاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمْ فَتَحَسَبُ الزَّهْرَ فِي الْأَكَامِ كُلِّ كَمَى
 كَانَهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتُ رُبًّا مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لِأَمِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ^(٢)
 طَارَتْ قُلُوبُ الْعِدَامِ بِأَسْبِهِمْ فَرَقًا فَمَا تَفَرَّقُ بَيْنَ الْبَهْمِ وَالْبَهْمِ^(٣)
 وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نُصْرَتُهُ إِنْ تَلَقَّه الْأَسَدُ فِي آجَامِهَا تَجِمُ
 وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْقَصِمٍ^(٤)
 أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي أَجَمٍ
 كَمْ جَدَلَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ جَدَلٍ فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْبُرْهَانُ مِنْ خَصَمٍ^(٥)
 كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجَزَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْتَأْدِيبِ فِي الْيُسْمِ
 خَدَمْتُهُ بِمَدِيحِ اسْتَقِيلُ بِهِ ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشَّعْرِ وَالْخَدَمِ
 إِذْ قَلَدَانِي مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ كَأَنَّيْ بِهِمَا هَدَى مِنْ النِّعَمِ^(٦)
 أَطَعْتُ عَنِّي الصَّبَا فِي الْحَاتَتَيْنِ وَمَا حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الْآثَامِ وَالنَّدَمِ
 فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسْمِ^(٧)

(١) السيمى : العلامة . السلم : نوع من الشجر .

(٢) الحزم : قوة النبات . والحزم جمع حزام : وهى مايشد به مرج الفرس ونحوها .

(٣) البهم جمع بهمة : وهى السخلة . والبهم جمع بهمة ، وهى الشجاع . (٤) المنقصم : المنقطع .

(٥) جدل : صرع . والجدالة : الأرض . والجدل : كثير الجدال . خصمه : غلبه . والحصم :

شديد الخصومة . (٦) الهدى : ما يهدى إلى الحرم ليذبح .

(٧) سام البائع اللعة : عرضها للبيع . وسامها المشتري : طلب شراءها .

- وَمَنْ يَبِيعْ أَجَلًا مِنْهُ بِعَاجِلِهِ
 (١) يَبِينُ لَهُ الْعَبْنُ فِي يَبْعٍ وَفِي سَلَمٍ
 إِنْ آتَ ذَنْبًا فَمَا عَمَدِي بِمُنْتَقِضٍ
 مِنْ النَّبِيِّ وَلَا حَبْلِي بِمُنْصَرِمٍ
 فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَّتِي
 مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمَمِ
 إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي أَخْذًا بِيَدِي
 فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ
 حَاشَا أَنْ يَحْزِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ
 أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمٍ
 وَمُنْذُ أَلَزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَامَحَهُ
 وَجَدْتُهُ لَخْلَاصِي خَيْرَ مُتَلَزِمٍ
 وَلَنْ يَفُوتَ الْغَنَى مِنْهُ يَدًا تَرَبَّتْ
 (٢) إِنْ الْحَيَا يُذْنِبُ الْأَزْهَارُ فِي الْأَكَمِ
 وَلَمْ أُرْذَرْ هَرَّةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفَتْ
 يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرَمٍ
 يَأْ كَرَّمَ الرُّسُلَ مَالِي مَنْ أُلُوذُ بِهِ
 وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي
 فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا
 (٣) سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ
 وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي
 فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا
 (٤) إِذَا الْكَرِيمُ تَحَلَّى بِاسْمِهِ مُنْتَقِمٍ
 فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا
 (٥) يَنْفَسُ لَا تَقْطَعِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ
 لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا
 (٦) يَارَبِّ وَأَجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ
 وَالطُّفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنْ لَّهْ
 (٧) وَانْذَنْ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ
 عَلَى النَّبِيِّ بِمَنْهَلٍ وَمُنْسَجِمٍ
 (٨)

(١) السَّلَمُ فِي الْبَيْعِ : هُوَ الْبَيْعُ الْمَوْجَلُ الدَّفْعُ . (٢) تَرَبَّتْ : افْتَقَرَتْ . وَالْأَكَمُ جَمْعُ أَكْمَةٍ : وَهِيَ الرِّبْوَةُ .
 (٣) الْحَادِثُ الْعَمَمُ : يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، لِأَنَّهُ هُوَ يَعْمُ الْخَلْقَ . (٤) تَحَلَّى : انْصَفَ . وَالْمُنْتَقِمُ : مَنْ أَسْمَاءُ اللَّهِ
 (٥) ضَرَّةُ الدُّنْيَا : هِيَ الْآخِرَةُ . (٦) الْعَمَمُ : صَغَارُ الذُّنُوبِ .
 (٧) الْمُنْخَرَمُ : الْمُنْقَطِعُ . (٨) الْمَنْهَلُ : السَّائِلُ بِشِدَّةٍ . وَالْمُنْسَجِمُ : السَّائِلُ بِهَدْوٍ وَرَفَقٍ .

مَا رَنَحْتَ عَذَابَاتِ الْبَانِ رِيحٌ صَبَا
وَقَالَ [عفا الله عنه ^(٢) من الكامل] :

عَرَّجُ بَرَامَةٍ إِنِّهَا لِمَرَامِي
نَزَلُوا الْعَقِيقُ فَأَدُمُمِي شَوْقًا إِلَى
مَا لِلدَّيَارِ وَالْمُحِبِّ كَأَنَّمَا
عَهْدِي بِهَا وَكَأَنَّ مُنْهَلَ الْحَيَا
وَشَدَا الْحَمَامُ عَلَى الثَّمَامِ ^(٧) وَمَا لِي
وَذُهِلْتُ لَا أَدْرِي بِمَا أَنَا مَائِلٌ
نَمَّ الْوُشَاةُ بِنَا أَلَا إِنَّ الْهُوَى
وَتَحَدَّثُوا أَنِّي سَلَوْتُ هَوَاكُمُ
وَضَرَبْتُمُ بَيْنِي وَبَيْنَ جَمَالِكُمْ
وَقَضَتْ مَهَابَتُكُمْ بَتْرَكَ زِيَارَتِي
وَلَوْ أَنِّي حَاوَلْتُ نَقْضَ عَهْدِكُمْ
مَا ضَرَّكُمْ جَبْرُ الْكَسِيرِ وَحَسْبُهُ
وَلَقَدْ خَلَوْتُ بِذِكْرِكُمْ وَلِعَبَرَتِي
وَقَرَأْتُ سُلْوَانَ السَّلَامِ فَلَيْسَ مِنِّي
قَسَمًا بِحُسْنِكُمُ الْمَصُونِ وَإِنَّهُ
لَأَعْقِرَنَّ بِأَرْضِكُمْ خَذْيَ مِنِّي

وَأَطْرَبَ الْعَيْسَ حَادِي الْعَيْسِ بِالنِّعَمِ ^(١)
وَبِحِجْرَةٍ فِيهَا عَلَى كِرَامِ ^(٣)
تِلْكَ الرُّبَا مِثْلُ الْعَقِيقِ دَوَامِ ^(٤)
مُزَجَّتْ حَامُّهَا لَهُ بِحِمَامِ ^(٥)
دَمْعِي وَمُضَفَّرَ الْبَهَارِ سَقَامِي ^(٦)
مَرَّ الصَّبَا وَحَكَّتُهُ عُودُ ثَمَامِ
بِشَدَا نَسِيمِ أَوْ بِشَدَوِ حَمَامِ
لَمْ يَخْلُ مِنْ وَاشٍ وَلَا ثَمَامِ
كَيْفَ السَّلْوُ مِنَ الزَّلَالِ الطَّامِي ^(٨)
حُجْبًا مِنَ الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ
مَنْ ذَا يَزُورُ الْأُسْدَ فِي الْأَجَامِ
لَأَبَى جَمَالِكُمْ وَحَفِظْتُ ذِمَامِي
مَا يَلْتَقِي فِي الْجُبْرِ مِنْ آلَامِ ^(٩)
بِتَسَهَّدٍ فِي الْجَفْنِ أَيْ زِحَامِ
رَوْمٍ لَهُ مِنِّي وَلَا إِثْمَامِ ^(١٠)
عِنْدَ الْمُحِبِّ لَأَكْبَرُ الْأَقْسَامِ ^(١١)
تَمْشَى أَلْمَا وَمَرَاتِعِ الْأَرَامِ ^(١٢)

- (١) رنحت: أملت. وعذابات البان: أغصانه. والعيس: الإبل البيض. (٢) ما بين القوسين زيادة في ت.
(٣) رامة: موضع. ومرامى: طلبى وبغى. (٤) العقيق: موضع بظاهر المدينة، والعقيق الثانية:
(٥) بحمام: بموت.
(٦) منهل الحيا: منصب المطر.
(٧) الثمام: نوع من الشجر.
(٨) الزلال: العذب الصافي البارد من الماء. والطامى الكثير. (٩) ت يتقى في الخبر من لإيلام.
(١٠) روم: طلب. إشمام: قرب ودنو. وهما من مصطلحات القراء. (١١) ت. أوكد.
(١٢) المهى: جمع مهاة وهى البقرة الوحشية. الآرام: جمع رَم، وهو الظبي الخالص البياض.

وَلَا يُكَيِّنَ عَلَى زَمَانٍ فَاتَنِي مِنْكُمْ بَعْمَنِي عُرْوَةَ بْنِ حِزَامٍ^(١)
وَلَا هُدَيْنَ إِلَى الْوَزِيرِ وَالْهَدْيَ الْإِنَامُ بِهِمْ إِلَى طَرُقِ الْمَلَا
صَانَ الذِّدَى أَعْرَاضَهُمْ وَزَهَتْ بِهِمْ دُرُّ الدَّائِحِ فِي أَجَلٍ نِظَامٍ
لَمَّا غَدَوَا^(٢) فِي الْفَضْلِ كَالْأَعْلَامِ
وَتَأَثَّلَتْ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا بِهِمْ فَكَأَنَّمَا الْأَزْهَارُ فِي الْأَكَامِ^(٣)
وَحَمَى الْوَزِيرُ الصَّاحِبُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَيَا تَخَلَّقُ جِدَّةَ الْأَيَّامِ^(٤)
وَجَنَّبَاتِهَا مِنْ رَأْيِهِ بِحُسَامٍ
لَمَّا أَصَابَ بِهَا مَقَاتِلَ لِلْعِدَا عَالِمُوا بِأَنَّ الْقَوْسَ فِي يَدِ رَامٍ
اللَّهُ وَقَّعَهُ فَوْقَ كُلِّ مَا يَنْوِيهِ مِنْ نَقْصٍ وَمِنْ إِبْرَامٍ
فَكَأَنَّمَا الْأَفْدَارُ فِي تَصْرِيفِهَا مُنْقَادَةٌ لِمُرَادِهِ بِزِمَامٍ
وَوَصَلَ النَّهَارَ بِلَيْلِهِ فِي طَاعَةٍ وَصَلَاتِهِ مَوْصُولَةٌ بِصِيَامٍ
كُحِلَتْ بِتَقْوَى اللَّهِ مُقْلَتُهُ الَّتِي لَمْ تَكْتَحِلْ أَجْفَانُهَا بِمَنَامٍ
يُمْسِي وَيُصْبِحُ طَاوِيًا أَحْشَاءُهُ كَرَمًا عَلَى سَعْبٍ وَحَرًّا أَوَامٍ^(٥)
عَجَبًا لَهُ يُطَوِّي حَشَاهُ عَلَى الطَّوَى وَتَحَضُّهُ التَّقْوَى عَلَى الْإِطْعَامِ
نَزَعَتْ^(٦) وَمَا هَمَّتْ بِهِ النَّفْسُ الَّتِي نَزَعَتْ عَنِ الشَّهَوَاتِ نَزَعَ هُمَامٍ^(٧)
فَتَنَعَّمُ الْأَرْوَاحَ لَيْسَ بِمَذْرُوكٍ إِلَّا بِتَرْكِ تَعَمُّرِ الْأَجْسَامِ
قَرَنَ الْوِزَارَةَ بِالْوِلَايَةِ فَهُوَ فِي حِلٍّ مِنَ التَّقْوَى وَمِنْ إِحْرَامٍ^(٧)

(١) د : على الزمان فإنني ، وهذه رواية ت .
والجبل والرياء . (٣) د : الآكام .
(٢) د : غدا . الأعلام : جمع علم ، وهو العلامة .
(٤) تأثلت : تأصلت . تخلق : تبلى .
(٥) سعب : جوع . أوام شدة العطش . (٦) د : دعه . ونزعت نفسه عن الشيء : أى رغبت عنه .
(٧) أى أنه حل في التقوى وأحرم بها .

فَاقَتْ مَنَاقِبُهُ الْعُقُولَ فَوَصَفُهُ
فَقَرَأْنِي فِيهَا أَنْتَ مِنْ مَدْحِهِ
أَوْ مَا تَرَاهَا رِيفُهَا يُحِلِّي الْجَنَى
وَإِذَا رَعَتْ كَرَمَ الْمَكَارِمِ أَخْرَجَتْ
تَكْسُو مُحَاسِنَهُ الْمَدِيحَ جَلَالَةً
يَهْتَزُّ لِلْمَجْدِ اهْتِزَازَ مُتَقَفٍ
كَفٍ بِإِسْدَاءِ الصَّنَائِعِ مُفْرَمٍ
يَرْتَاحُ إِنْ سُئِلَ النَّوَالُ كَأَمَّا
تَفْدِيهِ أَقْوَامٌ كَانَ وَجُوهُهُمْ
كَمْ بَيْنَ ذِكْرِ الصَّاحِبِ بْنِ مُحَمَّدٍ
شَوْقًا لِمَا مَسَّتْ أُنَامِلُهُ فَيَا
أَكْرَمَ بِأَقْلَامٍ غَدَا قَسَمِي بِهَا
فَكَمْ ارْتَزَقْتُ بِمِيزِهَا لَضَرُورَةً
وَعَكَفْتُ آمَالِي عَلَيْهَا جَاهِلًا
وَرَجَعْتُ عَنْهَا آيسًا فَكَأَمَّا
زَانَ الْوُجُودَ بِخُمْسَةِ سَمَاهُمْ
فَتَشَابَهَتْ أَسْمَاؤُهُمْ وَصِفَاتُهُمْ
فَتَنَاهَ وَاحِدُهُمْ ثَنَاءَ جَمِيعِهِمْ
مِثْلُ الثَّرَيَّا وَهِيَ عِدَّةُ أَنْجُمٍ

مَا لَيْسَ يُدْرِكُ فِي قُوَى الْأَفْهَامِ
كَالنَّخْلِ يَأْتِي الزَّهْرَ بِالْإِلْهَامِ
وَبِنَاوُهَا فِي غَايَةِ الْإِحْسَامِ
شَهْدَ الْمَدَائِحِ فِيهِ سُكْرٌ مُدَامِ
فَيَجِلُّ فِيهَا ^(١) قَدْرُ كُلِّ كَلَامِ
كَرَمًا وَيَنْتَدِبُ انْتِدَابَ حُسَامِ ^(٢)
لَا زَالَ ذَا كَلَفٍ بِهَا وَغَرَامِ ^(٣)
وَرَدَتْ عَلَيْهِ بَشَارَةٌ بِغُلَامِ
عِنْدَ السُّؤَالِ صَحَائِفُ الْأَنَامِ
فِينَا وَذِكْرُ أَوْلَئِكَ الْأَقْوَامِ
هُونَ النَّضَارِ وَعِزَّةَ الْأَقْلَامِ
مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَوْفَرَ الْأَقْسَامِ
فَكَأَمَّا اسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ ^(٤)
فَكَأَمَّا عَكَفْتُ عَلَى الْأَصْنَامِ
رَجَعَ الرِّضِيعُ مُرَوَّعًا بِفِطَامِ ^(٥)
مِنْ أَحْمَدٍ وَمُحَمَّدٍ بِأَسَامِي
وَعَنُوا عَنِ التَّعْرِيفِ بِالْأَعْلَامِ
فِي الْفَضْلِ لِلتَّفْخِيمِ وَالْإِدْغَامِ
يَدْعُونَهَا بِالنَّجْمِ لِلْإِعْظَامِ

(١) ت : فيه . (٢) مثقف : الرمح المستوى . ينتدب : يدعى . حسام : سيف .

(٣) الصنائع : جمع صنعة ، وهى المعروف . (٤) استقسم : طلب القم . والأزلام : جمع زلم ، وهو

السهم والقدح . (٥) د : آسيا . وهذه رواية ت .

أَبْنَى عَلَىٰ كُلِّكُمْ حَسَنٌ أَتَىٰ فِي الْفَضْلِ مَنُوبٌ خَيْرٌ إِمَامٍ
فُتِحَتْ بِهِ سُنَنُ الْعَالَا وَفُرُوضُهَا تَكْبِيرُهُ الْإِحْرَامِ
وَكَأَنَّكُمْ فِي فَضْلِكُمْ رَكَاتُهَا مَخْتُومَةٌ بِتَحِيَّةٍ وَسَلَامِ
إِنَّ الْعَالَا لَمْ تَسْتَقِمْ إِلَّا بِكُمْ يَا خَمْسَةَ كَدَاعِيَةِ الْإِسْلَامِ
أَنْتُمْ أَنْامِلُهَا وَلَيْسَ لَهَا غِنَى عَنْ خَنْصِرٍ مِنْكُمْ وَلَا إِبْهَامِ
أَنْتُمْ قَوَى الْإِدْرَاكِ مِنْ إِحْسَاسِهَا لَمْ تَفْتَقِرْ مَعَكُمْ إِلَى اسْتِفْهَامِ
وَأَكْثَرُكُمْ بِأَصْحَابِ الْعِبَادَةِ نِسْبَةً تَبَعِيَّةً بِتَنَاسُبِ الْإِقْدَامِ (١)
حَامِئِينَ عَنْهُمْ وَحَامُوا عَنْكُمْ إِنَّ الْكَرِيمَ عَنِ الْكَرِيمِ بِحَايِ
فَاللَّهُ حَسْبُكَ يَا مُحَمَّدُ صَاحِبَا وَمُؤَاوِزَا فِي رِحْلَةٍ وَمُقَامِ
يَا مَنْ أَعَارَ الْبَدْرَ مِنْ أَوْصَافِهِ حُسْنَ الْحَيَا وَالْمَحَلِّ السَّامِي
جَعَلَ اللَّهُ بِكَ الْخَمِيسَ مُبَارَكًا الْحَرَكَاتِ فِي الْإِنْجَادِ وَالْإِبْهَامِ
مُتَنَقِّلًا مِثْلَ الْبُدُورِ وَسَاوَا بِنْدَاكِ فِي الْآفَاقِ سَيْرَ عَمَامِ
جَادَتْ عَلَى سُكَانٍ مِصْرَ غَيُومُهُ وَدَهَتْ صَوَاعِقُهُ فَرَنَجَ الشَّامِ
صَدَقَتْ سَوَاحِلُهُمْ بَرُوقُ سَيُوفِهِمْ وَتَعَاهَدَتْ مِنْهَا حِصَادَ الْهَامِ
وَعَقَدَتْ رَأْيِكَ فِيهِمْ فَلَقِيَتْهُمْ فَرْدًا بِجَيْشٍ لَا يُطَاقُ لَهُامِ (٢)
أَطْفَاتٍ نِيرَانِ الْوَعَى بِدِمَائِهِمْ وَلَهَا يَقْرَعُ النَّبْعَ أَيْ ضِرَامِ (٣)
وَأَذَقَتْ بِالرُّمَحِ الصِّمِيمِ كَمَاهَا طَعْمَ الرَّدَى وَالصَّارِمِ الصَّمْصَمِ (٤)
وَلَبَسَتْ فِيهَا سَابِغَاتِ عَزَائِمِ تُغْنِي الْكُمَاةَ عَنْ ادْرَاعِ اللَّامِ (٥)
فُتِحَتْ بِهِمَّتِكَ الْقِلَاعُ وَحُصِّنَتْ فَأَبَى تَنَاوُلُهَا عَلَى الْمُسْتَامِ

(١) أصحاب العباد (هم النبي صلى الله عليه وسلم، والإمام علي، والحسن، والحسين، وفاطمة) سمووا بذلك لأن النبي دعاهم وغطاهم بعبادة، فنزلت فيهم آية «إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا». (٢) لهام: عظيم. (٣) ه: بقعر. (٤) الصميم: الخالص. كَمَاهَا: شجاعتها. الردى: الموت. والصمصم: الذي لا ينثنى. (٥) سابغات: جمع سابغة، أى طويلة وافية. ادراع: لبس الدرع. واللام: جمع لامة، وهى الدرع. ويقال بالهمز أيضا.

لِلَّهِ أَقْلَامُ الْوَزِيرِ فَإِنَّهَا نَظَّمُ الْعُلَا وَمَفَاتِحُ الْإِظْلَامِ
نَسَجَتْ بُرُودَ بِلَاغَتَيْهِ وَأَبْدَتِ الْإِبْدَاعَ فِي الْآسَادِ وَالْآجَامِ
فَالنَّظْمُ مِثْلُ جَوَاهِرِ بَقْلَانِدٍ وَالنَّثْرُ مِثْلُ أَزَاهِرِ بَكِيمَامِ
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مَوَاقِعِ نَفْسِهَا فِي الطَّرْسِ قَلْتَ أُخِلَّةُ^(١) الرَّمَامِ
وَرِثْتَ مَكَارِمَهُ بَنُوهُ فَحَبَّذَا كَرَمُ السَّجَايَا مِنْ تُرَاثِ كِرَامِ
مَا كَانَ إِلَّا الشَّمْسُ فَضْلًا أُعْطِيتُ مِنْ وَارِثِيهِ بِكُلِّ بَذْرِ تَمَامِ
أَوْ لَيْسَ أَحَدٌ بَعْدَهُ وَمُحَمَّدٌ بَلَعْنَا مِنَ الْعَلِيَاءِ كُلَّ مَرَامِ
فَلَيْتَنِي هَذَا أَنَّ هَذَا صِنُوهُ وَكِلَاهُمَا لِأَبِيهِ حَدُّ حُسَامِ
ضَاهَتَكُمَا فِي الْمَكْرُمَاتِ بَنُوهُمَا وَالشَّبْلُ فِيمَا قِيلَ كَالضَّرْعَامِ
بِأَبِيهِ كُلُّ يَقْتَدِي وَبِعَمِّهِ مِنْ أَكْرَمِ الْآبَاءِ وَالْأَعْمَامِ
مَوْلَايَ زَيْنَ الدِّينِ يَا مَنْ جُودُهُ كَنْزُ الْمُعَاةِ وَمُهْلِكُ الْإِعْدَامِ
أَمَّا مَقَامُكَ فِي الصَّلَاحِ فَإِنَّهُ فِيمَا عَلِمْنَاهُ أَجَلُّ مَقَامِ
بِمَزَادَعْنِكَ أَبُو زَيْدٍ^(٢) وَقَدْ غَدَتِ مِصْرٌ مُفَضَّلَةً عَلَى بَسْطَامِ
لَمَّا عَمِلْتَ^(٣) بِمَا عَلِمْتَ مُرَاقِبًا لِلَّهِ فِي الْإِقْدَامِ وَالْإِحْجَامِ
طَوَّحْتَ بِالْدُّنْيَا وَقُلْتَ لَهَا الْحَقِّي بِمَعَاشِرِ الْوُزَرَاءِ وَالْحُكَّامِ

(١) الأخلّة : هي النقوش التي ترسم على الثياب بالتطريز .

(٢) هو طيفور بن عيسى أبو زيد البسطامي ، ولد في قريته بسطام بخراسان سنة ١٦١ هـ واختلف في تاريخ وفاته فقيل سنة ٢٣١ أو ٢٣٤ وذكر ابن خلكان أنه توفي سنة ٢٦١ أو ٢٦٤ هـ وكان زاهدا متصوفا .

(٣) د : لما عملت بما عملت .

وَنَسِيتَ مَا لَمْ يُنْسَ مِنْ لَذَائِهَا وَعَدَدَتْهَا مِنْ جُمْلَةِ الْآثَامِ
 مَوْلَايَ عَذْرَاءَ فِي الْقَرِيضِ فَلَيْسَ لِي فِي النَّظْمِ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنَ الْمَامِ
 لَوْ لَمْ أَرْضْ عَقْلِي بِمَكْتَبِ صَبِيَّةٍ حَمِيتُ عَلَى عَوَارِضِ الْبِرْسَامِ^(١)
 مَا زِلْتُ أَرْغَبُ أَنْ أَكُونَ مُعَلِّمًا فَيَكُونَ فَضْلِي مُكْمِلَ الْإِعْلَامِ
 قَدْ صَارَ كِتَابِي وَبَيْتِي مِنْ بَنِي غَيْرِي^(٢) وَأَبْنَائِ كَبْرِجِ حَمَامِ
 أَعْطَيْتُهُمْ عَقْلِي وَأَخَذُوا عَقْلَهُمْ فَأَبِيعُ نُورِي مِنْهُمْ بِظِلَامِ
 لَوْ أَنَّ لِي عَنْ كُلِّ طِفْلٍ مِنْهُمْ أَوْ طِفْلَةٍ شَاةٌ مِنَ الْأَنْعَامِ
 لَضَرَبَنْتُ الْأَمْثَالَ لِابْنِ نِفَايَةِ مِنْ كَثَرَةِ الْأَبْقَارِ وَالْأَغْنَامِ
 وَبَلَيْتِي عِرْسٌ بُلَيْتُ بِمَقْتِهَا وَالْبَعْلُ تَمَقُّوتٌ بِغَيْرِ قِيَامِ
 جَعَلْتُ بِإِفْلَاسِي وَشَيْبِي حُجَّةً إِذَا صِرْتُ لَاخِلْفِي وَلَا قُدَّامِي
 بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ الْعِتَى^(٣) وَنُكِّسَتْ فِي الْخَلْقِ وَهِيَ صَبِيَّةُ الْأَرْحَامِ
 إِنْ زُرْتُهَا فِي الْعَامِ يَوْمًا أَنْتَجَتْ وَأَتَتْ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ بِعِلَامِ
 أَوْ هَذِهِ الْأَوْلَادُ جَاءَتْ كُلُّهَا مِنْ فِعْلِ شَيْخٍ لَيْسَ بِالْقَوَامِ
 وَأَظُنُّ أَنَّهُمْ لِعَظْمِ بَلَيْتِي حَمَلَتْ بِهِمْ لَاشِكٌ فِي الْأَجْلَامِ
 أَوْ كُلٌّ مَا حَمَلَتْ بِهِ حَمَلَتْ بِهِ مَنْ لِي بِأَنَّ النَّاسَ غَيْرُ نِيَامِ
 يَالَيْتَهَا كَانَتْ عَقِيمًا آيِسًا أَوْ لَيْتَنِي مِنْ جُمْلَةِ الْخُدَّامِ
 أَوْ لَيْتَنِي مِنْ قَبْلِ تَزْوِيجِي بِهَا لَوْ كُنْتُ بَعْتُ حَلَالَهَا بِحَرَامِ

(١) البرسام : كلمة فارسية أطلقها العرب على التهاب الصدر . (٢) عرس : زوجة .

(٣) د : غير . (٤) د : القى .

أَوْ لَيْتَنِي بِبَعْضِ الَّذِينَ عَرَفْتُهُمْ . كَيْفَ الْخِلَاصُ مِنَ الْبَنِينَ وَمِنْهُمْ
 مِمَّنْ يُحْصَنُ دِينُهُ بِغِلَامٍ . لَمْ يُرْزَقِ الرِّزْقَ الْقِيمَ بِأَهْلِهِ
 قَوْمٌ وَرَأَى وَآخَرُونَ أُمَامِي . فَارْقَتْهُمْ طَلَبًا لِرِزْقِهِمْ فَلَا
 فَشَكُّوا عَنَّا بُعْدِي وَفَقَرٌ مُقَامِي . مَنْ كَانَ مِثْلِي لِلْعِمَالِ فَإِنَّهُ
 صَرَفِي يَسْرُهُمْ وَلَا اسْتِخْدَامِي . أَصْبَحْتُ مِنْ حَمَلِي هُمُومُهُمْ عَلَى
 بَعْلُ الْأَرَامِلِ أَوْ أَبُو الْأَيْتَامِ . فَإِنْ اعْتَذَرْتُ لَهُمْ عَنِ التَّقْصِيرِ فِي
 هَرَجِي كَأَنِّي حَامِلُ الْأَهْرَامِ . كَالشَّيْبِ يُغْدِقُ بِالْهُمُومِ ذَنْوَهُ
 مَدْحِي الْوَزِيرَ فَحِجَّةُ الْأَفْدَامِ . لَا بَلْ رَكِبْتُ لَهُمْ جَوَادَ خِلَاعَةٍ
 وَالذَّنْبُ فِيهِ لَكَثْرَةُ الْأَعْوَامِ . إِنْ أَمَرْتُ مَا مَدَّ عَيْنَ خِلَاعَتِي
 مَا زَالَ يَجْمَعُ بِي بَعِيرٌ بِحِلَامِ . وَإِذَا مَدَحْتُ الْأَكْرَمِينَ مَدَحْتُهُمْ
 طَمَعٌ لِلدِّينَارِ وَلَا دِرْهَامِ . فَاصْفَحْ بِحِلْمِكَ عَنْ قَوَائِي الَّتِي
 يَجَوَائِزُ الْإِعْزَازِ وَالْإِكْرَامِ . إِنْ يُحْيِي جُودُكَ لِي أَبَادُفٍ غَدَا
 حَظِيَّتْ لَدَيْكَ بِأَوْفَرِ الْأَقْسَامِ .

وقال يهجو جماعة سرقوا حمارته :

أَرَى الْمُسْتَخْدَمِينَ مَشَوْا جَمِيعًا . عَلَى غَيْرِ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
 مَعَانِيرُ لَوْ وَلُّوا جَنَافَ عَدْنٍ . لَصَارَتْ مِنْهُمْ نَارَ الْجَحِيمِ
 فَمَا مِنْ بَلَدَةٍ إِلَّا وَمِنْهُمْ . عَلَيْهَا كُلُّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢)
 فَلَوْ كَانَ النُّجُومُ لَهَا رُجُومًا . إِنْ خَلَّتِ السَّمَاءُ مِنَ النُّجُومِ

وقال أيضا لما دخل إلى المَحَلَّة وعزموا^(١) عليه بنو عَرَّام على دخول الحمام فأدخلوه ، فقال :

كُونُوا^(٢) مَعِيَ عَوْنًا عَلَى الْإِيَّامِ لَا تَخْذُلُونِي يَا بَنِي عَرَّامِ
إِنْ كَانَ يُرْضِيكُمْ وَحَاشَا فَضْلَكُمْ^(٣) ضُرِّي^(٤) فَخَسْبِي زَلْفَةُ الْحَمَّامِ

وقال وكتب بها للجناب العالي السابق ، يبسط له في حق القاضي عماد الدين أبي طلحة
[رحمهم الله أجمعين^(٥)] :

مَا فِي الزَّمَانِ جَوَادٌ يُرْجَى لِدَفْعِ الْعَظَامِ^(٥)
وَلَا لِنَيْلِ مُرَادٍ وَلَا لِيَبْدُلِ الْمَكَارِمِ
سِوَاكَ يَا خَيْرَ وَالٍ يُدْعَى وَيَا خَيْرَ حَاكِمٍ
انْظُرْ بِحَقِّكَ حَالِي فَأَنْتَ بِالْحَالِ عَالِمٌ
إِنَّ الْعِمَادَ أَرَانَا بِأَنَّهُ الْيَوْمَ صَائِمٌ
وَلَيْسَ يَرْجُو ثَوَابًا وَلَا يَخَافُ مَأْتِمٍ
وَلَيْسَ يَخْشَى عَلَيْهِ أَنْ لَا صِيَامَ لِظَالِمٍ
وَصَوْمُنَا فِي اتِّبَاعٍ لَهُ صِيَامُ الْبَهَائِمِ
فَخُذْ لَنَا الْيَوْمَ مِنْهُ غَدَاءَنَا وَهُوَ رَاغِمٌ

(١) د : وعزموا . (٢) ت : كانوا . (٣) د : ضربي .

(٤) ما بين القوسين : زيادة في ت . (٥) العظام : الشدائد .

وقال :

سَارَتِ الْعِيسُ يُرْجَعَنَّ الْحَنِينَا وَيُجَاذِبَنَّ مِنَ الشَّوْقِ الْبُرِينَا^(١)
 دَامِيَاتٍ مِنْ حَقٍّ أَخْفَاهَا تَقْطَعُ الْبِيدَ سُهُولًا وَحُزُونًا
 وَ عَلَى طُولِ طَوَاهَا حُرِمَتْ عُشْبَهَا الْمُخْضَرَّ وَالْمَاءَ الْمَعِينَا
 كُلَّمَا جَدَّ بِهَا الْوَجْدُ إِلَى غَايَةٍ لَمْ تَدْرِهَا إِلَّا ظَنُونَا
 قُلْتُ لِلْحَادِي أَعِذْ أَشْوَاهَا بِالْشَّرِّ إِنْ مِنَ الشَّوْقِ جُنُونَا^(٢)
 آهٍ مِنْ يَوْمٍ بِهِ أَنْبَكِي دَمًا إِنَّ لِلْعِيسِ وَلِي فِيهِ شُؤُونَا
 أَسْرَتْ أَلْبَابَنَا لَمَّا سَرَتْ تَحْمِلُ الْحُسْنَ بُدُورًا وَغُصُونَا
 كُلُّ سَمْرَاءَ وَمَا أَنْصَفَتْهَا فَضَحَتْ سُمْرَ الْقَنَا لَوْنًا وَلِينَا
 أَعَدَّتِ الْقَلْبَ فُتُورًا وَضَى لَيْتَهَا مِنْ وَسَنِ تُعْدِي الْجَفُونَا^(٣)
 ثَمَرُهَا الذَّرَى مِنْ أَنْفَاسِهِ مِسْكُ دَارِينَ وَخَرُّ الْأَنْدَرِينَا^(٤)
 أَخَذَتْ قَلْبِي وَصَبْرِي وَالْكَرَى يَوْمَ بَيَعِي النَّفْسَ مِنْهَا أَرْبُونَا^(٥)
 لَا أَقَالَ اللَّهَ لِي مِنْ حُبِّهَا بَيْعَةً يَوْمًا وَلَا فَكَّ رَهُونَا^(٦)
 صَاحِبِي قِفْ بِي فَإِنِّي لَمْ أَجِدْ لِي عَلَى الْوَجْدِ وَلَا الصَّبْرِ مُعِينَا
 وَسَلِ الرَّبَّعَ الَّذِي سُكَّاهُ رَحَلُوا عَنْهُ عَسَاءُ أَنْ يُدِينَا
 نَسَخَتْ آيَاتِهِ أَيْدِي الْمَلَى فَأَرَتْ عَيْنِي مِنْهُ الصَّادَ شِينَا^(٧)

- (١) يرجعن : يرددن . والبرين : جمع برة ، وهى حلقة توضع فى أنف البعير ، ويشدها الزمام .
 (٢) أعاذه : حماه بالتعاونيد التى تقرأ على المحانبين ليفيقوا : أى جعل المرى مكان التعاونيد .
 (٣) الوسن : العناس . (٤) الأندرين : موضع بالشام . (٥) الأربون : العربون .
 (٦) أقال البيع : فسخه .
 (٧) الصاد شكله يشبه البيت المعمور ، والشين شكله يشبه البيت الحرب .

وَجَنُوبٌ وَشَمَالٌ جَعَلَا رَبَّهُ فِي جَنَّةٍ الدَّهْرِ غَضُونَا
فَرَاهُ وَحَصَاهُ أَبَدًا يَفْضُلَانِ الْمِسْكَ وَالذَّرَّ الثَّمِينَا
سَحَبَتْ فِيهِ الصَّبَا أَذْيَالَهَا بِمَدِيحِي لِإِمَامِ الْمُرْسَلِينَا
أَحْمَدَ الْهَادِي الَّذِي أُمَّتُهُ رَضِيَ اللَّهُ لَهَا الْإِسْلَامَ دِينَا
كَانَ سِرًّا فِي ضَمِيرِ الْغَيْبِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ كَوْنٌ أَوْ يَكُونَا
تَشْرِيقُ الْأَكْوَانِ مِنْ أَنْوَارِهِ كُلَّمَا أَوْدَعَهَا اللَّهُ جَبِينَا^(١)
أَسْجَدَ اللَّهُ لَهُ أُمْلَاكُهُ يَوْمَ خَرُّوا لِأَبِيهِ سَاجِدِينَ
وَدَعَا آدَمُ بِاسْمِ الْمُصْطَفَى دَعْوَةً قَالَ لَهَا الصَّدُوقُ أَمِينَا
فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ هُنَّ كَنْزُ الْمُذْنِبِينَ
وَبِهِ جَنَاتُ عَذْنٍ رُفِعَتْ عُلَمَاءُ أَنْبِيَائِهَا لِلْمُسْلِمِينَ
وَدُعُوا أَنْ تَلَكُمُ الدَّارُ لَكُمْ فَادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ
وَبِهِ نُوحٌ دَعَا فِي فُلْكَهَ فَأَنَاثَ اللَّهُ نُوحًا وَالسَّفِينَا
وَأَنَاثَ اللَّهُ ذَا التَّوْنِ بِهِ بَعْدَ مَا أَغْرَى بِهِ فِي الْبَحْرِ نُونَا^(٢)
وَشَقَى أَيُّوبَ مِنْ ضُرِّ كَا سَرَّ يَعْقُوبَ وَقَدْ كَانَ حَزِينَا
وَخَلِيلُ اللَّهِ هَمَّتْ قَوْمُهُ أَنْ يَكِيدُوهُ فَكَانُوا الْأَخْسَرِينَ
وَبِنُورِ الْمُصْطَفَى إِطْفَأَ مَا أَوْقَدُوهُ وَتَوَلَّوْا مُذْبِرِينَ
وَجَدَّتْهُ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ فِي كُلِّ فَضْلٍ وَاجِدًا مَا يَجِدُونَا

(١) الجبين : ناحية الجهة ، وهما جبينان ، عن يمين الجهة وشمالها . والمراد به هنا كل جد من أجداد الرسول . (٢) التون : الحوت .

مَصْدَرُ الرَّحْمَةِ لِلْخَلْقِ فَلَا عَجَبَ أَنْ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ
 حَتَمَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَجْبُلَ مِنْ آدَمَ طِينًا
 فَهُوَ فِي آبَائِهِمْ خَيْرُ أَبٍ وَهُوَ فِي أَبْنَائِهِمْ خَيْرُ ابْنٍ
 قَدْ عَلَا بِالرُّوحِ وَالْجِسْمِ عَلَا رَجَعَتْ مِنْ دُونِهَا الرُّوحَ الْأَمِينَا
 وَرَأَى مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ الَّذِي رَدَّ مُوسَى دُونَهُ مِنْ طُورِ سِينَا
 وَوَجَّهًا كَانَ مُوسَى عِنْدَهُ مِثْلَمَا قَدْ كَانَ جَبْرِيلُ مَكِينَا
 صَلَوَاتُ اللَّهِ ذِي الْفَضْلِ عَلَى رُسُلِ اللَّهِ إِلَيْنَا أَجْمَعِينَ
 أَكْرَمُ الْخَلْقِ هُمُ الرُّسُلُ لَنَا وَأَبُو الْقَاسِمِ خَيْرُ الْأَكْرَمِينَ
 فَتَعَالَى مَنْ بَرَأَ صُورَتَهُ مِنْ جَهَالٍ أَوْدَعَ الْمَاءَ الْمُهَيَّنَا
 وَاصْطَفَى تَحْتَهُ مِنْ دَوْحَةٍ أَنْبَتَتْ أَفْنَانُهَا عِلْمًا وَدِينَا
 مِنْ أَنْاسٍ جَانَبَتْ أَحْسَابُهُمْ طُرُقَ الدِّمِّ شِمَالًا وَبَيْمَنَا
 مَا رَأَيْنَا كَرَمَ الْأَخْلَاقِ فِي غَيْرِ مَا يَأْتُونَهُ أَوْ يَدَّعُونَا
 يَغْضَبُ الْمَوْتُ إِذَا مَا غَضِبُوا وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَا
 مَعْشَرُ صَانِهِمُ اللَّهُ لِأَنَّ بُودَعُوا مِنْ أَحْمَدِ السَّرِّ الْمَصُونَا
 هَذَّبَ السُّوءُودُ أَحْلَاقَهُمْ فَلَهُمْ مِنْ شَرَفٍ مَا يَدَّعُونَا
 عَجَبًا وَالْمُصْطَفَى الشَّمْسُ الَّذِي ظَهَرَتْ أَنْوَارُهُ لِلْمُبْصِرِينَ
 شَهِدَ الْكُفَّارُ بِالْغَيْبِ لَهُ وَأَتَاهُمْ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسونَا^(١)

(١) الإِبْلَاسُ : الانكسار والحزن ، يقال أبلَس فلان : إذا سكت غما .

أَغْلَقُوا بَابَ الْهُدَى مِنْ دُونِهِمْ بَعْدَ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَفْتِحُونَا
وَعَمُوا عَنْهُ فَلَا وَاللَّهِ مَا تَنْفَعُ الشَّمْسُ لَدَى الْقَوْمِ الْعَمِينَا
وَأَتَاهُمْ بِكِتَابٍ أَحْكَمَتْ مِنْهُ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَا
سَمِعَتْهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ فَا أَنْكَرُوا مِنْ فَضْلِهِ الْحَقِّ الْمُبِينَا
عَجَزُوا عَنْ سُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَهُمْ الْيَوْمَ لَهُ مُسْتَسْمُونَا
قَالَ لِلْكَفَّارِ إِذْ أَفْجَمَهُمْ بِالتَّحْدَى مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَا
قَصَّ مَا يَأْتِي عَلَيْهِمْ مِثْلًا قَصَّ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الْأَوَّلِينَا
وَأَتَتْ أَخْبَارُهُ فِي حِكْمٍ فَتَأَمَّلْنَاهَا نِمَارًا وَفُنُونَا
قَسَمَ الرَّحْمَةُ فِي قُرْآنِهِ وَعَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْمُسْتَقْسِمِينَا^(١)
مَالَهُ مِثْلٌ وَفِي أَمْثَالِهِ أَبَدًا مَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَا
رَحِمَ اللَّهُ بِهِ الْخَلْقَ وَكَمْ أَهْلَكَ اللَّهُ بآيَاتِهِ قُرُونَا

وقال على لسان مسجد الشيخ عبد الظاهر ، إلى الملك الصالح ؛ وكان قد أخرج ثلاثة آلاف دينار صدقة على طلبة المدارس ، وفرض أمرها إلى الفقيه بهاء الدين المسردي ، فقوض أمرها إلى والده الشهاب ، رحمه الله تعالى :

لَيْتَ شِعْرِي مَا مُقْتَضَى حِرْمَانِي دُونَ غَيْرِي وَالْآلِفُ لِلرَّحْمَنِ
أَتَرَانِي لَا أَسْتَحِقُّ لِكَوْنِي جَامِعًا شَمْلَ قَارِئِ الْقُرْآنِ

(١) المستقسمون : هم كفار قریش ، وكانوا يستقسمون بالمهام ، أى يضعون ويقولون أفعل أولا أفعل ، ويعملون بما يظهر لهم مهما كانت نتيجه .

أَمْ لِيَكُونِي فِي إِثْرِ كُلِّ صَلَاةٍ يَدْعَى لِدَوْلَةِ السُّلْطَانِ
وَبَأَى الْأَسْبَابِ يُعْطَى مَكَانَ صَدَقَاتِ السُّلْطَانِ دُونَ مَكَانِ
حُلَّتْ مِنْ عَطَائِهِ أَلْفُ دِينَارٍ إِلَيْنَا مِنْ بَعْدِهَا أَلْفَانِ
مَا أَتَانِي مِنْهَا وَلَا الدَّرْهَمُ الْفَرْدُ وَهَذَا حَقِيقَةُ الْعُدْوَانِ
رَعِمَ ابْنُ الْبَهَاءِ أَنَّ عَطَايَا الْمَلِكِ الصَّالِحِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
مَا كَفَتْ سَائِرَ الْمَدَارِسِ أَوْ ضَمَّ إِلَيْهَا مِنْ مَالِهَا دِرْهَمَانِ
وَأَعْمَرِي لَقَدْ تَوَفَّرَ نِصْفُ الْمَالِ مِنْهَا وَرَاحَ فِي النَّسِيَانِ
إِنْ أَكُنْ مَا أَقُولُهُ مِنْهُ دَعَاؤِي فَاطْلُبُونِي عَلَيْهِ بِالْبُرْهَانِ
أَوْ مَا كَانَ عِدَّةَ الْفَقْهَاءِ أَلْفُ فَقِيهِ مِنْ بَعْدِهَا مِثْلَانِ
فاحْشَبُوهَا بِمُقْتَضَى الصَّرْفِ دِينَارًا وَرُبْعًا لِلْجَلَّةِ الْأَعْيَانِ
تَجِدُوهَا أَلْفًا وَخَمْسَ مِثَالٍ غَيْرَ مَا خَصَّهَا مِنَ النُّقْصَانِ (١)
وَالْمِخَاسِ الَّذِي أُضِيفَ إِلَى النَّفَقَةِ وَالْبَخْسِ مِنْ يَدِ الْوَزَّانِ
أَنَا لَا أَنْسُبُ الْبَهَاءَ عَلَى ذَا لِكَ إِلَّا لِقِلَّةِ الْإِيمَانِ
هُوَ وَلَّى أَهْلَ الْخِيَانَةِ فِيهَا وَتَوَلَّى الْجَوَادِ كَالْخَوَّانِ (٢)
كُلَّمَا جَاءَتِ الدَّنَائِيرُ يَنْقُصُ عَنْهَا الْبَهَاءُ كَالشَّيْطَانِ
مَدَّ فِيهَا يَدَ الْخِيَانَةِ فَامْتَدَّ إِلَيْهِ بِالذَّمِّ كُلُّ لِسَانٍ

(١) جاء تحت هذا البيت ما نصه : وهو منع الغياب منها ومن حوصص أيضا أو ضمه موضعان (شرح البيت الأخير) كانت ورقة عدة الفقهاء ألفا ومائتي طالب فأخروا عنهم النفقة حتى خرج من خرج من المدرسة أيام البطالة ، فنقص من العدة . وقواه : ومن حوصص يعنى طلبة المدرسة . ابن سكرى كان أعطى كل طالب ستة . وسلموا ومن ضمه موضعان ، أى يكون اسم الطالب فى مدرستين وثلاثة ، فيعطى عن أحدهم وينزل عن الباقى . (٢) ت : هؤلاء أهل الخيانة فيها .

وَلَعَمْرِي لَوْ اتَّقَى اللَّهُ فِي السَّرِّ اتَّقَتُهُ الْأَنَامُ فِي الْإِعْلَانِ
وَعَلَى كُلِّ حَالَةٍ أَحْمَدُ اللَّهِ الَّذِي مِنْ سُؤَالِهِ أَعْفَانِي
فَلَقَدْ حَلَّ فِي الْمَدَارِسِ فِي الْأَخْذِ كَثْرَةُ الْأَذَى وَالْهَوَانِ
وَأَزِيلَتْ بِالسَّبِّ أَعْرَاضُ مَنْ فِيهَا فَمَا قَامَ الرَّبُّجُ بِالْخُسْرَانِ
كَيْفَ أُنْسَى قَوْلَ الشُّهَابِ جِهَارًا قَبَّحَ اللَّهُ كُلَّ ذِي طَيْئَسَانِ
خَدَعُونَا وَاللَّهِ مِمَّا يَمْدُو نَ أَكْفًا كَكِفَّةِ الْمِيزَانِ
آمٍ وَاضِيعَةَ الْمَسَاكِينِ إِنْ وَلَّسَى أَمَرَ الطَّعَامِ فِي رَمَضَانَ
وقال يهجو عامل أسوان :

انْظُرْ بِحَقِّكَ فِي أَمْرِ الدَّوَابِّ فَالْكَلُّ^(١) قَدْ غَيَّرَ وَأَوْضَعَ الْقَوَانِينَ
لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ عَلَى مَا كُنْتَ تَعْهَدُهُ إِلَّا تَغَيَّرَ مِنْ عَالٍ إِلَى دُونِ
الكَاتِبُونَ وَلَيْسُوا بِالرَّامِ فَمَا مِنْهُمْ عَلَى الْمَالِ إِنْسَانٌ مِمَّا مُونَ
وَالْكُلُّ جَمْعًا بِمَذَلِ الْمَالِ قَدْ خَدَمُوا وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا غَيْرَ ذَا الْحِينِ
فَهُمْ عَلَى الظَّنِّ لَا التَّحْقِيقِ بَذَلُهُمْ وَمَا تَحَقَّقُ أَمْرٌ مِثْلَ مَظْنُونِ
نَالُوا مَنَاصِبَ فِي الدُّنْيَا وَأَخْرَجَهُمْ حُبُّ الْمَنَاصِبِ فِي الدُّنْيَا^(٢) عَلَى الدِّينِ
قَدْ طَالَ مَا طَرِدُوا عَنْهَا وَمَا نَظَرُوا إِلَّا وَقَوْمٌ عَلَيْهَا كَالذَّبَابِ
وَوَلَمَّا قُطِعَ أَذْنَابُ السِّكِلَابِ لَهُمْ^(٣) فَاسْتَخْدِمُوا بَعْدَ تَقْطِيعِ الْمَصَارِينِ

(١) ساقطة من د . (٢) ت : على الدين . (٣) ت : بهم : بدلا من لهم .

قَدْ يَنْفَعُ النَّاسَ حَتَّى الْحَشُّ مِنْ غَرَضٍ وَغَيْرُهُ مِنْ رِيَّاحِينَ وَبَشْنِينَ ^(١)
 ضَمَّانُ رِيحٍ يَطِيرُ فَوْقَ طَائِرِهِمْ يَطِيرُ وَالرَّيْحُ شِيَّاعٌ بِمَضْمُونِ
 لَوْ أَمْسَكَ الْقَوْمُ وَزْنَ الْمَالِ لَا تَخْدُوا لَهُ الْمَوَازِينَ مِنْ بَعْدِ الْقَبَائِينِ
 وَمَسَحَهُمْ لِلْسَّمَوَاتِ الْعُلَى افْتَعَلُوا فِيهَا كَمَا يَفْعَلُ الْمَسَاحُ لِلطَّيْنِ
 وَلَمْ يُبَالُوا بِرَجْمِ الْغَيْبِ مِنْ أَحَدٍ كَلَّا وَلَا رِجُومٍ لِلشَّيَاطِينِ
 عَزُّوا وَأَكْرَمَهُمْ قَوْمٌ لِحَاجَتِهِمْ مَا نَالَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ الْعِزُّ مِنْ هُونِ
 وَطَاعَنُوا النَّاسَ بِالْأَفْلَامِ وَاسْتَلَبُوا مِنْهُمْ بِهَا كُلَّ مَعْلُومٍ وَمَكْنُونِ
 وَمِنْ مَوَاشٍ وَأَطْيَارٍ وَأَنْبِيَاءٍ وَمِنْ زُرُوعٍ وَمَكْيُولٍ وَمَوْزُونِ
 لَهُمْ مَوَاقِفُ فِي حَرْبِ الشُّرُورِ كَمَا حَرْبُ الْبَسُوسِ وَحَرْبُ يَوْمِ صِفِينِ
 لَا يَكْتَبُونَ وَصُولَاتٍ عَلَى جِهَةٍ مُفَصَّلَاتٍ بِأَسْمَاءٍ وَتَبْيِينِ
 إِلَّا يَقُولُونَ فِيمَا يَكْتَبُونَ لَهُ مِنْ الْحُقُوقِ وَمَاذَا وَقْتُ تَعْيِينِ
 فَاسْمَعْ وَكَاسِرِ وَحَسِّ الرِّيحِ يَافِطِنًا فَلَسْتَ أَوَّلَ مَقْهُورٍ وَمَغْبُونِ
 هُمُ الْأَصُوصُ وَمِنْ أَفْلَامِهِمْ عُتْلٌ بِهَا يَسْقُونَ أَمْوَالَ السَّلَاطِينِ
 وَكُلُّ ذَلِكَ مَضْرُوفٌ وَمَضْرُفُهُمْ لِلشَّيْخِ يُوسُفَ أَبِي هَبْصِ بْنِ لَطِينِ
 وَلِلشَّرَابِ وَتَبْيِيتِ الْخَطَاءِ بِهِ يَحْلُو الْعَقَارَ بِأَجْنَسِ الرِّيَّاحِينَ
 وَلِلْعُلُوقِ وَأَنْوَاعِ الْفُسُوقِ مَعًا وَلِلْخُرُوقِ الْكَثِيرَاتِ التَّلَاوِينِ
 وَلِلْبِغَالِ الْوَطِيَّاتِ الرَّكَّابِ تَرَى غِلْمَانَهُمْ خَلْفَهُمْ فَوْقَ الْبَرَاذِينِ

(١) الحش بفتح الحاء : النخل القصير الناقص النمو . البشنين : نوع من الأزهار .

وَلِلْمَنَادِيلِ فِي أَوْسَاطٍ مَّنْ مَلَكَوْا وَلِلْمَنَاطِقِ فِيهَا وَالْهَمَائِينَ
وَلِلرَّبَّاعِ^(١) الْعَوَالِي الْأَرْتِفَاعِ بِنَا وَلِلدَّسَاتِينَ تَنْشَأُ وَالِدَّكَ كَاكِينَ
وَلِلْفِجَاجِ وَحُلُلَانِ النَّعَاجِ وَأَطْيَارِ الدَّجَاجِ وَأَنْوَاعِ السَّمَائِينَ
وَلِلشَّبَارِيِّ^(٢) وَلِلْأَنْطَاعِ تَفْرَشُ فِي تَمْوَزَ فَوْقَ رُحَامٍ فِي الْأَوَادِينَ
وَلِلْمَجَالِسِ فِي أَوْسَاطِهَا خَرَكٌ^(٣) وَلِلطَّنَافِسِ فِي أَيَّامٍ كَانُونَ
وَلَسْتُ^(٤) أَخْصُرُ الْوَنَاءَ لِأَطْعِمَهُ تَفَنَّنَ الْقَوْمُ فِيهَا كُلٌّ تَفَنِّنِينَ
وَلِلْمَلَائِسِ كَمْ ثَوْبٍ مُلَوَّنَةٍ فِيهَا الْعِرَاقِي مَعَ الْهِنْدِيِّ وَالْبُونِيِّ^(٥)
وَكَمْ ذَخَائِرَ مَا عِنْدَ الْمُلُوكِ لَهَا مِثْلُ فَعَيْنٍ مُودِعٍ سَقْفًا وَمَدْفُونٍ
وَكَمْ مَجَالِسِ أَنْسٍ عِيَّتَتْ لَهُمْ تَنْسِي الْمُهْمُومَ وَتُسْلِي كُلَّ مَحْزُونٍ
وَكَمْ حُلِيٍّ نِسَاءً لَا يُثْمِنُهُ مُقَوِّمٌ قَطُّ فِي الدُّنْيَا يَتَنَمَّيْنَ
فَقُلْ لِسُلْطَانٍ مِضْرٍ وَالشَّامِ مَعَا يَا قَاهِرًا غَيْرَ مَخْفِيٍّ الْبَرَاهِينَ
وَمَنْ يُخَوِّفُ مِنْ سَيْفٍ بِرَاحَتِهِ ذَوِي السُّيُوفِ وَأَصْحَابَ السَّكَكِ كِينَ
اكَشِفَ بِنَفْسِكَ أَسْوَانًا وَمَنْ مَعَهَا مِنْ الصَّعِيدِ بَلَا قَوْمٍ مَسَاكِينَ
عُمَالُهَا^(٦) قَدْ سَبَّوْهُمْ مِنْ تَطَلُّبِهِمْ مَا لَا يَسْكُونُ بِمَفْرُوضٍ وَمَسْنُونٍ
كُلٌّ تَرَى كَاتِبًا لِلشَّوْءِ يُنْظَرُهُ^(٧) لَمْ يَسْبِهِمْ كَمْ كَذَا^(٨) عَامٍ وَكَمْ حِينٍ
سَبَّوْا الرَّعِيَّةَ لَمْ يُبْقُوا عَلَى أَحَدٍ وَلَا أَمَانَةَ لِلْقَبِيْطِ الْمَلَاعِينِ

(١) د : للرياح .

(٢) وللشبادي . والصواب الشباري جمع شبرية وهي كلمة عامية تطلق على سرير قوائمه من الخشب وسطحه

من جبال متخذة من الليف . (٣) خرك : كلمة تركية ، وهي نوع من الأبسطة (٤) د : وليس .

(٥) البوني : نسبة إلى بون ، كورة في اليمن ، ويفتح الباب بلدة بإفريقية .

(٦) د : عامل (٧) تظلمهم . (٨) ت : يرى .

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى الْأَمْوَالِ سَارِقَهَا وَلَا تَقَرَّبْ عَدُوَّ اللَّهِ وَالَّذِينَ
وَحَلَ غَزَوْ^(١) هَلَاكُوا وَالْفَرَنْسِ مَعًا وَانْهَضْ بِفِرْسَانِكَ الْغُرَّ الْمَيَامِينَ^(٢)
وَاغْزَنْ عَامِلَ أَسْوَابٍ تَنَالُ بِهِ جَنَّاتٍ عَدْنٍ بِإِحْسَانٍ وَتَمَكِّنِ
وَكُلَّ أَمْتَالِهِ فِي الْقَبْطِ أَغْزُهُمْ فَالْغَزْوُ فِيهِمْ حَلَالُ الدَّهْرِ وَالْحَيْنِ
وَاسْلُبْهُمْ نِعْمًا قَدْ شَاطَرُواكَ بِهَا كَمَا يُشَاطَرُ فَلَاحُ الْفَدَّادِينَ
فَقَدْ تَوَاطَوْا عَلَى الْأَمْوَالِ أَجْمَعِهَا وَفَذَلِكُوا كُلَّ تِسْعِينَ بَعْشَرِينَ
وَصَانَعُوا كُلَّ مُسْتَوْفٍ إِذَا رَفَعُوا لَهُ الْحِسَابَ سِحْتٍ كَالطَّوَاعِينَ^(٣)
وَرَبَّحُوهُ فَقَالَ الشَّيْخُ وَالِدُنَا قَسُّ الْقُسُوسِ وَمُطَرَانِ الْمَطَارِينَ
مِنَّا لَهُ الْعُدْرُ فِيهَا حَلَّ يَقْبَلُهُ إِمَّا رِسْمَ مِدَادٍ أَوْ لِصَابُونِ
وَلِلزُّيُوتِ وَإِقَادِ الْكَنَائِسِ كَمْ وَلِلدَّقِيقِ الْمُهَيَّأِ لِلْقَرَّائِينَ
فَذَاكَ فِي الصَّدَقَاتِ الْجَارِيَاتِ بِهِ يُسْحَبُ عَلَى الْوَجْهِ أَوْ يُقَلَّبُ بِسَجِينِ^(٤)
وَكَيفَ يَقْبَلُ بَرًّا مِنْ مُصَانَعَةٍ وَمِنْ سَحَابٍ يَتَخَرِيكَ وَتَسْكِينِ
وَكَيفَ يَقْبَلُ مِنْهَا مِنْ مُصَانَعَةٍ مِنْ كُلِّ مَسْكِينَةٍ فِيهِ وَمَسْكِينِ
كَمْ هَكَذَا سَرَقُوا كَمْ هَكَذَا ظَلَمُوا كَمْ هَكَذَا أَخَذُوا مَالَ السَّلَاطِينِ
أَتْرَكَ ذَنْبٍ^(٥) وَسُؤَالٍ لِمَغْفِرَةٍ عِنْدَ الْإِلَهِ لِقَوْمٍ كَالْجَانِينِ
وَقَالَ قَوْمٌ لَقَدْ أَحْصَى مَنَالَهُمْ وَقَامَ فِيهَا بِمَفْرُوضٍ وَمَسْنُونِ
فَقُلْتُ وَاللَّهِ مَا وَصَفِي لِأَنْشَرَهَا فِيمَا يَقُومُ بِهِ شَرْحِي وَتَبْيِينِي
وَلِإِنَّمَا ذَاكَ نَجْهَوْدِي وَمَقْدَرَتِي وَطَاقَتِي فِي حِجَابَاتِ الثَّمَايِينِ

(١) في ص : هلاوون ، وفي ت : هولوت . (٢) ت : والفرنسي .

(٣) سحت : الحرام . (٤) سجين : واد بجهم .

(٥) د : فترك ذنب أسوال مغفرة . ت : فترك ذنب ولا سؤال مغفرة ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

وقال :

تُكِلْتُ^(١) طَوَائِفَ الْمُسْتَخْدَمِينَ قَلَمَ أَرَفِيهِمْ رَجُلًا أَمِينًا
فَخُذْ أَخْبَارَهُمْ مِنِّي شِفَاهًا وَأَنْظِرْنِي^(٢) لَا خَيْرَكَ الْيَقِينَا
فَقَدْ عَاشَرْتُهُمْ وَلَبِثْتُ فِيهِمْ مَعَ التَّجْرِبِ مِنْ عُمْرِي سِنِينَا
حَوَتْ بُلْبُيْسُ طَائِفَةً لُصُوصًا عَدَلْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ مِثْلَنَا
فُرَيْحِي^(٣) وَالصَّفِيَّ وَصَاحِبِيهِ أَبَا يَقْطُونَ وَالنَّشَوَ السَّمِينَا
فَكُتِّبَ الشَّمَالُ هُمْ جَمِيعًا فَلَا صَحِيبَتَ شِمَالَهُمُ الْيَمِينَا
وَقَدْ^(٤) سَرَقُوا الْغِلَالَ وَمَا عَلِمْنَا كَمَا سَرَقَتْ بَنُو سَيْفِ الْجُرُونَا
وَكَيفَ يُلَامُ فُسَّاقُ النَّصَارَى^(٥) إِذَا خَانَتْ عَدُولُ الْمُسْلِمِينَا
وَجُلُّ النَّاسِ خُوَّانٌ وَلَكِنْ أَنَاسٌ مِنْهُمْ لَا يَسْتُرُونَا
وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا لَدِسُوا حَرِيرًا وَلَا شَرِبُوا خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا
وَلَا رَبَّوْا مِنَ الْمُرْدَانِ قَوْمًا^(٦) كَأَغْصَانِ يَقْمَنْ^(٧) وَيَنْحَنِينَا
وَقَدْ طَلَعَتْ لِبَعْضِهِمْ ذُقُونٌ وَلَكِنْ بَعْدَ مَا نَتَقَوْا^(٨) ذُقُونَا
بَأَى أَمَانَةٍ وَبَأَى ضَبْطٍ أَرَدُّ عَنِ الْخِيَانَةِ فَاسْقِينَا
وَلَا كَيْسًا وَضَعْتُ عَلَيْهِ شَمْعًا وَلَا بَيْتًا وَضَعْتُ عَلَيْهِ طِينَا
وَأَقْلَامُ الْجَمَاعَةِ جَانِلَاتٌ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا
فَإِنْ^(٩) سَاوَقْتَهُمْ حَرْفًا^(١٠) بِحَرْفٍ فَكُلُّ اسْمٍ يَحْطُوا مِنْهُ سِينَا

(١) فوات الوفيات : نقدت . (٢) ت : انظر . (٣) ت : فريجا .

(٤) فوات : فكم . (٥) د : فتيان .

(٦) فوات : مردا . (٧) فوات : يملن .

(٨) فوات : حلقوا . (٩) فوات فقد .

(١٠) بدل « فإن » ساوقتهم ، كذا في الأصل ولعلها ساومتهم . وفي رواية الوفيات : ساوقتهم بالفاء .

وَلَا تَحْسَبْ حِسَابَهُمْ صَحِيحًا فَإِنْ بَخَصِمِهِ الدَّاءُ الدَّفِينَا
أَلَمْ تَرَ بَعْضَهُمْ قَدْ خَانَ بَعْضًا وَعَنْ فِعْلِ الصَّفَا سَلَّ الْمَكِينَا
وَلَمْ يَتَقَانُمَا^(١) الْأَسْفَالُ إِلَّا لِأَنَّ الشَّيْخَ مَا احْتَمَلَ الْغُبُونَا
أَقَامُوا^(٢) فِي الْبِلَادِ لَهُمْ حُبَابَةٌ لِقَبْضِ مُغْلَهَا كَالْمَقْطَعِينَا
وَإِنْ كَتَبُوا لِجُنْدِيٍّ وَصُولًا عَلَى بَلَدٍ أَصَابَ بِهِ كَمِينَا
وَمَا نَقْدِيَّةُ الشُّلْطَانِ إِلَّا مَعَ الْمُسْتَخْدَمِينَ مُجَرَّدِينَا
فَكَمْ رَكِبُوا لِخِدْمَتِهِمْ نَهَارًا وَلَيْسَ يَسْأَلُونَ وَيَضْرَعُونَا
وَكَمْ وَقَفُوا بِأَبْوَابِ النَّصَارَى عَلَى أَسْيَافِهِمْ مُتَوَكِّمِينَا
وَكَمْ يَنْفَعُهُمُ الْبَرْطِيلُ^(٣) شَيْئًا وَمَا أَزْدَادُوا بِهِ إِلَّا دُيُونَا
كَأَنَّهُمْ نِسَاءٌ مَاتَ بَعْلٌ لَهُ وَلَدٌ فَوُرِّثَنَ الثَّمِينَا^(٤)
وَقَدْ تَعَيَّتْ خِيُولُ الْقَوْمِ مِمَّا يَطُوفُونَ الْبِلَادَ وَيَرِجِعُونَا
عَذَرْتُهُمْ إِذَا بَاعُوا حَوَالَا تِهِمْ بِالرُّبْعِ لِلْمُسْتَخْدَمِينَا
وَأَعْطَوْهُمْ بِهَا عَوَضًا^(٥) فَكَانُوا لِنِصْفِ الرُّبْعِ فِيهِ خَاسِرِينَا
أَمْوَالَنَا^(٦) الْوَزِيرَ غَفَلَتْ عَمَّا يُهَيِّمُ مِنَ الْكِلَابِ الْخَائِنِينَا
أَتَطْلُقُ جَامِكَيَاتٍ^(٧) لِقَوْمٍ وَتُنْفِقُ فِيءَ قَوْمٍ آخِرِينَا
فَلَا تُهْمِلُ أُمُورَ الْمَلِكِ حَتَّى يَذِلَّ الْجُنْدُ لِلْمَتَمَمِّينَا
فَهَلْ مَلَكَوْا بِأَقْلَامٍ قِلَاعًا وَهَلْ فَتَحُوا بِأَوْرَاقٍ حُصُونَا

(١) ت : ولم يتقاسم . الأسفال : هكذا في الأصل ولعلها الأسفال بالعين ، جمع سفل بفتح فكون أو سفل على وزن كفف ومعناه : المتخذ المهزول .

(٢) ت : وقاموا . (٣) البرطيل : الرشوة .

(٤) الثمين : تصغير الثمن وهو ما يخص الزوجة ذات الأولاد من ميراث زوجها .

(٥) ت : عرضا . (٦) فوات : أموال . (٧) جامكيات : كلمة فارسية معناها معاشات .

وَمَنْ قَتَلَ الْفَرَنْجَ أَشَدَّ قَتْلٍ وَمَنْ أَسَرَ الْفَرَنْسِيَّ اللَّعِينَا
وَمَنْ خَاضَ الْهَوَاجِرَ وَهُوَ ظَالِمٌ إِلَى أَنْ أُوْرَثَ التَّتَرُ الْمَنُونَا
وَلَا تَقُوا الْمَوْتَ دُونَ حَرِيمِ مِصْرٍ وَصَانُوا الْمَالَ مِنْهُمْ وَالْبَنِينَا
وَلَمْ تَتُخِذْ كَمَا أَخَذَتْ دِمَشْقُ وَلَا حُصِرَتْ كَمَيَّا فَارِقِينَا
وَمَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِأَخْذِ مَالٍ مِنْ الْأَتْرَاكِ وَالْمُتَجَنِّدِينَا^(١)
وَمَنْ لَمْ يَدَّخِرْ فَرَسًا جَوَادًا لَوَاقِعَةٍ وَلَا سَيْفًا ثَمِينَا
فَبَعْدَ الْمَوْتِ قُلْ لِي أَيْ شَيْءٍ لَهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَا
إِذَا أُمْنَاؤُنَا قَبِلُوا الْهَدَايَا وَصَارُوا يَتَجَرُّونَ وَيَزْرَعُونَا
فَلِمَ لَا شَاطَرُوا فِيمَا اسْتَفَادُوا كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ يَفْعَلُونَا
وَكَلَّهْمُ عَلَى مَالِ الرِّعَايَا وَمَالِ رُعَاتِهِمْ يَتَحَيَّلُونَا
تَحَيَّلَتْ^(٢) الْقُضَاةُ فَخَانَ كُلُّ أَمَانَتِهِ وَسَمَوُهُ الْإِمِينَا
وَكَمْ جَعَلَ الْفَقِيهُ الْعَدْلَ ظُلْمًا وَصَيَّرَ بَاطِلًا حَقًّا مُبِينَا
وَمَا أَخْشَى عَلَى أَمْوَالِ مِصْرٍ سِوَى مَنْ مَعْشَرٍ يَتَأَوَّلُونَا
يَقُولُ الْمُسْلِمُونَ لَنَا حُقُوقٌ بِهَا وَلَنَحْنُ أَوْلَى الْآخِذِينَا
وَقَالَ الْقِبْطُ إِنَّهُمْ بِمِصْرَ الْمُلُوكِ وَمَنْ سِوَاهُمْ غَاصِبُونَا^(٣)
وَحَلَّتِ الْيَهُودُ بِحِفْظِ سَبْتٍ لَهُمْ مَالِ الطَّوَائِفِ أَجْمَعِينَا
فَلَا تَقْبَلُ مِنَ النَّوَابِ عُدْرًا وَلَا النَّظَارِ فِيمَا يَهْمِلُونَا

(١) د : المستخدمينا . (٢) د : تفقهن .

(٣) هذا البيت ورد في وفات الوفيات هكذا :

وقال القبط نحن ملوك مصر وإن سواهم هم غاصبوننا

فَلَا تَسْتَأْصِلِ الْأَمْوَالَ حَتَّى
وَالْأَيُّ مَنفَعَةٍ يَقُومُ
أَلَيْسَ الْآخِذُونَ بِغَيْرِ حَقٍّ
وَأَنَّ الْكَافِرِينَ الْمَالَ مِنْهُمْ
تَوَرَّعَ مَعْشَرٌ مِنْهُمْ وَعُدُّوا
وَقِيلَ لَهُمْ دُعَاءٌ مُسْتَجَابٌ
فَلَا تَقْبَلْ عَفَاكَ الْمَرْءِ حَتَّى
وَلَا تُنَبِّئْ لَهُمْ عُسْرًا إِذَا مَا
فَإِنَّ الْأَصْلَ يَعْرِى عَنْ ثَمَارٍ
فَإِنَّ قَطَائِعَ الْعُرْبَانِ صَارَتْ
فَقُولِ أَمْرَهَا ابْنُ أَبِي مُلَيْحٍ
وَنَاطِحَ وَهُوَ أَقْرَعُ كُلِّ كَبْشٍ
وَقَدْ شَهِدَتْ بِذَاهِلِهَا سُورِدٌ
وَكَمْ رَاعَتْ لِبَعْلَتِهِ شِمَالًا
وَلَوْ لَا ذَاكَ مَاوَلُوا فِرَارًا
إِذَا نَثَرُوا الدَّرَاهِمَ فِي مَقَامٍ
إِذَا جَيَّشَتْ^(٢) جَيْشًا فِي غَزَاةٍ
يَكُونُوا كُلُّهُمْ مُتَوَاطِئِينَ
إِذَا اسْتَحْفَظْتَهُمْ لَا يَحْفَظُونَا
لِمَا فَوْقَ الْكِفَايَةِ حَائِنِينَ
أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ
مِنَ الزَّهَّادِ وَالْمُتَوَرِّعِينَ
وَقَدْ مَلَأُوا مِنَ السُّخْتِ الْبُطُونَا
تَرَى أَتْبَاعَهُ مُتَمَقِّفِينَ
غَدَتْ أَلْزَامُهُ مُتَمَوِّلِينَ
وَأُورَاقٍ وَيَكْسُوها الْفُصُونَا
لِلْعَمَالِ لَهَا وَمُشَارِفِينَ
فَأَصْبَحَ لَا هَزِيلَ وَلَا سَمِينَا
فَكَيْفَ وَقَدْ أَصَابَ لَهُ قُرُونَا
وَهَلْبَا بَعْجَةٌ^(١) حَرْبًا زَبُونَا
وَكَمْ رَاعَتْ لِبَعْلَتِهِ يَمِينَا
مِنَ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ لَطُورِ سِينَا
ظَنَنْتَ بِهِ الدَّرَاهِمَ يَا سَمِينَا
تَرَى كُتَابَهُمْ مُتَبَاثِرِينَ

(١) هلبا سويد وهلبا بعمجة : بلدتان من أعمال بلبيس .

(٢) ت : جهزت .

وَإِنْ رَجَعُوا لِأَرْضِهِمْ^(١) بِخَيْرٍ
وَقَدْ ثَبَّتَتْ عَدَاوَتَهُمْ فَمَيِّزٌ
وَلَمَّا أَنْ دَعُوا لِلْبَابِ قُلْنَا
وَكأنُوا قَدْ مَضَوْا وَهُمْ غُرَاةٌ^(٢)
وَصَارُوا يَشْكُرُونَ السَّجْنَ حَتَّى
قُلْتُ لَعَلَّكُمْ فِيهِ وَجَدْتُمْ
فَقَالُوا : لَا وَلَكِنَّا أَسَانَا
وَقُلْنَا : الْمَوْتُ مَا لَا بَدَّ مِنْهُ
فَلَمْ تَتْرُكْ مِنَ الْأَقْوَالِ شَيْئًا
نُحِيلُ عَلَى الْبِلَادِ بَعِيرٍ حَقٍّ
وَإِنْ مَنَعُوا تَقَوْلُنَا عَلَيْهِمْ
وَجَهَّزْنَا وَلاَةَ الْحَرْبِ لَيْلًا
فَصَالُوا صَوَلةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ
فَجِئْنَا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا
وَجِئْنَا بِمَشَارِفِ^(٣) بِمَشَاوِيرِ شُهُودًا
وَمَنْ أَلِفَ الْخِيَانَةَ كَيْفَ يُرْجَى
وَمَا ابْنُ قُطَيْبَةٍ^(٤) إِلَّا شَرِيكٌ

فَلَمْ تَرَ كَاتِبًا إِلَّا حَزِينًا
بِعَيْنِكَ مَنْ يَكُونُ لَهُ مُعِينًا
بِأَنَّ الْقَوْمَ لَا يَتَخَلَّصُونَ
فَجَاءُوا بَعْدَ ذَلِكَ مُكْتَسِبِينَ
تَمَتَّى النَّاسُ لَوْ سَكَنُوا السَّجُونَ
بِطُولِ مُقَامِكُمْ مَا لَا دَفِينًا
بِأَنفُسِنَا وَخَالَفْنَا الظَّنُونَ
فَإِذَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَا
وَخَاطَرْنَا وَجِئْنَا سَالِمِينَ
أُنَاسًا يَعْصِفُونَ وَيَظْلِمُونَ
بِأَنَّهُمْ عَصَاةٌ مُفْسِدُونَ
حَتَّى أَنْ يَكْبِسُوهُمْ مُضْجِحِينَ
وَصَلْنَا صَوَلةً فِيمَنْ يَلِينَا
وَجَاءُوا بِالرَّجَالِ مُصَفَّدِينَ
فَإِنَّ مِنَ الْوُثُوقِ بِهِمْ جُنُونًا
لَهُ أَنْ يَحْفَظَ الْأَصْنَافَ الْخُونَا
لَهُمْ فِي كُلِّ مَا يَتَخَفَّفُونَ

(١) ت : أرضهم . (٢) د : ولهم . (٣) ت : مشاف .

(٤) قطيبة : بلدة في مديرية الشرقية بالقرب من الصالحية .

أَغَارَ عَلَى قُرَى فَاقْوَسَ مِنْهُ
وَجَاسَ خِلَالَهَا طُولًا وَعَرْضًا
فَسَلَ أَذْنَيْنِ^(٢) وَالْبَيْرُوقَ عَنْهُ
فَقَدْ نَسَفَ التَّلَالَ الْحَرَّ نَسْفًا
وَصَيَّرَ عَيْنَهَا حِلًّا وَلَكِنْ
وَأَصْبَحَ شُغْلُهُ تَحْصِيلَ تَبْرِ
وَقَدَّمَهُ الَّذِينَ لَهُمْ وَصُولُ
وَفِي دَارِ الْوِلَايَةِ^(٣) أَيْ نَهَبِ
وَمَا فَرَعُونَ^(٤) فِيهَا غَيْرَ مُوسَى
إِذَا أُلْقَى بِهَا مُوسَى عَصَاهُ
وَفِيهَا عُصْبَةٌ لَا خَيْرَ فِيهِمْ
وَشَاهِدُهُمْ إِذَا اتَّهَمُوا يُوَدِّى^(٥)
وَمَنْ يَسْتَعْطِ بِالْأَفْلَامِ رِزْقًا
وَلَسْتُ مُبَرِّئًا كِتَابَ دَرَجٍ
فَهَاكَ قَصِيدَةٌ فِي السَّرِّ مَنَى
بِحُجُورٍ^(١) يَمْنَعُ النَّوْمَ الْجُفُونَا
وَعَادَرَ عَالِيًا مِنْهَا حُزُونَا
وَمَنْزِلَ حَاتِمٍ وَسَلِ الْعَرِينَا
وَلَمْ يَتْرُكْ بِعَرَضَتِهَا جُرُونَا
لِمَنْزِلِهِ وَغَلَّتْهَا خَزِينَا
وَكَانَتْ رَاوِدُهُ مِنْ قَبْلُ نُونَا
فَتَمَّمَ نَقْصَهُ صَلََّةُ الَّذِينَ
فَلَيْتَكَ لَوْ نَهَبْتَ النَّاهِيْنَا
يَسُومُ الْمُسْلِمِينَ أَذَى وَهُونَا
تَلَقَّتِ الْقَوَافِلَ وَالسَّفِينَا^(٥)
عَلَى كُلِّ الْوَرَى يَتَعَصَّبُونَا
عَنِ الْكُلِّ الشَّهَادَةَ وَالْيَمِينَا
تَجِدُهُ عَلَى أَمَانَتِهِ ضَمِينَا^(٧)
إِذَا اتَّهَمْتَ لَدَى النَّاسِخُونَا
حَوْتَ مِنْ كُلِّ وَاقِعَةٍ فُنُونَا

(١) ت : بجود . د : لجور (٢) د : أذنين (٣) فوات : الوكاية

(٤) هذا الشطر ورد في فوات الوفيات هكذا : فقام بها يهودى غيبى

(٥) ت : السنينا (٦) د : بقيوا . ت : بقيت . (٧) ظنيننا

وقال لما سُرقت حمارته :

قُلْتُ لَكُمْ عِنْدَ الشَّرَاقِ مُبْلَغٌ أَخَذِي عَنِ الْمَذْكَورِ مَامَعْنَاهُ
لَا تَجْعَلُونِي فِي الْحَبْرِ كَنَازِمٍ سَرَقَتْ يَدَاهُ فَقَطَّعَتْ أُذُنَاهُ

في بعض^(٢) تواريخ مصر أن الملك الظاهر عين أربعة قضاة لكل مذهب قاضيا؛ فنظم البوصيري هذه الأبيات :

غَدَا جَامِعُ ابْنِ الْعَاصِ كَهْفَ أُمِّمَةٍ فَاللهُ كَهْفُ الْأُمَمَةِ جَامِعُ
لَقَدْ سَرَنَّا أَبَّ الْقَضَاءِ ثَلَاثَةً وَأَنْتَ تَاجَ الدِّينِ لِلْقَوْمِ رَابِعُ
بِهِمْ بَذِيَّةُ الْإِسْلَامِ صَحَّتْ وَكَيْفَ لَا تَصِحُّ وَهُمْ أَرْكَانُهَا وَالطَّبَائِعُ
فَهُمْ رُخْصًا أَبَدُوا لَنَا وَعَزَائِمًا هُدَيْنَا بِهَا فَهِيَ النُّجُومُ الطَّوَالِعُ
فَلَا تَبْتَنِّسْ إِنْ وَسَّعَ اللهُ فِي الْهُدَى مَذَاهِبَنَا بِالْعِلْمِ وَاللهُ وَاسِعُ
تَفَرَّقَتْ الْأَرَاهُ وَالِدِّينُ وَاحِدٌ وَكُلٌّ إِلَى رَأْيٍ مِنَ الْحَقِّ رَاجِعُ
فَهَذَا اخْتِلَافٌ جَرَّ لِلخَلْقِ رَاحَةً^(١) كَمَا اخْتَلَفَتْ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ

القصيدة المضرية في الصلاة على خير البرية^(٣) :

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ وَالْأَنْبِيَاءِ وَجَمِيعِ الرُّسُلِ مَا ذُكِرُوا
وَصَلِّ رَبِّ عَلَى الْهَادِي وَشَيْعَتِهِ وَصَحْبِهِ مَنْ لَطَى الدِّينَ قَدْ نَشَرُوا
وَجَاهِدُوا مَعَهُ فِي اللهِ وَاجْتَهِدُوا وَهَاجِرُوا وَلَهُ آوُوا وَقَدْ نَصَرُوا
وَيَبْنُوا الْفَرَضَ وَالْمَسْنُونَ وَاعْتَصَبُوا اللهُ وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَانْتَصَرُوا

(١) هكذا في الأصل .

(٢) هذه القصيدة وردت في « ت » ولم ترد في د : ولذلك وضعتها في نهاية الديوان

(٣) نقلتها عن المجوعة الكبرى في القصائد الفخرى طبع تركيا ص ٧٠ .

أَزْكَى صَلَاةٍ وَأَنْمَاهَا وَأَشْرَفَهَا
مَفْتُوحَةً بِعَبِيرِ الْمِسْكِ زَاكِيَةً
عَدَّةَ الْحَصَى وَالْثَرَى وَالرَّمْلِ يَتَّبِعُهَا
وَعَدَّةَ مَا حَوَتْ الْأَشْجَارُ مِنْ وَرَقٍ
وَعَدَّةَ وَزْنِ مِثْقَالِ الْجِبَالِ كَذَا
وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْأَسْمَاكِ مَعَ نَعَمٍ
وَالذَّرِّ وَالنَّمْلِ مَعَ جَمْعِ الْحَبُوبِ كَذَا
وَمَا أَحَاطَ بِهِ الْعِلْمُ الْمُحِيطُ وَمَا
وَعَدَّةَ نِعْمَاتِكَ اللَّاتِي مَنَنْتَ بِهَا
وَعَدَّةَ مِقْدَارِهِ السَّامِيِّ الَّذِي شَرَفْتَ
وَعَدَّةَ مَا كَانَ فِي الْأَكْوَانِ يَاسَنَدِي
فِي كُلِّ طَرْفَةٍ عَيْنٍ يَطْرُقُونَ بِهَا
مِلَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ مَعَ جَبَلٍ
مَا أَعْدَمَ اللَّهُ مَوْجُودًا وَأَوْجَدَ مَعَهُ
تَسْتَعْرِقُ الْعَدَّةَ مَعَ جَمْعِ الدُّهُورِ كَمَا
لَا غَايَةَ وَانْتِهَاءَ يَا عَظِيمُ لَهَا
مَعَ السَّلَامِ كَمَا قَدْ مَرَّ مِنْ عَدَدٍ
وَعَدَّةَ أَضْعَافٍ مَا قَدْ مَرَّ مِنْ عَدَدٍ
كَمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى سَيِّدِي وَكَمَا
وَكَُلِّ ذَلِكَ مَضْرُوبٌ بِحَقِّكَ فِي
يُعْطَرُ الْكَوْنُ رَبًّا نَشْرِهَا الْعَطَرُ
مِنْ طِبْهِهَا أَرْجُ الرِّضْوَانِ يَنْتَشِرُ
نَجْمُ السَّمَاءِ وَنَبْتُ الْأَرْضِ وَالْمَدَرُ
وَكُلُّ حَرْفٍ غَدَا يُتَلَّى وَيُسْتَطَرُ
بِلَيْهِ قَطَرُ جَمِيعِ الْمَاءِ وَالْمَطَرُ
يَتَلَوُّهُمْ الْجِنُّ وَالْأَمْلاَكُ وَالْبَشَرُ
وَالشَّعْرُ وَالصُّوفُ وَالْأَرْيَاشُ وَالْوَبَرُ
جَرَى بِهِ الْقَلَمُ لِلْأُمُونِ وَالْقَدَرُ
عَلَى الْخَلَائِقِ مُذْ كَانُوا وَمُذْ حُسِرُوا
بِهِ النَّدِيُّونَ وَالْأَمْلاَكُ وَافْتَحَرُوا
وَمَا يَكُونُ إِلَى أَنْ تُبْعَثَ الصُّورُ
أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ أَوْ يَذَرُ
وَالْفَرَشُ وَالْعَرْشُ وَالْكَرْبِيُّ وَمَا حَصَرُوا
دُومًا صَلَاةً دَوْمًا لَيْسَ تَنْحَصِرُ
يُحِيطُ بِالْحَدِّ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ
وَلَا لَهَا أَمَدٌ يُقْضَى وَيُنْتَظَرُ
رَبًّا وَضَاعَفَهَا وَالْفَضْلُ مُنْتَشِرُ
مَعَ ضِعْفِ أَضْعَافِهِ بِأَمْنٍ لَهُ الْقَدَرُ
أَمَرْتَنَا أَنْ نُصَلِّيَ أَنْتَ مُقْتَدِرُ
أَنْفَاسِ خَلْقِكَ إِنْ قُلُوا وَإِنْ كَثُرُوا

يَا رَبِّ وَاعْفِرْ لِتَالِيهَا وَسَامِعِهَا
وَوَالِدَيْنَا وَأَهْلَيْنَا وَجِيرَتَنَا
وَقَدْ أَتَتْ بِذُنُوبٍ لَا عِدَادَ لَهَا
وَالْهَمُّ عَنْ كُلِّ مَا أَبْغِيهِ أَشْغَانِي
أَرْجُوكَ يَا رَبِّ فِي الدَّارَيْنِ تَرْحَمْنَا
يَا رَبِّ أَعْظِمَ لَنَا أَجْرًا وَمَغْفِرَةً
وَكُنْ لَطِيفًا بِنَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ
بِالْمُصْطَفَى الْمُجْتَبَى خَيْرِ الْأَنَامِ وَمَنْ
تُمْ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا طَلَعَتْ
تُمْ الرِّضَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَتِهِ
وَعَنْ أَبِي حَفْصٍ الْفَارُوقِ صَاحِبِهِ
وَجَدُّ لِعُمَاةِ ذِي النُّورَيْنِ مَنْ كُمَلَتْ
كَذَا عَلِيٍّ مَعَ ابْنَيْهِ وَأُمَّهُمَا
سَعْدُ سَعِيدُ بْنُ عَوْفٍ طَلْحَةُ وَأَبُو
وَالْأَلِ وَالصَّحْبِ وَالْأَتْبَاعِ قَاطِبَةً

القصيدة الحمديّة للإمام البوصيري^(١) :

مُحَمَّدٌ أَشْرَفُ الْأَعْرَابِ وَالْعَجَمِ
مُحَمَّدٌ بَاسِطُ الْمَعْرُوفِ جَامِعَةٌ
مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ
مُحَمَّدٌ صَاحِبُ الْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ

(١) نقلتها عن المجمة الكبرى المتقدم ذكرها .

مُحَمَّدٌ تَاجُ رُسُلِ اللَّهِ فَاطِبَةً مُحَمَّدٌ صَادِقُ الْأَقْوَالِ وَالْكَلِمِ
 مُحَمَّدٌ ثَابِتُ الْمِيثَاقِ حَافِظُهُ مُحَمَّدٌ طَيِّبُ الْأَخْلَاقِ وَالشَّيْمِ
 مُحَمَّدٌ حُبِيتُ بِالنُّورِ طِينَتُهُ مُحَمَّدٌ لَمْ يَزَلْ نُورًا مِنْ الْقِدَمِ
 مُحَمَّدٌ حَاكِمٌ بِالْعَدْلِ ذُو شَرَفٍ مُحَمَّدٌ مَعْدِنُ الْإِنْعَامِ وَالْحِكْمِ
 مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ مُضَرٍ مُحَمَّدٌ خَيْرُ رُسُلِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
 مُحَمَّدٌ دِينُهُ حَقٌّ النَّذِيرُ بِهِ مُحَمَّدٌ مُجْمَلٌ حَقًّا عَلَى عِلْمِ
 مُحَمَّدٌ ذِكْرُهُ رُوحٌ لَأَنْفُسِنَا مُحَمَّدٌ شُكْرُهُ فَرَضٌ عَلَى الْأُمَمِ
 مُحَمَّدٌ زِينَةُ الدُّنْيَا وَبَهْجَتُهَا مُحَمَّدٌ كَاشِفُ الْغُمَاتِ وَالظُّلَمِ
 مُحَمَّدٌ سَيِّدٌ طَابَتْ مَنَاقِبُهُ مُحَمَّدٌ صَاغَهُ الرَّحْمَنُ بِالنَّعَمِ
 مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الْبَارِي وَخَيْرَتُهُ مُحَمَّدٌ طَاهِرٌ سَاتَرُ التَّهَمِ
 مُحَمَّدٌ ضَاحِكٌ لِلضَّيْفِ مَكْرُمَةً مُحَمَّدٌ جَارُهُ وَاللَّهُ لَمْ يُضْمِ
 مُحَمَّدٌ طَابَتِ الدُّنْيَا بِبِعْتَتِهِ مُحَمَّدٌ جَاءَ بِالْآيَاتِ وَالْحِكْمِ
 مُحَمَّدٌ يَوْمَ بَعَثَ النَّاسَ شَافِعُنَا مُحَمَّدٌ نُورُهُ الْهَادِي مِنَ الظُّلَمِ
 مُحَمَّدٌ قَائِمٌ لِلَّهِ ذُو هِمَمٍ مُحَمَّدٌ خَاتِمٌ لِلرُّسُلِ كُلِّهِمْ

القصيدة الهائية للإمام البوصيري^(١) :

الصُّبْحُ بَدَا مِنْ طَلَعَتِهِ وَاللَّيْلُ دَجَا مِنْ وَفَرَتِهِ
 فَاقَ الرُّسُلَا فَضْلًا وَعِلًّا أَهْدَى السُّبُلَا لِدَلَالَتِهِ
 كَنْزُ الْكَرَمِ مُوَلَّى النَّعَمِ هَادِي الْأُمَمِ لِشَرِيعَتِهِ

(١) نقلتها عن المجمة المتقدم ذكرها .

أَذَكَّى الذَّسِبِ أَعْلَى الْحَسْبِ كُلُّ الْعَرَبِ فِي خِدْمَتِهِ
 سَمَتِ الشَّجَرُ نَطَقَ الْحَجَرُ شُقَّ الْقَمَرُ بِإِشَارَتِهِ
 جِبْرِيلُ أَتَى لَيْلَةَ أُسْرَى وَالرَّبُّ دَعَاهُ لِحَضْرَتِهِ
 نَالَ الشَّرَفَا وَاللَّهُ عَفَا عَمَّا سَلَفَا مِنْ أُمَّتِهِ
 فُحَمَّدُنَا هُوَ سَيِّدُنَا فَالْعِزُّ لَنَا لِإِجَابَتِهِ

أبيات وقصائد للبوصيري وردت في فوات الوفيات .

قال فيمن اسمه عمرو ، وعلى عينيه فص :

سَمَّوْهُ عَمْرًا فَصَحَّفْنَا اسْمَهُ عَمْرًا
 فَاصْبَحَتْ عَيْنُهُ غَيْنًا بِنُقْطَتِهَا
 وَطَلَمَّا ارْتَفَعَ التَّصْحِيفُ بِالنُّقْطِ

وقال من قصيدة أولها :

أَهْوَى وَالْمَشِيبُ قَدْ حَالَ دُونَهُ وَالتَّصَابِي بَعْدَ الْمَشِيبِ رُغُونَهُ
 أَبَتْ النَّفْسُ أَنْ تُطِيعَ وَقَالَتْ إِنَّ حُبِّي لَا يَدْخُلُ الْقَنِينَةَ
 كَيْفَ أَغْصَى الْهَوَى وَطِينَةُ قَلْبِي بِالْهَوَى قَبْلَ آدَمٍ مَعْجُونَهُ
 سَلَبَتْهُ الرُّقَادَ بَيَاضُهُ خِذْرِ ذَاتُ حُسْنٍ كَالدَّرَةِ الْمَكْنُونَهُ
 سُمُّهَا قُبْلَةٌ تَسْرُّ بِهَا النَّفْسُ فَقَالَتْ كَذَا أَكُونُ حَزِينَهُ
 قُلْتُ لَا بُدَّ أَنْ تَسِيرِي إِلَى الدَّارِ فَقَالَتْ : عَسَى أَنَا مَجْنُونَهُ
 قُلْتُ سِيرِي فَإِنِّي لَكَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي رَاحِمٍ وَأُمِّ حَنْوَنَهُ
 أَنَا نِعَمَ الْقَرِينِ إِنْ كُنْتَ تَبْغِينَ حَلَالًا وَأَنْتِ نِعَمَ الْقَرِينَةِ
 قَالَتْ : اضْرِبْ عَنِّي وَصْلَ مِثْلِي صَفْحًا وَاضْرِبِ الْخَلَّ أَوْ يَصِيرِ طَحِينَهُ
 لَا أَرَى أَنْ تَمَسَّنِي يَدُ شَيْخٍ كَيْفَ أَرْضَى بِهِ لَطَشَتِي مَشِينَهُ

قُلْتُ : إِنِّي كَثِيرٌ مَالٍ فَقَالَتْ هَبْكَ أَنْتَ الْمُبَارِزُ الْقَارُونَهُ
سَيِّدِي لَا تَخَفْ عَلَى خُرُوجَا فِي عَرُوضِي فَقِطْنِي مَوْزُونَهُ
كُلُّ بَحْرٍ إِنْ شِئْتَ فِيهِ اخْتَبَرْنِي لَا تُكَذِّبْ فَإِنِّي يَقْطِينَهُ
وقال، وكتب بها إلى بعض الأصحاب :

قُلْ لِعَلِّي الَّذِي صَدَّقْتُهُ عَلَى حُقُوقِ الْإِخْوَانِ مُؤْتَمَنَهُ
أَخُوكَ قَدْ عَوَّدْتَ طَبِيعَتَهُ بِشَرْبَةٍ فِي الرَّيْبِ كُلِّ سَنَةٍ
وَالآنَ قَدْ عَفَنْتَ عَلَيْهِ وَقَدْ هَدَّتْ قَوَاهُ وَجَفَفَتْ بَدَنَهُ
وَعَاوَدَتْ يَوْمَهَا زِيَارَتَهُ وَمَا اعْتَرَاهَا مِنْ قَبْلِ ذَاكَ سَنَةٍ
وَعَادَ عِنْدَ الْقِيَامِ يَحْمِلُهَا بِرَاحَتِيهِ كَأَنَّهَا زَمِنَهُ
جِئْتُ بِهَا لِلطَّبِيبِ مُشْتَكِيًا وَدَمَعَتِي كَالْعَوَارِضِ الْهَتِينَةِ
فَقَالَ عُدْنِي إِذَا احْتَمَيْتَ وَكُنْ فِي كُلِّ يَوْمٍ دَجَاجَةً دَهِنَةً
كَيْفَ وَصُولِي إِلَى الدَّجَاجَةِ وَالْبَيْضَةِ عِنْدِي كَأَنَّهَا بَدَنَهُ
جَزَاكَ رَبِّي إِذَا انْسَهَلْتُ بِمَا شَرِبْتُ عَنْ كُلِّ خَرِيَةٍ حَسَنَةٍ
وقال فيمن على عينيه بياض :

انْظُرْ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي عَيْنَيْهِ سِرًّا أَيْ سِر
طَمَسَ الْيَمِينَ بِكُوكَبِ وَسَيَطُمُسُ الْبُسْرَى بِفَجْرِ
وقال في الشيخ^(١) زين الدين الرِّعَاد :

لَقَدْ عَابَ شِعْرِي فِي الْبَرِيَةِ شَاعِرُهُ وَمَنْ عَابَ أَشْعَارِي فَلَا بُدَّ أَنْ يُهْجَا
وَشِعْرِي بِحَرٍّ لَا يُؤَافِيهِ ضِفْدَعٌ وَلَا يَقْطَعُ الرِّعَادُ^(٢) يَوْمًا لَهُ لُجَا

(١) كان يعمل خياطًا بالمحلة ويقول الشعر .

(٢) في كلمة « الرِّعَاد » تورية، فهي اسم للشاعر، واسم لنوع من السمك.

أبيات للبوصيريّ وجدها على الورقة الأولى من كتاب « الفاضل، من إنشاء الفاضل » ،
لابن نباتة مخطوط رقم ٧٠٦٥ أدب - المكتبة الأزهرية بالقاهرة .

فِدَاؤُكَ مَنْ إِذَا رُمْتُ امْتِنَانًا عَلَى لَهُ أَبِي إِلَّا امْتِنَاعًا
فَلَا عِنْدِي لَهُ نِعَمٌ تُجَازَى وَلَا لِي عِنْدَهُ ذِمَّةٌ تُرَاعَى
أَبَاسُطُهُ وَأُحْذَرُهُ كَأَنِّي أُمَارِسُ مِنْ خَلَاتِقِهِ السَّبَاعَا
فَلَا أَنَا آمِنٌ مِنْهُ ضِرَارًا وَلَا هُوَ آمِلٌ مِنِّي انْتِفَاعًا
فَلَسْتُ أَوْدُهُ إِلَّا رِيَاءَ وَلَيْسَ يَوَدُّنِي إِلَّا خِدَاعًا
أَضَعْتُ حُقُوقَهُ وَأَضَاعَ حَقِّي فَيَالَكَ صُخْبَةً ذَهَبَتْ ضِيَاعَا

وقال يمدح أبا العباس المرسي . وهذه الأبيات وردت في كتاب لطائف المنن
« في مناقب ^(١) أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن » تأليف ابن عطاء الله السكندري .

أَمَّا الْمَحَبَّةُ فَهِيَ بَذْلُ نَفْسٍ فَتَنَعَّمِي يَا مُهَجَّجِي بِالْبُوسِ
بَذْلَ الْمَحِبِّ لِمَنْ أَحَبَّ دُمُوعُهُ وَطَوَى حَشَاهُ عَلَى أَحَرِّ رَسِيسٍ ^(٢)
صَدَقَ وَقُلْ مَنْ لَمْ يَقُمْ كَقِيَامِهِ لَمْ يَنْتَفِعْ مِنْهُ امْرُؤٌ بِجُلُوسِ
قَبْلَ إِلَهِ تَقَرَّرِي بِمَدِيحِهِ وَتَوَجَّهِي لِجَنَابِهِ الْمَحْرُوسِ
رُمْتُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ أَعْجَزَنِي الشَّرِي وَأَبَاحَنِي مَرَّاهُ غَيْرَ يَثُوسِ
أَكْرِمَ بَيْتِومِ الْأَرْبَعَاءِ زِيَارَةً لَكَ إِنَّهُ عِنْدِي كَأَلْفِ خَمِيسِ
كُلُّ اتِّصَالٍ السَّعِيدِ سَعِيدَةٌ بِمَثَابَةِ التَّثْلِيثِ وَالتَّسْدِيسِ

(١) انظر هامش لطائف المنن للشعراني (الجزء الثاني ص ٢٦ ط الميمنية بمصر) .

(٢) الرسيس : ابتداء الحمى .

شَرَفًا لِشَاذِلَةٍ وَمَرْسِيَةً سَرَتْ لَهَا الرِّبَاسَةُ مِنْ أَجْلِ رَئِيسِ
مَا إِنْ نَسَبْتُ إِلَيْهِمَا شَيْخَيْنِ إِلَّا جَلَوْتُهُمَا جِلَاءَ عَرُوسٍ
وقال^(١) :

تَجَنَّبَ أَحَادِيثَ الْحَسُودِ فَوَاجِبُ تَجَنُّبِهِ فِيمَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ
وَكُلُّ حَسُودٍ مَا عَدَّتْهُ مَلَامَةٌ وَكُلُّ لَتِيمٍ مَا عَلَيْهِ مُعَوَّلٌ
مَتَى قَالَ عَنِّي الشَّوْءُ عِنْدَكَ إِنَّهُ كَذَاكَ يَقُولُ الشَّوْءَ عَنْكَ وَيَنْقُلُ
وقال^(٢) فِي الْمَرْكَبِ الَّتِي فَوْقَ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ :

بِقُبَّةِ قَبْرِ الشَّافِعِيِّ سَفِينَةٌ رَسَتْ مِنْ بِنَاءِ مُحْكَمٍ فَوْقَ جُلُودِ
وَمُذْ غَاضَ طُوفَانُ الْعُلُومِ بِمَوْتِهِ اسْمُ
تَوَى الْفَلَكَ فِي ذَاكَ الضَّرِيحِ عَلَى الْجُودَى
وفي^(٣) كِتَابِ السُّلُوكِ لِلْمَقْرِزِيِّ مَا نَصَّهُ :

وَاتَّفَقَ أَيْضًا أَنَّ الشَّيْخَ شَرْفَ الدِّينِ الْبُوصَيْرِيَّ رَأَى فِي مَنَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُخْرِجَ الْأَشْرَفَ
إِلَى عَكَا قَائِلًا يَنْشُدُهُ :

قَدْ أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ عَكَا وَأَشْبَعُوا الْكَافِرِينَ صَكَ
وَسَاقَ سُلْطَانَنَا إِلَيْهِمْ خَيْلًا تَدُكُ الْجِبَالَ دَكَاً
وَأَقْسَمَ التَّرْكُ مِنْذُ سَارَتْ لَا تَرَكَوْا لِلْفَرَجِجِ مُلْكًا

(١) هذه الأبيات وردت في نسب البوصيري للسيوطي ، مخطوط ، رقم ٥٠٣٧ — أدب ورقة رقم ١٨٧
دار الكتب بالقاهرة وفي كتاب المقفى للمقريزي لوحة رقم ٢٥١ مخطوط رقم ٥٣٧٢ تاريخ دار الكتب .
(٢) الجزء الأول : القسم الثالث ص ٧٦٦ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٣٩
(٣) خطط المقريزي ج ٢ ص ٢٩٩ ط بولاق بمصر .

ولما مات^(١) صاحب فخر الدين، ولد صاحب بهاء الدين، المشهور بابن حنا في الحرم سنة ٦٧٢ وأُزِلَ في لحده، قام البوصيرى وأنشد :

نَمَّ هَنِيتًا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بِجَمِيلٍ قَدَّمْتَ بَيْنَ يَدَيْكَ
لَمْ تَزَلْ عَوْنًا عَلَى الدَّهْرِ حَتَّى غَلَبْنَا يَدَ النَّوْنِ عَلَيْكَ
أَنْتَ أَحْسَنْتَ فِي الْحَيَاةِ إِلَيْنَا أَحْسَنَ اللَّهُ فِي الْمَاتِ إِلَيْكَ

فتباكى الناس، وكان لها محل كبير من حضر :

ومن^(٢) قوله، وكان قد أشيع أنه مات :

عَاشَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ الْبُوصِيرِيُّ وَحَيَاةُ الْكِلَابِ مَوْتُ الْحَمِيرِ
عَاشَ قَوْمٌ مَذْقِلٌ إِنِّي قَدِمْتُ فَمَاتُوا قَبْلِي بِوَحْزِ الصَّدُورِ
لَسْتُ بِمَنْ يَمُوتُ أَوْ يَقْدُمُونِي وَأَبْكِي عَلَيْهِمْ فِي الْقُبُورِ
وَصَحِيحٌ بَأَنِّي كُنْتُ قَدِمْتُ وَأَحْيَانِي جُودُ هَذَا الْوَزِيرِ

ومن^(٣) قوله، وكان الملك الظاهر قد أمر بكسر أوعية الحرم، وشدد فيها .

نَهَى السُّلْطَانُ عَنْ شُرْبِ الْخَمِيَّةِ وَصَيَّرَ حَدَّهَا حَدَّ الْيَمَانِي
فَمَا جَسَرَتْ مُلُوكُ الْجِنِّ مِنْهُ نِظَوفِ الْقَتْلِ تَدْخُلُ فِي الْقَنَانِي

ومن^(٤) قوله يمدح الأمير سنجر الشجاعى الذى أشرف على بناء المدرسة المنصورية

والمارستان المنصورى سنة ٦٨٤ هـ

أَنْشَأَتْ مَدْرَسَةً وَمَارِسْتَانًا لِتُصَحِّحَ الْأَجْسَامَ وَالْأَبْدَانَا

(١) خطط المقرئى ج ٢ ص ٢٩٩ ط بولاق بمصر .

(٢) (٤٣٠٢) منقولة عن كتاب المقفى للمقرئى المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣٧٢ تاريخ تصوير

شمسى مجلد رقم ٢ من لوحة ٢٥٠ - ٢٥٣ .

وكان^(١) له صديق يعرف بالحشاء، له غلام حبشي مليح الصورة . وكان شخص يدعى سليمان المفتش يحب ذلك العبد ، فحذره البوصيرى من سليمان المذكور، وقال له ما بلغه من خبر حبه للعبد . فقال له : أنا عبدى شيطان، ما أخاف عليه، فقال البوصيرى :

كَمْ قُلْتُ لِلْأَكْرَمِ الْحَشَاءُ أَنْصَحُهُ بِأَنَّ عَبْدَكَ مُحْتَاجٌ لِلْقَانِ
فَقَالَ عَبْدِي عَفَرِيْتُ فَقُلْتُ لَهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ سُلَيْمَانَ

وبات مرّةً بالقرافة فى رُفقة فيهم رجل اسمه مسافر ، فدب ليلا على صبي ، اسمه النجم .
فقال البوصيرى :

مُسَافِرٌ سَارَتْ أَحَادِيثُهُ مَا بَيْنَ كُلِّ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
سَرَى عَلَى النَّجْمِ وَلَا غَرَوِ فِي مُسَافِرٍ يَسْرِى عَلَى النَّجْمِ

اتتهى ما وجدناه من شعر البوصيرى مفرقا فى الكتب

البوصيرى فى كتب التراجم

— ١ —

فوات الوفيات — تأليف محمد بن شاكر الكتبي

المتوفى سنة ٧٦٤ هـ

الجزء الثانى ص ٢٥٦ — ٢٦١ ط بولاق سنة ١٢٨٣ هـ

محمد بن سعيد بن حمّاد بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجى . كان أحد أبويه من أبوصير ، والآخر من دلاص ، فركبت له نسبة منهما . وقيل الدلاصيرى ، لكنه اشتهر بالبوصيرى . كان يعانى صناعة الكتابة والتصرف ، و باشر الشرقية ببُلْبَيْس ، وله تلك القصيدة المشهورة التى نظمها فى مباشرة الشرقية التى أولها :

نَقَدْتُ طَوَائِفَ الْمُسْتَخْدَمِينَ فَلَمْ أَرَ فِيهِمْ رَجُلًا أَمِينًا

الخ . . .

وهى طويلة إلى الغاية ، وقد اختصرت من أبياتها كثيرا ، وله فيهم غير ذلك . وشعره فى غاية الحسن واللطافة ، عذب الألفاظ ، منسجم التركيب . وقال فيمن اسمه عمرو ، وعلى عينه فص .

سَمَوَهُ عَمْرًا فَصَحَّفْنَا اسْمَهُ عَمْرًا فَبَيَّنَ الدَّهْرُ مِنَّا مَوْضِعَ الْغَلَطِ

الخ . . .

وقال فيه من قصيدة أولها :

أَهْوَى وَالْمَشِيبُ قَدْ حَالَ دُونَهُ وَالتَّصَابِي بَعْدَ الْمَشِيبِ رُعُونَهُ

الخ . . .

وقال رحمه الله من قصيدة أولها :

يَأْيُهَا الْمَوْلَى الْوَزِيرُ الَّذِي أَيَّامُهُ طَائِعَةٌ أَمْرُهُ

الخ . . .

وقال وقد كتب بها إلى بعض الأصحاب :

قُلْ لِعَلِيٍّ الَّذِي صَدَّقَتْهُ عَلَى حُقُوقِ الْإِخْوَانِ مُؤْتَمَنَهُ

الخ . . .

قال الشيخ تقي الدين بن سيد الناس: كانت له حمارة استعارها منه ناظر الشرقية، فأعجبته

فأخذها وجهاز له منها مائتي درهم ، فسكتب على لسانها إلى الناظر :

الملوكة حمارة البوصيري

يَأْيُهَا السَّيِّدُ الَّذِي شَهِدَتْ أَخْلَاقُهُ لِي بَأَنَّهُ فَاضِلٌ

الخ . . .

فردها الناظر إليه ، ولم يأخذ الدراهم منه .

وقال فيمن على عينيه بياض :

انْظُرْ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي عَيْنَيْهِ سِرًّا أَيْ سِرُّ

الخ . . .

وقال في الشيخ زين الدين بن الرِّعَاد :

لَقَدْ عَابَ شِعْرِي فِي الْبَرِيَّةِ شَاعِرٌ وَمَنْ عَابَ أَشْعَارِي فَلَا بُدَّ أَنْ يُهْجَا

الخ...

وللبوصيرى فى مدائح النبى صلى الله عليه وسلم قصائد طنانة ، منها قصيدة ميموزة أولها :

كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الْأَنْبِيَاءُ

وقصيدة على وزن بانت سعاد ، وأولها :

إِلَى مَتَى أَنْتَ بِاللَّذَاتِ مَشْغُولٌ وَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا قَدَّمْتَ مَسْئُولٌ

وقصيدته المشهورة بالبردة التى أولها :

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِهَانَ بِيْذَى سَلَمٍ مَرْجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقَلَّةٍ بِدَمٍ

قال البوصيرى : كنت قد نظمت قصائد فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منها ما كان اقترحه على الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير . ثم انفق بعد ذلك أن أصابنى خِلْطٌ فالج أبطل نصفى ، ففكرت فى عمل قصيدتى هذه البردة ، فعملتها ، واستشفعت به إلى الله فى أن يعافينى ، وكررت إنشادها ، وبكيت ودعوت ، وتوسلت ونمت ، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فمسح على وجعى بيده المباركة ، وألقى على بردة ، فانتبهت ووجدت فى نهضة ، فقممت وخرجت من بيتى ، ولم أكن أعلمت بذلك أحدا ، فلقينى بعض الفقراء ، فقال لى : أريد أن تعطينى القصيدة التى مدحت بها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أيها ؟ فقال : التى أنشأتها فى مرضك ، وذكر أولها ، وقال : والله لقد سمعتها البارحة وهى تنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتمايل وأعجبته ، وألقى على من أنشدها بردة ، فأعطيته إياها ، وذكر الفقير ذلك ، وشاع المنام ، إلى أن اتصل بالصاحب بهاء الدين بن حنا ، فبعث إلى ، وأخذها ، وحلف ألا يسمعه إلا قائما حافيا مكشوف الرأس ،

وكان يحب سماعها هو وأهل بيته ، ثم إنه بعد ذلك أدرك سعد الدين الفارقيّ الموقع رمد ، أشرف منه على العمى ، فرأى في المنام قائلا يقول له : اذهب إلى الصاحب ، وخذ البردة ، واجعلها على عينيك ، فتعافى بإذن الله عز وجل . فأتى إلى الصاحب ، وذكر منامه ، فقال : ما أعرف عندي من أثر النبيّ ، صلى الله عليه وسلم بُردة ، ثم فكر ساعة وقال : لعل المراد قصيدة البردة التي للبوصيريّ . يا ياقوت ! افتح الصندوق الذي فيه الآثار ، وأخرج القصيدة التي للبوصيريّ ، وأت بها ، فأتى بها ، فأخذها سعد الدين ، ووضعها على عينيه ، فعوفى . ومن ثم سميت البردة ، والله أعلم .

— ٢ —

المقفي للبقريري المتوفى سنة ٥٨٤هـ

مصور . المجلد الأول ، لوحة رقم ٢٥٠ — تاريخ ٥٣٧٢

دار الكتب المصرية

محمد بن سعيد بن حماد بن تحسن بن أبي سرور بن حيان بن عبد الله بن ملاك بن ضهاج . وقيل محمد بن سعيد بن حماد بن تحسن بن عبد الله بن حَيَّانِيّ الحبَنُونِيّ الصنهاجيّ ، أبو عبد الله شرف الدين الدلاصيّ المولد ، المغربيّ الأصل ، البوصيريّ المنشأ ، صاحب القصيدة المعروفة بالبردة .

أصله من قلعة حمّاد، ببلاد المغرب، من قبيل يقال لهم بنو حَبَنُون، بجاء مهملة، ثم باء موحدة، بعدها نون وواو، ثم نون على وزن زيدون .

وكان أبوه من ناحية بوصير ، وأمّه من ناحية دَلاص ، فركب لنفسه منهما نسبا ، وقال : الدلاصيريّ ، واشتهر بالبوصيريّ .

ومولده بناحية دلاص ، في يوم الثلاثاء أول شوال سنة ست وقيل سنة عشر ، وقيل سبع وستائة ، فبرع في النظم ، وتخصّص بالوزير زين الدين يعقوب بن الزبير ، وانقطع إليه بمصر ، وصار مفتوحا عليه ، فاتفق أنه أصابه فالج أبطل نصفه ، وتعطل مدة ، بحيث عجز عن الانقلاب في الفرش من جانب إلى آخر . فلما أمضه ذلك ، عزم على نظم قصيدة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستشفع بها إلى الله تعالى ، عساه ينجيها مما به ، فنظم القصيدة التي تعرف بالبردة وأولها :

أَمِنْ تَذَكُّرِ حَيْرَانٍ بِذِي سَلَمٍ مَرَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقَلَّةٍ بِدَمٍ

وكرر إنشادها مرارا ، وتشفع إلى الله سبحانه ؛ بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، في إزالة كربها ، وأكثر من البكاء والدعاء ، ونام فرأى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم في منامه ، وكأنه يمسح بيده المقدسة على مابه من الوجع ، ثم ألقى عليه بردة ، فانتبه وقد عوفي مما به من فؤره ، وخرج من منزله ، وكان ماتقدم ذكره سرافيا بينه وبين الله ، سبحانه ، لم يُطْلَع عليه أحدا من الناس ، فلقبه بعض الفقراء وقد خرج من بيته وقال له : أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : وأى قصيدة تريد ؟ فأبى مدحته صلى الله عليه وسلم بقصائد كثيرة ، فقال التي أنشأتها في مرضك ، التي أولها :

أَمِنْ تَذَكُّرِ حَيْرَانٍ بِذِي سَلَمٍ

والله لقد سمعناها البارحة ، وهي تُنشد بين يدي من صُنعت فيه ، ورأيتها ، صلى الله عليه وسلم ، يتمايل عند سماعها ، كتمايل القضيف الرطب ، وأعجبته ، وألقى على من أنشدها بردة . فأعطاه القصيدة ، وشاع المنام بمصر ، حتى بلغ الصاحب الكبير بهاء الدين علي بن محمد بن حنا ، فانتسخها ، ونذر أن لا يسمعها إلا وهو قائم مكشوف الرأس ، فسمعها كذلك ، وأعجب بها ، وتبرك هو وأهله بسماعها ، وشاع ذلك بين الناس ، فاتفق أن سعد الدين الفارقي موقع الصاحب رمدا رمدا شديدا أشفى منه على العمى ، فرأى في منامه كأنه يقال له : اذهب إلى الصاحب بهاء الدين ، وخذ منه البردة ، وضعها على عينيك ، تبرأ من وقتك . فلما أتاه ، وقص عليه ما رأى

قال : والله ما عندى من آثار النبي صلى الله عليه وسلم بردة ، وفكر ساعة ثم قال : لعل المراد قصيدة البردة ، فنحن نتبرك بها ، وأمر عبده ياقوت أن يقول للخادم : افتح صندوق الآثار، وأخرج القصيدة من حق العنبر ، وأت بها ، فلما جاءت وضعها الفارقي على عينيه ، وقرئت عليه ، وكان الشفاء ، فسميت من حينئذ البردة ، واشتهرت بديار مصر والشام والمغرب والحجاز واليمن ، شهرة لا مزيد عليها ، وزادوا في تعظيمها ، حتى عملوها تيممة تعلق على الرؤوس ، وزعموا فيها مزاعم كثيرة من أنواع البركة ، وهم على ذلك إلى يومنا هذا .

وكان البوصيرى شيخا مختصر الجرم ، وفيه كرم ، وله شعر فائق . قال فيه فتح الدين محمد بن سيد الناس : هو أحسن شعرا من الجزار والوراق .

وكان يعانى صناعة الكتابة الديوانية ، ويتصرف فى المباشرات ، وباشر فى الشرقية بيليس ، ورمى المباشرين بأوايد ، ومات فى يوم [^(١) سنة خمس وتسعين وستائة ، بالمارستان المنصورى فى القاهرة . ومن شعره :

تَجَنَّبَ أَحَادِيثَ الْحُسُودِ فَوَاجِبُ تَجَنُّبِهِ فِيمَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ

الخ . . .

وقال فى المركب التى فوق رقبة الإمام الشافعى رحمة الله عليه [تقدم ذكر ما قاله فى شعره] .

وذكره الشهاب أحمد بن فضل الله ، فى كتابه مسالك الأبصار وقال : حكى لى شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود ، رحمه الله ، قال : كان البوصيرى على غزارة فضله ، ممقوتا ، لإطلاق لسانه فى الناس بكل قبيح ، وذكره لهم بالسوء فى مجالس الأمراء والوزراء . قال : وكنت أشتهى أن أراه ، وأتمنى قدوم مصر للقياء ، فلما نقلت إلى مصر فى الأيام الأشرفية ، سألت عنه فى الطريق قبل دخول البلد ، فقيل لى إنه مات ، وكان قد مرض مرضة طويلة ، أغنى عليه فيها ، فشنع عليه أنه مات ، وطارت هذه الشناعة ، واستقرت فى كثير من النفوس .

قال : فأسِفَت على فوات لقائه ، ثم لم يمض على إلا مدة ، حتى طرق على الباب ، فقلت : من أنت ؟ فقال : البوصيرى . فشرعت أردد السؤال لأستثبته ، إلى أن قال : كأنه قيل لك إني مت ! فقلت : قد قالوا هذا ؛ فأنشدنى بديها :

عاشَ بَعْدَ مَوْتِهِ الْبُوصِيرَى وَحَيَاةُ الْكِلَابِ مَوْتُ الْحَمِيرِ
إلى أن قال :

وَصَحِيحٌ بِأَنِّي كُنْتُ قَدْ مِتُّ وَأَخْيَانِي جُودُ هَذَا الْوَزِيرِ
فقلت له الحمد لله على بقاءك وسلامتك . ثم أدخلته الدار ، فتحادثنا وشكا إلى فاقة عظيمة ، وضرورة زائدة . فقلت له : أتقول إن جود هذا الوزير أحياك ، وهذه شكواك ، فقال : أحيانى بتجبره بها ، ولا الفعلة الصنعة الكتاب : فقلت : دع هذا ، وكل على هذه الأبيات فى مدح الوزير ، لأعرضها لك عليه ، فلعلها تكون سببا لإحسانه إليك . ففعل وكان كما قلت .

قال : وأما البردة ؛ فحكى لى غير واحد من أثق به : أن رجلا كان من الكتاب بمطابخ السكر السلطانى بمصر ، مُعَرِّى بكتابة هذه القصيدة ، يعنى البردة ، مغرما بها ، ولا يزال يذكر عظيم النفع لها ، وأنه ما استشفى بها أحد ، إلا شُفِيَ واستغنى بها عن الدواء ، وكان له رفيق نصرانى معاند يهزأ به إذا قال مثل هذا ، ولا يقدر أن يتكلم ، إلى أن حصل لابن صغير له رمد ، كاد يذهب بعينه . فأتاه غلام له يحمله ، فوقف وهو فى مكان مباشرته ، والنصرانى إلى جانبه ، فلما رآه أبوه ، قال للغلام : اذهب إلى الكحال ، فأره له ، ودعه يكحله . فرأى النصرانى أن قد جاءه وقت الكلام . فقال : لاحتاجة إلى الكحال ! يكفيه البردة فغضب المسلم ، وقال : نعم يكفيه البردة ! والله لا طبيته بغيرها . خذ يا غلام هذه البردة ، وضعها على عينيه ، ولا تسكحه ، ودعه يأكل ما أراد ، ودفعها إليه . فأخذ الغلام ، وذهب به ، وكان ذلك يوم السبت . فلما أصبح بكرة يوم الأحد ، نظر إليه أبوه فرأى الحمرة قد تَقَشَّعت ، وصفت

حجرة عينيه ، وسكن مابه ، فعمله وأتى به النصراني في كنيسته ، وقال . انظر كيف ترى
نفع البردة ! فوجم النصراني ، ولم يتكلم . فلما كان يوم الاثنين زال ما كان بالصغير ، حتى
كانه لم يكن ، فأنى به أبوه النصراني ، فقال له : انظر كيف هو اليوم ؟ فقال النصراني :
لا شك بعد عيان ، وأسلم وحسن إسلامه ، ثم كان أشد الناس كلفاً بها .

وكان الملك الظاهر قد أمر بكسر أوعية الخمر ، وشد فيها ، فقال :

نَهَى السُّلْطَانُ عَنْ شُرْبِ الْحُمَيَّا وَصَيَّرَ حَدَّهَا حَدَّ الْيَمَانِي

الخ ...

فبلغت السلطان ، فقال : لو كنت أجتمع بشاعر لاجتمعت به . ولما عمر المدرسة المنصورية
والمارستان بالقاهرة ، أكثر الشعراء في وصفها ، ومدحوا الأمير سنجر الشجاعى متولى عمارتها .
فمن أنشده البوصيرى ، قصيدة أولها :

عَمَّرْتَ مَدْرَسَةَ وَمَارِسْتَانَا لِتُصَحِّحَ الْأَذْيَانَ وَالْأَبْدَانَا^(١)

فقال له حسبك في هذا كفاية . ولم يسمع تنمة القصيدة استحسانا للبيت ، وظل يومه كله
ينشده ويترنم به ، وأجزل جائزته ، وهى كلها طنانة ، قد ذكرتها عند ذكر المدرسة المنصورية
في كتاب الاعتبار بذكر الخطط والآثار . وقد أورد الصفدى هذا البيت في ترجمة عثمان
ابن سعيد بن تولو ، وإنما هو للبوصيرى . وله فيه أخرى أولها :

جَوَارِكُ مِنْ جَوْرِ زَمَانٍ يُجِيرُ وَبَشْرُكَ لِلرَّاحِي نَدَاكَ يَشِيرُ

ومنها في وصف ذلك :

بَنَى مَا بَنَى كَسْرَى وَمَا قَلْبُ مُؤْمِنٍ يُبَاهِي بِهِ فَمَا بَنَاهُ كَفُورُ

وكان له صديق من الكتاب ، يعرف بالأكرم الحشاء ، له عبد حبشى مليح الصورة ،

(١) ورد أمام هذا البيت بالهامش ما نصه : « وهذه القصيدة التى ذكر المترجم مطلعها إنما هي للسراج

عمر بن الحسين الوراق ، وهى مذكورة فى ديوانه بخطه وليست للبوصيرى » .

وكان شخص يعرف بسليمان المفتش يحب ذلك العبد ، فخره البوصيرى من سليمان المذكور ، وقال له ما بلغه من خبر حبه للعبد ، فقال له : أنا عبدى شيطان ، ما أخاف عليه ، فقال :

كَمْ قُلْتُ إِلَّا كَرَمَ الْخِشَاءِ أَنْصَحُهُ بِأَنَّ عَبْدَكَ مُحْتَاجٌ لِلْقَابِ

الخ . . .

وبات ليلة بالقرافة فى رفقة فيهم رجل اسمه مسافر ، فذب ليلا على صبي اسمه النجم .

فقال :

مُسَافِرٌ سَارَتْ أَحَادِيثُهُ مَا بَيْنَ كُلِّ الْعُرْبِ وَالْعُجَمِ

الخ . . .

وحكى أنه كان قليل المعرفة بصناعة الكتابة ، وكان يباشرها ، ويبغض طائفة الكتاب ، ويضطر إلى أن يعاشرها ، ولا يزال رزقه مقترًا ، ويرى الكتاب فى النعمة يتقلبون ، فقال :

نَقَدْتُ طَوَائِفَ الْمُسْتَخْدَمِينَ فَلَمْ أَرَ فِيهِمْ رَجُلًا أَمِينًا

وهى طويلة .

— ٣ —

المنهل الصافي لابن تغرى بردى المتوفى سنة ٥٨٧٤هـ — مخطوط رقم ١١١٣ تاريخ دار الكتب

المجلد الثالث ورقة رقم ١٥٨ — ١٦٠

البوصيرى ناظم البردة

محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن حياني بن صنهاج بن هلال ؛ الشيخ

الأديب الشاعر شرف الدين أبو عبد الله الصنهاجى ، صاحب القصيدة الموسومة بالبردة :

«أمن تذكر حيران بنى سلم»

مولده ببهشيم ، من أعمال البهنسة ، فى يوم الثلاثاء مستهل شوال سنة ثمان وستمائة .
ونشأ بدلاص . وكان أحد أبويه من بوسير والآخر من دلاص ، فركب له نسبة منهما ،
وقال : الدلاصيرى ، ولكن ما اشتهر إلا بالبوصيرى . وكانت له أشياء مثل هذا يركبها من
لفظتين ، مثل قوله فى كساء له : كساط ، فقيل له : لماذا تسميه بذلك ؟ قال : لأنى تارة أجلس
عليه ، وتارة أرتدى به ، فهو كساء وبساط . وأهل العلم تسمى هذا النوع منحوتا ، كقولهم
عشمى : نسبة إلى عبد شمس ، وحضرمى : نسبة إلى حضرموت .

قال البوصيرى : كنت قد نظمت قصائد فى مدح رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ثم اتفق
بعد ذلك أنه أصابنى فالج أبطل نصفى ، ففكرت فى عمل قصيدتى هذه البردة ، فعملتها
واستشفعت به إلى الله ، عز وجل ، فى أن يعافينى ، وكررت إنشادها ، وبكيت وتوسلت به ،
ونمت ، فرأيت النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فمسح وجهى بيده الكريمة ، وألقى على
بردة ، فانتبهت ووجدت فى نهضة ، فخرجت من بيتى ، ولم أكن أعلمت بذلك أحدا ، حتى
لقينى بعض الفقراء ، فقال : أريد أن تعطينى القصيدة التى مدحت بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فقلت : أيها ؟ فقال : التى أنشأتها فى مرضك ، وذكر أولها ، وقال : والله لقد
سمعتها البارحة وهى تشد بين يدي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ورأيت ، صلى الله عليه وسلم ،
يتمايل ، وأعجبته وألقى على من أنشدها بردة ، فأعطيته إياها ، وذكر الفقير ، ذلك فشاع المنام إلى
أن اتصل بالصاحب بهاء الدين بن حنا وزير الملك الظاهر بيبرس ، فبعث إلى واستنسخها ،
ونذر أن لا يسمعها إلا قائما حافيا مكشوف الرأس ، وكان يحب سماعها هو وأهل بيته ،
ثم بعد ذلك أدرك سعد الدين الفارقانى الموقع رمد ، أشرف منه على العمى ، فرأى فى المنام
قائلا يقول له : اذهب إلى صاحب ، وخذ البردة ، واجعلها على عينيك ، تعافى بإذن الله تعالى ،
وذكر منامه . فقال صاحب : ما عندى من أثر النبى ، صلى الله عليه وسلم ، شىء يقال له البردة
ثم قال : اهل المراد قصيدة البوصيرى . يا باقوت ! قل للخادم يفتح صندوق الآثار : ويخرج القصيدة
من حُق العنبر ، ويأت بها . فأخذها فوضعها على عينيه فعوفيت ، ومن ثم سميت البردة .

قلت والبردة حقيقة هى قصيدة كعب بن زهير ، التى أنشدها كعب بحضرة النبى صلى الله
عليه وسلم :

« بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ »

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى : أخبرنى الشيخ الإمام العلامة أنير الدين أبو
من لفظه بعد ما أملى على نسبه : هو كما ذكرناه ، قال : أصله من المغرب ، من قلعة حماد
قبيلة يعرفون ببني حبنون ، بجاء مهملة ، وباء موحدة ونونين بينهما واو ، على وزن زيدور
قال : وولد كما ذكرناه . ثم قال : وأنشدنى لنفسه ما قاله فى الشيخ زين الدين بن رعاد :

لَقَدْ عَابَ شِعْرِى فِي الْبَرِّيَّةِ شَاعِرٌ وَنَنْ عَابَ أَشْعَارِى فَلَا بُدَّ أَنْ يُهْجَا
فَشِعْرِى بَحْرٌ لَا يُؤَافِيهِ ضِفْدَعٌ وَلَا يُدْرِكُ الرَّعَادُ يَوْمًا لَهُ لُجَا

ثم قال : قال الشيخ أنير الدين : كان البوصيرى مختصر الجرم ، وفيه كرم . قلت : وأظن
وفاته كانت فى سنة ست وتسعين أو سبع وتسعين وستائة . وله فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم
عدة قصائد طنانة ، منها قصيدة مهموزة ، أولها :

كَيْفَ تَرَفَّى رُقَيْكَ الْأَنْبِيَاءُ يَا سَمَاءُ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ
وَأَبْيَاتُهَا تَزِيدُ عَلَى أَرْبَعَانَةِ بَيْتٍ . وقصيدة على وزن بانة سعاد ، أولها :

إِلَى مَتَى أَنْتَ بِاللَّذَاتِ مَشْغُولُ وَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا قَدَّمْتَ مَسْئُولُ

انتهى . وقيل كان للبوصيرى حمارة ، فاستعارها منه ناظر الشرقية فأعجبته . فأخذها ،
وجعل له ثمنها مائتى درهم ، فكتب على لسانها إلى الناظر : المملوكة حمارة البوصيرى ، تنشد :
[قد مرت الأبيات فى قافية اللام]

فلما وقف الناظر على الأبيات ردها عليه ، ولم يأخذ الدرهم . انتهى .

بحمد الله وحسن توفيقه والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ، قد تم طبع :

« ديوان البوصيرى »

بتحقيق الأستاذ محمد سيد كيلى

مصححاً بمعرفة لجنة من العلماء برئاسة الشيخ أحمد سعد على
بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده

القاهرة فى { ٢٦ ذى القعدة ١٣٧٤ هـ
{ ١٦ يوليو ١٩٥٥ م

(١٩٥٥/٣٠٠٠/٧/٤٥)

مدير المطبعة
رستم مصطفى الحلبي

ملاحظ المطبعة
محمد أمين عمران